إيستيميشن

مصطفى أمين

إيستيميشن / رواية
مصطفى أمين
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩

دار اكتب للنشر والتوزيع
القاهرة , اش المعهد الديني ، المرج
هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧
موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥
E – mail : dar_oktob@gawab.com
المدير العام :
يحيى هاشم
تصميم الغلاف :
حاتم عرفة
تدقيق لغوي :
أحمد منتصر
رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٩٨٧٩
I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ٤٧- ٠

إيستيميشن

رواية

مصطفى أمين

الطبعة الأولى

٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع



إلى لينا الحقيقية حبيبة عمرو المزيفة

إلى كل الأشخاص الحقيقيين المستوحاة منهم هذه الرواية حتى

العاهرات فيهن حتى الأنذال فيهم .. حتى أنا منهم



البداية

علمني أحدهم تلك اللعبة فأردفت حينها بأنها تبدو
مسلية.. و هنا بدأ الكثير من الضحك و الدموع و الهراء ..
أحكي لعلنا نتقابل بين السطور .. تذوب حينها حروف
الكتاب و سكورات اللعبة



الفصل الأول

"الجيم ده صانز,وحشيش"

أصبحت"إستيميشن كافيه"مؤخرا من أشهر أماكن التلاقي لدى طلاب المدارس الفرنسية فى الإسكندرية مثل سان مـــارك وسان جبرائيل وجان أنتيــد ونـــوتردام دي ســيون,علـــى عكس"شيكسبير كافيه"الذي يقال إنه قد اكتـــسب شـــهرته بسبب أن صاحب المكان"شاف"(قائــد كــشافة) ســـابق في حركة"الكيرفايون"(حركة الكشافة الخاصة بمدرســة ســـان-مارك), بـــ"إستيميشن كافيه" أكثر من عشرين عـــاملا مـــن الإسكندرية,خاصة أنهم -على غـــير الحـــال في القـــاهرة- لا يواجهون منافسين أقوياء للغاية في ذلك المجال,لا أحد يتـــذكر بالضبط متى ظهر"إستيميشن كافيه"ومتى ذاع صيته ليـــصل إلى ما هو عليه الآن ,المكان يمتلك كل المقومات التي تؤهله لهـــذا النجاح,أسعاره غير منطقية بالطبع و لكنـــها ليـــست فلكيـــة مثل"كارلوس"و"ستار باكس"مثلا,اللـــواء صـــاحب المكـــان استخدم نفوذه ليحصل على رخصة تسمح لرواد الكافيه بـــأن يلعبوا الأوراق في المقهى بدون أية مسائلة قانونية,كما أن مـــن السهل أن تجد مكانا قريبا من"الكافيه"تركن فيه سيارتك.

لكل ما ذكر من أسباب كان"إستيميشن كافيه"هو المكـــان المُفضل لدى خريجي سان مارك خاصة خالد ومـــارك ونـــادر

وبالطبع صديقة مارك الحميمة نيفين,و عندما أقــول صـــديقته الحميمة فإن هذا اللفظ ليس تعبيرا مؤدبا عن أي شيء خـــارج عن التقاليد,و لو أنك رأيت مرة واحدة مارك ونيفين و هـــم يتكلمان معا,لو أنك خرجت معهم"خروجة"واحدة,لفهمـــت تماما ما أحاول أن أقوله,علاقة مارك بنيفين لا تختلف كثيرا عن علاقته بخالد أو بنادر,علاقة لا تخرج عن حدود"الأنتمة",هـــذا كله من وجهة نظر مارك,لم يقال أي شيء بعد عن رأي نيفين في كل هذا,إنها القصة التقليدية جدا,نيفين تحلم بـــأن تكـــون شريكة حياته,وخالد ونادر بما أنهم أعز أصدقاء مارك فـــإنهم لم يقابلوا في حياتهم شخصا قادرا على أن يفهم مارك وأن يقـــرأ أفكاره من قبل حتى أن يفكر كما تفعل نيفين,كل الناس ترى ذلك فيما عدا"مارك""مارك"الذي أضاع آخر سنتين من عمره ساعيا بشدة وراء فتاة سيئة السمعة تسمى"يارا",كـــل النـــاس تراها شيطانا يمشي على الأرض فيما عدا هو,إنه ليس ســـاذج بطبيعته بل بالعكس فإنه من الأشخاص القلائل الذين تقابلـــهم فتستطيع أن ترى الذكاء في أعينهم قبل أن يقولوا أو يفعلوا أي شيء,رغم كل ذلك فإنه غير قادر على أن يرى أن"يارا"ليست مناسبة له,أو أن يرى أن نيفين منجذبة إليه بشكل آخـــر غـــير الذي في مُخيلته,كان الأربعة جالـــسين في مكـــانهم المفـــضل في"إستيميشن كافيه"يلعبون الإستيميشن,عندما أخبرهم خالـــد

أن شريف أبيه الذي كان فى القاهرة منذ فترة سوف يصل إلى الإسكندرية في صباح اليوم التالي,و عنـــدما فاجـــأهم نـــيفين بالسؤال:

"شريف مين؟"

رد عليها مارك سؤالها بسؤال آخر كعادته: مـــش عارفـــة شريف؟ ما إنتي قابلتيه,بابا خالد. نظرت نيفين هذه المـــرة إلى خالد وسألته: و إنت بتنادي باباك باسمه على طـــول كـــده؟ استعجب خالد من سؤالها الخارج عن المنطق قبل أن يرشـــف آخر رشفة من كوب هوت شوكليت كان فى يـــده ويتركـــه ليسألها: عايزانى أقوله إيه مثلا يعـــني؟Papy و الـــشغل ده ؟ لا,ده يضايق جدا.

ثم قرر نادر أن يشارك فى المناقشة التي لا تهمه ولا تـــشكل أي فارق له أو للجالسين بأي حال من الأحوال ســـوى أنـــه لاحظ أن هناك شيء ما فى الموضوع يحرج خالدا و هو يتكلم عنه فأرخى ظهره وبدا شكله مثيرا للـــسخرية وهـــو يـــسأل بأسلوب استجوابي: ده ليه كده ؟

رد خالد وقد ظهر عليه الانزعاج الشديد هذه المرة: معرفش هو بيحب يبقى التعامل ما بينا على أساس إن إحنا صـــحاب مش أب و ابنه,هو دماغه كده. كان"شريف الكفراوي"والـــد خالد الذي يمتلك مكتباً للمحاماة في القاهرة خفيف الظـــل إلى

أبعد الحدود,طريقة كلامه وأسلوب حركته ومشيه تشعرك بأنه شاب في الثلاثينيات رغم أنه قد أشرف على بدايات العقد الخامس من عمره,هو أفضل من تنطبق عليه عبارة"الشباب شباب الروح",و عندما يأتي"مارك"و"نادر"أصدقاء ابنه إلى البيت و هو موجود في الإسكندرية,يجلس معهم ويشتم"خالد"ابنه بالأم,يشرب معهم الحشيش,لم يكن يهتم كم يبدو سخيفا ما دام استطاع أن يضحك الشخص الذي يجالسه,تلك الصفة التي تجعل"خالد"يخجل من أبيه أحيانا..و رغم أن مارك قد لاحظ عدم ارتياح خالد من الموضوع إلا أنه لم يستطع ألا يعلق,قال بلهجة حذرة: بس سوري يعني,لما باباك بيجي يقعد معانا مبحسش إنه أب,أول لما بيبتدي يهزر وكده بحس إنه واحد صاحبنا.أما نيفين فأبدت رأيها: و إنت أصلا باباك من النوع إللي يقول النكتة و ميضحكش عليها فيضحكك أكتر ..فاهمني؟ رغم أن خالد ونادر أصدقاء من الطفولة إلا أن الود – لأسباب معقدة يطول شرحها- لم يكن له مكان في علاقتهما ولكنهما ليسا أعداء كذلك,يبدو أن نادر عندما فشلت محاولة إحراج خالد أمام مارك ونيفين وإنقلبت المحاولة لصالح خالد قرر أن يغير الموضوع الذي هو كان أول من اهتم به,قاطع نيفين بفظاظة :"ما علينا مش هو ده الحوار دلوقتي,في مشكلة أهم,حفلة التخرج قربت ومحدش فكر يعمل حاجة..مش في الحفلة نفسها,أقصد بعديها يعني.. إيه اللي هيتعمل؟"

و لم يدر أحد منهم إن كان خالد يوافق نادر فعلا أم أنها كانت فرصة يستغلها ليتحول مسار الكلام إلى شيء آخر غير أبيه عندما قال: الراجل ده بيتكلم صح جدا على فكرة.

قال"نادر"و كأنه تذكر شيئا ما : هو مش"منير إسكندر"هيعمل زي عشا كده بعد الحفلة ما تخلص في سانتا لوتشيا,الدفعة كلها هتروحها باين؟

لم ينظر مارك حتى إلى نادر فلسبب ما كل ما يخرج من فم هذا الاخير مرفوض دون تفكير , أشعل سيجارة قبل أن يقول: ما إحنا مش هنستنى لحد ما حد يعمل حاجة,افرضوا معملوش,

نظر نادر إلى مارك وسيجارته باستغراب فهو لم يعتد أن يراه يدخن,ليس بعد أن طلبت منه صديقته يارا الإقلاع عن التدخين,لكنه على كل حال قرر التغاضى و سأل: خالد هو إحنا ممكن نروح عندك في شرم؟

أجاب خالد بارتباك قد لوحظ من طرف نيفين: مينفعش كان لازم نحجز من فترة,تابم شير أصله.

- فاضل على الحفلة إسبوعين,إسبوعين مش كفاية؟و إحنا أصلا في الشتا.

- معرفش هشوف.

و للمرة الثانية فى نفس الدقيقة تطوع شخص مـــا لتغـــيير الموضوع و لكن هذه المرة كانـــت نـــيفين الـــتي لاحظـــت اضطراب"مارك"فشلت فى تخمين سبب (لجلجة الكلام) الـــتى بدأت فى الظهور على لسان خالد لكنها ربطته بـــذكر اســـم مدينة شرم الشيخ فقالت : مش لازم حاجة كبيرة,ممكن تعملوا أى حاجة.كان خالد قد فقد اهتمامه نسبيا لما يقال : اللي عايز يسكرت يلحق اللمة دي بتاعتي.

قالها و لم ينتظر ردا و رشف رشفة أخرى مـــن الكاكـــاو الساخن الذي ظنه الجميع قد انتهى.نظر إليه مارك بطرف عينيه لكنه لم يهتم لما قاله و قرر أن ما يتكلم فيه أهم فأقترح: ممكن نخش سينما.

أضاف نادر ضاحكا: معاكم إنتم؟ انسى يا معلم.

بدا مارك وكأن شخصا ما أهانه عندما أردف معترضا: إيه المشكلة يعني؟تحولت لهجة نادر مـــن المـــزاح إلى الـــشكوى: مبتبطلوش كلام و أنا بتفرج على الفيلم,و بتيجي على أهم حتة وتقعدوا ترغوا.

أردف مارك في مزيج ما بين الاتهام و الاستخفاف: بجـــد و الله؟ فكرني بمرة.

أوضح نادر الذى لم يتوقع السؤال: مرة بوظتوا عليا الفيلم وأنا بتفرج؟

فاجئهم نادر بصوت عـــال وبحمـــاس غـــير مـــبرر:"لاك هاوس"!!,بتاع ساندرا بولوك و اسمه إيه ده بتاع"ماتريكس"؟

سأله مارك باستخفاف:"كيانو ريفز" , ماشـــي وبعـــدين يعني؟

أضاف نادر الذي كان يتوقع ردة فعل أقوى مـــن تلـــك: وبعدين معرفتش أتفرج,أولا خالد كان تقريبا مش فـــاهم أي حاجة من الفيلم وعمال يسألني عن كل حاجة ..

ثم توجه بكلامه إلى نيفين التي بدت الوحيدة المهتمـــة بمـــا يقول بمجاملة ليس أكثر و استطرد: لأ ومارك بقى وعلى اللـــي عمله في آخر حتة في الفيلم,مشوفتيش إنتي,كان فى حتة ساندرا بولوك و التاني ده بيبوسوا بعض فى آخر الفيلم.

قال خالد بانزعاج لنادر الذي بدا في هذه اللحظـــة طفـــلا صغيرا يتعرض للتوبيخ من أبيه: أنا مش فاكر إنت بتتكلم عـــن إيه؟ بس هو إنت فعلا ناوي تقعد تقول الكلام ده وفي بنـــت قاعدة؟

و لأول مرة أظهر مارك بعض التعاطف لنادر الذي يتلقـــى الإهانات من بداية الجلسة فقال مازحا: مـــين؟ نـــيفين ؟ دي أرجل مني !

كانت"الخروجة"من بدايتها مليئة بالكلام غـــير المـــريح و الارتباك و الاضطراب و لكن تلك الجملة الأخيرة,تلك الجملة التي نطقها مارك بعفوية كانت كفيلة بأن تربك ثلاثتهم.

******

بعيدا عن الإسكندرية,و في وقت متزامن تماما,بدت تلـــك الليلة في القاهرة عندما عادت مروة زوجة"أحمد شمس"مهندس الكمبيوتر إلى منزلها ليلة هادئة تقليدية جدا,لم تكن تتوقع مـــا سوف يحدث,دخلت من باب الشقة فلمحت زوجها جـــالس هو و ابنه ذو الأربع سنوات نائم بجانبـــه,و كعادتهـــا دون أن تتوقف و هي تمشي بسرعة نحو الحجـــرة نطقـــت بعبارتهـــا الشهيرة"أنا جيت",مشيت بضع خطوات سريعة ثم تسمرت فى مكانها فجأة كأنها نسيت شيئا أو فوجئت بشيء ما,رجعت إلى حجرة الجلوس التي قد رأت أحمد جالسا فيها,لم تكن عند أول دخولها قد لاحظت كوب الخمر الذي يمسكه في يده,فوجدت نفسها تسأله فى دهشة: إيه ده يا أحمد هو إنت رجعت تشرب تاني؟

تجاهل أحمد ما قالته تماما,أطفأ التلفاز وأيقظ ابنه النائم.أمره بالذهاب إلى حجرته , توسل الطفل فى بلهجة ضاعت معظم حروفها في التثاؤب والنعاس فشل فيها أن يتظاهر بأنه يبكي إلا

أن أحمد لم يصدر منه سوى حمل ابنه من على الأريكة و وضعه برفق على الأرض

- تصبح على خير يا بابا.

قبله أحمد بطريقة سينمائية وقال بلهجة درامية عجيبة: تصبح على خير يا حبيبي.

الحجرة أصبحت خالية إلا من تساؤلات مروة و هدوء أحمد

- إنت ليه لابس هدومك دلوقتي إنت رايح حتة ؟ .. مالك يا أحمد في إيه؟ .. مبتردش عليا ليه ؟ هو أنا مش بكلمك؟

لم يكن أحمد خلال نطق تلك الجمل الأخيرة قد نظر إلى مروة مرة واحدة,ليس حتى الآن,التفت إليها بكره و قال بهدوء عجيب: إنتي كنتي فين لحد دلوقتي؟

- هكون فين يعني ؟ كنت فى الشغل أكيد.

قال أحمد الذي عاد يتأمل في كوب الخمر مرة أخرى: غريبة يعني!! مع إني عمال أتصل بيكي على الشغل قالولي مش موجودة.

قالت بروتينية وهي تخلع معطفها: هو لازم الشغل يبقى جوه الشركة يعني ؟ إنت عارف إني بقعد طول اليوم أتنطط من حتة لحتة.

- و إنتي النهارده بقى كنتي بتنططي على أنهو سرير ؟ ف أوضة نوم مين من الآخر ؟

ثارت مروة اضطربت و إرتفع صوتها وقالت بعصبية لم تعتدها هي نفسها من نفسها: إنت إزاي تتجرأ و تفكر ف حاجة زى كده ؟إنت سكران و لا إيه؟

قال أحمد مبتسما وغاصبا في نفس الوقت في لهجة مما يسمى فى اللغة العامية بـ"الاستعباط": أنا آسف أنا فعلا مش عارف أنا إزاى قولت حاجة زى كده,هاتى موبايلك كده ثانية واحدة!!

و هنا بدأت النهاية لما بين من أحمد و مروة,منذ أكثر من شهرين و أحمد سمع و شك و قيل له كلام من أكثر من مصدر معناه إن مروة زوجته من ستة سنوات على علاقة برجل آخر و لكنه حينها لم يكن يعرف من هو بالضبط.. أما الآن فالجديد إنه وصل إلى مشتبه به,كان يشبه وكلاء النيابة فعلا عندما بدأ يستجوب مروة التي غلبها الارتباك و لم تجد ما تقوله,لم يرا الاثنان ابنهما"علي"وهو واقف خلف باب حجرته نصف المفتوح ويراقبهما خلفه,المفترض أنه لا يفهم ما يحدث أو ما يقال لكن غريزته أنبأته بأن شيئا ما يحدث,شيء سيء للغاية و

"مين شريف كفراوي ده؟ حد مهـــم يعـــني في الـــشركة عندكو؟"نطقها أحمد وهو يبذل مجهودا ملحوظا لكي يتثبـــت بهدوئه"

– ده عميل قديم و بطل يتعامل معانا نسيت أمسح نمرته,فى إيه يا أحمد مالك؟

– بس النمرة مش مهمة,هه؟أمال بتعمل إيه على الـــسبيد دايل ؟

ملخص كل ما حدث فى الدقيقتين الـــسابقتين أن أحمـــد يفاجىء مروة مفاجأة تلو الأخرى,و لكن لا شك أن مروة هي التي فاجأته هذه المرة عندما هدأت و جلست بجانبه و تصنعت لهجة سخرية وهي تقول : لأ الحقيقة ظبطتني أنا فعـــلا مـــش عارفة أقولك إيه؟

ثم تغيرت ملامحها إلى خليط من الجديـــة و الحنـــان وهـــي تستكمل : أحمد,إنت طول عمرك بتغير بزيادة بس مش لدرجة إنك تخوِنى,مش لدرجة إنك تتهمني بحاجة زي دي,أحمد إنت بتعمل إيه؟

وضع ذلك الأخير اصبع السبابة على فمه بهـــدوء غريـــب إشارة إليها أن تصمت,مسك الهاتف الجوال ثم اتصل بنمـــرة شريف

و شغل الـــ"لاود سبيكر"و انتظر الرد.

جرس,ثم جرس,ثم جرس,كان من الممكن ومن المنطقي ومن الطبيعي بل ومن المطلوب أن تقول لأحمد بأن هذا وقت غير مناسب للاتصال بأي شخص إن كان,و إنه بذلك يحرجها أمام الناس,بل وخطرت على بالها فعلا أن تقوم بذلك,و لكن بنظرة سريعة إلى وجه أحمد أدركت أنها ليست فكرة جيدة,بغض النظر عن صوت الجرس ساد الصمت ما بين الاثنين فقط نظرات قاتلة من أعين أحمد إلى مروة التي بدت مثل المتهم الذى ينتظر تنفيذ حكم الإعدام,لم يخترق ذلك الصمت سوى صوت شريف الكفراوي الذي خرج من سماعة الموبايل أخيرا:" أيوه يا حبيبتي ممكن تبطلي تنسي حاجتك عندي فى البيت,كل ما آجي أنام ألاقي حاجات غريبة في السرير"

نظر أحمد إلى مروة وعلى وجهه تعبير ما بين البكاء والضحك الخفيف ونزلت الدموع من عينيه في نفس اللحظة.

شريف : ألو ألو,إنتي لو كنتي بتتكلمى دلوقتي أنا مش سامع حاجة,روحي في حتة فيها إرسال,الموبايل فتح في جيبها بساين دي ولا إيه؟

وضع أحمد الموبايل على الطاولة ولكن لم يعل صوته و لم يتحرك من مكانه، قال بنفس الهدوء و بمنتهى الروتينية التى لا تناسب معاني كلماته : طبعا دلوقتي إنتي طالق

قام , مشى ونزل على ركبتيه أمام ابنــه الــذي أخرجــه الصوت المُرتفع من مخبأه ونظــر إليــه و اســتكمل كلامــه: و"علي"هيفضل معايا.

و كأن مروة في هذه اللحظة لا تسمع ما يقوله أحمد,كانت تنظر فى اللا مكان و لا تقول شيئا,كانت تعاني من تلك الحالة التي تجعلك الصدمة فيها تفقد إحساسك بالعالم الخارجي وبمــا يحدث حولك مهما بلغت أهميته.

استكمل أحمد وهو يرتدي الجاكت ويمسك شنطة ملابــس كان قد وضــعها بجانبــه قبــل أن تبــدأ تلــك المناقــشة بساعات,ويتجه نحو باب الشقة.

"الحقي اشبعي منه الكام يوم اللــي جــايين لحــد يــوم التلات,لحد لما أحدد مكان أقعد فيه فى إسكندرية"

لم يتغير أي شيء,مروة ما زالت تنظر في اللا مكان ولكــن هذه المرة بدأت عيناها تتلألأ بالدموع.

و قبل أن يبلغ أحمد باب الشقة استدار وسألها: بالمناســبة كنت عايز أسألك سؤال,هو إحنا سيبنا إســكندرية و جينــا نعيش في القاهرة علشان فرص شغلك هنا أحسن فعلا والليلــة اللي إنتِ عملتيهالي دي ؟ ولا علشان هو طلب منك كده؟

نظرت مروة أخيرا إلى أحمد,وكان هذا هو آخر ما فعلته لم تقل أو تفعل أي شيء واكتفت فقط بتلك النظرة الخائفة,هــز أحمد رأسه, لم يكن غبياً .. فهم الإجابة من تلقاء نفسه.

****

قبل أن أستكمل سردي لحديث نيفين ومارك وخالد ونادر الذين يجلسون في"إيستيميشن كافيه"في هــذه اللحظـة أود أن أقدم لكم رباعيا آخر من الأصدقاء يقطنون بالإسكندرية أيضا -:

كانت لعبة الإستيميشن وفن الحشيش بمثابة ثنائي لا يفترق بالنسبة إلى عمرو سلامة ورامى وكريم شمس (أخو أحمد شمس السابق ذكره) و محمد البارودي,و الغريب أن كل واحد منهم كان لديه فيما سبق ماض أفضل,عمرو منذ سنين كان مُلتزمـا دينيا بشكل يسُر الناظرين,كريم كانت لـه ميـول سياسـية حزبية,ورامى كان أقل جراءة و أكثر أدبا مع الجميع,ومحمـد البارودي كان الأول على فصله فى المدرسة,إنهـم النمـوذج الشهير للنوع من البشر الذين يبحثون عن استجابة الـدُعاء في أكواب الخمور,ووجدوا الشفافية الـسياسية في شـفافية ورق البفرة (ورق لف السجائر) الـشفاف بـدلا مـن الوعـود الانتخابية,وكأي مجموعة أصدقاء تتكون من أكثر من ثـلاث كانت العلاقات ما بينهم متفاوتة,فعمرو سلامة و رامي الذين جمعتهما مدرسة سان جابريال,علاقتهما أقوى من علاقة عمرو سلامة بمحمد البارودي خريج الأي جي,والذي عرفـه عـن طريق كريم الذي ترك سان جبرائيل في الثالثة الإعدادية وذهب إلى الأي جي ليتعرف هناك بمحمد البارودي- أو الكيـنج -

كما يطلقون عليه-,فظل وضع محمد البارودي في تلك المجموعة أنه"تَبَع"كريم,عمرو ورامى ظلا وسيظلا طوال حياتهم لأسباب غير واضحة لا يستأمنون البارودى على سر,أما غير ذلك فإن البارودي لا يعد ثقيل الظل كما أنهم يحتاجونه في أي حال من الأحوال عندما يريدون التحضير لجلسة حشيش تماما مثل تلك التي يجلسون فيها الآن,في المكان الذى عدّوه"مُكنتهم",و"المُكنة"حسب تعريف محمد البارودي هي المكان الذي"يتمكن"فيه الإنسان أن يفعل أي شيء دون أن"يقطع"أحد عليه أو يكشف شخصا ما أمره,فالمُكنة هي مكان لممارسة الفحشاء وتدخين الممنوعات,تشبه الغُرزة ولكنها لعدد أقل من الناس و لم تُبن لهذه الأغراض في الأصل,و لا تتربح من الحرام,فهي فى العادة من ممتلكات أحد المساطيل,و مُكنتهم هذه المرة هي بيت رامي الذي يقيم أهله فى دبي بشكل دائم ويعمل أبوه دكتورا جامعيا هناك,هو يعيش وحيدا في تلك الشقة الكبيرة معتمدا على مبلغ المال الذي ترسله العائلة على حسابه البنكي كل شهر,نظر رامى في شك إلى المنضدة و امتنع تماما عن اللعب حتى سأل"هو مين اللي نزل الداما دي؟"

أوضح له عمرو سلامة أنه هو الذي أنزلها,و أضاف"وبعدين إنت فارقة معاك في إيه؟ دى كده كده مش لمتك"

أردف البارودى موجها كلامه لرامي وهو لا ينظر إليه مشغولا بدبوس الحشيش الذي في يده: فين الولاعة اللي ..

قطع ذلك الأخير كلامه بنفسه عندما ناوله رامي القداحة التي يقصدها.

انتفض كريم في كرسيه كأنه تذكر شيئا ما : هي الساعة كام ؟

نظر عمرو سلامة في ساعته الثمينة وقال في لا مبالاة: لسه ثمانية ..

اقترح كريم وقد بدت على وجهه علامات الضيق: طب بقولك إيه يا بارودي يا ريت ننجز بقى علشان مش عايزين نلطعهم,لو قادر دلوقتي تتعامل فى جوينتات يبقى أحسن.

استفسر عمرو وهو يطفىء سيجارته : نلطع مين؟ هو إحنا رايحين لحد؟

أوضح كريم :آه هنا و ريم رايحين"إستيميشن"النهارده , علشان كده يا ريت يا بارودى تنجزنا فى جوبات

أوضح البارودي الذي لم يستسغ الفكرة: لأ فكك في الآخر ماشي,بس خلينا على الأقل نعلق دبوس واحد علشان متبقاش القعدة نفخ,أنا كده كده محتاج أعلى شوية علشان أعرف أتعامل مع"ريم"النهارده,إنت عارف أنا مشربتش دبوس بقالي قد إيه؟

قال رامي محاولا أن يتوقع مسبقا ما سيُقال : من ساعة الطلعة بتاعة مارينا.

البارودي : مين قال ؟ مارينا خد بالك مكانتش دبـــابيس كانت مشنقة,

كريم: ومين اللي اتعامل في المشنقة بقى؟ إنت طبعا.

البارودى : أمال عايزني أسيب أحمد علي وفرقـــة Born In Hell دي تتعامل فيها؟

و لم تكن Born In Hellهذه سوى إحـــدى فـــرق الـــ Heavy Metalفي الإســـكندرية,اشـــتهروا بكثـــرة خلافاتهم فيما بينهم وبكثرة مشاكلهم في كل مكان يـــذهبون إليه.

كل ذلك كان عمرو صامتا ينظر إلـــيهم بقلـــق,يترقـــب المسكين اللحظة المناسبة لكي يسأل الـــسؤال الـــذي يعتـــصر تفكيره,وعندما وجد أن اللحظة المناسبة قد لا تأتي أبدا,قرر أن يلفظ السؤال"وخلاص": هيا لينا جاية النهاردة؟

نظر كريم إلى عمرو و قال بحذر : إشمعنى يعني ؟ معـــرفش المفروض لأ,إنت لو رحت لقيتها هتعرف تهـــدل الموضـــوع وكده؟

عمرو :"بصراحة , مش هعرف غير لما أتحط فى الموقـــف نفسه.. إيه اللي خلاك تسأل السؤال ده؟! و أنـــا مـــن إمـــتى مبعرفش أهندل (وأتحكم فى نفسى) ؟المشكلة كل مرة بتبقـــى فيها هيا وإنت عارف"

و كأنه القدر,قبل أن يفكر كريم فيما سيقوله أصيب محمد فجأة بحالة سعال غير طبيعية.

البارودي أعطى الكوب لرامى و قام إلى الشرفة بحثاً عن بعض الهواء النقى وليس هناك أحد غريب عن عمرو سلامة جالس معهم,رأى كريم أن هذا هو الوقت المناسب لكي يبلغ عمرو بذاك الخبر,أخذ نفسا عميقا من الأكسجين كأنه سوف يغطس تحت الماء,ثم استجمع شجاعته : علي حوار لينا ده,ممكن أوي تلا,بص أنا مش قصدي أخنقك يا عمرو..بس لو هي جاية احتمال تلاقي صاحبها موجود معاها هناك.

****

رغم إن بولة الإستيميشن كانت في منتصفها ورغم التركيز الذي تطلبه لعبة كهذه إلا أن مارك قد وجد الوقت الكافي للاتصال بشخص ما مرارا و تكرارا,و ليروه و هو يخرج من فمه عبارات ساخطة غير مفهومة بالمرة عندما يجده مشغولا.

و عندما سأله"خالد"هامساً عن هوية الشخص الذى يحاول الإتصال به و إن كان هذا الشخص يارا هز رأسه غير راض.

أما نادر فكان ما زال يتكلم مع نيفين ويحكي لها الموقف الذي يظن وحده أنه مضحك.

نادر: شوفت الفرنشاية ومش شوفت الفرنشاية وبتـــاع.. أولا جملة ملهاش أي لازمة,آه أكيد شوفتها وكنت مركز فيها لحد ما إنت فتحت بقك وفصلتني.

وبالرغم من الصمت الذي كان سائدا وجو الارتباك الذي لا يشجع على سرد الحكايات,استكمل نادر: و بعدين إنـــت إيش عرفك,هي جامدة و لا لأ؟

سأله خالد: هى إيه دى إللى جامدة و لا لأ ؟

فأجاب:"البوسة إللى فى الفيلم"

قال مارك الذي ترك الموبايـــل مـــن يـــده: لأ دي مـــش فاهمها,يعنى إيه إيش عرفك هي جامدة و لا لأ ؟ هـــو مـــش شايفها قدامه ؟

أوضح نادر بحكمة تبعث على الضحك: لأ يا مارك ، إنت في حاجة مهمة جدا محتاج تتعلمها.

غمغم خالد بملل دون أن يرفع عينه عن الأوراق: اللي هي إيه بقى ؟ أتحف اللي جابوا أمنا.

استكمل نادر و كأنه مُحاضر جامعي يتكلم عن أسس علم الاجتماع و فن الجماع: في قاعدة مهمـــة جـــداً بتقـــول إن الفرنشاية زي العربية السبور,مهما كان شكلها حلو ميـــنفعش تحكم على أداءها من بره ومهما كان شكلها جذاب مش لازم تكون مُريحة من جوه,لازم تسوقها علشان تعرف.

هذا هو نادر"الميتاليست",كان مظهره وحـــده كـــاف لأن يجعله محطا للسخرية قبل أن يفتح فمه ويتفوه بأية كلمة,شعره طويل ممسوك بـــ"توكة"في مؤخرة عنقه (و هذا شـــيء غـــير معتاد في الإسكندرية),دائما ما يلبس"تي- شيرت"أسود عليـــه اسم إحدى فرق موسيقى الـــ"هافي-ميتال"بجانـــب بعـــض الجماجم و الكثير من الدماء,و بغض النظر عن لدغته في حرف الراء (وكانت هذه إحدى مشاكل حياته لأنه ‹نادر رفعت عبد الرؤوف›),كان نادر كمعظم الذين يعانون في اللدغة في ذلـــك الحرف المُزعج يلجأون إلى إستخدام اللغة الإنجليزية و الفرنسية بشكل مفرط,مستغلين أن اللغتين تخفيان اللدغة تمامًا,فانتهى به الأمر بلغة غريبة تحمل الألفاظ الإنجليزية وتكوين الجمل العربية وطريقة نطق فرنـــسية,و بـــالرغم مـــن كـــل ذلـــك كـــان لـــ"نادر"تأثير قوي على بعض الناس,عنـــدما تـــستمع إليـــه تحتار,أهو مجرد شخص أبله يهذي بكلام لا معنى لـــه ؟أم أنـــه عبقرى وأن تلك البلاهة المحيطة به هي من صـــفات جنـــون العباقرة؟فهو رغم كل شيء ليس مجرد شاب متفرغ للهراء بل كان المغني الVocal ولاعب الجيتار والمؤسس لفرقة:

Born In Hell والتي أصبحت مؤخرا من أهم فـــرق الهافي ماتيل فى الكثير من المناسبات الثقافية التي تقع في مكتبـــة الإسكندرية وغيرها من الأمـــاكن الـــتي لا يـــذهب إليهـــا الكثيرون,كانت لديه نظرية اجتماعية غريبة للغاية,كان يـــشبه العلاقة ما بين أي شاب و فتاة بالسيارة!,فالـــسيارة العائليـــة

عندما تشتريها يكون بها في الخلف مكان للأطفال,فهو ينـــوي أن يؤســـس عائلـــة,و كـــذلك"الـــصحوبيات العائليـــة",و هناك"صحوبيات سبور"تماما مثل العربيات الـــسبور,عمرهـــا الافتراضي قصير وصعبة الإصلاح و غالية الـــثمن ولكـــن أى راكب في أي سيارة عائلية عندما يراها يتمنى أن يقودها و يطير بسرعة جنونية,و هناك التاكسي ويأتي دوره عنـــدما تكـــون بالفعل مرتبط بعلاقة (سيارة) أصابها عطل ما,فينتـــهي الأمـــر بصاحب السيارة التي تحولت إلى خردة (علاقـــة فاشـــلة) إلى التنقل من تاكسي إلى آخر,حتى يجد سيارة أخرى ..

استمع"مارك"و"نيفين"و"خالد"و هـــم يرتبـــون ورقهـــم ويتبادلون نظرات الـــسخرية والـــضحكات المكتومـــة,حـــتى انتهى"نادر"من كلامه الذي كان أشبه إليهم بأحـــد فـــصول مسرحيات"عادل إمام"فهتف مارك ونيفين بـــصوت واحـــد ساخرين: يا سلام.

قاطعهم خالد الذي لم يكن مهتما منذ البداية: أنـــا كـــده مايدت خلاص آخر ورقة الأس الكارو يترل بقى.

أجاب أحدهم بأنه قد أنزل الورقة المقصودة منـــذ فتـــرة.. "خلاص الجيم ده صعايدة"

لم يرد خالد على نيفين بل وضع ورقه على الترابيزة والتفت إلى"نادر"فجأة,و سأله بغضب وكأن نادرا هو المـــسئول عـــن

خسارته : ثانية واحدة بس,هو إنت أصلا في عمـــرك إديـــت فرنشاية لبنت قبل كده ؟

قرر نادر الذي لم يتوقع السؤال(و لم يفهمه كذلك) أن يرد عليه بمزحة : لأ بس ركبت عربيات سبور كتير,ضيقة أوي من جوه على فكرة..هاهاها !

لاحظ نادر تلك النظرة الساخرة التي أعطاها خالد لمـــارك ولنيفين المشغولة بتوزيع الأوراق عندما أنهى جملتـــه,فقـــرر أن يصحح من موقفه : إيه ده ثانية واحدة,إنت بتسأل بجد؟ إنت فعلا بتسألني أنا إديت فنرشاية قبل كده و لا لأ؟

أوضح خالد بملل: أيوة بسال بجد..

ثم التفت إلى الباقيين و سأل: هو دور مين اللي يوزع مـــين اللي وزع المرة اللي فاتت نيفين صح؟ إيه ده إنـــتِ أولريـــدى بتوزعي مختش بالي معلش.

ثم عاد ببرود إلى"نادر":"معلش يا نادر مكنـــتش ســـامع , كنت بتقول إيه إنت؟"

قال نادر بلهجة ما بين الدفاع و المزاح:"بتسأل بجد ؟ طب تصدق وجعت هنا"

أشار إلى صدره قاصدا قلبه عند نطقه للعبارة الأخيرة قبـــل أن يستطرد:"أنا كان ممكن أقبلها من أي حد إلا منك,عيـــب

عليك يا معلم أنا أول فرنشاية في حياتي كانت وأنا عندى بالضبط عشر سنين"

استفتسر مارك ضاحكا وهو مشغول بعد أوراقه: ده اللي هي لما إيه إللي حصل يعني ؟

انخفض صوت نادر هذه المرة و هو يقول: لأ فكك من تفاصيل مبحبش أحكيها,سيبك يعني,أنا بس عايز أوصلك فكرة مُعينة.

نظر"مارك"و"خالد"و"نيفين"إلى بعضهم بفرح,لقد وجدوا شيئا يخاف"نادر"أن يحكيه,يا للتسلية !

سأله مارك مصطنعا الغضب: يعني إنت فاكر إن لو في حاجة بتضايقك في الحوار إحنا هنروح نحكيه لحد ؟

قال نادر بارتباك: هو مين الكينج؟ ..

قال مارك في فخر: أنا طبعا إيه الجديد ؟

قال نادر: لأ بس هيجيلك يوم وتتجاب.

نظرت نيفين إلى نادر بلوم: متغيرش الموضوع يا نادر.

وضع"نادر"هذه المرة الأوراق أملا في أن يغلق هذا الموضوع نهائيا: مش كده يا جماعة,هو الموضوع نفسه محرج أنا نفسي مبحبش أفتكره,مش فارقة معاكو في حاجة إنكو تعرفوا .

ثم في وسط كل ذلك نظر خالد إلى ورقه و استكمل: نيفين متوزعيش تاني ورقك زى الخ,زى الزفت.

مارك :يعني إحنا هنقعد نقلس عليك يعني؟ لا مفيش حاجة,بس بعد كده متجيش وتزعل.

رد نادر بيأس هذه: أوكيه خلاص ماشي,بس الحوار ده مايطلعش بره..

"أوكيه"قالتها نيفين و انكمشت في مقعدها وقد ملأها الحماس كأنها طفلة تنتظر حكاية ما قبل النوم.

نظر نادر حوله وكأنه سوف يقول سرا خطيرا,أخفض صوته واقترب أكثر,فاقتربوا بدورهم:"و أنا صغير لما كنا أنا وخالد قاعدين لسه ف العجمي كان في بنت اسمها"مايا"و كانت معانا في المدرسة

قال خالد محاولا التذكر : إيه ده؟ إيه ده ؟ استناني بقى,كانت جريجية أو يونانية حاجة زي كده صح؟"

- أيوة , ممكن تسيبني أحكي ؟

أشار مارك على خالد وقد بدا على وجه الأول علامات الاستخفاف: سيبه يكمل يا عم.

أخذ نادر نفسا عميقا قبل أن يستكمل: يوم كده بعد المدرسة لقيتها طلبت مني إني أروح معاها بيتها,المهم طلعنا أوضتها,قعدنا نلعب على الكمبيوتر كان عندها كمبيوتر DOS كده غريب.

سألته نيفين فجأة : و بعد كده بوستها؟

رد نادر و قد زاد انزعاجه نسبيا : لأ بعديها قعدنا نذاكر.

سأله مارك هذه المرة: و بعد كده اديتها فرنشاية,مش كده؟

كان انزعاج نادر قد وصل إلى حده الأقصى عندما أجاب في غيظ: لأ بعد كده قعدت أعلمها إزاي تلعب كـورة,هـي والشغالة بتاعتهم.

من المؤكد أن أيا منهم لم يكن مهتما فعلا بمعرفة حقيقة ما حدث,و لكنهم وجدوا أن لأسئلتهم المتكررة رد فعل كرتوني مُضحك يخرج من"نادر"كل مرة,فكـان مـن الطبيعـي أن تسأله"نيفين": وبعد كده بوستها ؟

استكمل نادر الذي قرر أن أسهل طريقة لتخطي الأسـئلة الغبية التي لا جدوى منها هي أن يتجاهلها تماما: كان عنـدها كلب كده طلعته من الكوخ بتاعه علشان يلعب معانا.

مارك: بعد كده إديتها فرنشاية.

نادر: لأ ، اصبر شوية,ممكن ؟المهم بعديها مش فاكر حصل إيه كده,دخلت هى البيت وسابتني مع الكلـب والـشغالة و أخوها الصغير ده,و غابت شوية صغيرين,خمس دقايق ربع نص ساعة ساعتين أربعة وأنا لسه عمال ألعب مع أخوهـا و مـع الشغالة و الكلب إللي معاهم,بس مكونتش عامل حسابي على إللي هيحصلي بعد كده.

سألته نيفين وقد غلبت السخرية على لهجتها: إيه بوســـت الشغالة؟

رد نادر ضاحكا: بوست الشغالة؟ يا ريت,كـــان يبقـــى أرحم.

توقع مارك بصوت عال : يبقى بوست الولـــد الـــصغير في بقه,صح؟

و في هذه اللحظة بالضبط مر رجل مُلتح بجانبهم ونظر عند الجملة الأخيرة إليهم باشمئزاز قبل أن يستغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم بصوت عالى غاضب ثم رفع حاجبيه لينظر إلـــيهم نظرة استحقار أخيرة ليرحل بعدها و يبتعد عنهم,بدا بعـــدها شكل نادر مضحكا للغاية وهو يميل إلى"مارك"و يقول في قلق بصوت يقرب إلى الهمس :"ما توطى صوتك يا مـــارك إيـــه السياح ده؟لا طبعا,إيه اللي يخليني أعمل حاجـــة زى كـــده؟ مزنقتش,هو يعني البيت مفيهوش غير الشغالة والولد بس؟"

فجأة اعتدل خالد في كرسيه و نظر إلى نادر واتسعت عينا خالد وهو يتصنع الخوف و الدهشة : إيه ده؟

ارتبك نادر ونظر حوله بدوره و قال: إيه في إيه ؟

قال خالد بلهجة درامية مضحكة وهو يلوح بأصبع السبابة: أنا طول عمري عارف إنك واطي بس مش للدرجة دي,إنت بوست الكلب؟

وانفجر ثلاثتهم في الضحك.

أعاد نادر ظهره مرة أخرى إلى الوراء بعد أن كان مقترباً من الترابيزة و اشتكى: مش إسلوب خالص على فكرة,أنا مش عارف أحكي حاجة.

قالت نيفين و هى تحاول جاهدة أن تقلل من ضحكها : طب احكي احكي.

نادر: المهم الكلب عضني,مش عضة جامدة يعني,الظاهر ماميتها كانت دكتورة أو بتشتغل في صيدلية حاجة كده يعني , طلعتني أوضتها علشان تعالج الجرح وبتاع.

اتسعت عينا خالد وهو يسأله (بدهشة): إيه ده مع مامتها؟

أومأ نادر برأسه موافقاً: الM.I.L.F. شخصيا.

سأله"مارك"بسخرية: شخصيا ؟

و سأله"خالد"بنفس اللهجة: بشحمها ولحمها؟

كانوا"خالد"و"نادر"و"نيفين"قد اندمجوا في السخرية من نادر وقصته الغريبة,و لم يفهم أحد منهم ما هو المُحرج بالضبط فيما حدث,و لماذا حاول أن يتفاداها في حديثه في البداية,بل و عندما زاد الضحك كان الجميع يضحك فيما عدا هو,نظر إليهم بقلق وقال باضطراب : بقولكم إيه ! أنا حكيتلكم الحوار ده علشان واثق فيكم,يا ريت الموضوع ده مايطلعش لحد,

و قبل أن يرد أحد وقبل أن يثبت أي منهم أنه لم يخطــيء عندما وثق بهم,زاد الضحك أكثر عندما فوجئوا بمارك واقفـا فوق كرسيه و قد مسك كأسا وملعقة و خبطهما ببعض مثلما يفعل الأرستقراطيين الإنجليز قبل أن يقترحوا أن يشربوا نخـب شيء ما و قال بعد أن كان قد لفت انتباه عدد لا بأس به مـن رواد المكان:"يا جماعة أن عايز أقولكم إن نادر.."

***

"صاحبها ؟!!"

نطق أو بمعنى أصح صرخ"عمرو سلامة"بالعبارة السابقة,قبل أن تتجمع عضلات وجهه ويلتقي حاجباه اللذان لا يلتقيان إلا نادرًا.. لتتغير ملامحه الهادئة تماما و ليراه كريم و رامي وقد بلغ مرحلة من الغضب لم يروه قد وصل إليها فى حياته من قبل.

كان الارتباك واضحا على"كريم"عندما أوضـح بـصوت خافت : مكنتش عايز أكلمك فى الحوار ده بس ان انت تعرف مننا أحسن.

لم يُعلق"عمرو"على تلك الجملة الأخيرة وأكمل اعتراضـه كأنه لم يسمع شيئا:"صاحبها؟ ..صاحبها ده اللي هو حسام ده طبعا"قالها في شيء من التهكم قبل أن يلوح كريم بيده محـاولا

أن يتغاضى عن ذلك السؤال الصعب :"حسام أو مش حسام مش هي دي الفكرة"

قاطعه عمرو بصرامة:"يبقى هو حسام"

قالها ثم أراح ظهره على الأريكة وبدا وكأنه سوف يهدأ(فقط كأنه),نظر إلى السقف وتسللت إلى شفتيه ابتسامة ساخرة,أعاد رأسه إلى مكانها الطبيعي ونظر إليهم,قال وهو يحرك يده يمينا وشمالا لكي يساعداه فى توصيل وجهة نظره: آخر حاجة كان ممكن أتخيلها إنها توصل للدرجة دي,لدرجة إنها تسيب واحد بيحبها و تروح لواحد أهلها بيحبوه وكانت طالبة مني إني أقتنع إن هى ليها شخصية ..عارف لما"

قاطعه كريم بحسم,كان وقتا عجيبا لكي يأخذ موقفا دفاعيا لصالح"لينا"صديقته ضد"عمرو سلامة"أنتيمه ولكنه فعل,لا أحد يستطيع أن ينكر ذلك,احمر وجهه في وجه صديقه الحميم وهو يقول: على فكرة هي بتحبه,أنا قولتلك انسى وإنت مش عايز تنسى.

و بعد أن فشل"كريم"تماما في أن يحتوي الموقف,و عجز"عمرو"أن يتقبل الواقع بشكل عاقل,و ككل المصائب التي لا تأتى إلا دفعة واحدة,قرر"رامى"أن يترك دكة المشاهدين ويشارك فعلا في ذلك الحديث الرهيب:"ثانيا إنت ملكش حق

تتكلم,إنت بغباءك ضيعت فرصة في غيرك بيحفـــوا علـــشان يلاقوها"

كان رامي بالطبع يتكلم عن نفسه,وعن حكايته الـــتي لا تنتهي مع فتاة من مدرسة شامبليون تسمى"يمنى",هو يحبها ومن الواضح ألها تحبه ولكن بسبب أحداث وقعت قبـــل أن تعرفـــه تخشى هي أن ترتبط بعلاقة به أو بغيره,هي خائفة,و هـــا هـــو يحاول أن ينسى كل ذلك و ينظم قعدة حشيش في بيته,و لكنه يجد نفسه يستمع إلى مشاكل"عمرو سلامة",كيف بحق الجحيم توافق فتاة أحلامه على أن ترتبط به ومع ذلك يجـــد الفرصـــة ليفسد كل شيء؟كم يجب أن يكون المرء غبيا لكي يفعل شيئا كهذا؟إذا كانت هذه هي وجهة نظر"رامي"فلا عجـــب أنـــه اختار"عمرو"لكي يصب عليه غضبه,و لكنه نسي أن"عمرو"في تلك اللحظة ليس"عمرو"الذي اعتاده,"عمرو"الآن بغض النظر عن تأثير الخمور والحشيش الذي بدأ يحتـــل تـــدريجيا خلايـــا عقله,غير قادر على امتصاص غضب أي شخص غيره..ولذلك كان التصادم لا بد منه.

صرخ هذا الأخير: والنبي يا رامي متتذاكاش إنـــت مـــش سامع بيقولك إيه؟أنا بره الموضوع ده و الليلة دي أصلا مـــن

الأول,مكانتش فارقة أعمل إيه ومعملش إيه,هي كــده كــده مقررة من قبل ما أي حاجة تحصل.

قال كريم جملة لا تقل استفزازا عن جملته الأخــيرة : أنــا بصراحة شايف إن لأ كانت فارقة.

عاد الصمت بسرعة غريبة إلى الحجرة مع عودة البــارودي من الشرفة,تركهم"البارودي"ثلاثة فرجع فوجدهم أربعة ومعهم الصمت جالسا,بات الاكتئاب واضحا على الوجوه لذلك كان سؤال البارودي بديهيا: إيه في إيه مالكم ؟ عاملين كده ليه؟

رد رامي بضيق وهو ينظر فى اتجاه آخر: مفيش حاجة يــا عم.

لم يحاول البارودي حتى أن يفهم سبب المشكلة,هو يعــرف جيدا أنه ليس في تلك المكانة الغريبة التي تجعل ثلاثتهم يفتحون قلوبهم و يحكون لـــ"بابا بارودي"ما حدث فاكتفى بقوله : لأ !بقولكو إيه!.. إحنا جايين نتكيف مش ننكد علــى بعــض ,خلاص؟

كان السكوت لا زال سائدا ..إلا أن هذه المرة أومأ كريم و رامي برأسهما موافقين.

ضحك كريم وهو يشير إلى الكوب: بص الكباية بقت عاملة إزاى دلوقتي.

نظر"رامي"و"البارودي"إلى الكوب الذي نسياه فتكاثف الدخان بداخله فأصبح يحمل اللون الأبيض, أصبح شبيه تماما بكوب اللبن إن غضضت النظر عن غطاء الكوب , لاحظ رامى وكريم أن"عمرو"وقد تلألأت عيناه بالدموع عاد ينظر إلى السقف مرة أخرى.

فسأل"كريم""رامي"في لهجة مسرحية محاولا أن يجذب انتباه"عمرو": دور مين ده يا رامي؟

- دور المكتئب اللي قاعد جنبك.

قرر عمرو أن يضرب عصفورين بحجر واحد أن يجاملهم وأن يدخل نفسه في جو"التهييس"الذي يحتاجه في لحظة كهذه,أمسك"عمرو"الكباية و أعطى تعابير وجه كوميدية (تنتمي إلى مدرسة"محمد سعد- اللمبي")يمكنك أن تصفها بالهطل وقال بصوت مضحك: مين الآنسة؟

هنا انفجر ثلاثتهم ضاحكين,فهم لم يروا"عمرو"يمزح منذ زمن بعيد.

أوضح بعد ركوبهم السيارة متـــوجهين إلى "إيستيميـــشن كافيه" أنه ليس هناك أي حدث مهما بلغت أهميته يستطيع أن يرجعه إلى حالة التركيز الطبيعية مرة أخــــرى,وكـــأي توقـــع خاطيء قاله"عمرو"و هو لا يدري ما سيحدث له في هذه الليلة قبل أن تنتهي.

****

"هل تركت لينا عمرو ســـلامة لتـــرتبط بحـــسام,إرضـــاء لأهلها؟؟! "علاقة عمرو سلامة ولينا لم تدم طـــويلا لم تطـــل أكثر من شهرين على أقصى تقدير,لكن لينا في تلـــك الفتـــرة كانت قد قامت بفعل أشياء كثيرة لا تقوم بها إلا فتـــاة قـــد أحبت عمرو سلامة فعلا,و إن كان مقياس حب الفتاة لشاب هو أن تقول له صراحة إنها تحبه فإنها قد قالت له ذلك بالفعـــل في تلك الليلة التي اتصل بها بناء على نصيحة"رامي"و"كريم"بعد أن عادت من امتحان"الفرنساوي",ليسألها عما فعلـــت,كـــان المفترض ألا تدوم المكالمة أكثر من ربـــع أو نـــصف ســـاعة بالأكثر,خاصة أن أهلها موجودون في البيت ومن الممكـــن أن يلاحظوا فقط إن رفعوا سماعة الهـــاتف أنهـــا تكلـــم"ولـــد"و ليس"هنى"كما حاولت أن تقنعهم,كما أن المُفترض من عمـــرو سلامة الذي كان يتحدث لها عبر هاتفه الجوال هو أن يـــذاكر من أجل امتحان اليوم التالي فهو كان حينها في"تـــرم أول"في كلية مصاريفها ليست بقليلة,رغم كل ذلك انتهى هما المطاف

بأن استكملا ثلاث ساعات على الهاتف و بدآ في الرابعة,لم تمل هي من الكـــلام مـــع عمـــرو,كانـــت تـــستمع إلى نكاتـــه وتضحك,أحيانا تضحك من طريقة كلامه عندما يقلد رامي أو كريم,أو تضحك خجلا عندما يلمح عن مـــستقبلهما بجمـــل مثل"هو أنا شكلي هتعلق بيكي ولا إيه ؟",و عمـــرو بـــالطبع الـــذي ضـــحى بجلـــسة مـــع أصـــدقائه مـــن الكليـــة في"Cilantro"(كانت هتلم له المنـــهج في ليلـــة) لم يمـــانع بتاتا,وصل إلى بيته و اتصل بها من هاتف منزله بأي حجة تافهة ليستكمل حديثه,ليلتها قالت له بالحرف أنها تحبه,لكنه قالها قبل أن تقولها,و طلب منها أن تقولها فقالتها,مهما كانت الظروف لا توجد في العالم فتاة تقول"بحبك"مجاملة.

كانت"هي"في ذلك اليوم في"إستيميشن كافيه"قد فقـــدت تماما اهتمامها بكل شيء حولها و لم تعر انتباها لأي شيء يدور في المكان, تنظر إلى لينا وحسام الجالسان أمامها,تدرس كـــل كلمة، حركة، أو ردة فعل صادرة من أي منـــهما تحـــاول أن تربط الأحداث والمعلومات لكي تفهم السبب (الحقيقي) الذي جعل"لينا"تترك"عمرو"من أجل"حسام",هل رأت مثلا أن ذلك سيكون أكثر إرضاء لأهلها على أساس أن"حسام"قريبها و أن الأسرتين كانا قد تكلما عنهما"من وهما صغيرين قد كده",هذا ما قالته"لينا"لـــ"كريم"ولـــ"رامي"و أيضا لـــ"ريم"التي تجلس مع ثلاثتهم الآن ومن الواضح أنها أرادت أن تصل تلـــك الفكـــرة

إلى"عمرو"عن طريــق شـــخص مـــا,و لكـــن"هـــن"لأهـــا الصديقة"الأنتيم"لـــ"لينا"كانت تعلم أن الحقيقة عكس ذلـــك تماما,صحيح أن والدة"لينا"كانت لها محاولات مع أختها- خالة لينا- لكي تجمع ما بين"لينا"و ابنها"حسام"لكنها محاولات تمت بالفعل وفشلت قبل أن تقابل"لينا""عمرو سلامة"بشهور,فمـــا الذي جد؟!,بل والألعن والأضل سبيلا أن والد"لينا"نفسه غـــير موافق على ارتباط"لينا"و"حسام",و كذلك"لينا" لم تكن تكـــره حسام و لكنها لم تحبه يوما كذلك,أو على الأقل هذا ما هـــو واضـــح,ربمـــا رأت أن مـــستقبلها ســـيكون أفـــضل مـــع حسام,لا,لا,من المستحيل أن تكون بهذا الغباء"عمرو"المتعلق بها بجنون لا مثيل له هو ابن جراح شهير في الإسكندرية وأســـرته ليست ثرية بشكل مبالغ فيه و لكنه ولا شك غني للغاية,وأقل سيارات عائلة"سلامة"أغلى ثمنا بكثير من سيارة"حسام"هـــذا ومن سيارة والد"لينا"نفسه,وفلنفترض أن لينا لم تكن قط مـــن المهتمين بالمادة,إذن ما الذى كانت تبحث عنه"لينا"و لم تجده إلا مع حسام هـــذا؟مئات الاحتمـــالات و الأفكـــار اعتـــصرت عقل"هن"وهي جالسة معهما ومـــع"ريم"صـــديقتهم الـــتي لا تشارك"هن"في الحيرة بل جلست هادئة تماما و لم تقل أو تعـــط أي انطباع عن أي شيء سوى فرحتها بكوب الهوت شوكليت عندما و ضعه النادل أمامها, لم يكن ســـرا أن"هـــن"كانـــت

متعاطفة بشكل كبير مع"عمرو سلامة"ولأن علاقتــها بكــريم (وبالتالي برامي وعمرو) لا تزال جيدة,فإنها (على عكــس ريم ولينا) كانت ترى عمرو سلامة في أكثر مــن مناســبة بعــد مشكلته مع لينا,كان في كل مرة يفشل أن يخفي حزنه ..كان في كل مرة يزداد نحافة"عمرو سلامة"الذي كان رغــم عــدم وسامته أنيقا ورغم خجله مرحا,أصبح الآن غير مرتب,يلــبس أي شيء مع أي شيء بغض النظر عن تناسق الألوان,شــعره أصبح مجرد شعيرات خشنة على رأسه ينــسى أن يحلقهــا أو يهذبها على الأقل,عينــاه تميــل دائمــا إلى اللــون الأحمــر الدموي,رغم أنها لم تسأل"كريم"أو"رامي"صراحة إلا أن"هنى"لا تحتاج إلى أن تكون عبقرية لكي تفهم أن هــذا هــو تــأثير المخدرات,وليست أية مخدرات بل المخدرات الــتي يتعاطاهــا صاحبها بشكل مستمر ومكثف خلال فترة قــصيرة.. كــان عمرو قبل مشكلة"لينــا"دائمــا مبتــسما بــسبب وبــدون سبب,كانت عنده قدرة هائلة على أن يجد الجانب الساخر لأي موقف كئيب والتعليق الهزلي المناسب على أي مشهد بشع,كان يضحك كلما تنفس,كان قادرا على الابتسام مهمــا كانــت الظروف,أما الآن فهو هادىء قليل الكلام -على عكس طبعه- ,هذا كله قبل أن يعرف أن"لينا"تلك التي قتلته قــد وجــدت شخصا آخر !,كل ما سبق كان بتأثير خبر أن علاقتــه معهــا

أصـــبحت متـــوترة (!).حمــــدت"هـــنى"الله علـــى أنهـــا ليست"كريم"أو"رامي"..

و أنهـــا ليـــست الـــشخص الـــذي ســـوف يـــضطر أن يبلغ"عمرو"خبرا كهذا,كان من المؤكد أنه ليس هناك أي شيء قادر أن يلفت انتباه"هنى"في تلك اللحظة أو أن يخرجهـــا مـــن حالة الشرود التي فيها,حتى أتى ذلك الصوت فجأة"يا جماعة أنا عايز أقولكم إن نادر..".جـــاءت العبـــارة بـــصوت عـــالي ومن"الترابيزة"المجاورة,نظر"حسام"و"لينـــا"و"هـــنى"و"ريم"إلى مصدر الصوت ليجدوا شابا أسمر ذا شعر قصير يمسك فى يـــده كأسا من الماء ويخبط عليه بملعقة و يعامله وكأنه كأســـا مـــن الخمر وكأنه يشرب نخب شيء ما,لم يميزه أحد من الجالـــسين فيما عدا"حسام",إنه"مارك"زميله في الدراسة وهؤلاء الجالسون معه هم"خالد الكفراوي"و"نادر"ومعهم فتاة لم يرها من قبـــل. لو أنك راجعت في ذهنك كل الرياضيين الذين عرفتهم وبحثت عن المشترك في طريقة كلامهم ستجد أن معظمهم على الأقـــل يمتلك لهجة سريعة تضيع فيها ملامح الجمل فتـــصبح عبـــارت وهمهمة غير مفهومة,ولا تختفي تلك الصفة إلا عندما يتكلمون عن رياضتهم التي يحبونها فتجد الجمل فجأة قد أصبحت منظمة وواضحة ومرتبة,وكذلك كان حسام"بطل مـــصر في رياضـــة الإسكواش للعام الماضي"وصديق"لينا"الحالي,كان غير اجتماعي بطبعه,تمنى"حسام"قبل انتهاء الدراسة في"سان مارك"أن تربطـــه صداقة مع أي منهم (مارك أو خالد أو نادر)..كـــم تمـــنى أن

يخرج من شرنقته و أن يكون له أصدقاء كـثيرون ومعـارف أكثر,وحاول ذلك بالفعل و لكنه شعر أن ثلاثتـهم يتجنبونـه بدون سبب مفهوم.

و قبل أن يستكمل"مارك"جملته الإعلانية,كان"نـادر"قـد جذبه بشدة وبعصبية,ليجد نفسه جالسا على كرسـيه مـرة أخرى,وارتفع الضحك الصادر من"نيفين"و"خالد"لسبب غـير واضح,ربما لو كانوا يضحكون لسبب تفهمه"هنى"لما اعترضت ولكنهم يضحكون لسبب غير معلوم وهذا ما تكـره هـي,أن يحدث شيء لا تفهمه أو يتكلم أصدقاؤها عـن شـخص لا تعرفه أو يقوم شخص ما بفعل لا تستطيع تفسيره,و لذلك كان من المنطقي أن تزجر"هنى"بغيظ في تلك اللحظة بالذات

"ممكن توطوا صوتكوا شوية لو سمحـتم؟..في واحـدة بتحاول تكلم مامتـها" توقـف الأربعـة عـن الـضحك تدريجيا,نظر"مارك"إلى"الترابيزة"المُجاورة,فوجد تلـك الفتـاة الغاضبة التي لم يقابلها في حياته من قبل,ومعها فتاتان أخرتـان واحدة منهن تجلس مع"حسام"زميل الدراسة ثقيل الظل وتضع يدها على ركبته وتتكلم في جوالها والأخرى جميلـة بـشكل ملحوظ وتحيط يدها بكوب به مشروب سـاخن بحثـا عـن الدفء,تجاهل"مارك""حسام"تماما ونظر إلى"هنى"وهـو يقـول معتذرا: سوري,معلش.

واستكملت"نيفين": مكوناش قصدنا بجد.

هنا فقـط وفي هـذه اللحظـة,تركـت"هـي"لهجتـها الغاضبة,وتركت"لينا"هاتفها,كانا قد شعرن بأهن سمعن ذلـك الـصوت الأنثـوي في مكـان مـا مـن قبـل,وعنـدما اكتشفت"هي"أهما"نيفين"قامت و رسمت على وجهها ابتـسامة وهتفت : إيه ده نيفين !,إنتي بتعملي إيه هنا ؟

****

كانت نهاية يوم مرهق بما فيه الكفاية بالنسبة إلى"شـريف الكفراوي"المحامي السكندري اللامع,و"شريف"بطبعـه كـثير الحركة,يتمتع بنشاط هائل و طاقة لا تفنى,هو أحـد المحـامين الذين تقرأ أسماءهم في الصحف,صحف المعارضة بالذات,ظهر في برنامج"القاهرة اليوم"أكثر من مرة وارتبط اسمه بقضية"عبارة السلام٩٨"و بقضايا أخرى شهيرة للفساد,ولكنك تجد دائمـا بجانب اسمه عبارة تفيد بأنه المترافع عن الطرف الفاسـد مـن الموضوع..

"مش فاهم يعني!,إيه خلاص اللي اسمه أدهـم ده سـاب المكتب,مفيش حد عارف يمسك الكام قضية بتوعه ؟هو أنـا لازم أعمل كل حاجة بنفسي ولا إيه مش فاهم؟!!,و اتصليلي بالزفت"صالح"ده شوفيه مجاش ليه النهارده بروح أمه ده راخر"

صرخ"شريف"بالعبارات السابقة في وجه سكرتيرته التي كانت قد تعلمت على مدار سنوات عملها معه أن تلزم الصمت تماما عندما تنتابه أية حالة صراخ وثورة وعصبية بالضبط كتلك التي تنتابه في هذه اللحظات,نظر إليها"شريف"بدهشة,وقال:"مستنية إيه؟!!,إنتي هاتفضلي واقفالي كده ما تتصلي بيه!"

-"أتصل بيه دلوقتي يا فندم؟"

قالتها السكرتيرة بحذر وقد جعلها القلق من ردة فعله تضغط بأسنانها على شفتيها,وقبل أن يعلق على غرابة سؤالها نظر إلى ساعته,لم يكن قد انتبه بعد أنها الثانية عشرة مساء,لم يصدق,و قرر أن يكذب عقارب الساعة,فتح ستارة النافذة التي تقع خلف كرسي مكتبه ليجد أن الليل قد غطى شوارع القاهرة بالفعل. كان"شريف الكفراوي"طوال عمره من النوع الذي إذا اندمج في عمله انعزل عما يحدث حوله,ويفقد إحساسه بالوقت والمسافات والأماكن,تماما كتلك المرة التي كان جالسا في حاله فخطرت على باله فجوة هائلة في القوانين التجارية تضمن له مخرجا مضمونا من قضية"الريان"الشهيرة,فقام ومشى في أنحاء الحجرة ذهابا وإيابا وتظاهر بأنه يترافع أمام القاضي,كانت هذه هي طريقته في التمرين,تمكنت منه العصبية وبرزت عروق عنقه بشكل ملحوظ,و عندما علا صوته بشكل ملفت للنظر,خبطت زوجته و أم ابنه"خالد"على الباب ليكتشف"شريف"أنه في الحمام في بيته بالإسكندرية,ومرة أخرى عندما خطرت له فكرة

قانونية هائلة تضمن له مخرجا من قضية صعبة,فمد -في حركة غريزية- يده إلى جيبه ليخرج موبايله ويبلغ مساعده بـالفكرة قبل أن ينساها,و لكنه عندما فعل شعر ببرد غريب يتسلل إلى يده,نظر حوله ليجد أنه في وسط البحر فى مارينا مع عائلته,والكثير والكثير من الأمثلة و المواقف التي تصل إلى حد الطرافة في بعض الأحيان,كان"شريف"يعشق عمله كمحام,وكانت لقراءة القضايا تأثير عليه يشبه تأثير البانجو والحشيش ..

يا له من يوم,كان أدهم المحامي الشاب الموهوب بالفطرة قد ترك لتوه العمل تحت يده في مكتب"شريف الكفراوي"للشئون القانونية ليعمل مستقلا,و يفتتح مكتبه الخاص,وعلى قدر ما حزن"شريف"على خسارة المكتب لشاب كفء مثله,إلا أنه لا يستطيع كذلك أن ينكر سعادته,كان"أدهم"هذا قد أظهر في الفترة القصيرة التي عمل بها معه مهارة وسرعة بديهة لم يعهدها العاملون بالمكتب حتى من شريف نفسه,و كان قد بدأ تدريجيا يسحب الضوء من على شريف,و صار هو نجم المكتب بلا منازع,و بدأ بقية المحامين الصغار في المكتب يسألون"أدهم"ويرجعون إليه في أية تفصيلة قانونية بدلا من"شريف"

"طب مش تقوليلي إن الوقت اتأخر,أنا مش واخد بالي خالص!!"قالها بلهجة مرحة لا تخلو من الوقار محاولا أن يخفي

إحراجه,وقبل أن ترد السكرتيرة,رن هاتف"شريف"الجوال,نظر إلى الشاشة من تحت نظارته,إنها مروة,ومروة هذه هي عشيقة شريف التي تورط معها في علاقة من دون علم زوجته وتورطت هي في علاقة معه دون علم زوجها"أحمد شمس",اختارها متزوجة منعا للمشاكل,فالمتزوجة لن تطلب منه أن يتزوجها ولن تهدده بأن تبلغ زوجته بما بينهما لأنه ببساطة يمكنه أن يفعل المثل وهذا هو ما يحتاجه"شريف"بالضبط وتفرضه عليه ظروف عمله التي تجعله سهل الابتزاز,كثير القلق على موقعه الاجتماعي وعلى مصداقيته أمام الناس,وكان من الأشخاص الذين لا يعترفوا بكلمة ألو"عندما يجيبون على المكالمات,بل يدخل في الموضوع مباشرة.

"أيوة يا حبيبتي ممكن تبطلي تنسي حاجتك عندي في البيت,كل ما آجي أنام ألاقي حاجات غريبة في السرير .."

قالها عبر الهاتف بمرح غير مكترث بوجود سكيرتيرته,ولكنه لم يسمع الرد من الطرف الآخر,غير مكانه وعلا صوته ونظر إلى مقياس الشبكة في موبايله بلا فائدة,فقط صوت بعيد غير واضح لرجل يتكلم بعبارات غير مفهومة بالمرة,تعجب و أعاد هاتفه إلى جيبه مرة أخرى ووجه كلامه هذه المرة إلى السكرتيرة التي لا تزال واقفة مكانها في تسأؤل,تخاف أن ترحل

فيعيدها"شريف"بمطر من السباب والشتائم,و خشيت أن تبقى مكانها فيعدها"شريف"تتطفل عليه"طب خلاص شوفيلي إنـــتي بس أنا مواعيد بكرة مع مين وروّحي كفاية عليكي كده"

"هو مش حضرتك كنت بكـــرة هـــتنزل إســكندرية؟" خبط شريف بقبضة يده على جبينه عند سماع الجملة,كان قـــد نسي تماما الوعد الذي قطعه لعائلته أن يقضى معهم أيام نهايـــة الأسبوع,فكر أن يعتذر لهم ولكنها ستكون المرة الرابعة علـــى التوالي,كما أنها فرصة جيدة ليزور أعمامه الذين يعيـــشون في الإسكندرية,حان الوقت لكي يصلوا إلى حل نهائي في قـــضية الورث,لقد طال هذا الأمر بما فيه الكفاية,و لقد صبر علــيهم كثيرا , أكثر مما يجب هكذا أكد لنفسه.

****

كانت"نيفين"تتمتع بمهارات اجتماعية عدة,و لكن لم يكـــن من ضمن تلك المهارات:"اصطناع المشاعر": لم تستطع قـــط أن تخفي إعجابها بشخص وهي تتكلم معه,أو كرهها لأحد عندما تقابله,وكانت تكره تلك الصفة في نفسها,و تمنت مـــن كـــل قلبها أن تغيرها أو تخفيها على الأقل,لا تبغض في حياتها أكثـــر من تلك المواقف التي تجد نفسها فيهـــا مـــضطرة أن تفعـــل ذلك,تماما كما حدث عندما ابتسمت"هنى"واقتربـــت منـــها لتسلم عليها,حاولت نيفين أن تجاملها بابتسامة,لكنها انتهى بها

الأمر بابتسامة صفراء مرتبكة وفاشلة وقالت في ضيق واضـــح: عاملة إيه يا"هنى"إزيك؟

سألتها"هنى"وهي تحضنها :"الحمد لله,إنتي اللي فينك؟ إنـــتي دخلتي إيه صحيح ؟"

أخبرتها نيفين بأنها التحقت بكلية تجارة"إنجلــش" , وكـــم كانت تتمنى أن تنتـــهي المناقـــشة عنـــد هـــذا الحـــد , أن تخبرها"هنى"أنهـــا ســـعدت برؤيتـــها وتعـــود إلى مكانهـــا , كانت"نيفين"ترد على كل سؤال من أسئلة"هـــنى"وتـــسكت وتنظر إليها ببرود , ولكن تلك الأخيرة كانت تجد موضوعا جديدا تجذب به أطراف الحديث من جديد , و بعـــد فتـــرة معينـــــــــة كـــــــــان مـــــــــن المحـــــــــرج ألا تعرف"مارك"و"خالد"و"نادر"بـــ"هنى"وأصـــدقائها, وقبـــل أن تدري ما سوف تفعل كان"حسام"قد قام من مكانـــه بالفعـــل واتجه نحوهم قائلا بتردد: عاملين إيه يا جماعة إزيكم؟

ابتسم"خالد"وقال متظاهرا بأنه لم يلحظ وجوده حتى الآن: "إيه ده إنت بتعمل إيه هنا؟"

نظرت"هنى"إلى كليهما فى استغراب وسألت: إيه ده هـــو إنتو تعرفوا بعض ولا إيه؟

و قبل أن ترد"هـــنى",صـــدرت عـــن"نـــيفين"ضـــحكة مرتبكة,واعتذرت لكل الجالسين عن خطئها الفادح ونـــسيانها

بأن تعرفهم ببعضهم , فبدأت بـ"هنى": هنا كانت معايا السنة اللي فاتت في درس"رامز طوبيا" , قال"مارك"ببرود وهو يطوي نتائج ورقة الإستيميشن ويضعها في جيبه , "عاملة إيه إزيك؟"

استكملت"نيفين": مارك وخالد ونادر معايا في الكلية مش نفس الكلية , نفس المجمع يعني .

التفتت ريم وهي جالسة نحوهم , سلمت على"خالد"الذي بدا لأول مرة تلك الليلة مهتما بشيء ما وهو يقول:"إيه الأخبار؟",قالها وفي عينيه نظرة إعجاب شديد,وهنا بدأ كل شيء.

***

ماذا تفعل لو اكتشفت أن زوجتك وأم ابنك الوحيد خانتك؟

لو طرحت نفس السؤال على عدد كبير من الناس سواء كانوا متزوجين أو لا , من سيجيبك منهم ستتراوح إجاباتهم ما بين :

إن ذلك من المستحيل أن يحدث مع شخص مثلي، أو ,

سوف أضربها , ثم أقتلها أو .. أو .. أو

لكنها إحدى تلك المواقف التي لا تدري ما سوف تفعلـــه عند وقوعها إلا إذا حدثت لك فعلا , و"أحمد شمس"هو أحد هؤلاء الذين مروا بتلك التجربة القاسية منذ بـــضعة ســاعات فقط, فماذا فعل؟لا شيء,بعد أن ترك شـــقته نـــزل وركـــب السيارة,وجد نفسه يهرب من شوارع القاهرة,ويبتعد على قدر ما يستطيع عن المدينة, هل تدري ردة الفعل تلك التي تنتابـــك عندما تتابع فيلما بوليسيا لتكتشف في النهاية أن أحد أصـــدقاء البطل الطيب هو الشرير الحقيقي؟تلك ردة الفعل التي تجعلـــك تراجع في ذهنك كل مشاهد الفيلم وتراجع طريقـــة تـــصرف الشخصية على مدة الأحداث وتقف عند جمـــل لم تـــسترع انتباهك عندما قيلت أول مرة , هذا بالضبط ما كان يدور في ذهن"أحمد شمس" , بعد أن اكتشف حقيقة زوجته,أخذ يراجع كل كلمة قالتها له , كل مرة كانت تتأخر لأســباب واهيـــة كاذبة,وكل مرة كانت تنجح في أن تخدعه,أجهدته الأفكـــار وأثرت على قيادته , وكاد أن يصطدم بسيارة مـــا بالفعـــل, ولكنه استمر في القيادة,كانت استراحة"الماســـتر"علـــى بعـــد عشرين كيلوميترا على أية حال,وعندما وصل إلى هناك,تذكر أن هذا هو المكان الذي قابل فيه مروة للمرة الأولى,في أواخـــر التسعينيات أثناء دراستهم في الكلية,عندما ذهـــب في رحلـــة نظمتها كلية الهندسة,كان قد رأى مروة من قبل أكثر من مرة في المجمع أمام كلية الهندسة,ولكن لم تأت له الفرصة ليتجاذب معها أطراف الحديث إلا في هذا المكان عندما نظمـــت كليـــة

الهندسة في الإسكندرية رحلة للقاهرة , تجاهـــل وهـــو يعـــبر الحدائق متجها إلى الـــــ"كـــوفي شـــوب"الأزواج الـــسعداء وأولادهم, والشباب و لفتيات الذين نزلوا للتو من أوتـــوبيس رحلات,كان يـــرى فـــيهم علـــى الأقـــل عـــشرة"أحمـــد شمس"وعشرين"مروة" ,عشرة مغفلين والكثير مـــن الفتيـــات المحترفات في الخداع,عاهرات مع وقـــف التنفيـــذ,دخـــل إلى المبنى,اشترى علبة سجائر من النوع المحلى الثقيل الذي يساعده على التفكير,طلب قهوة,وجلس , فقط جلس في هدوء شديد, عقد يديه وأسند عليهما جبهته وانكمش داخل نفسه , وأخذ يفكر ويعيد ترتيب أوراقه,إذا كان هناك شيء إيجابي واحد في كل ما حدث,هو أن ذلك قد حدث له و هو ما زال في مقتبل عمره وأمامه الفرصة لكي يبدأ من جديد,لم تكن مـــروة هـــي محور تفكيره,بل كانت صورة"علي"ابنه هي الـــتي لا تفـــارق ذهنه, وعندما أنهى"أحمد"قهوته وترك المكان,كان قد عـــرف بالضبط ما سوف يفعله,لا مزيد مـــن الارتبـــاك,اتجـــه نحـــو سيارته,أدار المحرك وقبض بيده على المقود وعلى وجهه ابتسامة ثقة,انطلق بسيارته,نحو الإسكندرية,نحو البداية الجديدة.

***

كان"رامي"ومعه"البـــارودي"و"كـــريم شمـــس"و"عمـــرو سلامة"في السيارة قد وصلوا تقريبا إلى"إستيميشن كافيه"عندما أكد لهم عمرو وهو فى مكان ما بين الوعي والـــسُكر: عليـــا

النعمة يا جدعان أنا ظابط وفايق,متقعـــدوش تـــشككوني في نفسي لحد ما أأفور بجد,

استدار إليه كريم وقال بسخرية تحمل نوعا من الهم : هـــو إنت كده ولسه ما أفورتش؟ أمال لما تأفور هتعمل إيه؟

اتجه عمرو بكلامه هذه المرة إلى"رامي"و اشتكى له بلهجـــة مدرسية طفولية: بص يا كريم,بص رامي عمال يقوللي إيه؟

صرخ كريم بعصبية: أنا كريم اللي بيسوق ده رامي اللـــي قاعد جانبك ده البارودي.

شك عمرو في صحة كلام"كريم"حتى نظر بجانبـــه فوجـــد البارودي الذي غلبه الضحك,مد"عمرو"له يده و قال مرحبـــا: إيه ده إنت هنا؟تصدق لسه واخد بالي دلوقتي.

وفي محاولة يائسة و أخـــيرة قـــام هـــا"كـــريم"لاختبـــار قوى"عمرو"العقلية في تلك اللحظة..أعاد مرة أخـــرى أسمـــاء الجالسين في السيارة مع الإشارة بيده على صاحب الاسم وبدا صوته معالج رقميا وهو يقول: كريم رامي عمرو بارودي,كريم رامي, "ما خلاص يا عم ما خلاص يا جدع,عمـــال تعيـــد و تزيد في اسمي لما قربت أحفظه"انتفض"عمرو"وهـــو يـــصرخ بالعبـــارة الأخـــيرة,ممـــا أفـــزع"كـــريم",الموقـــف الـــذي أضحك"رامي"و"البارودي"بشدة,وبدا"محمد البارودي"و كأنه يغرق وهو يصارع ضحكاته ليكون جملة مفيدة: فيه إيـــه يـــا

كريم مالك ؟ سيبه في حاله ؟ بتزاول الراجل ليه؟ ما هو قاعد آخر حلاوة وزي الفل أهو.

ولأن عمرو لم يكن في حالة تسمح له بالتعلم من أخطائه وجد نفسه يكلم كريم كأنه البارودي مرة أخرى وهو يشكو حاله: قوله هو الكلام ده مش عارف مش سايبنى براحتي ليه.

ولكن هذه المرة لم يهتم كريم حتى بأن يصحح له الخطأ,تنهد و استكمل كلامه : مش طالباها سياح أصلها,أنا نفسي لما بكون عارف إني مش قادر أفصل بروح البيت من نفسى,خصوصا لما يكون في قعدة بنات يعني.

تقدم الباودى بجسمه لكي يقترب من"كريم"الذي يجلس أمامه في السيارة ليقول: ده على أساس إنهم مش قاطعين علينا.

رد كريم وقد فاض به الأمر : يا عم معاك قاطعين وكل حاجة بس منجيبش واحد مسطول نقعده معاهم.

أكد رامي: إنت هتعرف عمرو أكتر مني يعني؟ هو هيفصل أول مانترل من العربية.

****

ألا تجد الطريقة التي يتعرف بها الناس ببعضهم مدهشة ؟أعني عندما لا يكون ما بينهم أي شيء مشترك ومع ذلك

يستكملون بإصرار وبحماس غريب التعارف بحثا عن حلقـــات الوصل,في أي مكان آخر في العالم يستمر الطرفان في ذلك حتى يملّى ويذهب كل منهما إلى حالــه,ولكـــن في مدينـــة مثـــل الإسكندرية التي لا يتعدى سكانها أربعة ملايـــين نـــسمة,أي شخصان يتقابلان.. إن كان كلاهمـــا مـــن نفـــس الطبقـــة الاجتماعية فلابد أن لهم صديقا مشتركا أو صلة قرابـــة,إن لم يتحقق كل ذلك فإنهما بالتأكيد قد تقابلا من قبل في مكان أو مناسبة ما, "لأ أنا لسه في تالتة ثانوى"

قالتها"هنى"موضحة ردا علـــى ســـؤال"خالـــد" , وهنـــا قاطعها"مارك"مستفسرا : ثانية واحدة , أمال إزاي كنتي مع نيفين في الدرس ؟

استطردت"هنى"ضاحكة: لأ ما أهو أنا اتكعبلت شوية.

أومأ"مارك"برأسه وقال مازحا : آه استعباط يعـــني,عـــادي عادي , حصلتلنا كلنا.

استكملت"هنى": مكنش بإيدى ما هو لما أنا جيت دخلت ثانوية عامة..

قاطعها خالد في توقيت غريب وكأنه انتظر أن تبدأ الكلام خصيصا لكي يفعل: معلش سوري يا هنا,مش قصدى أقطـــع

كلامك بس ممكن لو ناويين نكمل كلام نقعد كلنـــا علـــى ترابيزة واحدة علشان أنا كده رقبتي ابتدت توجعني؟

كان اقتراحا جريئا بعض الشيء,ولكنها بعض المميزات التي تأتي مع الشكل الجذاب,لو أن"نادر"كان هو الذي قال تلـــك الجملة لما انتهى الموضـــوع إلا بمـــشكلة كـــبيرة,لم تـــدر أي من"هنى"أو"لينا"أو"حسام"أو"ريم"ما يقول,نظروا إلى بعـــضهم حتى بادر حسام بالخطوة الأولى:"قشطة ماشي مفيش مشاكل"

****

في العصور القديمة كانت واجبات الصديق تجـــاه صـــديقه بسيطة وسهلة للغاية, أن يـــصونه في غيابـــه و ألا يـــضره في وجوده,أما الآن بعـــد انتـــشار الحـــشيش زادت واجبـــات الصديق,زادت واجبا واحدا جديدا وهو أن يفكر بـــدلا منـــه عندما تسيطر النشوة على عقل الأول وأن يتكلم بـــدلا منـــه عندما تثقل المسكرات لسانه,حتى لا يستيقظ من حالته هـــذه فيجد نفسه في مشاكل لم يكن في وعيـــه عنـــدما افتعلـــها,و كان"كريم"من ضمن هؤلاء,

الواقع أن"كريم"لم يهتم كثيرا لموقفه هو أمام"هنى"صـــديقته أو"ريم"صديقة البارودي,بل كان السبب الحقيقي وراء رفـــضه لدخول"عمرو سلامة"إستيميشن كافيه"وهو بهذه الحالة هو ألا

تراه"لينا"كذلك,من الأفـضل لـــ"عمـرو سـلامة"أن لا تراه"لينا"ثانية,أو أن تكره لبقية حياتها على أن تراه فى هذه الهيئة فتشفق عليـه,بعـد أن نزلـوا و وقفـوا علـى الرصـيف منتظرين"رامى"الذي يركن سيارته,وضع"كـريم"يـده علـى كتفي"عمرو سلامة"ليمنعه من الاهتزاز,وسأله هذه المرة برفق: هتعرف تفصل؟ لو مش هاتعرف قول إحنا لسه قـريبين مـن بيتك,هه؟

رد سلامة بصوت مخنوق وهو يدعك عينيه: هعرف يا عم بقى متصدعنيش.

أما"البارودي"فلقد كان طوال الوقت و هو واقف معهم في الخارج ينظر وراء الباب الزجاجي,يحاول أن يخترق ببصره إلى الداخل باحثا عن أى شخص يعرفه كعادته عندما يـذهب إلى أى مكان,و فعلا,

"إيه ده ؟ ده هاني قاعد جوه أهو!!"

قالها وهو يدخل بالفعل إلى المكان.

كان"هاني"هو رفيق الكأس والحشيش بالنسبة لـــ"محمـد البارودي",تعرف به البـارودى في كليتـه,في هندسـة أبـو قير,و"هاني"رغم إنه يشارك"البارودي"في معظم الأهتمامات إلا أنه مختلف معه في الطباع,فهو هادىء,لا يتكلم إلا عندما يريد

أن يوصل معنى محددا مهما للذي يسمعه,و هو أخف ظــلا و أحسن شكلا من"البارودي"بكثير,و أنبل أصلا كذلك,فعائلتــه تمتد إلى الباشاوات,

دخل"عمرو سلامة"و"كريم شمس"و"رامــي"المقهــى وراء البارودي,اقترب"عمرو"من"كريم"و ســأله بــصوت خافــت وبلهجة غلبها القلق : بقولك إيه,أنا عنيا حمرة؟

يا له من سؤال غبي يصمم كــل المــساطيل أن يــسألوه !,فلنفترض أن"كريم"رد على سؤاله بالإيجاب فهل سيغير ذلك من شيء ؟إلا أنه سوف يزيد من قلق"عمرو"ممن حوله,تظــاهر كريم بالنظر لعيني سلامة التي سوف تقطر الــدماء إذا ازدادت احمرارا وأجاب ببرود:"لأ"

أخذ"عمرو سلامة"نفسا عميقا وهو يقول: الحمد لله.

ولكنها كانت مسألة وقت قبل أن يعود بعــدها بلحظــة واحدة القلق إلى ملامحه مرة أخرى وهو يسأل: طب كــويس إنها مطلعيتش حمرة ..طب بتحرقني؟"

نظر إليه"كريم"بدهشة": هى إيه دي يا بــني اللــي حمــرة وبتحرقك؟"

رد"عمرو"ببراءة و تلقائية شديدتين:"عينيا.. هتكــون إيــه يعني؟"

قال"كريم"وقد صاحبت دهشته هذه المـــرة الكـــثير مـــن السخط: "طب يعني بذكاء أهلك كده: لـــو عينيـــك إنـــت بتحرقك أنا بروح أمي هاعرف منين؟!!"

و قبل أن يكمل"كريم"نقده المليء بالأهالي وأولياء الأمـــور لـــ"عمروسلامة"الذي لا يسمعه ونسي أنه يكلمه,كان ذلـــك الأخـــير قـــد اصـــطدم برجـــل في طريقـــه إلى خـــارج الـــ"كافيه",اتسعت عينا"سلامة"ورجع خطوة إلى الوراء,قـــرر أن يعتذر,حاول أن يكون جملة صحيحة,و لكـــن الـــضمائر و المبتدآت و الأخبار والأفعال كانوا قد بدلت أماكنهم فخرجت الجملة كالآتي:"إيه ده سوري مكانش قصدك تخبط في كتفـــي وكده..ها ها ها!"

لم يحتج أي شخص في العالم لأكثر من ثانية واحدة ينظـــر فيها إلى"عمرو"لكي يفهم أنه تحت تأثير مخدر مـــا,وســـهلت المهمة تلك الابتسامة البلهاء التي من الواضح أنه قد ابتـــسمها منذ زمن بعيد ولكنه نسي أن يزيلها من على وجهه,

"صباح الفل"قالها الرجل ضاحكا وهو يحييه مؤديـــاً بيديـــه بنفس الحركة التي يقوم بها"سايس"الجراج بعد أن يحصل علـــى البقشيش,وبدلا من أن يخجل"عمرو"أو يعد تلك الحادثة تنبيها له لكي يفيق ..انتظر حتى رحل الرجل ليبتـــسم وهـــو يميـــل

على"رامي"هذه المرة و هو يقول:"بص ابن المسطولة ده,حـــد يقول صباح الفل بالليل كده؟ شكله مش نايم بـــدري ده ولا إيه؟"

و قبل أن يسأله"رامي"عن علاقة النوم مبكرا بكل ما قالــه من قبل كان"عمرو"قد بدأ في سؤال آخــر بالفعـــل:"أمـــال البارودي راح فين؟"

رد كريم بملل وهو يشير برأسه: أهو قاعد قدامك أهوه.

و لم تنته أسئلة"عمرو"المزعجة عند هذا الحد,بـــدت علـــى وجهه علامات الدهشة المبالغ بها وكأنه رأى شبحا: إيـــه ده؟ مين الناس اللي معاه دول؟

"معرفش ناس يعرفهم من الكلية باين"قالها رامي وهو يتجه نحو"هاني"و أصدقائه الذين كان"البارودي"قد جلـــس معهـــم بالفعل و تبعه كريم وعمرو سلامة وســـلموا علـــى"هـــاني"و أصدقائه الذين لم يمنعوا أنفسهم من أن يلاحظـــوا تـــصرفات عمرو الغريبـــة"هـــو إنتـــو إيـــه طـــالعين مـــن قعـــدة ولا إيه؟"قالها"هاني"ضـــاحكا قبـــل أن يـــسحب نفـــسا آخـــر من"لاي"الشيشة الذي في يده,ليختفي وجهـــه وراء الـــدخان الثقيل الصادر من فمه,رد عليه"رامي"في مزيج ما بين الحـــذر والسخرية"تقدر تقول حاجة زي كده,آه" وفي هـــذه الأثنـــاء

استغل انشغال الجميع ليقوم ويشد"البارودي""كريم"من ذراعه و هو يقول :"تعالى يا كريم عايزك في حوار كده",وابتعد بـــه عن المسامع,فسأله"كريم"بتلقائية :"هو محدش جه و لا إيـــه؟" و بدلا من أن يرد عليه"البارودي"بالكلام أشـــار برأســـه إلى الأمـــــام,نظـــــر"كـــــريم"إلى الاتجـــــاه الــــــذى يقصده"البارودي"ليجد"هنى"صديقته و"ريم"صديقة البـــارودي ومعهن"لينا"صديقة عمرو سلامة جالسين مع أولاد وبنـــات لم يروهم من قبل في حياقم,حاول"كريم"بحنكتـــه الـــسياسية في احتواء الأزمات عن طريق تجاهلها أن يخفي ارتباكه عن"محمـــد البارودي"وهو يسأله في بساطة: طب ماهما قاعدين أهم أمـــال مروحتش قعدت معاهم ليه ؟!!

تجاهل"محمد البارودي"محاولة"كريم"الفاشلة وسأله بغـــضب :"تعرف اللي ريم قاعدة معاه ده؟"

نظر إليه مرة أخرى,هذه المرة بتمعن أكثر,ليدير وجهه مرة أخرى إلى"محمد"صاحب السؤال و يرد:"لأ، تعرفه إنتا؟"

رد"محمد"وقد صاحب غضبه هذه المرة بعـــض المـــرح:"لا معرفوش بس هنعرف دلوقتي هي شغلانة يعني؟"قالها ثم عاد إلى الترابيزة الذى يجلس عليها أصدقاء الكلية ليسأل هـــاني هـــذه المرة:"هاني موبايلك فيه رصيد؟"

قالها البارودي مستفسرا وقــد أصــبح الموبايــل في يــده بالفعل,رد عليه"هاني"بالإيجاب وطلــب منــه بلطــف"إنــه ميطوّلش",في وسط كل ذلك كان"رامي"يبحث بعينيه عن أي أثر لـ"عمرو سلامة",كان بجانبه منذ لحظات,غاب عن بصره لثوان قليلة عندما سلم على"هاني"وأصدقائه ليستدير"رامي"مرة أخرى فلا يجد"عمرو"بجانبه,لقد اختفى,يا للــهول مــاذا لــو رأى"لينا"مع صديقها الجديد,انتاب"رامي"عندما خطرت تلــك الفكرة المخيفة إلى ذهنه الخوف,الكثير من الخوف,قــام مــن مكانه وكأنه أب يبحث في قلق عن ابن تائه له,بــل بالفعــل لأن"عمرو سلامة"عندما يكون تحت تأثير المخدرات كما هــو الحال الآن يصبح تماما كالطفل الذي لا يستوعب عقلــه مــا يمكن أن تؤدي إليه أفعاله,بحث عنه في كل مكان وتحــرك في كل الاتجاهات بسرعة كالمجنون,حاول أن يطرد مــن ذهنــه احتمالات ردود فعل"عمرو"إذا رأى"لينا"وهي جالسة في منتهى السعادة مع"حسام",فجأة ظهر أمامه"عمرو",لم يدر"رامي"مــن أين أتى بالظبط,ولكنه ها هو أمامه واقف,نظر رامي بطــرف عينيه إلى شلة"لينا"و"هنى"فوجدها غارقــة في الــضحك,مــن الواضح أن"عمرو"لم يذهب إلى هناك و أنه لم يحاول أن يلفت حتى انتباه"لينا",ولكن هل رآها معه؟!!,نعم,نظرة ســريعة إلى وجهه كانت كفيلة بتأكيد ذلك,ترقرقت عيناه بالدموع وهــو

ينظر فى اللا مكان لا حول له و لا قوة,نعم,لقــد رأى كــل شيء,بعينيه,رأى"لينا"ويدها الرقيقة تتحرك فى حنــان علــى ركبة"حسام"..ورآه وهو يضع بمنتهى الوقاحــة يــده علــى كتفها,هي لم تمانع ذلك بالطبع,كم يبدوان ثنائيا مثاليا,كم يليق كل منهما بالآخر,كم هي سعيدة,إنه لم يرها في تلك الدرجــة من السعادة من قبل,و عندما رأها اليوم لم تكــن معــه,بــل والأحرى أنها سعيدة لأنها تخلصت منه هو,ماذا جلب لها هو إلا المتاعب والمشاكل؟بالطبع كان يحبها,كان ومازال يحبها حبا لا يوضحه الكلام,كــان يعــد أن الله في الــسماء وأن"لينــا"في الأرض,إن"لينا"هي هدية الله له,بــدأ ولأول مــرة في حياتــه بالانتظام في أداء فريضة الصلوات الخمس فقط ليــدعو الله أن يجعل حياتهما سعيدة معا (هو ولينا),ولكن هل فعل أي شــيء ليسعدها؟لقد دمر بيديه كل شيء,وأدرك في لحظة واحــدة أن الجنة التي وجدها في"لينا"والتي كان قد بنى لنفسه فيها بيتــا,لم تُكتب لكي تكون من نصيبه,لقد جعله القدر يلقي نظرة سريعة على جنة خلقها الله عز وجل لناس آخرين غيره,تماما مثل جنة آدم,فكما تسبب آدم بطرده هو و"حواء"من الجنــة بــسبب التفاحة,تسبب عمرو سلامة لنفسه بتدمير كل ما بينــه و مــا بينها,إلا إن آدم كان أوفر حظا منه,فآدم عندما نزل إلى الأرض كانت معه"حواء"تونسه وتفكر معه في حل المشكلة التي وقعــا

فيها,أما"عمرو"عندما طُرد من جنته فقد كان وحيدا تماما,وتغيرت ملامح الدنيا في عينيه أصبحت سوداء,ليس هناك شخص واحد من الملايين الذين يقطنون ذلك الكوكب قادرا على أن يفهم ما يمر"عمرو"به في هذه اللحظة,و لا حتى"رامي"الذى ينظر إليه الآن فى قلق يحاول أن يفكر فيما سيقوله لصديقه"عمرو"ليهون عليه مصيبته,ولكنه لا يدري في كل كلمات اللغة العربية أي شيء مناسب لُيقال,لذلك كان من الطبيعي أن يبدأ"عمرو"بالكلام,قال بصوت عاقل متحشرج بالبكاء لا يليق أن يصدر من سكران في حسم: أنا هروّح يا جماعة.

كان محمد البارودي على مقربة من كليهما عندما اصطدمت بمسامعه عبارة"عمرو"الأخيرة فوجد نفسه يسأل ذلك الأخير في دهشة : هو إنت لحقت تقعد يا بني؟

و هنا بالضبط هربت من عين"عمرو"أول دمعة لتفتح الباب لكثير من الدموع بعدها,قال في وسط بكائه وغضبه: أنا مينفعش أقعد هنا.

قالها ثم أسرع إلى الخارج,حاول رامي أن يهدئه لكنه لم يستطع,فوجد رامي نفسه يلحق به وهو يخرج من الكافيه,نظر إليهم"كريم"بارتباك لا يدري ما يفعل,ولكنه حسم أمره وتوجه

بكلامه إلى البارودي وهو يبلغه :"بقولك إيه؟ أنا مضطر أمشي علشان أوصل عمرو,عايزك تفكك من اللي بيحصل دلوقتي,كبر دماغك خالص,متتغاباش"

كان كريم في الجملة الأخيرة يتكلم عن حقيقة أن ريم جالسة مع أولاد لا يعرفهم البارودي,لم يعره البارودي أى اهتمام وهو يضغط على أزرار موبايل"هاني"ليتصل بشخص ما,وأوضح البارودي لكريم أن هذا ليس مهما الآن وأنه من الأفضل أن يذهب ليرى ما حدث لصديقه.

"أنا جايلك على طول هه، متمشيش"قالها كريم متجها إلى الباب,ثم اختفى في وسط زحمة رواد المكان.

****

عندما جلست المجموعتان مع بعضهما,وأصبح في تلك اللحظة"مارك"و"خالد"و"نيفين"و"ريم"و"هنى"و"حسام"و"لينا" على "ترابيزة"واحدة,بغض النظر عن"حسام"الذي قل كلامه وكثر مزاحه الثقيل ساد جو غريب من الارتياح,تبادلا النكات و آراءهما في فيلمي"عادل إمام"و"أحمد حلمي"وبقية أفلام موسم إجازة نصف السنة,على مستوى صوت ضحكهم,وفي وسط كل ذلك كانت"ريم"في الحمام عندما مالت"نيفين"على أذن"خالد"وسألته بصوت خافت: إنت اللي خلاك تعمل كده؟

أنا شايفة"هي"دي من ساعة ما قعدنا وأنا مش عايزة أقوم أسلم عليها,تقوم تجيبها تقعدها معانا؟!!

-"مكنش قصدى والله,في بنت فيهم كده شعرها طويـــل؟ كنت عايزك تكلميهالي مش أكتر .."

نظرت إليه نيفين بشك وسألته : أهو واحدة فيهم، ريم ؟

رد خالد بحماس على المعلومة التي لم يكن متأكدا منها: هي اسمها ريم؟

ردت نيفين بلهجة عاقلة: أيوة بس دى مصاحبة يا خالد.

وعندما رأت ريم تقترب منهم قالت فى حذر: طب ســبيد سبيد أهي جاية أهيه.

قام خالد مرحبـــا بـــريم ســـألها إن كانـــت في حقـــوق فرنساوي,فجاءه ردها روتينيا خاليا من أية مشاعر بأنها ليست كذلك,وأنها في"حقوق إنجليش عادي"

جلس خالد مرة أخرى وحـــاول أن يفـــسر لهـــا ســـبب سؤاله:"لأ أصلي بشوفك في المجمع كتير، وأنا أصلي عـــارف كل دفع تجارة وآداب,فإنني أكيد"

وقطــــع خالــــد كلامــــه بنفـــسه عنـــدما رن جوالها,استأذنته"ريم""براحتك عادي"قالهـــا خالـــد في خيبـــة

أمل,وقامت هي دون أن تسمعه,و رغم أنها وجدت أن المتصل بها غير مسجل من قبل,ردت: ألوه، مين معايا؟لم يكن أحـــد غيرها قادرا على أن يسمع أي صوت من الطرف الآخر لدرجة أن خالدا قد شك أنها قد افتعلت تلك المكالمة خصيصا لكـــي تقوم,و لكن عندما ارتفـــع صـــوتها,أدرك الجميـــع و تأكـــد الجالسون بأن ذلك ليس تمثيلا.

"إيه مش قادرة أفهمك يعني؟، أنا عمري ما شـــفت حـــد بيتلزق كده، ملقتنيش برد عليك قلت تتصل من نمرة واحـــد صاحبك، ما هو لو عندك كرامة"

هدأت أعصابها وهي تستمع إلى رد محدثها على الهاتف.

- مش عارف أنا متضايقة من إيه ؟ طـــب لمـــا تعـــرف ابقى,بقولك إيه الموضوع ده اتقفل أنا مش عايزة أشوفك تاني، خلاص؟

بدا وكأن ذلك الشخص المجهول لم يعطها الإجابـــة الـــتي تنتظرها,فجزت هذه المرة على أسنانها وأكدت على سؤالها مرة أخرى:

"خلاص؟"

- ,

- يعني إيه لأ مش خلاص,؟

- ..

مش عايزة أسمع حاجة أنا,افرض أنا مش عايزة أسمعك.

وضعت يدها على وسطها ونظرت إلى السقف بملل و قالت بشكل مستفز:

- مع بنات صحابي وإنت مالك يعني عايز تعرف ليه وهـــو أنا دلوقتي أهملك في حاجة مثلا؟

لم تلاحظ"ريم"أن"محمد البارودي"صديقها واقف معهـــا في نفس المقهى ويراقبها,و يشاهد كل ردة فعل صادرة منها وهي لا تدري.

"مع بنات صحابك هه ؟ ماشي,على كل حال إنـــت لازم تديني فرصة إني أكلمك علشان أشرحلك,يا إما تكوني إنـــت بقى مـــا صـــدقتي إنـــك تـــسيبيني"قالهـــا واقفـــا بجانـــب صديقه"هاني"وهو ينظر إليها.

-"لأ مش بعد اللي حصل ده,تقعد تحوّر عليـــا وتقـــوللي الكلمتين اللي إنت حافظهم دول"

قالتها ريم ثم أغلقت الخط في وجهه.

عندما عادت"ريم"مرة أخرى لتجلس معهم لم يسالها أحـــد عـــن المكالمـــة,تظـــاهروا كلـــهم بـــأنهم لم يـــسمعوا شيئا"هنى"و"لينا"كانتا الوحيدتان اللتان تستطيعان أن يـــسألاها

ولكنهما لم يفعلن ذلك أمام كل هؤلاء الغرباء أما عن الباقيين فكان رد فعلهم التجاهل,فيما عدا"خالد"الذي تجاهل ما حدث تماما مثل الآخرين فيما عدا أنه ابتسم في سره,فهذا بالتأكيد صديقها التي كانت"نيفين"تقصده,و ها هو الآن قد أصبح صديقها سابقا,و الطريق مفتوح أمامه,لم يسمحوا أن تفسد حادثة تافهة مثل تلك الجو الرائع الذى كان قد غطى الجلسة,عادوا تدريجيا إلى الضحك وعلا صوتهم مرة أخرى في المكان,لدرجة أنهم لم ينتبهوا لمرور الوقت,ليس قبل أن تستقبل"نيفين"مكالمة من والدتها فبدأ الجميع ينظر إلى ساعته,

"طب إنتو معاكو عربية و لا نروحكوا على سكتنا؟"كان خالد يقولها وهو يمشي عند الباركينج وقد استدار ليسألهم هذا السؤال ..

"لأ أنا هوصل"ريم"معايا"فهم خالد بسرعة ما تحاول أن تفعله نيفين من أجله,فوافق,أما"حسام"فلقد تطوع بأن يوصل"هنى"و"لينا"بالطبع إلى البيت بسيارته,كان الموقف رائعا خالد ترك لريم الانطباع الذي أراد أن يتركه بالضبط,و"نيفين"سوف توصل"ريم"إلى بيتها وهذا يعني أنها قد تجد فرصة لتكلمها,كان كل شيء مثاليا حتى ظهر البارودي,دخل فى وسط المجموعة فجأة دون أنت يسلم على أحد,حتى اقترب تماما من"ريم"

"تعالي يا"ريم"عايزك في حوار"قالها البارودي بهدوء.

قالت ريم وقد سيطرت عليها صدمة المفاجأة:"إيه ده إنــت بتعمل إيه هنا؟"

قال البارودي وهو يشدها من يدها هذه المرة:"معلش تعالي معايا بــس ثانيــة واحــدة" كــان الجميــع قــد التفــت نحوهم,وشعر"مارك"و"خالد"و"نادر"و"حسام"لسبب ما أن هذا الواقف أمامهم هو نفس الشخص الذي كانت تتكلم معه على التليفون,أرادوا أن يتدخلوا وتربصوا و استعدوا وانتظروا إشارة البدء من"ريم",و ها هي"إيه ده ماتمــدش إيــدك,الله!",هنــا وضع"مارك"يده على كتف"البارودي"وهو يقول بحكمة:"إنت اسمك محمد مش كده؟ ممكن اكلمك ثانية واحدة بس؟"

لم يرد البارودي بل أطاح بيد"مارك"بعنف ودفــع مــارك نفسه بكلتا يديه وهو يقول:"ما توسع يا عم من خلقتي لأحسن أزعلــك",قبــل أن يقــوم مــارك بأيــة ردة فعــل كان"نادر"و"خالد"و"حسام"قد حوطوا بــ"البارودى"بالفعل"ما تحترم نفسك يا كابتن إنتا,و خد بالك إنت بتقول إيه علــشان ممدش إيدى عليك؟"

"طب وريني كده هتمدها إزاى بروح أمك!!"

قالها البــارودى و هــو يرفــع يــده في الهــواء لكــي يلكم"حــسام"ولكــن الفرصــة لم تــتح لــه قــط فقــد

أخذ"حسام"خطوة إلى الوراء ومسك يد"البارودي"وحاول أن يكسره لكن البارودى كان قد أفلت يده,دامــت المــشاجرة بالأيــدي أكثــر مــن خمــس دقــائق كاملــة,مــا بــين حركات"البارودي"الاستعراضــية أكثــر ممــا هــي مــؤثرة و"مــارك"الــذى إحتــار مــشاهديه إن كــان يحــاول أن يطرح"البارودي"أرضا أو أنه يحاول أن يهدئه,كل ذلك قبل أن تصطدم قبضة يد"خالد"بوجه البارودي لتصدر صوتا مكتومــا مرعبا صدر من عظام جمجمة"البارودي",و ليفقد البــارودي الوعي ويقع على الأرض

****

الفصل الثانى

"الشايب و مراحل الليل الطويل"

"شريف الكفراوي" الشايب .. العايب .. المراهق متأخراً..
في مكتبه عالي الصوت وقليل الحركة,وفي المحكمة كثير الحركة ومنخفض الصوت,ومع زوجته وابنه"خالد" ومع أصدقاء ابنه (مارك ونادر) في الإسكندرية هو "راجل مسخرة" خفيف الظل متصابى بشكل مفاجىء ومحرج لابنه أمام أصدقائه في بعض الأحيان,و مع عشيقته مروة عندما يقابلها فى مقرهما السري (شقة فى منطقة المهندسين) يتحول تماما ويتغير صوته وتختلف مشيته وحركته ما بين الغرف,و يلبس"روبا"أنيقا لا يلبسه إلا هناك,فتراه يشبه هؤلاء الرجال الذين يظهرون في إعلانات العطور الأجنبية, حكمته في الحياة"لكل مقام مقال"ولهذا فهو أحد هؤلاء"المتحولون"– إذا صح التعبير –, كلما ذهب إلى مكان اختار لنفسه لونا مختلفا عن كل من حوله,فالأمان بالنسبة له أن يبقى مميزا أمام من ينظر إليه, إذا أردت أن تثير سخطه فحاول أن تقاطعه وهو يتكلم,أو الأسهل ألا تعطى اهتمامك الكامل له ولما يقول عندما يعبر عن رأيه فى أي شيء,ولذلك كان من الطبيعي أن يستفزه سلوك"مروة"تلك الليلة,رغم أنها هي التي اتصلت به وجعلته يؤجل سفره إلى عائلته في الإسكندرية إلى الصباح الباكر لكي يأتى إلى شقتهما في"المهندسين",إلا أنها تجاهلته تماما عند دخولها,اتجهت إلى

الدولاب و بدلت ملابسها بثوب نوم مثير كانت تحتفظ به هناك,وتجاهلته مرة أخرى وهي تتجه نحو الشرفة وتشعل سيجارة,كانت على غير عادتها الليلة,كلما حاول أن يقترب منها,كان يجد على لسانها جملة واحدة لا تتغير و لا تتبدل"سيبني في حالي دلوقتي يا شريف أنا مش طايقة نفسي"لم تكن تلك إجابة تروق له بأية حال من الأحوال,استطاع بطريقة ما أن يجعلها تحكي له المشكلة وأن تدخل مباشرة إلى صلب الموضوع.

"أحمد طلقني,ارتحت؟"قالتها مروة بعصبية قبل أن تعود إلى سيجارتها,رجع"شريف"برأسه إلى الوراء لم يستطع أن يخفي قلقه من الخبر,فلقد اختار"شريف"عشيقته"مروة"متزوجة لسبب,أما الآن فحدث كهذا قد يعني الكثير من المتاعب بالنسبة له في المستقبل إلا إذا تصرف بشكل صحيح,فكر للحظات و قرر أنه يحتاج إلى أن يكسب مودة"مروة"في هذه الفترة أكثر من أي وقت قبلذاك.

"إمتى حصل الكلام ده؟"قالها وعلى وجهه ملامح الجدية التي كان من المفروض أن يتركها في المكتب.

"النهاردة من كام ساعة كده قبل ما أتصل بيك بحاجة بسيطة".

قالتها بصوت منخفض حزين وهي تلوح بسيجارتها يمينا ويسارا,تنهد ووضع يديه في جيوب الـ"روب"وأسند ظهره

على سور الشرفة ليصبح مواجها لـ"مروة"بعد أن كان واقفا وراءها,وسألها وهو يعرف الإجابة على سؤاله مسبقا : يعني مفيش أمل إنه يرجعك تاني؟

نظرت إليه"مروة"بطرف عينيها بغضب,فأومأ برأسه وقد فهم ما تريد قوله.. سألها هذه المرة دون أن ينظر إليها : طب والكلام ده حصل إزاى؟

عادت إلى مروة عصبيتها : يعنى إيه إزاي يا شريف؟هيكون إزاي يعني؟اتخانقنا قاللي إنتي طالق.

شريف (مهدئا) :أيوه ما أنا فاهمك,بس بسبب إيه ؟

مروة (بخبث): متخافش مش بسببك.

شريف (في انزعاج): هو ده بس اللي مزعلك؟

أجابت مروة وقد صاحبت عصبيتها هذه المرة الكثير من الاندهاش: وهي دي شوية يعني؟

وضح شريف قصده بسؤال آخر: زعلانة عليه أوي كده؟

هدأت مروة هذه المرة و هى تقول : مش عليه هو,اللي إنت مش قادر تفهمه إن إحنا عايشين فى مصر,وأنا دلوقتي اسمي مُطلقة.

قال شريف بحماس وكأنه يترافع في قضية: أنا أمي كانــت مُطلقة,وكانت في مصر برضه,بس فى الستينات,عارفة يعنى إيه الستينات؟مع ذلك ربتنا وكانت هي المستفيدة مــن الطــلاق ده,وإنتي كمان أنا عن نفسى شايف إن إنتي المستفيدة.

- طب و"علي"هو كمان مستفيد ؟ مستفيد إنه يعيش مــع أبوه ويفضل لحد ما يكبر يسمع عن مامته كلام زي الزفــت؟ قالتها ببعض الحزن"مروة"التي لم تتخل عن هدوئها ثم دخلت في نوبة بكاء شديدة, لم يكن يجيد التعامل في مواقف كتلك,سألها: هو(على) إبنك فين دلوقتي ؟

لاحت بيدها وهي تقول بعدم اهتمام:"سيبته عند أختي"

-"قولتيلها؟"

-"لسه"

قال"شريف"بثقة وهو يهز رأسه:"على العموم مش فارقــة كتير,أنا هعمل كل حاجة ممكن تتعمل علشان (علي) يفــضل معاكى إنتي,على الأقل لحد مايبقى عنده ١٦ سنة ولا حاجة ده على أقل تقدير..خلاص بقى أظن كده حليتهالك"

قالت مروة مبتسمة وهي لا تزال تمسح دموعها: خلاص.

ابتسم شريف بدوره و هو يسأل: هو علشان الموضوع ده مكنتيش بتردى عليا ؟

قالت مروة و هي تعود معه إلى الداخل مرة أخرى: معلش كنت قافلة موبايلي.

أجاب شريف و هو واضع يده على كتفها وهو يمشي بجانبها: أيوه بس في مرة اتصلتي بيا,بس ملقتش حد على الخط.

أردف "مروة"في ارتباك : تلاقيه فتح ف جيبي ولا حاجة.

علق"شريف"ببرود وهو يغلق وراءه باب الشرفة:"ممكن,أنا قولت كده برضه" كان الموقف غريبا بما فيه الكفاية"الباورودي"ملقيا على الأرض, وكل من"حسام"و"خالد"و"نادر"و"نيفين"و"ريم"و"هنى"و"لينا"واقفين حوله لا يدرون ما سيفعلون,ولحسن الحظ كانوا عند وقوع المشاجرة واقفين فى مكان ناء وشبه مهجور في آخر جزء من الParking,وتجمد الموقف للحظات وكأنه لا أحد يدري ما يجب أن تكون عليه الخطوة التالية أسند"خالد"ظهره على شنطة سيارة,وأخذ يلهث في تعب,نبهه"نادر":"خالد خللي بالك في دم على رقبتك"

اتسعت عينا"خالد"وهو يتحسس رقبته حتى شعر بسائل دافىء قد غطى أصابعه,إنها الدماء, لم يكن"خالد"يكره أي شيء في حياته أكثر من أن يتسبب أحد له بضرر يؤدي إلى نزف الدماء,فـ"خالد"عندما يحكي عن أية مشاجرة ما بين المدارس و يقول رأيه,يقول جملة واحدة"اللي علم على التانى هو اللي يجيب منه دم"

"استنى معايا منديل"قالتها"ريم"وهي تناوله لـــ"خالد"الـــذي نظر بدوره إليها بدهشة,هل أصبح شكله مثيراً للشفقة إلى هذه الدرجة؟!!

"أنا هطبق منه الجاكت"

قالها خالد الذي لمعت عيناه بحماس غريب وهو يبعد ظهره عن السيارة ليقف منتصبا وقد توقف لهاثه وعاد تنفسه منتظما من جديد,"إيه؟!!"هتف"نادر"بذلك السؤال ذي الحرف الواحد ليتأكد من صحة ما سمعـــه,و ليطمـــئن أن"خالـــد"لم يفقـــد عقله,فحتى لو أراد أن يسرق سترة"محمد البارودي"و هـــو فى تلك الحالة فلا داعي لأن يكشف عن نواياه في وجود صديقته (ريم),والتي تقف في تلك اللحظة معهم عاقدة ساعديها تراقب كل ما يحدث و على وجهها تعابير حيادية لا تظهر لمن يراهـــا أي شعور أو انطبـــاع سَـــلبي كـــان أو إيجـــابي,إلا أن مـــا خشيه"نادر"كان حقيقة,كما أكد له"خالد"فيما بعد."فكك من الهطل ده يا خالد"قالها"مارك"وتبعته"نيفين"بقولها"إيـــه العـــبط ده؟مش فاهمة في إيه يعني؟!!"نطقتها وهي تحـــاول أن تـــشير برأسها إلى"ريم"بإحراج ولكن رد"خالد"هذه المرة لم يكن أقـــل إحباط مما قبله."وهو إنتو إيه اللي حارقكو بس؟..دي فكـــرتي أنا وأنا لوحدي اللـــي مـــسؤول عنـــها"ثم توجـــه بكلامـــه إلى"حسام"وصديقته التي لا يتذكر اسمها"بالنسبة لكم إنتو.. لو عايزين تخلعوا إنتو الاتنين من أولها كده,مفيش مشاكل بالنسبة لي"

قال"حسام"ساخرا و هو يدير ظهره ويمشي في الاتجاه الآخر"لا ما أهو إحنا كنا مستنيين منك الإذن,يلا بينا يا"لينا"!"هنى"!! شوفي إيه نظامك جاية معانا ولا إيه؟" رحلت"هنى"مع"حسام"و"لينا",و لم تمنع"نيفين"نفسها من أن تنظر بدهشة إلى"ريم"التى لاحظت ذلك فسألتها ببرود مقصود: "بتبصيلي كده ليه؟ يا جماعة اعملوا اللي إنتو عايزينوا أنا مليش دعوة بالشخصية وبأي حاجة تحصلها".

وبعد محاولات فاشلة مع"خالد"لكي يغير رأيه قررت"نيفين"أن ترحل هي الأخرى مع"ريم"التي سوف توصلها,وركب"خالد"و"نادر"و"مارك"ومعهم"الجاكت"في سيارة"مارك"التي أكد وهو يقود عن استيائه مما فعله"خالد"إلا أنه لم يأته رد سواء من خالد الذي يجلس بجانبه أو من"نادر"الجالس بالخلف والذي قرر أن يفتش في جيوب الجاكت لسبب غير مفهوم,و ساد صمت غير مريح لفترة طويلة حتى هتف"خالد"فجأة"إيه ده؟"التفت إليه"مارك"و"نادر"و سألوه فى صوت واحد"في إيه؟"

اخرج من الجيب كيسا بلاستيكيا شفافا به حبوب صغيرة,طلب خالد من"نادر"أن يدعه لكي يلقي نظرة بنفسه على ما وجده,ناوله الكيس وتابعهما"مارك"وهو يقود مستعينا بمرآة السيارة,أضائوا نور السيارة الداخلى وقرب عينيه من محتويات الكيس قبل أن يعلن الماهية الحقيقية لما بين يده قائلا:"دي مخدرات يا عم الحاج"

لم يكد"مارك"يسمعها حتى"فرمل"بالسيارة فجأة.

***

على عكس الأرياف,في المـدن الكـبيرة نـسبيا مثـل الإسكندرية,الليل لا يأتي إلا مرة واحدة,و لا تتـاح أمامـك الفرصة لكي ترى بعينيك غروب الشمس إلا قليلا,لا مفر إذن من النظر إلى عقارب ساعتك من حين لآخر.. فالـسماء قـد استقالت من عملها كمؤشر للوقت منذ زمن بعيد,و جـرت العادة في الإسكندرية بأن تقسم مراحل انتهاء الليل كالآتي:

المرحلة الأولى :- تبدأ من الساعة التاسعة مساء حينئـذ إن كنت جالسا في مكان عام سترى الكثير من الفتيات الـلاتي لا يستطيع أحد أن يلومهن على البقـاء خارجـا حـتى هـذه الساعة,على الأقل ليس بعد.

ثم تأتي المرحلة الثانية:- تبدأ تقريبا من الساعة الحادية عشرة مساء إلى الواحدة و النصف مساء على أقصى تقدير,إنه الوقت الذى تبدأ فيه أية فتاة محترمة لها عائلـة بالقيـام والاسـتعداد للرجوع إلى المترل,حتى إن كثيرا من الكافيهات تغلق أبواها في تلك الأثناء,(فما الجدوى من البقاء و تحويل الكافيـه إلى نـاد للرجال فتعلو أصوات الشتائم وتكثر المشاجرات؟!!),و يعـد الزحام المرورى من الصفات الأساسية للمرحلة الثانية,فتجـد السيارات التي ملأت الشوارع وتوقفت في مكانها مـن تـأثير الزحام أشبه بالكوليسترول الذي ملأ شرايين وشوارع المدينـة

القديمة فتصبح بأكملها وكأنها صورة ثابتة لا أحـــد يـــستطيع الحراك فيها, ثم تقل السيارات تدريجيا..

و يذهب الزحام إلى حاله تمهيدا لبداية المرحلة الثالثة : التي تبدأ بدورها ما بين الساعة الواحدة والثانية صباحا وتنتهي عند ظهور المؤشرات الأولى للفجر,في تلك المرحلة تغلـــق المتـــاجر أبوابها و يخلو الشارع تماما إلا من السكارى وفتيـــات الليـــل وبعض المُخبرين,ويبقى الشارع على هذه الحالة المهجورة حتى ينادي مناد لصلاة الفجر,فتجد بعض الناس قد تركوا بيـــوتهم ونزلوا إلى الطريق و بدؤوا يتجهون إلى المسجد لأداء الصلاة.. بينما لا تزال أعينهم موطنا للنعاس حين تلتقي نظـــراتهم مـــع نظرات سكارى الليلة الماضية الذين يسلكون الاتجاه المعـــاكس تماما,ألا وهو أي مكان في العالم إلا المسجد وأي اتجاه في الدنيا يظنون أنه لا يوصل إلى الله ..

كل ما سبق من أحداث (ســـواء مـــع"شـــريف"أو"ريم"أو البارودي"أو"خالد"أو غيرهم) وقعت في ذلـــك الجـــزء الأول المسالم من الليل,وفي هذه اللحظة حسب التوقيت المحلي لمدينـــة الإسكندرية نحن في نهاية المرحلة الثانية وعلى مشارف الثالثة,في نفس الوقت الذي ضـــاقت فيـــه مـــصائد الزحـــام حـــول سيارة"ريم"ومعها نيفين وأحاطت بهم السيارات من كل ناحية استطاع في الطرف الآخر للمدينة"مارك"و"خالد"و"نادر"بشكل ما أن يجدوا شارعا مُظلما في منطقة كفر عبده.. نفس المنطقـــة الراقية التي يسكن"خالد"فيها,توقفـــوا بالـــسيارة في منتـــصف

الطريق الخالي من الحياة,حيث إنهم سئموا مـــن الانتقـــال إلى آخر,ليتشاوروا فيما بينهم حول كيفية التصرف في الكتر الذي وجدوه,الحبوب المخدرة التي وصلت إلى أيديهم والتي لم تكن في الحسبان. من الواضح أنه في وقت ما دون أن يلاحظ أحـــد من الجالسين معهم,نجح"نادر"شاكراً أن يتـــسلل إلى المطـــبخ ليقابل"سيد",و"سيد"هذا هو نـــادل (جرســـون) يعمـــل فى إستيميشن منذ أكثر من عام,يعرفونه جيـــدا ويعـــرفهم هـــو كذلك,جرت العادة بينه وبينهم أن يشتري لهم الحشيش بـــدلا منهم وأن يعطيه لهم,فيعطونه الثمن الأصلي للكمية ومعه الكثير من البقشيش, "نادر"هذه المرة قد اشترى منـــه"رُبـــع قـــرش حشيش"كاملا,فأصبح الآن بحـــوزهم رُبـــع مـــن الحـــشيش والحبوب التي وجدوها أو بمعنى أصح سرقوها من البارودي ..

على أنغام شريط إليسا الجديـــد الـــصادرة مـــن الـــسيارة اقترح"خالد"أن يبدؤوا بالــ"Hash"(الحـــشيش) وبعـــد أن ينتهوا من الجوبات يبدؤوا في تناول الحبوب ليضمونوا لأنفسهم أكبر وأقصى و"أغبى"تأثير,أما"نادر"فبعد تفكير عميق اقترح أن يذهبوا إلى محل"درينكيز"الشهير ويرتشفوا بعض الخمور المخففة ذات النسبية الكحولية الضعيفة مثل الــ"I.D."بجانـــب كـــل ذلك بشرط أن يبدؤوا بالحبوب,أما"مارك"فلم يبد رأيـــه فى أي شيء,كان هاتفه المحمول أقرب وأهم إليه من أى شـــخص في تلك اللحظة,ألصقه بأذنه وانكمش داخل نفسه في ضيق,اتصل بـــ"يارا"آلاف المرات,واستمع في كل مرة بدلا مـــن صـــوتها

الدافىء إلى صوت تلك المرأة الشهيرة برسائلها المُسجلة التي تسمعها من الطرف الآخر من المكالمة لتوضح لك أن الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقا وتنصح بلهجة أمومة لا تتناسب مع الموقف أن تحاول في وقت لاحق,لكن في حالة"مارك"هذا الوقت اللاحق لا يأتي أبدا,إنه يحاول أن يصل إلى"يارا"منذ أكثر من أسبوع.

"هاه يا عم هتخش معانا في الليلة دي ولا إيه؟"

منذ أربعة أيام فقط لم يكن من المنطقي أن يطرح"نادر"سؤالا كهذا على"مارك"ولكن اليوم شيء آخر.

"مارك"منذ أيام الإعدادي في"سان- مارك"والمخدرات عامة والسجائر خاصة لا تفارق يده وإن فارقته فهي في فمه وإن لم تجدها في أي من الاثنين فهي في جيبه وإن لم يكن معه منها شيئا تجده في بحث دؤوب عن المزيد منها,حتى أتى ذلك اليوم وطلبت منه"يارا"أن يقلع عن الحشيش والمخدرات,فوافق"مارك"بدون تردد بل إنه أقلع أيضا عن السجائر ليغلق الصفقة معها,لم يعترض حينها أي من"خالد"أو"نادر"أو"نيفين",بالذات"نيفين"التي رأت أن هذا هو أفضل ما فعلته"يارا"بـ"مارك"في حياتها,و لكن فيما بعد أعرب"خالد"ومعه"نادر"عن استيائهما,ونصحوه أنه إذا أراد أن يقلع عن السجائر فلا هدف من الإقلاع عنها إرضاء لفتاة,إما أن يقلع عنها لخوفه هو على صحته ولأنه هو الذي اتخذ القرار

بنفسه,وإما لا,فكلاهما لا يؤمنا بالحلول الوسط التي تغضب جميع الأطراف مع فارق بسيط أنها تنزع من كل طرف حق الشكوى,كما أن"يارا"على أية حال عندما طلبت منه ذلك لم تهدف إلى صحة"مارك"من قريب أو من بعيد بل أرادت أن تقيس الحد الذي يمكن أن يصل إليه هذا الشخص من أجلها,فلقد كانت تستمتع بالتحكم فيه وفي أعصابه بشكل مرضي غريب,ولأن ترك السجائر و غيرها من شروط مرافقة"يارا"بالنسبة إلى"مارك"فبالتالي عند وقوع المشكلة الأخيرة فيما بينهما رأى"مارك"أنه ليس هناك حرج عليه أن يعود إلى السجائر مرة أخرى,على الأقل بشكل مؤقت,و اشترى علبتين بالفعل من نوعه المفضل و شربهما في"إستيميشن"حتى آخر نفس أمام مرأى الجميع وفي وسط دهشة كل من رآه,لكل ما سبق من أسباب عرض عليه"نادر"الاشتراك معهم فيما سيفعلون,فربما يكون قد غير رأيه في المخدرات كما غير رأيه في السجائر فجأة,وكما أن السؤال لن يضر أحدا .

نظر"مارك"وعلى وجهه علامات القرف و كأنه إستيقظ لتوه من نوم عميق إلى"نادر"الذي كان قد ترك السيارة المركونة ليسند ظهره على سور فيللا,قال"مارك"بعدم اكتراث و هو يلوح بيده"معرفش يا جماعة شوفوا إنتو هتعملوا إيه وأنا دايس معاكوا.."

****

قد لا تشترك"هنى"مع"ريم"صديقتها فى كثير من الـــصفات سواء فى الشكل أو الشخصية,و لكنهما اشـــتركتا فى صـــفة واحدة شكلت شخصيتهما,ألا وهى الفضول القاتل,الاثنتان لا تحتملان أن يحدث شيء من حولهما لا يفهمانه,و لكن لكـــل واحدة منهن طريقة لكى تحصل على ما تريده"هنى"ليس عندها المقدرة على الصبر عندما تحاول أن تصل لمعلومة معينة فتجدها تسأل الناس أسئلة محرجة و جريئة مما يخيفهم و يجعلهم يفكرون أكثر من مرة قبل أن يشاركوا معها أى حادثة سواء إن كانت مهمة أو لا,أما"ريم"صديقتها فكانت أذكى من ذلـــك,عنـــدما تجلس مع مجموعة من الناس تلتزم الصمت حتى ينسوا تماما أنها جالسة معهم فيتكلمون براحتهم و تأتى إليها المعلومات"لحـــد عندها",هذا هو ما لم تعرفه"نيفين"التى تكره"هنى"و تخـــشى أن تطلعها على أسرارها بسبب فضول"هنى"الزائد,إن"ريم"فضولية بالضبط مثل"هنى",و لكن بشكل أذكى و أخطر. و فى محاولة مرتبكة لتخفيف الأجواء ليس أكثر,حاولـــت"نـــيفين"طـــوال الطريق إلى بيتها و هى بجانب"ريم"فى السيارة أن تتكلم فى أى موقف تافه و مضحك لعل"ريم"تبتسم فتجد بعد ذلك لنفسها فرصـــة أن تفاتحهـــا فى موضـــوع خالـــد, وعنـــدما وجدت"ريم"أن"نيفين"تحاول أن تتقرب إليها و أن تخلـــق مـــا بينهما صداقة رأت أن هذه نقطة لصالحها,وقررت أن تستغلها

ولكن ليس الآن.. الزحام عند إشارة"صفية زغلول"قد حـــاوط السيارة عندما قالت"ريم"فى ملل :"إيه اليوم الغريب ده؟ أهرب من الخناقة ألاقى زحمة ؟!! مش ممكن يعنى!!"

هنا مالت عليها"نيفين"ثم رجعت إلى مكانها مـــرة أخـــرى فأصبح من الواضـــح أنهـــا همـــت أن تقـــول شـــيئا مـــاثم تراجعت,سألتها"ريم"بخبث :"إيه؟ شكلك كنتى عايزة تقـــوللى حاجة"

قالت"نيفين"دون أن تنظر فى عينى"ريم": لا لا لا,إيه إللـــى خلاكى تقوللى كده؟"

ردت و هى تهز كتفيها و تمط شفتيها :"معرفش حـــسيتك كده,لو مستغربة من حاجة حصلت النهاردة قوليلى عادى"

تنهدت"نيفين"و أغمضت عينيها لكى تكوّن الشكل النهائى للجملة فى عقلها قبل أن تنطقها :"مش مستغربة ولا حاجـــة، بس لاحظت إن الRe-Action بتاعك كان غريـــب أوى للحصل من شوية ده"

-"الخناقة قصدك"

-"بالظبط كده"

ردت"ريم"و هى تتصنع الدهشة : لأ مش فاهمة غريب إزاى يعنى؟

- لأ خلاص إنسى الموضوع.

- لأ غريب إزاى ؟عايزة أعرف,مش هزعل بجد.

-كان الطبيعى إن إنتِ مهما تكونى مش طايقة البارودى ده تكونى مخضوضة شوية من إللى بيحصل,إن فيـــه ولـــد كـــان المفروض إنه كان صاحبك فى يوم من الأيام بيتضرب قدامك ، على الأقل تحاولى تبينى قدامنا إن خلاص يا جماعة مفيش حاجة علشان ماتحصلش خناقة، مش عارفة، حسيتك بتتصرفى كأنك عايزة المواضيع توصل لكده

ردت"ريم"ببرود عجيب و لا مبالاة مثيرة للدهشة :"لا والله أبدا ، بس إنتِ يمكن إللى مخليني كده إن التعامل ما بينى و مـــا بين محمد وصل لأسوأ حاجة ممكن يوصلها"

ثم استكملت و هى تستعين بتحريك يدها لكـــى تـــشرح فكرتها :"عارفة لما تكون حاجة ماشية كده وخلاص؟,مفـــيش ثقة و محدش فينا طايق التانى و أنا ببقى عارفة كويس أوى إنه بيمشى كذا مرة مع بنات غيرى منهم أعرفهم كويس و كانوا معايا فى المدرسة"

لم تكن"ريم"غبية لدرجة أن تشارك معلومة حساسة كتلك مع فتاة تقابلها للمرة الأولى بل كان لها هدف,"ريم"هى مـــن القلائل الذين يفهمون شخصية الناس بمجرد النظر إليهم,لذلك

فهمت أن"نيفين"شخصية عاطفية تستعين بالمشاعر أكثر مما تستعين بعقلها,و إن رأهّا"نيفين"و هى تتحدث معها بمنتهى الصراحة عن مشكلتها مع"البارودى",فستصبح بعدها"نيفين"كتاب مفتوح أمام"ريم"

- و إيه إللى يخليكى تستحملى حاجة زى دى؟

قالت"ريم"فى نفس البرود و قد أعادت نظرها إلى الطريق: "حطى نفسك مكانى هتعملى إيه يعنى؟ إتعودتى عليه خلاص بقى,و عمرك ما فكرتى إنك تسيبيه,بعد كده تصحى الصبح تقوللى إيه إللى أنا بعمله فى نفسى ده ؟فتخدى قرار إنسك تسيبيه,و فى وسط و أنا بفكر أقولهاله إزاى,وصلى كلام إن فى حاجة بينى و بين واحدة صاحبتى,فقولت أهى فرصة بقى,مع إنى لعلمك البنت دى دلوقتى بكلمها عادى جدا,المشكلة مش فيها,المشكلة فى محمد نفسه"

-"مش قصدى أدخل يا ريم فى حاجة ماتخصنيش بس شكله بيحبك يعنى"فكرت نيفين كثيرا قبل أن تقول الجملة الأخيرة بحذر شديد.

أغمضت ريم عينيها و أرخت رأسها ضاحكة على كرسى القيادة للتخيل كيف يبدو الأمر من عينى"نيفين"ثم أضافت بجدية و هى مازالت مبتسمة :لأ، ميغركيش كل إللى هو عمله على باب الكافيه ده، صدقينى أنا مش فارقة معاه فى حاجة.

فكان سؤال"نيفين"طبيعيا و متوقعا إلى أقصى الحدود : أمال عمل كل ده ليه؟ هبالة يعنى؟

اختفت هذه المرة الضحكة التي كانت ريم قد رسمتها على شفتيها و هى توضح : مش هبالة، بس هى الفكرة كلها إن أنا كبرت فى دماغه ، هو مش متعود حد يقولوه لأ"

هنا هدأت نيفين فى هم ثم قالت بصوت لم تدرك أنه مسموع: بتفكريني بحد اعرفه

ضحكت ريم مرة أخرى و هى تسألها : حد مين؟ مارك ده يعنى؟

خشت"نيفين"أن تصل لريم فكرة خاطئة عن"مارك"ففسرت كلامها سريعا :"مارك مش كده مش ندل هو بالعكس,ده أرجل ولد ممكن تتعملى معاه,بس مشكلته إنه ماشى كده مع واحدة"

قاطعتها ريم فى دهاء و خبث :دى إللى هى كان عمال يقوم يكلمها كل شوية على الموبايل دى؟ صح؟

نظرت إليها نيفين فى دهشة لمدة ثانية واحدة ثم استكملت كلامها : أنا مش عارفة إنتى أخدتى بالك إزاى من الحاجات دى!,بس أيوة هى,المهم البنت دى فيها عيوب الدنيا والآخرة,و هو عارف بس بيعمل نفسه مش واخد باله علشان

هو ميعرفش غيرها بقاله تلات سنين ولا حاجة,و هـو علـى فكرة محترم أوى و هى مسوأة سمعته فى كل حتـة,بـس لمـا بيتخاصموا تلاقيه هو إللى بيجرى وراها"

استنتجت ريم دون أن تنظر لنيفين :بيحبها يعنى؟

هنا انتفضت نيفين بشكل لم يفاجىء ريم و قالت أو بمعـنى أصح صرخت دفاعا عن وجهة نظرهـا: اسـتحالة يكـون بيحبها,هو زي مانتي قولتي بالظبط اتعود عليها,مـش قـادر يتخيل نفسه مع حد تاني,الموضوع ده كده و لا أكتر ولا أقل.

نزلت نيفين من سيارة"ريم"لتدخل إلى عمارتها عند حـوالى الساعة الواحدة و الثلث صباحا,هذا بالظبط بعد أن تبادلـت مع"ريم" رقم الهاتف الجوال ,أكملت"ريم"طريقها وحـدها إلى منزلها بالسيارة,كانت المرحلة الثالثة من الليـل قـد بـدأت للتو,فساعدها المرور على عكس عادته للوصول إلى بيتها قبـل أن يتأخر بها الوقت أكثر من ذلك فتجد نفسها تسمع مـا لا تريد أن تسمعه من أختها"مى",وصلت أخيرا إلى الشارع الذى تقطنه,نظرت بمساعدة مرآة سيارتها إلى المكان الذى كانت قد اعتادت أن توقف فيه سيارتها فوجدته شاغرا بالفعل,هـدأت نفسها بأن ذلك اليوم العصيب المليء بالمشاكل قد انتهى بالفعل و لا يمكن أن تزداد أحداث تلك الليلة التى لا تنتهى سوءًا أكثر مما هى سيئة بالفعل,أو هكذا ظنت,فـ"ريم"شأنها شأن كـل

البشر لا تستطيع أن تتنبأ بالمستقبل, تمكنت من العثـــور علــى مكان لسيارتها فى الشارع المجاور,ألقت وهى متجهة نحو المترل نظرة خاطفة على شبابيك البيت,فلاحظت شيئا غير معتـــاد, أضواء جميع الحجرات, لم تحاول أن تنكر أمام نفـــسها وهـــى تصعد سلالم العمارة فى قلق أن هناك شيئا ما ليس علـــى مـــا يرام,باب الشقة التى تعيش فيها هى وأختها مع أمهم المريـــضة مفتوح,فى البداية ظنتها عملية سرقة,لكنها لم تكـــن كـــذلك بأسوأ بكثير كما اتضح فيما بعد,دفعـــت البـــاب بـــأطراف أصابعها فى حذر فوجدت أمامها ما لم تتوقعـــه و لم يكـــن فى الحسبان قط.

***

"مش هاتقوللى بقى إنت متضايق من إيه؟"طرحت"لينا"ذلك السؤال على حسام فى طريقهما إلى بيتها,كانا قد أنزلا"هنى"من فترة أمام بيتها,و انتظر"حسام"بناءً على طلب"لينا"حتى تطمئن بنفسها و هى ترى صديقتها قد دخلت إلى باب العمارة الـــتى تقطنها بسلام,كانت قد طرحت ذلك السؤال الأخـــير بينمـــا السيارة التى تقلهما و يقودها حسام متجهة إلى بيتها هـــى رد وهو يهز كتفيه العريضين وجسده الرياضى الضخم فى مقعـــد السائق فى غير ارتياح:"ما طبيعـــى يـــا"لينـــا"بعـــد الخناقـــة والليلة إللى مالهاش لازمة دى أكون متضايق شوية"كان مـــن الواضح انه يخفى شيئا ما.

ردت فى حنان :"أولا: إنت عمرك ما كنت بطيق حد مـــن دفعتك فى سان-مارك علشان تحاول تقنعنى إنك ممكن تضايق لأى حوار يحصلهم,ثانيا: إنت متضايق أصلا من ســـاعة مـــا دخلنا فى"إستيميشن"

ثم استكملت و هى تضع إحدى يديها على كتفه بلهجـــة أمومة حتى كادت يدها التى أربكته و نجحت أن تهز جـــسده بأكمله أن تحيل بينه و بين القيادة الصحيحة:"يا"حسام"هو أنا لسه عارفاك إمبارح ؟أنا فاهمك أكتر من نفسك,و بحـــس لمـــا تكون فى حاجة مضايقاك"

نظر إليها"حسام"بشك للحظات,كم يحبها!! كـــم يريحـــه صوتها الناعم الطفولى الذى ينجح فى كلِ مرة أن ينسيه همومه كلها!,كان (وإن أستطاع أن يضع فاصلاً من الهيبة بينه وبـــين كـــل النـــاس) لا يملـــك أمامهـــا مـــن أمـــره ســـوى أن يذوب:"هاقولك,بس ماتقعديش تقوليلى عملت كـــده ليـــه ومعملتيش كده ليه,أنا مش ناقص"

طمأنته"لينا":"حاضر,بس قول بس"

أعاد نظره إلى الطريق وقال فى اضطراب:"أنا ضربت كابتن علاء,المُدرّب بتاعى"

قالها بسرعة وقلق و كأنه طفل يعترف بذنب ما و يخـــشى توبيخ والديه.

لم تنكر"لينا"أنها لم تتوقع إجابة كهذه,بل إنها حتى لم تفهمها فكان سؤالها القادم منطقيا:"لأ مش فاهمة,ضربته إزاى يعنى؟"

رد"حسام"هذه المرة بعصبية:"إيه إللى مش فاهماه ؟إيه إللى أنا قولتوه صعب؟نرفزنى و طول لسانه عليا فى التمرين,مستحملتش لقيت نفسى بلكمله,مقدرتش أمسك نفسى بصراحة"

احتل الصمت تلك المناقشة لفترة قليلة قبل أن يستكمل هو بحزن :"قالى مش عايز أشوف وشك تانى,و ابقى قابلنى لو حد رضى يدربك بعد كده,فى سبورتنج,و لا سموحة,و لا حتى فى إسكندرية كلها"

رجعت"لينا"إلى مقعدها و قد أحزنها الخبر فعلا فنصحته:"لأ يا حسام إنت لازم تشوفلك حل فى عصبيتك دى" نظر إليه"حسام"بغضب و فى لحظة ما و هو ينظر إليها,ندم بالفعل أنه قد حكى لها مشكلته,ها هو يسمع منها ما يسمعه من كل من يهتم لأمره,عن عصبيته المفرطة,و عدم قدرته على التحكم فى عواطفه,و رغم أنه يعلم صحة كلامها و أنها لم تقل ذلك إلا حرصا على مصلحته إلا أنه وجد نفسه يذكرها باتفاقهما فى سخط:"لسه قايلك إيه أنا قبل ما أحكى؟"

أدركت"لينا"خطأها بسرعة فقررت أن تحول مسار الكلام من أسباب المشكلة إلى البحث عن حل :"طب خلاص خلاص,هتعمل إيه دلوقتى هتجيب مدرب من القاهرة مثلا؟"

جاء رد حسام هذه المرة محبطاً: لا مينفعش طبعا.

فسألته فى قلق :"مش هتخش البطولة اللى جاية يعنى ولا إيه؟"

رد"حسام"فى حماس و قد اختلطت عليه الخطوط الفاصلة بين الغرور و الثقة بالنفس: لأ هاخشها,أنا إللى هادرب نفسى.

سألته لينا فى فرحة كادت أن تتحول إلى البلاهة: إيه ده هو ينفع؟

رد حسام بإصرار: معايا أنا.. آه , ينفع.

قالها ثم أوقف السيارة,كانا قد وصلا إلى بيتها بالفعل,اتفق معها أنه سيقابلها غدا فى النادى,و طلب منها و هو يودعها ألا تخبر والدتها فهو لم يخبر هو والدته بعد و خشى أن يتناقلا الوالدتان الأخبار فيما بينهما شأنهم شأن كل ربات البيوت,قالت له إنها لن تفعل,ثم طلبت منه هى هذه المرة:"ما تطلع معايا يا حسام بابا كده كده مسافر,علشان"مامى"كمان تعرف إنى كنت معاك لما اتأخرت"

رد عليها وقد غلبه التعب:"سورى يا لينا أنا بجد مش قادر,أنا هبقى أقولها إنى كنت معاكى,و أهو عامة الوقت لسه مابقاش متأخر أوى للدرجة دى"

***

عندما تغلبت"ريم"على مخاوفها و قلقها اللذين كانا يحـــيلا بينها و بين دخولها إلى باب الشقة,لكى تدخل أخيرا لتدرى ما حدث بالفعل,وجدت أمامها رجلا وقورا فى العقد الرابع مـــن عمره واقفاً مع أختها"مى",خمنت"ريم"أنه طبيب وأنه صـــاحب سيارة الإسعاف التى احتلت المكان المخصص لسيارتها,و بجانب معطفه الأبيض الذى قد تميز به الأطباء علـــى مـــر العـــصور ساعدها على تخمينها نوعية الكلام الذى كان يوجهه إلى أختها مى:"إن شاء الله هتبقى كويسة,هنزلها فى عربية الإسعاف بـــس ياريت لو معاكم عربية تيجوا ورانا علشان الزحمة جوه"

معنى الكلام واضح للغاية,فالرجل يتكلم عن امرأة مريـــضة وبما أن أختها واقفة أمامها سليمة معافاة تنـــصت إلى كـــلام الدكتور بكثير من الاهتمام و الكثير مـــن القلـــق,إذن فهـــو بالتأكيد يتكلم عـــن والـــدهما المريـــضة,مـــن المفتـــرض أن تفهم"ريم"كل ذلك دون مساعدة أحد,إلا أن هذا لم يمنعها من التقدم نحوهما لتسأل أختها فى فزع"إيه ده إيه إللى حصل لماما؟"

لم تمنع الظروف الكئيبة من أن تسأل"مى"أختـــها الـــسؤال الروتينى التى كانت قد اعتادت عليه :"إنتى كـــنتى فـــين لحـــد دلوقتى؟"

كادت ريم أن تفقد صوابها,أو فقدته بالفعل و هى تسألها : و ده وقته؟! إيه إللى حصل؟

ردت عليها"مى"بلهجة تعليمية تأديبيـــة لا تتناســـب مـــع الموقف:" هاتعمللى إيه يا"ريم"لو قولتلك إنى رجعت من الشغل لقيتها قاعدة و مش عارفة تتنفس,جاتلها أزمة و أنا و إنتى بره البيت,و أنا و إنتى كل واحدة فينا بتتفسح مع صاحباتها فى حتة لحد دلوقتى"ثم فرت من عينيها دمعة غير مكترثة لوجود الطبيب الذى قد اعتاد لظروف عمله الدرامية مواقف كتلـــك وهـــى تستكمل"تقدرى تقولي لى إحساسك هيبقى إيه؟؟؟"

***

"أنا مش حاسس بحاجة على فكرة"قالها"مارك"و هو يقـــود سيارته الجيب على طريق البحر(الكورنيش) معبرا عن أن تلك الحبوب التى تناولوها لم تؤد إلى أى تأثير ذهنى,و وافقه نـــادر الجالس بجانبه رأيه بقوله:"و لا أنا على فكرة برضه,أنا يمكـــن دايخ شوية بس ده من الحشيش إللى شربناه قبليها مش أكتر"

هنا وبالذات كان تدخل"خالد"الجالس فى المقعد الخلفـــى للسيارة لابد منه,فخالد بطبعه هو أكثرهم خبرة بكل ما يمـــت بالمخدرات بصلة سواء من قريب أو من بعيد,فوضح فى ثقـــة و كأنه يدرى عما يتكلم:"دى حبـــوب يـــا جـــدعان مـــش حشيش,لازم تسيبوها لغاية ماتأثيرها يبان,جربوا تشغلوا حاجة Heavy Metal فى الCD Player بدل القرف إللـــى شغال ده"انتبه"نادر"لأول مـــرة إلى الـــصوت الـــصادر مـــن السماعات المثبتة فى أرجـــاء الـــسيارة,و الـــتى مـــا زالـــت

أنغـــام"إليـــسا"الهادئـــة صـــاردة منـــها,أوصـــل ال"MP٣Player"الخاص به و الذى لا يحتوى بـالطبع إلا على أغانى Heavy Metal بالمذياع حسب نصيحة"خالد"

ثم رد"مارك"الذى لم يكن قد اقتنع بكلام"خالد"من الأصل فى سخط مشيرا إلى نفسه:"خللى بالك أنت بتكلم واحد مبطل حشيش ومية (مـشيرا إلى الخمـر بأنواعـه) بقالـه سـنة و شوية, المفروض إن أنا أول واحد تعملى دماغ"

قال نادر و هو ينظر فى اللا مكان :"شكلها كـده مـش مخدرات أصلا,جايز تطلع دوا سكر مثلا,ممكـن أوى يكـون الواد إللى ضربناه ده عنده حاجة و شـايل الـدوا بتاعـه فى الجاكتة ..شوفت إنت وقع مننا بسرعة إزاى ؟"

كان خالد قد بدأ دون أن يلاحظ أن يمشى مـع وجهـة نظرهم نسبيا,فقال بصوت مرهق و هو يضع إحدى يديه على صدره :"مش عارف أنا حاسس بزى حاجة طابقة على نفسى كده,لأ هى شكلها مخدرات وكل حاجة بس مضروبة,وستفة (Stuff) تقيلة أوى"

سأله"مارك"فى اهتمام:"عايز تشرب مية؟"

قالها و هو يناوله نفس زجاجة المياة المعدنية التى كانوا قـد استعانوا بها ليبتلعوا ما ابتلعوه من الحبوب.

رفض خالد الزجاجة بلطف و قال إنه"هيبقى كويس بعد شوية"

ثم ساد الهدوء فى السيارة لفترة ليست بقليلة قبل أن يقطع مارك حاجز الصمت بضحكته:

:"هاهاها,ممكن تكون فياجرا,هاهاهاها"

ثم استكمل"مارك"ضحكته وحيدا هيستريا على"نكتته البايخة",بينما أخذ كل من"نادر"و"خالد"النظر إلى الآخر فى دهشة,فسأله ذلك الأخير :"إيه يا مارك إنت عبيط ولا إيه ؟"

لم يأبه"مارك"لسؤال"خالد"بل استمر فى ضحكه..": هاهاها,تخيل لو دى طلعت فى الأخر فياجرا,هنقعد بقى هاهاها".. نظر خالد لنادر مرة أخرى ليتأكد من أنه ليس الوحيد الذى يرى ما يحدث غريبا,لكنه هذه المرة وجد ما لم يكن يتوقعه,وجد"نادر"هو الآخر غارقا فى الضحك"فلم يملك"خالد"من أمره سوى أن يقول فى لهجةإحتفالية :

"إيه يا جدعان هى الدماغ إشتغلت و لا إيه؟"

على أنغام الأغنية: I Dissapear الصادرة من مذياع السيارة لفرقة"ميتاليكا"الغنية عن التعريف,بجانب الكثير والكثير من الأصوات المختلطة,بعضها حقيقى و بعضها لا وجود له إلا فى أذهان اختلط فيها الواقع بالخيال,فوجأ"مارك"و"خالد"بـ"نادر"و قد أخرج النصف

الأعلى من جسده من شباك السيارة الأمامى ليصرخ بـــأعلى صوته :"يا نهار إســـود علـــى دى دمـــاااااااااااااااااغ يـــا معلمى,هاهاها"

***

"على النعمة ما باين عليك حاجة والله العظيم"

قالهـــا"كـــريم"لعمـــرو ســـلامة فى ملـــل قبـــل أن يستكمل"رامى":"معلش يعنى لو إنت بـــاين عليـــك حاجـــة هنسيبك تروح و يتقطع عليك؟"

كانت المرة العاشرة التى يحاول فيها كريم و رامى أن يقنعوا عمرو سلامة بنفس المعنى,و هو أنه الآن يبدو طبيعيا للغايـــة و من المستحيل فى هذه الفترة أن تشك من مظهره أنـــه تعـــرض لأى نوع من أنواع المخدرات فى ذلك اليوم أو ذلك الأسبوع أو هذا الشهر,كان واقفا خارج السيارة أمام فيلته (بيته) مترددا أن يدخل منزله فيكتشف أهله أنه تناول الحشيش اليوم,و أخيرا اقتنع"عمرو"بفكرتهم,وودعهم,نصحه"رامى"و هو يسلم عليه:" لما تخش بيتك اطلع على أوتك نام على على طـــول متتـــربش (ماتتعاملش) مع حد هاه"

اتفق عمرو معهم و هو يبتعد تدريجيا عن السيارة على أنـــه سوف يتصل بهم فى اليوم التالى.

دخل"عمرو"إلى باب الفيللا و بالرغم إن"رامى"و"كريم"كانا بعيدين عنه فى السيارة و بالرغم من أن كلام"عمرو"مسموع لأي منهما,إلا إن هذا الأخير بدا من بعيد و هو يتكلم مع بواب"فيللا :عائلة الجراح سلامة إسماعيل"متوازنا تماما مدركا لما يقول,و بعد أن دخل عمرو إلى بيته , بدلا من أن يتحرك"رامى"بالسيارة و يذهب إلى محطته التالية فى تلك الليلة, لم يلمس حتى مفتاح السيارة,إنما وجد نفسه يدير بدلا من المُحرك وجهه ناحية"كريم"الجالس بجانبه,و يسأله:"بس أنا مستغرب من حاجة,دلوقتى إحنا كلنا لما دخلنا"إيستيمشن"عمرو شاف لينا مع حسام قعد يعيط زى العيال و نسى الدماغ إللى هو عملها و بقى زى ما إنتو شوفتوه كده,و البارودى إللى هو المفروض بارد,كان هيشيط لما شاف"ريم"قاعدة مع ولاد ميعرفهومش,إشمعنى إنت؟.. إشمعنى إنت متضايقتش ما هى"هى"كانت قاعدة معاهم برضه".

و كأن كريم كان يتوقع سؤاله,تخلص من بعض رماد سيجارته من شباك السيارة و هو يقول فى نوع من الهم :"تقدر تقول إنى كنت متزاول إنى أهدى"عمرو"و"بارودى",فماكانش عندى وقت أبين لحد إن أنا متضايق,ثانياً : كده كده حوار هنا ده"أخذ نفسا حزينا من سيجارته قبل أن يستكمل آخر كلمتين من جملته و التى عادة ما تحمل أهم معنى فى كلامه كله قائلا"مبقتش فارقة معايا" قالها و رمى سيجارته .

سأله"رامى"فى اهتمام :"يعنى خلاص,نويت إنك تفـــركش وكده؟"

استدار إليه"كريم"فى بعض الدهشة :"و هو مين كان قال إن إحنا هنفركش؟"

رد"رامى"ببساطة:"محدش قال يا كريم أنا إللـــى بـــسألك دلوقتى ؟ إنت ناوى تفركش مع هنا؟ يا إما(آه) يا (لأ)"

رد"كريم"دون أن ينظر إلى"رامى"و كأنه يكلم نفسه :"أنـــا بحبها أوى,يمكن حتى أكتر ما"عمرو"إللى كان بيعيط قـــدامك ده بيحب"لينا",بالنسبة لى أوحش حاجة ممكن تحـــصل هـــى الفركشة,دى لما بتقفش عليا كام يوم بلاقى نفسى مش طـــايق كلمة من حد,و لما بتقولللى إن هى زعلانة منى حتى و لو بهزار ببقى نفسى الأرض تنشق و تبلعنى قبل ما كنـــت أزعلـــها فى حاجة,و هى كمان,واضح إن هى بتحبنى بـــس هـــى إللـــى مابتقولش ده أو مبتبينوش"

بدا كريم وكأنه معالج نفسى محترف و هو يقول فى ذكاء:" كل الكلام ده حلو أوى و إحنا كلنا عارفينه,لسه مـــارديتش على سؤالى إنت بقى,هو أنت ناوى تفركش مع"هنى"؟"

-"لو متعدلتش معايا آه,بس مش قبل ما أديها فرصة و اتنين و تلاتة"

قالها"كريم"بحزم شديد هذه المرة,قبـــل أن يـــسود صـــمت عجيب فى السيارة,و لكن"رامى"كعادته قطع الـــصمت مـــرة أخرى بسؤال أجرأ من سؤاله الأخير"إنت ناوى تتجوز هنا يا كريم؟"

نظر كريم الذى لم يتوقع السؤال إليه و لم يدر ما يقول.

هنـــا هـــز رامـــى رأســـه بالإيجـــاب كأنـــه وجـــد فى سكوت"كريم"إجابته التى كـــان يـــشدها وقـــال فى هـــدوء مستفز:"أنا قولت كده برضه"

هتف كريم فى مزيج من الغضب والشكوى :"متقـــوّلنيش كلام انا مقولتوش,أنا فعلا ساعات بفكر إن لو كـــل حاجـــة مشيت تمام لحد سن الجواز و كـــده إنى أرتـــبط هنـــا لبقيـــة حياتى,يا إلا ماكونتش عرضت علينا حوار الخطوبة و إنـــت عارف الليلة دى إنت و'عمرو" و كـــأن كـــريم لم يقـــل أى شىء.. تمسك رامى بنفس هدوئه المستفز و هو يتمتم بصوت مسموع:"ماشى" .. ثار كريم و كانت ثورته أكبر من المـــرة الأولى و هو يسأله فى انزعاج:"إيه"ماشى"دى ؟!,لو بتفكر فى حاجة قولهالى,متقعودتش تزاولنى أنا مش ناقص"

تنهد"رامى"بثقل و كأنه مطـــرب مغمـــور قـــد أصـــبح الميكروفون أخيرا فى يده,فكر جيدا قبل أن ينطق:"متزعلش منى بس ساعات بحس إنك بتحب منى أوى و ساعات بحس إنـــك

بتخاف تحبها,و بتحط بينك و بينها زى سد أو حاجز,علشان يوم ما تسيبها تعرف تعيش من غيرها,فى كــذا موقــف أنــا حضرته على الأقل"

سأله كريم و قد قل انزعاجه نسبيا هذه المرة ليحــل محلــه الفضول:"كذا موقف؟ زى إيه مثلا؟"

رد رامى عليه فى حسم سؤاله بإجابة تتكون من كلمتين قد اشتهرتا مؤخرا ما بيننا:"لأ فُكك"

فزاد إصرار كريم و أعاد سؤاله:"لأ زى إيه بجد ؟"

كان"رامى"قد أوقع بنفسه هذه المرة فى منطقة من المناقشة لم يكن يتمنى أن يجد نفسه فيها,فصد إصرار"كــريم"بقولــه:"لأ خلاص فكك بجد أنا آسف إنى فتحت الحوار ده,أنا مين يعنى علشان أنصحك فى حوارات بنات بص عليــا أنــا و علــى التربيات (المشاكل) إللى بتحصللى فى حوارى"

سأله"كريم"فى دهاء يُحسد عليه:"هو النهاردة,قبل ما عمرو يجيلنا,لما كنا قاعدين مع"بارودى" وكنت بتكلم"يمــنى"علــى الموبايل,كانت قفلت هى السكة فى وشك و إنت قعدت تكمل عادى هياس علشان إحنا منلاحظش,صح؟"

نظر"رامى"إلى"كريم"فى شك قبل أن يضحك"رامى"ضحكة خفيفة و هو يقول فى مرح يتخلله بعض الخجــل:"مكتــنش متخيل إنك خدت بالك"

ابتسم"كريم"ابتسامة لم يستطع"رامى"أن يفسر إن كانــت تلك ابتسامة نصر أم هي ابتسامة بريئة خالية من أية شماتة,لكنه استبعد على أى حال الاحتمال الأول,بـــالرغم مـــن ذلـــك استكمل مفسرا:"لأ ما هو مكانش بإيديها,تلاقى حد دخـــل عليها و هى بتتكلم فى التليفون"

-"بس إنت مش متأكد إن هو ده إللى حصل؟"

بدا"رامى"هذه المرة هو المترعج و هو يقول:"أصله هيكـــون إيه يعنى غير كده؟"

اتسعت ابتسامة كريم و هو يرد على"رامى":"ماشى"

استدار"رامى",تجمدت ملامح وجهه للحظة ثم ضحك,هذه المرة ضحكة مدوية عندما أدرك فجأة كيـــف نجـــح"كـــريم شمس"أن يتلاعب بالحديث ليقلب موازين المناقـــشة لـــصالحه, وشاركه"كريم"فى الضحك, و لم يقاطع قهقهتـــهم إلا صـــوت أذان الفجر..سأل"رامى"كريم فى حماس :"ما تيجى نروح نصلى الفجر"

غمغم"كريم"فى ارتباك يمتزج مع الخجل:"لأ مش هينفع أنـــا مش متوضى"

اقترح"رامى"دون أن يتخلى عن حماسه :"طب ما أنا كمان، ما نطلع نتوضى فى الجامع,مش مشكلة يعنى"

قال كريم هذه المرة بشبه عصبية: لأ مش هينفع برضه.

بدا رامى حائرا تماما و هو يعيد سؤاله بإصرار: إيــه إللــى حصل مش فاهم علشان شربت حمرة يعنى؟

رد كريم بتلقائية و هو يهز كتفيه فى إستــسلام: لأ هيفــاء عملت فيديو كليب جديد.

,هنا و انفجر الصديقان بالضحك هذه المرة دون أن يقاطع ضحكهما أى شيء,و خُيل لهما أن تأثير الحشيش الذى تناولوه فى شقة رامى لم يظهر تأثيره إلا الآن,خاصة عندما اســتكمل كريم فى وسط ضحكاته"لأ ما هى هيفاء دلوقتى بقت جامــدة جدا,بقى عندها إمكانيات لا يُستهان بها بصراحة"

***

"مكانيتش كده زمان"صدرت تلــك الكلمــات الــثلاث الحاسمة من فم"مى"شقيقة"ريم",كانــا فى مستــشفى"المدينــة الطبية"فى مصطفى كامل,منذ أن وصلت الشقيقتان و"مى"تنظر إلى ذلك الزجاج الذى يفصل ما بــين ردهــة الانتظــار فى المستشفى و الحجرة المظلمة الكئيبة التى تحتوى على سرير واحد ترقد عليه أمهما فى هدوء و قد أوصلها الأطباء مــن الجــزء الأعلى من جسدها بأسلاك شفافة مخيفة من المفترض أن تقيس لها النبض و تعد عليها أنفاسها ,منذ أن وصلت"مى"و وقفــت فى تلك البقعة من المكان و هى تراقب أمها فى حزن لم تغفــل عينيها لحظة واحدة,على عكس"ريم"التى كانت قد استسلمت

للتعب و للمشاعر المختلفة و الأحداث المتناقضة التى مرت بها
فى ليلة واحدة,فنامت,و لم يوقظها من سُباتها العميق إلا صوت
أختها عندما نطقت بالثلاث كلمات الأخيرة,هُنا فقط أفاقت
من نومها,سمعت الجملة و هى نائمة فأيقظتها,كانت تحتاج أن
تسمع إليها ثانية هذه المرة لتفهم معناها"بتقوللى
إيه؟"طرحت"ريم"ذلك السؤال على"مى"و هى مازالت تطرد
من عينيها و من ملامح وجهها آثار النعاس.

استدارت"هى"إلى"ريم"و أوضحت معنى جملتها
الغامضة:"مكانتش كده زمان,كانت قوية أوى و إحنا صغيرين
كانت بتعمل كل حاجة بنفسها عمرها ما
تعبت"أدركت"ريم"لأول مرة بعد انتهاء هذه الجملة أن أختها
كانت تتحدث عن أمهما,فردت"ريم"فى حكمة تليق أكثر
برجل عجوز:"كبرتى يا هبة كبرتى ما كلنا لما هنكبر هنبقى
كده" و رغم أن ذلك الرد لم يحتو على أية إهانة إلا
أن"مى"لسبب غير واضح قد تصرفت على عكس
ذلك,استدارت إلى أختها لتكلمها وجها لوجه لأول مرة منذ
بداية تلك المناقشة واقتربت منها و هى تهتف فى سخط:"كبرت
يا"ريم"يبقى لازم نخللى بالنا منها دلوقتى زى ما هى خلت بالها
مننا زمان,و لو كان فى حد جنبها يناولها الدوا أول لما الأزمة
جاتلها مكانش كل ده حصل,المرة دى ربنا ستر,لو لا قدر الله
بعد كده حصل حاجة مش هيبقى ذنب حد غيرنا أنا

وإنتى،إحنا لازم ننظم الخروجات مع بعض بحيث إن ماما متقعدتش لوحدها أبدا،ماشى؟"

على عكس المُتوقع،لم تشعر"ريم"بأى تهديد من ذلك الاقتراح الغاضب كان التعب و الحزن و الصدمة مسيطرين عليها،لكنها وافقت تماما على كلام"مى"،إلا أن هذا لم يمنع تلك الأخيرة من الاستمرار فى الصراخ :"آه ما هو أصل كده مينفعش مش اقعد أنا بقى لسه.."قاطعتها"ريم"لأول مرة و هى تحاول أن تتمسك بهدوئها التى تتميز به :"خلاص يا"مى"ده إللى مفروض يحصل من زمان،أنا معترضتش"

نظرت إليها"مى"بغيظ،لسبب ما كانت تتمنى أن تفرغ شحنة القلق التى بداخلها عن طريق الصراخ إلا أن"ريم"بجملتها الأخيرة كانت قد نزعت منها هذا الحق،فلم تملك"مى"من أمرها إلا أن تنظر إلى أختها فى غضب غير مفهوم و كادت أن تفتح فمها مرة أخرى و لكنها هذه المرة لم تجد ما تقول،فألقت بنفسها دون أن تشعر فى أحضان شقيقتها التى تصغرها بحوالى سبع سنوات و لتستسلم ما بين يدها للبكاء،للكثير منه

***

رفض"كريم"اقتراح صديقه"رامى"بشدة،كان"رامى"قد اقترح عليه ألا يعود هذه الليلة إلى بيته و أن يبيت حتى الصباح معه فى الشقة،وأن يطلبا وجبة Delivery لشخصين من

Macdonald رفض "كريم" لأنه لم يرغب فى أى شـــىء أكثر من أن يلقى بجسده المُنهك على سريره الدافىء و يغمـــض عينيه ليذهب من ذهنه تـــدريجيا تـــأثير الحـــشيش و الحـــزن والضحك و التوتر و الغضب الذى مر بهم فى يومــــه هـــذا,أن يغلق جفنيه فلا يعود يرى شيئا سوى الظلام الهادىء المُحايـــد الخالى من أية أحداث أو أشخاص حتى ظهر اليوم التالى,بعد أن نزل من سيارة"رامى"دخل إلى"منور"سلم عِمارته المُظلم,خطـــر على باله أن يشرب سيجارة,كان يخبىء سجائره داخل شـــرخ كبير واسع فى إحدى الجدران التى تحيط بالسلم,مد يده داخل الفجوة

"أنا أخدت تلات سجاير من العلبة إللــــى إنـــت كنـــت حاططهـــا لـــو مكـــنش عنـــدك مـــانع", ارتجـــف كـــل جسد"كريم"دفعةً واحدة عندما سمع ذلك الصوت,استدار حوله فى رعب ليحدد مصدر الجملة فلم يجد إلا الظلام الذى يحيطـــه من كل ناحية,و ظل على هذا الحال لثوان,حتى شق الـــسواد نور ضعيف للغاية اتضح فيما بعد إنه صادر من شاشة موبايـــل أخيه"أحمد شمس"الجالس على درجات السلم المجـــاورة لبـــاب الشقة و بجانبه شنطة ضخمة,ابتسم كريم فى إرتباك و هو ينظر إلى أخيه و يسأله:"إيه ده,خضضتنى يـــا عـــم,مالـــك قاعـــد كده؟"قالها و هو يضغط بيده على صدره محاولا أن يهدىء من تسارع ضربات قلبه,و"أحمد شمس"هو شقيق"كريم"الذى تـــرك الإسكندرية منذ أكثر من ثمان سنوات ليستقر فى القاهرة مـــع

زوجته"مروة",هناك فى العاصمة وجد لنفسه وظيفة و كـذلك فعلت زوجته,هذا كله قبل ولادة ابنـهما"علـى",الـذى لم يكن"كريم"و أمه يروه إلا نادرا عندما يأتى إلى الإسكندرية مع أبيه فى الأعياد و المناسبات الدينية السنوية فى بعض الأحيان,لم يمنع كريم نفسه مـن الحـيرة,سـأل نفـسه عـن سـبب حضور"أحمد"أخيه فى هذه الساعة من الليل,و عن الفترة الزمنية التى قضاها جالسا فى مكانه هذا,و الأغرب من كل ذلك عـن السبب الذى جعله جالسا فى مكانه و حـال بـين دخولـه إلبيت,و جاء الرد سريعً"نسيت مفتاحى و مرضاتش أصـحى مامتك,قولت أستناك لحد أما تيجى",قالها أخيه و هو يقـوم فى تعـب مـن علـى درجـات الـسلم غـير مريحـة,رد عليه"كريم"معتذرا:"ما هى ماما مقالتليش أصلها,إنك جاى من القاهرة"قالها كريم و هو يحمل حقيبة أخيه بيده و يحاول بيـده الأخرى أن يفتش فى جيبه عن المفتاح الصحيح للشقة,رد عليه فى هذه الأثناء"أحمد"بهدوء:"لا ما هو انا جيت,على غافلة كده ماكتنش عامل حسابى يعنى"

لاحظ كريم بعد أن وجد المفتاح المطلوب و هـو يحـاول متحديا الظلام أن يدخله فى الباب,أن يداه ما زالت ترتجف أثر الظهور المرعب الغير مقصود لأخيـه,دخـلا إلى الـشقة فى هدوء,حتى وصلا إلى حجرة نوم"كريم"التى كان منذ زمن بعيد يشارك فيها"أحمد",أشعل مفتاح النور,كانت أول مرة يراه كل منهما الآخر منذ بداية المناقشة,و كأن"أحمد"قد خشى تلـك

اللحظة أشاح بوجهه إلى الاتجاه الآخر فى الثانية التى احتل فيها النور الحجرة,كان"كريم"(وإن منعته الظروف من رؤية أحمد لفترة ليست بقليلة) يعرف أخيه جيدا,نظر إليه و سأله بقلق:" مالك يا أحمد فى إيه؟"

تظاهر"أحمد"بالدهشة و هو يجيب مضطرا على السؤال الذى لا يروق له:"إيه مالى يعنى؟"

رد كريم محتفظا بقلقه و هو يحلل ما يراه أمامه و كأنه يصف حلما:"فيك حاجة مش طبيعية"

ثم قاطع نفسه عندما وقعت عيناه مرة أخرى على وجه أخيه و خاصة على عينيه التى هيأ له إنه قد رأى فيها ما لم يتمنى أن يراه يوماً فى عين أخيه الأكبر و مثله الأعلى,رأى شبح لدمعة قد أحاطت عين الأخير مترددة أن تخرج منها لتنزل على وجهه,سأله فى اضطراب إن كان يبكى,كان يتمنى أن يجيبه"أحمد"بأن النور المفاجىء قد أذى عينيه التى كانت قد اعتادت ظلام السلم لأكثر من ساعة,أو حتى أن يرد على سؤاله بالإيجاب,إلا أن"أحمد"لم يرُد,لم يعد فى حاجة إلى ذلك,فالدمعة التى كانت خائفة من الظهور قد أعلنت عن نفسها و هى تشق طريقها المبتل على خده,و شجع ذلك دمعة زميلة لها فى العين الأخرى كان"كريم"قد غفل عنها مسبقا,قال"أحمد"فى نبرة تتمايل ما بين الصوت العالى و الهمس اشتهر بها الباكئين:"كريم أنا مش عارف إنت كبير كفاية إنك تفهم حاجة زى دى ولا لأ"؟

وجد كريم نفسه يسأله فى قلق :"حاجة زى إيه؟"

"أنا طلقت مروة يا كريم"نطقها"أحمد"فى حسم و قد أفـــرد ظهره و كأنه يتظاهر بعدم الندم,سكت"كريم"للحظة,لم يجـــد بصراحة ما يقوله,فهو لم ير أخاه الذى يكبره بحـــوالى عـــشر سنوات يبكى من قبل,فاستكمل"أحمد",و قد عادت إليه لهجته التى قضى البكاء على وضوح كلماتها :"مش عـــارف هقـــول الخبر ده إزاى لماما"

نظر"كريم"إلى ما خلف"أحمد",و قال و هو يشير برأسه على أخيه أن ينظر خلفه بلهجة تهكمية حزينة:"لا مـــاتقلقش مـــن الحوار ده بقى خلاص"

لم يفهم"أحمد فى البداية معنى الجملة,حتى نظر خلفه فوجـــد أمهما,من الواضح أن الجلبة التى أحدثوها و هم فى طريقهم إلى الحجرة و صوت خبط الحقيبة الثقيلة التى كان يحملها"كريم"فى يده أيقظوها,لتقف فى المكان التى تقف فيه الآن و على وجهها كم من القلق لا يمكن أن تحمله ملامـــح شـــخص واحـــد,لم يدر"أحمد"منذ متى و هو واقفة مكانها و ما الذى سمعته بالضبط من حديثهما,و لكنه فهم من عبارة أخيه الأخيرة أنهـــا واقفـــة مكانها منذ زمن ليس بقليل,سألته :"إنت جيت إمتى؟"

ارتبك الإثنان لم يدر أي منهما إذا كان ذلـــك الـــسؤال موجها له أم للآخر,إلا أن"أحمد"رد على أية حال محاولا بكـــل

جهده أن يكون جملة لها معنى :"دلوقتى كنت .. لسه ملحقتش يعنى"

و نجح ارتباكه فى أن يجعل أمهم تتغاضى عن السؤال,و لكن لتسأل سؤالا آخر:"إللى أنا سمعته ده حصل فعلاً؟"

نظر إليها أحمد ثم حول ببصره إلى الأرض و هـــو يـــومىء برأسه أسفا,غير واجد لما يقوله,أو يفعله

الفصل الثالث

تانى يوم

من المستحيل أن يساوى حزنه على ضياع"لينا"خمسة أو عشر دقائق من البكاء,يوجد حُزن مازال دفيناً هناك,فى قلب عمرو سلامة,رد فعله الذى ظن الجميع قد انتهى على أبواب"إيستيمشن كافيه"هو فى الواقع لم يبدأ بعد , ما زال يبكى سراً فى غرفته الكئيبة يستسلم لأحلامه يرى "لينا" يقول لها شعراً , يمد إليها يده , و لكنها ليست هناك , متى سيفيق ؟

***

إنها الساعة التاسعة صباحا يوم الاثنين اللاحق ليوم الأحد وما حدث فى"إيستيميشن" , على عكس أى أب تقليدى كان المحامى"شريف الكفراوى"والد"خالد"أب (سبور) إذا صح التعبير,كان يحرص أن ينظر إليه إبنه دائما على أساس أنه صديق يشاركه أسراره و ليس أبا يخفى عنه مشاكله خوفا من العقاب,هذا هو المنهج التربوى الذى اتبعه"شريف"أثناء نشأة ابنه, فولادة "خالد"منذ ثمانية عشر عاما جائت بعد طول انتظار و نتيجة لخضوعه هو و زوجته لثلاث سنوات من العلاج فى مجال الخصوبة,لن يشعر"شريف"بالارتياح لو أضطر للصراخ فى وجه إبنه الوحيد بسبب و بدون سبب,لو فعل سيتذكر أبيه مدمن الخمر السيد"رأفت الكفراوى"و هو يصرخ فى وجهه هو

عندما كان طفلا,و سيدرك الحقيقة المرعبة أنه أصبح أباه,فـ"شريف"يكره أبيه (جد خالد),لأسباب لا يحب أن يحكيها لابنه الذى لم ير جده قط فى حياته و لم يسمع عنه شيئا,و بدلا من محاولة وصف الطريقة غير الاعتيادية التى يتعامل بها"شريف"مع ابنه,يمكنك أن تفهم كل شىء إذا رأيتهما جالسين فى إحدى الكافيهات الشهيرة.."شريف"طلب القهوة و اثنتين من فطائر"الدونات",و"خالد"بجانبه يشرب السجائر الواحدة تلو الأخرى دون خجل,بل إنه كان يستخدم ولاعة أبيه الثمينة فى إشعال كل سيجارة,لم يعترض"شريف قط,و لم يرفع عينه عن جريدة"المصرى اليوم"التى يطالعها فى اهتمام,حتى مرت فتاة ذات جسد جذاب فوجد نفسه دون وعى يترك الجريدة و مقالاتها الشاكية من أحوال البلاد ليتفرغ تماما لدراسة مُنحنيات جسمها الواضحة من تحت ملبسها الضيق و بفضل اختراع رائع يُسمى"الستوميك"كان قادرا على تحديد مكان كل شىء و حجمه دون خطأ."إيه يا شريف مالك فى إيه؟ و إللى قاعدة فى البيت دى إيه نظامها معاك"قالها"خالد"ضاحكا مشيرا إلى والدته,لم يرتبك"شريف"بل نظر إلى ابنه بانزعاج:"إنت إيه إللى نزلك معايا؟.. مش فاهم أنا,أنا جاى أفطر فى هدوء كده و أقرا الجرنان,إنت إللى خلاك تنط معايا فى العربية؟"

-"فيها إيه يعنى؟ عايز أقعد مع أبويا شوية,أنا مبلحقش أشوفك إنت طول السنة فى المكتب فى مصر"

-"ما هو كل ده علشان مين؟! مش علشان أجبلكو فلوس تخش بيها مدارس محترمة و تعيش فى مستوى كويس و لما تنزل مع صحابك الصيَع يبقى معاك فلوس تجيب بيها حشيش".. كان من عادة"شريف"أنه إذا وجد نفسه قد بدأ فى جملة جدية مع ابنه ينقذ الموقف بتحويلها إلى مزحة,ضحك"خالد"بشدة على ذلك التعليق الأخير,فاستطرد"خالد"من وسط ضحكاته:"آه و الله كام مرة قولت هابطل و بعد كده معرفتش"

بدا أبيه فى البداية و كأنه قلق من مغزى ضحكته قليلا عندما وضح لإبنه:"بص .. براحتك,أنا من و إنت قد كده- صغير- عمرى ما أجبرتك على حاجة,متتوقعش منى إنى أقولك بطل,لإنى لو عملت كده أول حاجة هتعملها هتروح تشرب من ورايا..إنت لو عايز تبطل هتبطل,بس يوم ما تبطل بقى ولا إنت ابنى ولا أعرفك"

هذه المرة ضحك الاثنان,و لم يقاطع ضحكهما إلا شرود "خالد" ... تعلقت عيناه بفتام ما ... أليست هذه هى "ريم" ليلة أمس؟

سأله أبيه :"مين إللى عدت دى؟"

-"مين؟"؟

-"هيقعد يستعبط بقى"

-"دى بنت عايز أصاحبها ارتحت؟"

-"كلمتها يعنى؟"

-"لأ"

-"ليه؟ ملاكش كلام معاها خالص؟"

-"لأ ليا بس هخللى نيفين تكلمهالى"

بدت خيبة الأمل واضحة علـى وجـه شـريف و هـو يقول:"تصدق إنك ابن كلب,و أنا إللى طول الفترة دى فاكر إنى ربيت راجل,البنت تقول عليك إيه لما تلاقيـك بتـصدر نسوان فى حاجة زى دى؟"

-"إنت مش فاهم دلوقتى مفيهـاش حاجـة عيـب,غـير أياميكوا,كده أحسن"

-"إيه أيامى دى هو أنا جاى من عصر الديناصورات ؟مـا هى قدامك أهيه ماتتنيل على عين أهلك روح كلمها,كـان فى بنت كنت بشوفها فى الكلية زمان فضلت سنة ممكن أخللى أى بنت تانية تكلمها بس إستنيت لحد مايبقى بينى و بينها كـلام علشان أكلمها أنا"

-"إنت إللى غاوى تعذب نفسك بقى أنا مالى"

استكمل شريف كلامه و كأن"خالد" لم يقل شيئا:"لما قولتلها الموضوع ده,قالتلى إن هى ممكن مكانتش تحترمنى لو كنت خليت حد غيرى يكلمها"

-"إنت عايز تفهمنى إن البنت دى محترمة يعنى؟"

ابتسم شريف فى لؤم و هو يقول: و الله أنا اتجوزتها و خلفتك إنت بقى غاوى تشتم نفسك إنت حر.

صرخ خالد من الصدمة : ماما؟ إنت ليه بتحكيللى الحاجات دى؟

رد شريف بإصرار: علشان تروح تكلمها.

حاول خالد أن يصرف إصرار أبيه بجُمل مثل"قعدة الراجل بميت ست,معقول أسيبك و أمشى علشان أروح أكلم بنت"لكنه فوجىء بأبيه يبلغه :"لا ما أنا كده كده همشى دلوقتى أنا و عمك رايحين مشوار كده"

-"موضوع العيلة ده برضه؟"

خبط شريف يده مصطنعا الدهشة :"قولتلك ميت مرة ملكش دعوة بالحاجات دى .. و بعدين إنت فى إيه و لا إيه؟ البنت هتمشى"

قال خالد بعد أن قام و هو يبتعد عن الكافيه: طيب حاضر حاضر هروح أنا,هتيجيلنا أنا و مارك و نادر النهارده قهوة "الريد" صح؟رد شريف ضاحكا و هو يرتشف القهوة: أيوه جاى روح بقى يلعن أبوك ابن كلب صحيح.

– ما حكاه "مارك"–

"أنا مش لاقية أى سبب لكل إللى إنت بتعمله فى نفسك ده يا"مارك"!!أنا لو شايفة إن العلاقة دى فى منها أمل و لو حــق واحد فى المية,كان زمانى أول واحدة موافقاك,بس بــصراحة إنت ويارا دى ماتنفعوش لبعض خالص,مفــيش أى حاجــة مُشتركة ما بينكم,و إنت فى الآخر كده كده مــش دماغهـــا علشان إنت محترم"وجهت نيفين تلك العبارة الأخيرة لى و هى تحاول أن تخفى غيظها فى صباح يوم اللاحق لمــا حــدث فى إستيميشن,عندما كنا جالسين فى كافيتريا جامعة الإســكندرية أنا و هى و معنا"نادر,"نيفين"عند نطقها الجملة تحاول إقنــاعى بالتخلى عن فكرة الاستمرار مع"يارا" التى لم تجلب لى –مــن وجهة نظرها– سوى المتاعب والفضائح المُهينة منذ أن تعرفت عليها,و أظن أن الدهشة كانت قد باتت واضحة على وجهى و أنا أوجه سؤالى إليها وإلى"نادر"الجالس معنا:"هو إنتــو ليــه بتتكلموا عنها كأنها شخصية زبالة؟!!"

هذه المرة رد على"نادر"و هو نــاظر فى ســاعته ببــساطة مستفزة و هو يهز كتفيه و يمط شفتيه فى لا مبالاة وكأن مــا يقوله ليس بيده:"لإن هى فعلا شخصية زبالة"

قالها ثم بدأ يقلد طريقة كلامه يارا بشكل مُهين,على الأقل بالنسبة إلى,فــ"نيفين"لم تترعج مما يفعله,بــل نظــرت إليــه بإعجاب ودخلت فى نوبة من الضحك حتى عجزت تقريبا على التنفس,هذا قبل أن تستلم منه الراية لكى تظهر هى الأخــرى

مواهبها الدفينة فى إهانة"يارا",ثم أضاف"نادر"بعد أن التفت إلىّ وقال بحكمة وكأنه يهون علي مصيبة ما واضعاً يده على كتفى:"أنا مش قصدى إنى أضايقك يا"مارك"بس ده مش رأيى أنا لوحدى,اسأل أى حد يعرفها"

لم أعلق على ما قاله"نادر"أو"نيفين"فأنا أعلم جيدا أنهما لن يتخليا عن رأيهما فى شخصية"يارا",كما أن"نادر"لم يعطنى الفرصة لكى أفعل ذلك على أى حال,فاللحظة التى كان قد أنهى فيها جملته الأخيرة هى نفس اللحظة التى قام فيها من على مقعده و حمل فى يده كراسة محاضراته التى لا يكتب فيها شيئا (و لا تحتوى إلا على رسومات شيطانية دموية رسمها هو) و هو يستكمل:"أنا على فكرة محاضراتى كلها خلصت من زمان و قاعد معاكو كده من غير لازمة"

ألححت عليه بالبقاء معنا إلا أنه رفض طلبى:"معلش هموت و أنام,مطبق أنا أصلى,و بعدين أنا كده كده هقابلك إنت و خالد فى"الريد"النهاردة"

-"بقولك إيه عايزين نكمل البولة بتاعة إمبارح,متجيش على آخر ثانية و تتمن.."

قاطع نادر مستعجلا اللفظ الخارج الذى كنت على وشك أن أستخدمه:"خلاص ماشى ماشى، سلام"

رحل"نادر"و أصبحت أنا و"نيفين"وحدنا,ربما هذا هو الوقت المناسب لمفاتحتها فى موضوعى.

***

– ما حكته نيفين–

بعد رحيل"نادر"و بعد أن أصبحت أنا و"مـــارك"وحـــدنا تماما,ربما فى مكان مزدحم و لكن من الصعب أن يستمع أحد إلى حديثنا,و رأى أنها أفضل فرصة لـــه ليبـــوح لى عمـــا فى صدره,كان يريد منى أن أذهب إلى"يارا"و أن أحاول جاهـــدة أن أُصلح فيما بينهما,اقترب منى بكرسيه ..صوته الآن أقـــرب إلى الهمس: بقولك إيه يا نيفين!!..

لم اتح له حتى الفرصة لكى يُكمل جملته,فهمته كعادتى قبل أن يتكلم,فوجدت نفسى أعترض على كلامه الذى كان ينوى أن يقوله و أرفض طلبه الذى لم يطلبه بعد

"مش هكلمهالك تانى يا مارك، إنت قوللتلى المـــرة إللـــى فاتت إنها آخر مرة"

و كأن"مارك"كان يتوقع إجابتى هذه,بل إنه قد رتب لها ردا مُسبقا :"على فكرة أنا ممكن أخلي أى حد يكلمها ، أنا بـــس خايف,إنتى ..عارفة إنتى بقى الناس إللى بتحب توقع,و بعدين يارا بتحترمك إنت بالذات بقى على فكرة,و بتعتـــبرك مثلـــها الأعلى فى الحياة,و نفسها تبقى زيك,آه بجـــد نفـــسها تبقـــى زيك,حتى هى مرة قالتلى يا مارك أنا نفسى أبقى زى نيفين"

– سورى يا مارك بس أنا مش هاحط نفسى فى الموقف ده تانى,أنا آخر مرة رحت كلمتها حسيت إنهـــا عـــايزة تتـــف

عليا,البنت دى أساسا أنا مبطقهاش من أيام المدرسة,و هى عمرها ما كانت بتطيقنى,فيا ريت تبطل زن فى الموضوع ده"

-"طب هعزمك على العشاء"

أنساق أنا لرغباته الأخوية مهما تعارضت مع رغباتى أنا,عندما يتضمن الموضوع خروجنا معا, و قد فهم هو ذلك على ما يبدو,سألته ضاحكة:"إيه يابنى هو أنا مش لاقية آكل مثلا ؟ هتعزمنى على العشا أقوم أروح أكلمها على طول,إنت عبيط يا مارك؟"

- طب سينما و عشا و كده هظبطك يعنى,متبقيش طماعة بقى

- مرسيه أوى على العزومة الجامدة دى بس مش هقدر سورى

-علشان خطرى,هو أنا ماليش خاطر عندك؟

تلك العبارة ..التى تقتلنى ببطء,تلك الجملة التى تعذبنى و تقطعنى من الداخل,هل يدرك هو تأثيرها علي ؟أم أنه قد اعتاد أن كل مطالبه تُجاب عند نطقها؟ تسمرت فى مقعدى .. سكتت لم أدر ما أقول.

"بقولك علشان خطرى"

ها هو قد قالها لثانى مرة,هل هو معدوم الإحساس تماما؟هل يستمتع بينه و بين نفسه بتعذيبى ؟

ابتسم و ابتسمت لابتسامته ليبدأ فصل جديد من معاناتي,و التي لا تبدو أنها سوف تنتهي,على الأقل ليس قريبا.

***

"طب إنت خلاص هتستقر هنا في إسكندرية؟"

طرح"كريم"ذلك السؤال صراحةً على أخيه,كان الاثنان قد استيقظا مُبكرا,أو بمعنى أصح لم يناما سواء هما أو أمهما من ليلة البارحة,فجرت العادة أن الأرق هو نتيجة طبيعية للغاية تأتي بعد أي حدث لا نتوقعه,جاءه رد أخيه مصحوبا بابتسامة خفيفة:"ده لو مكنش عندك مانع يعني"

-"لأ أكيد معنديش مانع,إيه إللي هيضايقني في حاجة زي كده؟بالعكس,طب وهتشتغل فين؟"

-"في نفس المكان إللي كنت بشتغل فيه قبل ما أسافر على طول"

-"بس هم هيرجعوك الشغل تاني عادي كده؟"

-"الموضوع خلص خلاص و أنا جاي من القاهرة إمبارح كلمت ناس معارفي ,أنا ممكن أبتدي الشغل من بكرة لو عوزت"

- OKحلال

كان من الواضح أنه أراد أن يقول شيئاً آخر

- "كنت عايز تسألني عن إيه يا كريم ؟"

-"ولا حاجة"

-"كريم اخلص، أنا مش ناقص"

-"ولا حاجة والله,هو بس كنت عايز إيه إللى هيحصل فى موضوع"على"ابنك هتعمل فيه إيه؟"

نفس السؤال الذى قضى"أحمد"ليلته محاولا العثـــور علـــى إجابة له,عقد"أحمد"يديه أمام صدره و هو يقول بفراغ صـــبر واضح:"مش عارف إيه إللى هيحصل,ربنا يستر,هارجع مصر تانى الأسبوع ده علشان أجيبه,و بعد كـــده هاعمـــل اللـــى مايتعملش علشان على يفضل هنا معانا"

كان"كريم"شأنه شأن أى شاب فى الثامنة عشر من عمره لا يجيد التصرف فى مواقف اجتماعية حساسة كتلك"إن شاء الله كل حاجة هتبقى تمام"

قالها"كريم"هذه المرة خالية من أي سؤال أو افتراضـــات.. ساد الصمت فيما بينهما لفترة قبل أن تقطعه"رنة"هاتف كـــريم الجوال,أخرج الهاتف من جيبه و

-"أيوة يا بارودي"

- ..

-"لا أنا مش فاهم منك حاجة,واحدة واحدة,فهمنى إيـــه اللى حصل بعد ما مشينا من إستيميشن بالظبط؟"

منذ أن رحل"شريف"و غادر"كارفور سيتي ستارز"منذ حوالى ساعة و نصف و"خالد"يمشى وراء"ريم"فى كل مكان تتجه إليه,و ينتظر على باب كل محل, يراقبها, لم تلاحظ هى وجوده, لم يقرر هو كيف يبدأ الكلام معها,ماذا يقول ؟و فى أى مناسبة؟حتى عزم أمره

كانت"ريم"وقتها داخل إحدى المحلات الملابس الشهيرة فى المكان مُندمجة تماما فى التطلع إلى الملابس و قد استهلكت المُقارنة ما بين الموديلات كامل تركيزها,حينما أتى"خالد"من وراءها,و قال و هو يقلد بائعى الملابس:"مساء الخير يا فندم ، حضرتك بتدورى على حاجة معينة و لا بتتفرجى على إللى موجود؟"

كانت خطته أن يبدأ كلامهما عن طريق المزاح,و لكنها بدأت تعامله و كأنه يعمل بالفعل فى المحل ردت دون أن تنظر إليه:"لأ كنت بتفرج"ثم قاطعت كلامها بنفسها عندما وقعت عيناها على وجه محدثها فوجدته ذلك الفتى التى كانت قد قابلته البارحة فى إيستيمشن كافيه,فلم تمنع نفسها أن تسأله"إيه ده إنت بتعمل إيه هنا؟"إبتسامات خجولة و صمت غير مريح , لم يدر أي منهما ما يقوله,و عندما طالت تلك الفترة سألها"خالد"السؤال الذى يعرف هو إجابته مُسبقاً:"هو أنتى جاية هنا لوحدك و لا معاكى حد؟"

***

- ما حكاه كريم شمس -

عندما استقبلت مكالمة"محمد البارودى"الهاتفية فى الصباح الباكر,توقعت بحكم العادة و بحكم خبرتى بشخصه : أن يكون الحشيش متورطا فى الموضوع,ماذا غير ذلك يجعل شخصا مثل البارودى الذى اشتهر بالسهر فى كل مكان و الأستيقاظ متأخرا يتصل فى مثل تلك الساعة الباكرة فى الصباح؟لكى أكون صادقا معكم لم أتوقع قط ما سمعته من"محمد البارودى",سواء ما سمعته على الهاتف أو ما سمعته من البارودى شخصيا .. قابلته فى"قهوة المصريين"التى تقع فى منطقة"فلمنج"و التى يحب"البارودى"و مُعظم طالبى الأكاديمية العربية أن يجلسوا فيها لسبب غير مفهوم على الأقل بالنسبة لى,و"المصريين"هى مكان لا تستطيع فعلا ان تحدد إن كان قهوة بالمعنى الشعبى أو كافيه بالمعنى المعروف,فهى فى مستوى يقع بالظبط ما بين"قهوة المعلم كيخا"فى منطقة رشدى (و التى تحولت لتوها إلى"كيخا كوفى") و بين الكافيهات"النضيفة",عندما دخلت إلى المكان وجدت البارودى كما توقعت فى مكانه المُفضل فى آخر رُكن فى القهوة..حكى"محمد"لى كل ما حدث له بعد رحيلى مع"رامى"و"عمرو". و عجزت أن أخفى دهشتى و أنا أنظر إلى صديقى ضخم البنية,و كأن"محمد"قد قرأ أفكارى فرد على السؤال الذى خشيت أن أسأله,أو بمعنى أدق خجلت أن أسأله:"ما هو طبيعى هو ده إللى يحصل,هما أربعة و أنا واحد ما أنا مش هالك Hulk أصلى بروح أمى يعنى"

-"طب و صحابك بتوع الكلية كانوا راحوا فين؟"

-"مين ؟ هانى و العيال دى؟ ما هم كانوا مشيوا بقى راحوا قعدوا فى السيبر بتاع هانى.. هو إنت مش قولتلى إنك هتروح توصل عمرو و تيجى تانى؟مرجيعتش ليه صحيح؟"

-"و لا حاجة كسلنا,اتصلت بيك علشان أقولك إنى مش جاى و إنت مرديتش,و إنت إزاى حاجة زى دى تحصل متصلتش بينا ليه؟"

-"مكنتوش هتلحقوا ترجعولى كده كده,على العموم مش مشكلة"

-"إنت إزاى بتتكلم بهدوء كده ؟ أنا لو حوار زى ده حصلى,مش ههدى غير لما.."

علا صوتى دون قصد أو تخطيط

فطلب منى البارودى بعصبية:"ممكن توطى صوتك شوية؟,مش لازم الكافيه كله يعرف إن أنا انضربت و اطبقت منى حاجات,بلاش الغباء إللى فى دم أهلك ده"

-"طب هتعمل إيه دلوقتى؟"

-"و مين قالك إنى لسه معملتش؟ أنا حقى جاللى لحد عندى و أنا قاعد مكانى حاطط رجل على رجل"

**

وصل ميكروباص إلى موقف السيارات الخـــاص بجامعـــة الإسكندرية,توقف ثم خرج منه شباب يبلغون من العمر ما بين الخامسة و التاسعة عشر,من الواضح لناظرهم أنهم فقـــراء,و أن ظلم الزمان و آثار المعيشة الضنك على أجسادهم و وجوههم التى لم تخل من آثار الجروح,كانوا عندما نزلوا من الميكروباص يبحون عن شيء بعينه,شيء من الصعب إيجاده فى مكان واسع كهذا,فقسموا أنفسهم إلى مجموعات و تحركت كل مجموعة فى الباركينج,و ظلوا على هذا المنوال حتى صرخ أحدهم و هـــو يشير إلى سيارة من نوع أوبل فيكترا موديل ٢٠٠٨ :"هى دى العربية؟"

****

- ما حكاه نادر -

"يا نادر فكك بقى !,أنا و نيفين محاضراتنا هتبتدى كمان عشر دقايق ربع ساعة بالكتير,متحاولش تقنعنى إن هى دى إلى هتفرق معاك ؟!"قالها"مارك"معترضا محاولا إقناعى بالبقاء معه و مع نيفين فى الحرم الجامعى,رفضت مضطرا فقد كان النوم قد أوشك أن يغلبنى, عندما خرجت من مبنى"جامعة الإسكندرية",كنت بالكاد قادرا على المشى فى ذلك الجو الحار, لم أستطع أن أنتظر حتى أريح ظهرى على مقعد السائق فى سيارتى"الأوبل فيكترا"الجديدة و أن أستمتع بتشغيل جهاز تكييفها البارد اللذيذ,لاحظت زحاما شديد,و أؤكد لك أنه لولا قرب ذلك الزحام من مكان سيارتى ما كنت كلفت نفسى بالسؤال عن سبب هذا التجمع لأصعق أنا بالمفاجأة الكبرى,و لأكتشف أن تلك السيارة التى تكسرت حتى تحولت إلى خردة هى سيارتى الجديدة, لم أصرخ, لم أغضب, لم أسأل حتى عن مواصفات هؤلاء الذين فعلوا ذلك بسيارتى,بالطبع لو كنت فى حالتى الطبيعية لأردت أن أقوم بكل تلك الأشياء,و لكننى لم أكن كذلك,تجمدت ملامح وجهى لفترة طويلة,أصابها التشنج و الإذهلال الشديد,سقطت من يدى كراسة المحاضرات و بقية أدواتى ..و لم أشعر من فرط الصدمة

وجدت نفسي — دون وعي مني - أضحك مما حــدث مــن سبيل أن"شر البلية ما يُضحك",و أعترف أن شكلى كان غريباً بالفعل,كنت قد وقعت على ظهرى من فرط الضحك جانــب حطام سيارتى التى كانت جديدة منذ دقائق,ظن الجميع أننى قد فقدت عقلى,و شعرت لسبب أجهله وأنا فى وسط ضحكاتى أن ما حدث للسيارة له علاقة بمــشاجرة اليــوم الــسابق فى إيستيشمن.

***

"مكانش ينفع نعمل القعدة دى معاهم فى يوم تــانى؟"بــدا صُبحى أخو"شريف"الكفراوى الأكبرو هو يقولها وكأنه طفل صغير يشكو إلى أمه و يطلب منها عدم الذهاب إلى المدرسة,و جاءه رد شريف فاتراً للغاية خاليا من أى تعاطف:"ينفع و كل حاجة بس أولا أنا سايب شغل المكتب و جيــت إســكندرية مخصوص علشان الموضــوع ده ثانيــا هنقعــد نأجــل لحــد إمتى؟"قالها"شريف بملل,من الواضح أن تلك لم تكن المرة الأولى الذى يطلب فيها"صبحى"من أخيــه المحــامى التنحــى عــن هذا"المشوار",كانا واقفين أمام فيللا الكفراوى,فيللا عائلة أبيهم التى تقع فى ضواحى المدينة,و التى هى عبارة عن قصر و حديقة تم بناءهما قبل قيام الثورة بسنوات عديدة,و هو البيت الــذى يعيش فيه الآن بعد موت أبيهم"رأفت الكفراوى"أولاد عمهــم عبد الرحمن الكفراوى رجل الأعمال الشهير و شريكه فى كل

أعماله أخيه حامد الكفراوى و أخيرا و ليس آخرا"الداما"ليلى هانم الكفراوى,كان"شريف"دائما ما يشبهها بـــ"داما"(بنـــت) الكوتشينة,هى تشبهها فى كل شىء هى هانم أو ليدى بـــالمعنى الحقيقى للكلمة و النادر وجوده فى زمننا هذا,و كأنها وقعـــت من مسلسل"هوانم جاردن سيتى",بملابسها البسيطة الأنيقـــة و طريقة كلامها المسرحية التى تتناسب مع مـــشيتها و ملامـــح وجهها.

استكمل شريف فى ضجر و هو يضرب جرس الباب بعـــد أن تجاوز البوابة الحديدية للحديقة بالسيارة:"الموضوع ده لازم يخلص كفاية أوى عليهم كده"

لم يجب"صُبحى"بل نظر حوله إلى المكان المُـــوحش رغـــم خضرة حديقته,إلا أنه بدا كهذه القصور التى تظهر فى أفـــلام الرعب,تلك التى تسكنها الأشباح منذ زمن بعيد,أشباح مـــن نوع آخر,أشباح ذكريات الطفولة التعيسة و العائلة التى تكرهه هو وإخوته دون سبب واضح هز"صُبحى"رأسه أكثر من مرة و كأنه ينفض عنها تلك الأفكار الكريهة قبـــل أن يغمغـــم :"فى حاجة بتجيبلى اكتئاب كل ما أشوف البيت ده"

التفت إليه شريف وهم أن يقول شيئا,و لكن قاطعه فـــتح الباب ..كان من الواضح أن شخصا ما قد أوضـــح مـــسبقا

للخادمة الفيليبينية أنهم قادمان فى هذا الموعد تحديدا,قالت بلغة عربية ركيكة:"هما مستنينكو,اتفاضلوا"

دخلا ورائها,أجلستهما فى صالون فخم,و نظر كل منـــهما إلى المكان من الداخل,بعض التغييرات هنا و بعـــض الأثـــاث الجديد هناك,تم استبدال التليفزيون بشاشة ضخمة مـــن نـــوع الـــLCD و لكن فى المُحمل كان المترل هو هو,لهم فى كـــل ركن منه ذكرى سيئة,أتى خادم,هذه المرة يتكلم العربية بشكل طبيعى,مال صُبحى على أُذن شريف و همس:"شوفت القنعرة ؟ أهو هيفضلوا يلطعونا ساعة زى كل مرة,اتفضل يا عم!!,مش إنت إللى كنت مصمم تيجى؟"

قال"شريف"ببرود مقصود و هو يضع إحدى ساقيه فـــوق الأخرى:"على أقل من مهلهم,أنا مش منقول من هنا غير لمـــا أقابل حد فيهم,يا إما نتفاهم بالعقل يا إما نتفاهم فى المحكمة"

التفت إليه"صُبحى"و سأله بدهشة:"هو أنت برضه لــــسه فى دماغك موضوع القضية دى؟"

رد عليه"شريف"فى مزيج من الاستعجاب و الغضب و كأن ذلك الأول قد وجه له إهانة لا تغتفر:"إنت بتقول إيه ؟ طبعـــا لسه فى دماغى القضية,أنا دخلت كلية الحقوق بـــس علـــشان أرفع القضية دى بالذات !!"

"طب اسكت بقى"قالها صبحى و هو يشير برأسه سلم الفيلا,ليجد شريف"ليلى"التى قد تعدت العقد الخامس من عمرها تنزل إليهما,قام هو و أخوه أدبا"عامل إيه يا صبحى إيه الأخبار؟"

رد صبحى على سؤالها مُبتسما: الحمد لله يا ليلى إزيك إنتى؟

و لأنها بطبعها لا تحبذ أن تعرض نفسها للإهانة أبدا,كانت قد بدأت بالسلام على صُبحى أولاً,فهو قادر على وضع الخلافات العائلية جانبا و التحدث بشكل لبق و أنيق يناسب الموقف,تبين لها ذلك بعد أن قابلته مع عائلته مصادفة فى أماكن عدة مثل الـ"كلاب هاوس"فى نادى سبورتنج,و فى مطاعم النادى اليونانى و دار أوبرا"سيد درويش"فى محطة الرمل,على عكس"شريف"الذى يبدو عليه التهكم كلما رآها هى أو أى شخص من العائلة,حتى إنها لا تعرف كيف يبدو و هو مُبتسما إلى عن طريق برامج التليفزيون التى يظهر فيها بإستمرار,سلمت بعدها على"شريف"فرد بلهجة خالية من أى عاطفة أو شعور :"أنا كويس"

و ما لا يعرفه الكثيرون عن"شريف الكفراوى"أنه كان أهم مُمثلين فرقة التمثيل المسرحى فى كلية حقوق أيام شبابه و أكثرهم موهبة,حتى إن أحد كبار مُخرجين السينما كان قد رآه فى مُسابقة الكليات عام ١٩٨٥ عرض عليه جديا التمثيل

إلا ان"شريف"رفض الفكرة لأنها سوف تعطله عـــن دراســـة المُحاماة,و ليس من الغريب أن"شريف"الذى كان يُفتـــرض أن يكون مُمثلا موهوبا قد أصبح من أنجح المُحامين,فالمهنتان (مهنة التمثيل و مهنة المحاماة) مُتشابهتان إلى حد كبير,كلاهما يرغمان صاحبهما على الاهتمام بشكله ومظهره الاجتماعى أمام الناس و أن يتمتع بالقبول الكافى لدى مستمعيه و مُشاهديه, المحـــامى يجب أن يجيد التحكم بصوته و تعابير وجهه ليوصل إلى القاضى الانطباع المطلوب تماما مثل المُمثل,فأصبح"شريف"بعد ســـنين طويلة من ممارسة هذه المهنة قادرا بشكل مُدهش على التحكم فى أعصابه و مشاعره و تغيير ملامحه حسب الموقف,كما كان يُجيد أكثر من كل ذلك قول العبارات ذات الأكثر من معـــنى التى تبدو لك مسالمة و روتينية للغاية خالية مـــن أى هـــدف ولكنها قيلت لكى توصل إليك انطباعا مُحددا اختاره شريف ببراعة,أو طرح الأسئلة التى لا ينتظر شريف منها إجابة أكثر مما ينتظر ردة فعل محدثه تماما كذلك السؤال الذى طرحـــه علـــى ليلى :"أُمال حامد و عبد الرحمن مجوش يقابلونا ليه ؟ هو إحنا مش واخدين منهم ميعاد؟"

أجابته ليلى بارتباك و هى تحاول أن تتصنع المرح:"فى إيه يا شريف ؟ هو أنا مش كفاية قدامك ولا إيه؟"

رد"شريف"و هو ما زال مُحتفظا ببروده و نظرات عينيـــه القاتلة التى لا تتناسب مع طريقـــة كلامـــه:"لأ العفـــو إزاى بس..بس إحنا كنا واخدين ميعاد منهم هما يعنى"

قالت ليلى و هى تجلس و تشير إليهما أن يجلسا: أنا إللى قولتلهم إنهم مايجوش و إن أنا إللى أقعد معاكم.. إنتو أول ما بتشوفوا خلق بعض الأمور بتتعقد و مابتتحلش تانى,أنا قولت بما إنى أكتر واحدة قريبة منكم فى العيلة,يبقى أنا إللى لازم أكلمكم و نحاول نحل المواضيع بشكل ودى"

هُنا علق"صبحى"بابتسامته المبالغ فيها التى اشتهر بها:"و إحنا مش طالبين أكتر من كده"

لبس شريف نظارته كما اعتاد أن يفعل قبل البدء فى مناقشة قضية ما و قال بلهجة عملية:"بصى يا مدام ليلى"

- "مدام ليلى مين يا شريف؟إيه مدام دى؟!!.. هو إنت ليه دايما مُصمم تعمل تكليف ما بينا"

"معلش يا ليلى سيبيه على راحته",قالها"صُبحى"الذى خشى أن تكون تلك الحادثة التافهة شرارة لبدء خلاف آخر ما بينهما

أستكمل شريف : ليلى هانم إحنا مابنطلبش حاجة مش من حقنا,كل إللى إحنا طالبينه هو الميراث الشرعى,من إللى بابا سابه قبل ما يتوفى"سكت عن الكلام للحظة ليفتح شنطة أوراقه و يخرج منها ورقة صفراء متهالكة,فقرأ منها مُستكملا باللغة العربية:"و التى تقدر عند تاريخ الوفاة بسبعمائة و خمسين ألفا

فقط لا غير,أنا علشان تعرفى إحنا مش بندور على مشاكل,أنا مش هاحاول أقارن المبلغ ده يساوى كام النهارده"

و بدا القلق على ليلى بوضوح هذه المرة و هى تقول:"خللى بالك يا شريف إنت بتتكلم فى مليون إلا ربع"

-"أنا بتكلم فى حقنا"قالها"شريف"فى حسم و غضب فى آن واحد.

***

"لأ متقلقش هى كويسة دلوقتى,يا إلا مكانتش قاعدة معاك دلوقتى كان زمانى فى المستشفى لسه"مى"أختى هى إللى قاعدة جنبها النهاردة"ردت"ريم"بتلك العبارة على سؤال"خالد الكفراوى"الذى تصنع القلق على حالة والدتها الصحية بعد ما حكت له لتوها ما حدث عندما وصلت إلى البيت و ما وجدته هناك,منذ أن قابلها و الكلام ما بينهما لم ينقطع , ما الذى دفعها إلى إطلاع"خالد"الذى لا تعرفه إلا منذ أقل من يوم على معلومة شخصية للغاية كذلك السر؟هى ليست بلهاء و ليست ممن"ما فى قلبهم على لسانهم",هى اشتهرت منذ صغرها بالدهاء و اللباقة و اختيار الكلمات المناسبة لكل موقف و كل شخص,فما الذى جعلها تفصح له بذلك؟!!,ربما هى"الكاريزما"أو القبول.. هناك احتمال أخر أرجحه على أساس معرفتى القديمة بشخصيتهما(ريم و خالد) فى رأيى أن

كل ما حدث ببساطة شديدة هو أن"خالد"تواجد فى المكـــان المناسب و فى الفترة الزمنية المُناسبة,تلك الفترة الـــتى تبحـــث فيها"ريم"عن شخص تحكى له مشاكلها "بس كويس إنك أول ما لقيتى فرصة جيتى كارفور تفصلى و كده"قال هـــو تلـــك الجملة,و وافقته هى على وجهة نظـــره,ثم احتـــل الـــسكوت الحديث,توقف الاثنان عن الكلام ليخيم عليهما الصمت التـــام الذى لا يتخلله إلا صوت الأغانى الصادرة من مذياع الكافيه,و لكن هذا الصمت كان مختلفا عن أنواع الصمت التى قابلتنـــا أثناء الأحداث السابقة للقصة,هو لـــيس صـــمت خجـــل,أو دهشة,بل هو ذلك الصمت الذى يلتزمه صاحبه ليرتب جملتـــه القادمة عندما يُقبل على أن يتكلم فى موضوع حساس قابـــل للاشتعال,إنه صمت الحكمة و هدوء التأنى,شعر كلاهما داخل نفسه أنه يريد أن يتكلم عن مُشاجرة البارحـــة,كلمـــا نـــوى أحدهما أن يتكلم,أسكت نفـــسه بنفـــسه,خـــشية إغـــضاب الآخر,هى تشعر أن الموضوع وصل إلى ما وصل إليه بـــسببها, و هو يشعر أنه قد أهانها و لو بشكل غير مُباشر عندما ســـب و ضرب صديقها السابق.. و أخيرا بدأ هو بالكلام.

"بصى يا ريم بخصوص إللى حصل إمبارح,مش موضـــوع مامتك,الخناقة و كده,إحنا آسفين محدش منا كـــان عـــايزك تشوفى حاجة زى دى,بس هو محمد ده ولا معرفش اسمه إيـــه إستفزنا,دخل يشتم و بتاع,مكانش قدامنا حل تانى"

-"و مين قال إن أنا مهتمة باللى يحصلوا؟!!"

رجع بظهره فى كرسيه فى مزيج مــن الدهــشة الظــاهرة و الفرحة الخفية:"لأ سورى واضح إن فى حاجة أنــا فهمتــها غلط هو مش إنتِ و بارودى متصاحبين"

صححت ريم:"كنا,كنا متصاحبين,أنا لو فى حاجة ضايقتنى يبقى منظر الضرب و كده عامة مبحبش أتفرج على حاجة فى عنف"

-"لأ ما هو بصى بالطريقــة إللــى كلمــنى و كلمــك بيها,مكانش فى حاجة تانية ممكن تتعمل,محدش كــان يقــدر يشوف كل ده قدامه و ميعملش حاجة .."

-"إسمعنى حسام يعنى إللى هو المفروض عصبى بزيادة عرف يعدى الموضوع؟"

أوضح و هو يلوح بيده فى غير اهتمام:"ده حــسام بقــى محدش عارف بيفكر إزاى"

-"هو إنتو مش طايقين حسام ليه؟"

مط خالد شفتيه و قال فى لا مبالاة مقصودة:"لو كنا مــش طايقينوه مكناش سيبناه يقعد معانا,إيه إللى خلاكــى تقــوللى كده؟"

-"معرفش مابتتعاملوش على أساس إنكو دفعة واحدة يعنى"

-"لأ لأ عادى,هو إنتى تعرفى حسام ده منين أصلا ؟"

-"يبقى قريب لينا,و المفروض صاحبها يعنى"

-"لينا إللى قصيرة بزيادة دى؟"

أوضحت ريم:"لأ دى هنا,لينا إللى هى شعرها إسود كيرلى طويل كده"

-"آه ممكن برضه"

سألته ريم ضاحكة:"يعنى إنت مش فاكر اسم أى حد مـــن إللى كان قاعد إمبارح فى إستيميشن غيرى؟"

رد ضاحكا:"علق معايا بقى"

و كانت هذه هى بداية علاقة"خالد"بــ"ريم",لم يكونا قــد وصلا بعد إلى ما وصلا إليه الآن,فى اللحظة التى كُتبت فيهـــا تلك السطور

***

من السهل أن نكره و لكن الصعب أن نكره بذكاء تمامـــا مثل"شريف الكفراوى",فكارهو عائلة"الكفـــراوى"كـــثيرون للغاية,و لكن شريف كان أذكى من يكرههم و أقدر كارهيهم

قدرة على إلحاق الضرر بهم,رغـــم إنـــه فى الأصـــل واحـــدا منهم,على الأقل من الناحية (التناسلية)

- محدش قالك تسيب حقك,أنا بس بقول إنك تصبر على المبلغ ده شوية.

قالتها"ليلى"هانم و هى تحاول أن تحافظ على هدوئها وسط الكثير من النظرات الجانبية لـ"صبحى",نظـرات رجـاء أن يتدخل ليهدىء الموقف,و لكن"شريف"على أى حال لم يعطى فرصة لأخيه,قاطعها بلهجة استفزازية:"حضرتك بتقترحى علينا إن إحنا نستنى على المبلغ ده قد إيه مثلا ؟"

-"سنتين..أو ممكن تاخده على دفعات..مش كل المشاريع بتاعة العيلة بتكسب,و إللى فضل حامد و عبد الرحمن صرفوه على مشروع القرية السياحية إللى فى الساحل الشمالى"

و كانت هذه هى اللحظة التى انتظرها شريف,لقـــد جـــاء الاعتراض من جانبهم رغم التسهيلات التى حاول تقديمها,الآن فقط يستطيع أن يريح ضميره و يقنع نفسه بأنه قد حـــاول و الحقيقة أنه كان يعرف المشاكل المادية التى تواجهها مـــشاريع العائلة,بل حتى إنه كان له أكثر من جاسوس داخلى في أهـــم المراكز فى شركات مجموعة الكفراوى,قد اختار هذا التوقيـــت تحديداً للزيارة دون أى وقت آخر,هو يعلم أنهم لن يـــستطيعوا أن يدفعوا له حقه الآن ما أراد أخاه أن يراه و يشهده,قبـــل أن

يرد"شريف"بهم و خيبة أمل صناعية :"ليلى هانم أنا آسـف,ده حقنا,إحنا مش بنشحت علشان تدولنا حسنة أول كل شهر,أنا مضطر أرفع قضية"

- حاجة زى دى ممكن تسوء سمعة العيلة يا شريف خللـى بالك

-أنا آسف دى مش مشكلتى,حضرتك قوليلى حل تـانى مقنع و أنا أعمله.

التفتت"ليلى"هذه المرة إلى صُبحى و طلبت منـه التـدخل صراحة قائلة:"جرى إيه يا صبحى ؟ ما تقول حاجة لأخوك"

ثم عادت برأسها إلى شريف:"أنا عمرى ما تخيلت يا شريف إنك هتتخرج من حقوق علشان تيجى ترفع قضية عليا أنا"

حاولت بلباقة و هى تنطقها أن تضيف إليها نكهة مرحة إلى الجملة لتخفى الإهانة فى حق شريف,إهانة لا تقصد أن تذله بها و لكنها حقيقة,حقيقة إن فى عام ١٩٨١ عندما كان شريف فى عامه الثانى فى كلية الحقوق,بـدأت هـى بتحمـل نفقـات دراسته,بجانب الكثير من المساعدات المادية قبل المعنوية.

هو يعلم أنها لا تقصد المعايرة و لكنه أُحرج رغم ذلك,عدل نظارته على وجه و قبل أن يفكر حتى فيما يقول,قاطع حديث ثلاثتهم فتاة فى حوالى التاسعة عشرة من عمرها,رمقتـه هـو

و أخيه بنظرة قلق أو فضول,و مالت إلى أذن"ليلى"هانم دون أن تسلم عليهما,طرحت السؤال على"ليلى"هانم بالفرنسية :"طنط أنا كنت عايزة مفتـــاح الجيـــب" Je veux le cle du JEEP ردت ليلى عليها بصوت عربي غطاه الإحراج: طـــب سلمى على الضيوف الأول,دول ولاد عم باباكي؟

نظرت الفتاة إليهما غير مكترثة قبل أن تتمتم بـــصوت لا يكاد يكون مسموعا"أهلا و سهلا"

ابتسم"صُبحى"إبتسامة صفراء بينما لم يكلف"شريف"نفسه حتى بالنظر إلى الفتاة بل تظاهر بترتيب أوراقه,كان هذا أقل رد ممكن,لتلك الفتاة التي تتكلم أمامه بالفرنسية و كأنه خـــادم لا تريد أن يفهم كلامها,صحيح إنه خـــريج مدرســـة"ســـان-مارك"الفرنسية و لكن هذا لا يغير من الأمر شيئا.

سألت"ليلى":"وهى عربيتك إيه إللى حاصلها؟"

Mais,pourquoi tu n'a pas pris ton voiture? Est-qu' elle ne marche pas ou quoi?

-: مالهاش أنا بس كنت عايزة آخدها النهارده أنا متفقة مع بابا على كده.

Non Non elle n'a rien mais j'ai finallement convincu papa de prendre La"LAND-ROOVER"au jourdui

-: طب عدى خدى المفتاح من عم مصيلحى,ماتتاخريش هه.

ظل"صُبحى"على ابتسامته البلهاء حتى رحلت الفتاة,فسأل"ليلى"و هو مازال بشوشا بدون سبب أو تفسير:

"دى يمنى بنت حامد؟مش كده؟"

– آه مشفتاهاش بقالك كتير إنت.

قالتها"ليلى"و هى سعيدة برجوع الأمور نسبيا لهدوئها السابق.

– ما شاء الله كبرت أوى

ردت ليلى: آه خلاص بقت Madmoiselle دلوقتى.

قاطع شريف اجتماعهما العائلى التافسه بملل:"نرجع لموضوعنا,أنا بكلمك و أنا نفسى مضطرش أعمل كده,يا ريت لو عرفتى تكلمى حامد و عبد الرحمن,هنوفر على نفسنا تعب إحنا فى غنى عنه"

و أخيرا قرر صبحى أن يقول شيئا له معنى منذ أن جلس:"ليلى إنتى عارفة كويس إن إحنا فى الظروف العادية لا يمكن نسمح لحد إنه يجى تحيتك إنتى بالذات"

فاستكمل شريف كلام أخيه متظاهرا بالأسف:"بس إنتى ماسيبتليناش اختيار تانى,-حضرتك لما والدتى توفت وقفتى فى

وش عيلتك كلها علشان تساعدينا,و دى حاجة عمرى أنا ولا حد من إخواتى ما هينساها,بس ده موضوع و ده موضـــوع تانى,إللى إنبارح كان حقى,النهاردة بقى حق خالد ابـــنى,أنـــا آسف"

***

الفصل الرابع

أمال الرابع بتاعكم فين؟!!

شيل التريفلات يا بنى

إنها من مواصفات اللعبة, عادةً ما تلعب إلا فى وجود أربعة لاعبين,إذا زاد عليهم خامس,لا يشاركهم اللعب بـــل يجلـــس بجانبهم أو يجلس مكان أول متنح منهم فى أقرب فرصة,أما إذا نقصوا واحدا,فيمكن للعبة أن تستمر بثلاثة فقط,كل ما عليهم فعله هو تنقية الكوتشينة من لـــون التريفـــل"ورقـــة الـــشجر السوداء"و العب بدونها.

***

منذ أن استيقظ عمرو سلامة هذا الصباح و هو مستلق على ظهره فى السرير,لا يفرق بين حالته الحالية و ما بين نومه سوى عينيه المفتوحتين,ظل يحدق في سقف حجرته بوجه خال من أية تعابير متمسكا بخط رفيع يفصل بين الموت الاجتماعى و الحياة الفكرية,ربما كان سيظل على هذه الحال حتى نهاية يومه لـــولا الاتصال الهاتفى الذى تلقاه من"رامى",ظل هو صـــامتا علـــى الطرف الآخر من السماعة بينما ظل"رامى"يقترح اقتراحا وراء الآخر عما يمكن أن يُفعل,سينما ؟ نادى ســـبورتنج ؟ طـــب

نروح الجيم؟ ليك مزاج تشيل حديد؟ الأميكال؟ حشيش؟ ..
نعم ، حشيش,هذا هو ما يحتاجه"عمرو"فى هذه اللحظة,ذلـــك
الإكسير الذى سوف يعيد إليه حيويته و قدرته على الـــسخرية
حتى و لو أعادها بشكل مُزيف صناعى بحت

"هنقضى منين؟"قالها عمرو و هو يعتدل فى مجلسه و قد بدا
أخيرا مهتما بشىء ما.

***

- ما حكاه : مارك -

قهوة"الريد"لا تسمى فى الأصل هذا الاسم,اسمها الحقيقى"كافيتيريا سبورتنج",و لكن أحد طلاب مدرستنا الذين يشكلون أغلبية زبائن القهوة قد أطلق عليها هذا الاسم ساخرا من اللون الأحمر الذى غطى القهوة بداية من لون مفارش الترابيزات الرخيصة حتى لون الكراسى و طلاء الحائط,فى البداية كانت مزحة و لكن كلمة"الريد"بعد ذلك أصبحت هى المعروفة فطغت على الاسم الأصلى للمكان,حتى بعد أن تبدل لون الحيطان ظل الإسم شهير , الريد ليست أفضل مكان فى الإسكندرية يمكنك أن تشاهد فيه مبارة كرة قدم,لا يقدم أنضف الأكواب,و لكنه دون شك مُلتقى أفضل لاعبي الإستيميشن فى الإسكندرية,أناس مثل"عم هجت" و"جو" و غيرهم لن تجدهم جالسين فى مكان مثل إيستيميشن كافيه فى سموحة لأسباب يطول شرحها .. "و هو إللى إنتوا بتشربوه ده اسمه حشيش يا مارك؟؟!! ده حشيش قِلة!!,حشيش أى كلام!,ده و أنا أصغر منكم بسنتين كده و لا حاجة كان ممكن تشترى التُربة بحالها بأقل من عشرة جنيه"

قالها لى شريف والد صديقى خالد بتهكم,كنت جالسا مع"خالد"و أبيه فى قهوة الريد.

قال خالد بمرح مُدافعا عني: مش للدرجـــة دى يـــا بابـــا متسرحش بالواد.

و بدا بالطبع شكل شريف مضحكا وهو يغرقنا باللعـــاب الذى يهرب من وجهه و هو يصيح فى وجه خالد: متنرفزنيش يا وله عليا الطلاق من أملك حصل.

و انفجر الضحك فى الجلسة .,و كان هذا سهلا بالنـــسبة إلى"شريف",فهو كوميديان بطبعه.

"على كده بقى كان قرش الحشيش برخص التراب"

-"أمال إنت فاكرهم سموه"قرش- حشيش"ليه ؟ مـــا هـــو علشان كان بيتباع بقرش صاغ"قالها شريف ثم بدأ يشوح بيده يمينا و شمالا فى عدم رضا :"لا لا ده إنتو جيل غلبـــان عليـــا النعمة,فين الكوتشينة يا بنى عايزين نلعبلنا بولة إستيميشن كده"

رد خالد : مينفعش يا شريف إحنا تلاتة بس.

نظر إليه شريف بدهشة قبل أن يسأل ابنه : هى شغلانة ؟؟ ماتشيل التريفلات. أجبته أنا هذه المرة فى كسل و تثاقل: كده كده كمان ربع ساعة هاتلاقى العيال إللى طالعة من ســـان- مارك جاية و عايزة تلعب. سألنا شريف : أمال فين نـــادر ؟ وراه بروفة ولا إيه؟

أجبته أنه كان معى فى الكلية اتفقت معه أن يأتى إلى هنا,و أكدت أنه لا فائدة من انتظاره,فإذا كان ينوى أن يأتى إلينـــا

لظهر منذ ساعة على الأقل,و بدأنا نذم فى"نـــادر"و مواعيـــده السيئة و فشله فى الحفاظ عليها,ظنناه نائما فى بيته أو أنه قـــد نسانا على أسوأ تقدير, لم نكن ندرى ما كان فيه من متاعب, لم يبلغنا أحد بما حدث لسيارته الجديدة,ليس حتى هذه اللحظة, لم يكن أي منا متوقعا ما يمكن أن يفعله شخص مثل البـــارودى, وحتى عندما ألحق الضرر بكل منا, لم نستطع أن نتوقع ذكاءه أو نفهم ما تخفيه شخصيته التى تبدو كريكاتورية للكثيرين.

***

فى مساء نفس ذلك اليوم,بعد أن أنهى "رامى"و"عمرو"ربـــع قرش حشيش,شرب عمرو وحده ثلاث أرباعه ما بين الطريقة العادية و"الجوبات"قبل أن ينهى الجلسة بارتجاع زجاجة" Red Label" حمراء كاملة .. أبلغهم"كريم"عن طريق الهاتف أنهم سوف يذهبوا إلى"شيكسبير- كافيـــه"فى شـــارع المعـــسكر الرومانى, مرت"يمنى الكفراوى"بسيارتها الجيب علـــى رامـــى وعمـــرو,استـــطاعت للمـــرة الرابعـــة هـــذا الاســـبوع أن تستخدمها,هذه المرة استغلت إنشغال عمتها"ليلى"مع ضـــيوف من العائلة , ركب رامى بجانبها و عمرو بالخلف,ذهبا,وصلا, وللمرة الثاني في فترة قصيرة يتقابل فيها عمرو سلامة وجهـــا لوجه مع"لينا"و"حسام",ذلك الجديد,حتى هـــذه اللحظـــة لم

تحدث أية مشكلة من جانب"عمرو"فقط بعـض التعلقيـات السكيرة عديمة المعنى,من ضمنها شكواه المتكررة من مـساحة الCafe الضيقة, و تعليق غريب يرصد شبهاً فى الملامـح لا يمكن تجاهله ما بـين صـورة للكاتـب المـسرحى"ويليـام شيكسبير"المُعلقة علـى الحـائط ووجـه"الأسـتاذ جمـال رسلان"مدرس اللغة العربية للمرحلة الثانوية فى"سان-مـارك", ولكن كان هناك شعور سائدا بأن عمرو على وشك إفـساد الليلة,كان لابد من أن تبتعد يمنى بـ"رامى"عن بقية المجموعـة بمنتهى الهدوء دون أن تلفت الأنظار إلى انسحابهما إلى شـرفة الكافيه,و لم تكن تلك مهمة صعبة على أي حال كـانوا إن لم يكونوا منشغلين فى أى مناقشات الجانبية منتبـهين إلى عمـرو السكير حاليا,خرجت مع رامى إلى الخارج,وجدوا شابا يعزف الجيتار مع أصدقائه أمام الباب,بدت"يمنى"و هى تبتعـد هـى ورامى عنهم و كأنها تجره بالمعنى الحرفى للكلمة,عبر هو عـن اندهاشه و فضوله و تحرقه شوقاً لمعرفـة الـسبب وراء كـل هذا,سألته عن"عمرو",و ما خطـورة وجـوده مـع"لينـا" وصديقها,أرجع رأسه إلى الوراء ثم جاءها رده باردا خاليا مـن المشاعر و مخيب للآمال للغاية:"طب و إيه المشكلة يعنى؟ لينـا كانت عارفة كويس إن عمرو جاى النهارده و علشان كـده جابت حسام غالبا خللى بالك يعنى".

-"أنا مش بتكلم عليها أنا بتكلم على عمرو,إنت حابب إنك تشوفه فى الموقف ده؟بلاش إنت,إنت حابب إن لينا نفسها تشوفه فى الموقف ده؟".

كانت قد انضمت مؤخرا (منذ حوالى إسبوعين) إلى نادى المؤيدين لعمرو سلامة,و المتعاطفين فى موقفه مع لينا.. رد هو بعقلانية عُرف بها أمام الجميع.

-"يا يمنى أى حد بيصاحب و يفركش لازم يجيلوه يوم و يلاقى نفسه قاعد القعدة دى,و بعدين كريم قاله خلاص على موضوع حسام و مهدهوله كويس,أنا شايف إن ده كفاية"

رددت الجزء الأخير من جملته معترضة غير مصدقة لما قاله للتو:"شايف إن ده كفاية؟" علا صوتها دون قصد عندما نطقتها التفت هو بعينيه الى الشباب الجالسين كان لا زال هناك صوت صادر من الجيتار,و لحسن الحظ لم يستمع أحد إلى ما قالته يمنى,فجذب نفس بارد من سيجارته المنسية قبل أن يجيب:"أيوه كفاية,كفاية أوى,هنا و كريم عندهم مشاكل برضه,بصى عليهم دلوقتى قاعدين عادى جدا بمنتهى الهدوء بيحلوها مع بعض,إسمعنى يعنى عمرو هو إللى لازم نتدخللوه فى كل حاجة؟!"

-"أولا,علشان هو صاحبك,ثانيا,عمرو مبيعرفش يتحكم"

-"يعنى إيه مبيعرفش يتحكم؟,هو عيل صغير ؟أنا مفيش حد من صحابى هيحتاجنى و مش هيلاقينى جنبه بس فى حاجات

معينة مش مسموحلى أدخل فيها,حوار لينا بالنسبة لعمرو خلص من زمان و هو لو مستوعبش ده لحد دلوقتى غصباً عن عينه هيستوعبه النهارده,لما هيلاقى إن مفيش مفر من الحقيقة و ينهار و بتاع ساعتها بقى هيلاقيني جنبه بس دلوقتى أنا مفيش أى حاجة أقدر أعملهاله,مفيش أى حاجة أى حد يقدر يعملهاله تجربة و لازم يخش فيها بنفسه"

- "ده لو هو فى حالته الطبيعية طبعا!؟"قالتها بخبث,تلك العبارة التى لم تسعفه قدرته البلاغية أن يحدد إن كانت خبرية أم استفهامية؟

-"مش فاهم، قصدك إيه؟"

-"هو عمرو سكران يا رامى؟"

- "إيه إللى خلاكى تقوللى كده؟"

كان مستوى ذكائها أعلى بكثير من أن يحاول أو حتى يفكر فى أن يتلاعب بها أو بقدرتها على استيعاب الأمور,تنهدت فقد فهمت الحقيقة دون أن تنتظره لينطقها,عاتبته : و ملقيتش غير دلوقتى تجيبه يقابلها معاه؟

رد بعصبية و لكنه حافظ على صوته منخفضا: هو من ساعة ما عرف و هو سكران و كل شوية فى"قعدة"و هو إللى طلب إنه يشوفها,قولت يمكن هو ده اللى هيخليه يفوق و يبطل شرب لما يفهم إن الموضوع خلص خلاص و إن هى ولا هاممها

و عايشة حياها عادى يبتدى يفوق لنفسه شوية,الناس كلها عايشة كده يا يمنى.

-"إنت شايف إن الناس كلها عايشة كده؟ بالطريقة دى؟"

قال جملة تمنى فيما بعد ألا تخرج منه على الأقل ليس بهذا الشكل:"الناس الطبيعية على الأقل,و ده اللى إنتى ماتعرفيهوش,الناس كلها بتحب و بتكره و بتصاحب و تفركش و تانى يوم تصاحب تانى عادى,من الآخر يعنى مش كل الناس عايشة مستخبية زيك كده خايفة تخش فى أى علاقة" .. كانت تنوى بعد أن ضغط كلامه على أعمق جروحها أن ترحل وأن تتركه فى وسط غضبه,و لكنها لسبب ما لا تعرفه هى,آثرت أن تبقى و أن تدخل معه فى مناقشة غاضبة أخرى,هذه المرة شخصية للغاية :"هو أنت ليه كل شوية لما نكون بنتكلم فى أى حاجة بتفتح الموضوع ده؟"

فسر باعتذار غاضب :"إنتى إللى كل ما بتحسى إنى هكلمك فى الموضوع ده تقومى بسرعة تتكلمى على أى حاجة بتحصل لعمرو أو لكريم او لأى حد معدى فى الشارع,إنتى اللى حاطة نفسك فوق كرسى عالى و عمالة تحكمى على الناس كلها و فلان عمل و ليه فلان معملش,و بتحكمى عليهم كأنك لو مكانهم مكنتيش غلطى و لا غلطة,و إنتى أصلا معندكيش نص الشجاعة اللى عند فلان ده علشان يروح يكلم

فلانة,و تشوف واحدة طوّلت شوية فى الزعـــل علـــى حـــد ساها,تقومى تقوللى إيه ده لأ مينفعش كده و المفروض و مش المفروض.

إنتى مش من حقك تتكلمى عنها كده هى على الأقل لمـــا لقيت علاقة حست إن هى كويسة دخلت فيها و هى عارفها كويس إنها لو فشلت هتنجرح جامد بس دخلت,عارفة ليه لإن هو ده الطبيعى,الطبيعى إنك متحكميش على حاجة إنها فشلت قبل ماتجربيها و تفشل فعلا"..

نزلت دموعها عرت بالمهانة إلى أقصى الحدود:"أنا حكيتلك عن إللى حاصللى و إنت عارف كويس إنى مش حمل فـــشل تانى,سكتت لفترة و استسلمت تماما لدموع عينيهـــا قبـــل أن تنطق بصوت متحشرج بالبكاء الكلمة الـــتى تلخـــص كـــل مشكلتها:"أنا خايفـــة".. قـــال و هـــو يحيطهـــا و يحتويهـــا بذراعه"خايفة طب هاتفضللى خايفة لحد إمتى ؟ لحد مـــا إيـــه إللى يحصل,أعملك إيه علشان أثبتلك إنى مـــستعد أعمـــل أى حاجة علشان أبقى معاكى؟"أعمل علشانك أى حاجة علشان توافقى.

****

– ما حكاه كريم شمس

عن يوم شيكسبير كافيه–

كنا جالسين أنا و عمرو و حسام و لينا و هنا,و المفـروض أن"رامى"و"يمنى"كانا معنا منذ فترة قصيرة و لكنى التفـت فى إحدى اللحظات حولى فلم أجد أيا منهما"واقفـين بـره يـا كريم",أبلغتنى لينا مشكورة,و كنت من وقت لآخـر أقطـع مناقشتى الجانبية مع هنى لكى أتـابع إلى أى مـدى وصـلت تصرفات عمرو سلامة و ما هو الوقت المناسب للانسحاب قبل أن تقوم مشاجرة,و اقترب نادل (جرسون) الكافيـه و سـأل عمرو :"هتاخد إيه حضرتك؟"

ترنح عمـرو برأسـه ببلاهـة و سـأله بلـسان أثقلـه السُكر:"قصدك إيه يعنى؟آه هاها,معلش,طب عندك إيه إنـت طيب؟"

قاطعته و أنا أشير إلى الجرسون بأن يأتيه بقهوة سادة,كـان هذا هو المشروب الوحيد الذى يحتاجه عمرو الآن , ثم عـدت بكامل إنتباهى إلى هنا لأستكمل تلك المناقشة المؤجلة بقصد , سألتها : مالك بقى فى إيه؟

أجابتنى بإنها"كويسة عادى"منذ أن جلسنا و هى تتجـاهلنى تماما تقاطعنى فى أى موضوع أتكلم فيه,و إن استمعت إلىّ فإنها

دائما ترد بأقصر إجابة ممكنة,و أفضل إجابة مؤدبة لا تشجعني على الاستمرار فى الكلام أصررت أن بها خطبا ما,فردت و هى تتلاعب بخصلات شعرها:"عادى يعنى,مخنوقة شوية نازلة بالعافية أصلاً علشان خاطر لينا و حسام علشان مايزعلوش"

-"ميهمكيش أنا من الآخر يعنى ولا إيه؟مش مهم أنا بقى,و لا أنا أزعل و أتفلق بس لينا و يمنى هما المهمين عند سيادتك"و لكى ألتزم الصراحة معكم,أنا لا أتذكر اللهجة التى أستخدمتها عندما انطلقت من فمى تلك العبارة إن كانت مرحة أم عصبية أو فى مكان ما بين الاثنين,طريقة ساخرة تهكمية أستخدمها عندما أغضب,لا أتذكر كيف خرجت الجملة و لكننى أتذكر كيف كان شعورى من الداخل,غاضب معترضا على سلوكها معى. ردت هى بأسلوب مستفز:"متتنرفيزش عليا كده بس مش قصدى يعنى بس" ..

قاطعتها دون ترتيب مسبق :"متقوليليش متتنرفيزش,إنت كل مانتزل تنرفزينى وتقوللى الجملة دى,مانتى أصلك برضه بتعملى حاجات غريبة أوى أنا مباقتش فاهمك بصراحة,مرة قدام رامى و عمرو تقوللى إن إحنا صحاب بس"

قاطعته :"طب ما إحنا صحاب"

-"لأ إللى هم فهموه إن أنا وإنتى صحاب زى ما كده أنا و رامى صحاب كده"

قالت ضاحكة :"لأ إنت و رامي أنتيم مش صحاب"

يا لها من شيطانة تمشي على أرجل متنكرة في زي امرأة,إنها بلا شك تستمتع بتعذيبي و حيرتي و تتلذذ بتقطيع قلبي إربا.

وضحت موقفي بعصبية منخفضة الصوت:

- "آآآآآآآآآه,قولتيلي,دانتي فايقة بقى و باردة شكلك,مش كنتي عاملة فيها مخنوقة من شوية,ولا إنتي قررتي إنك هتعيشي عليا كده كده النهارده,و أنا أصلا مش ناقص,أنا مشوفتش واحدة مش عارفة هي عايزة إيه زيك كده,مرة أجري وراكي بالأسابيع متفكريش حتى تردي على التليفون و تقوليلي عادي و مرة تقفشي لأني أتزاولت في موضوع مهم و معرفتش أكلمك يومين ورا بعض ولا حاجة"

-"خلاص خلاص مش لازم تطلع فيا أوي كده"

-"متقوليش خلاص علشان كل مرة هو ده إللي بيحصل,بس لو حصل ده تاني .."

كنت في قمة عصبيتي و كانت هي في قمة هدوئها الاستفزازي عندما قاطعنا ذلك الصوت المُرتفع,صوت عمرو سلامة:"ما بلاش تتعصب على نفسك أوي كده علشان تعرفوا تجيبوه عيال".

لم يحتج الأمر أن أكون عبقرياً لأفهم ما حدث,أو لأستنتج ما تطورت إلى الأمور,من الواضح أن القهوة التي شربها عمرو

لم تفد وعيه فى أى شىء,من الواضح أن هناك شيئا قاله أو فعله حسام بقصد أو بلا قصد لم يرق لعمرو..فقرر الوقوف و إلقاء تلك الجملة الأخيرة متجاهلا تماما الأحداث التى سوف تترتب على ذلك,مررت بعينى على"لينا"كانت جالسة فى مكانها,فقط جالـــسة,دون أى تعـــبير علـــى وجههـــا,دون أى رد فعـــل واضح,استدرت برأسى بعدها بلحظة إلى"حسام"فوجدته هـــو الآخر واقف و لكنه ينظر إلى أنا,و يقول بغضب و هو يلـــوح بيد و يشكل الأخرى على شكل قبضة :"متسكتوا صـــاحبكو ده,شكله سكران ولا إيه,مش عايز أمد إيدى عليه".

قمت بالطبع بما سيفعله أى صديق وفى لصديقه الـــسكير فى موقف كهذا,قمت بالاقتراب من عمرو حاولـــت أن أشـــده بهدوء من يده قائلا بصوت هادىء حكيم:"عمرو تعالى عايزك فى حوار كده".. لكنـــه أطـــاح بيـــدى فى الهـــواء دون أن يلتفت,دون أن تغادر عيناه وجه"حسام":"ماتستنى يا كريم لمـــا نشوف شاب الشباب الشاب الفرور إللى جاى يعيش علينـــا ده" .. و لم أوشك أن أفعل أو حتى أفكر أن أفعل أى شـــىء حتى ضرب"حسام"بقبضته وجه"عمرو",وقع"عمرو"من قـــوة الضربة على الأرض,و لكنهإن استسلم فلن يكون عمرو الذى أعرفه,قبل أن يستمتع"حسام"بانتصاره السريع,كـــان"عمـــرو" وهو مازال على الأرض قد ضرب"حسام"فى رجلـــه ، ليقـــع الأخير بجانبه,فقام عمرو و كاد أن ينقض على حـــسام إلا أن

العاملين بالمكان كانوا قد تدخلوا لإنقاذ الموقف و ما تبقى من أكواب غير مكسورة.

***

ثم تكرم أخيرا"رامى"بالعودة من الخارج هو و معه"يمنى",لم يأخذ الكثير من الوقت حتى فهم ما حـــدث,منظـــر عمـــرو وحسام الملقيين على الأرض كان كفيلا بشرح كـــل شـــىء حدث و تم توقعه مسبقا,بدأ يساعد كريم فى احتواء الموقف.

تطوع"رامى"لإبعاد"عمرو سلامة"عن مكان المعركة,ذهـــب معه إلى الحمام لكى يغسل"عمرو سلامة"وجهه ليتخلص مـــن خدش أو اثنين على وجه ذلك الأخير,و فى هذه الأثناء وقـــف كريم و رامى يهدآن من روع"حسام"فى محاولة واقعية لتقليـــل الغضب الذى يعتريه"إيه يا عم إللى حصل ؟"سألها رامى بلطف و هو يمد يده بسيجارة,فرد عليه حسام (بعد أن شكره) بعكس ذلك :"يا عم صاحبك قال أصله كلام ميـــتقلش ", وكـــريم لأسباب محددة صرف إنتباه عما يقوله"حسام"و انخفض صوت حديث ذلك الأخير فى أذنه,تركه يتكلم مع"رامى"و انـــصرف هو عنهما, و اقترب من لينا و"هنى"و"يمنى",اللاتي ابتعدن عـــن الجميع و كوّن شبه دائرة,دخل هو فى وسطها دون أن يلحظه أحد,كان عندما يحدث أى شىء مريب يترك تعليق مـــا بعـــد المبارة و يذهب ليسمع مـــا تقولـــه الفتيـــات المتورطـــات فى الموضوع,فغالبا ما كان يجد هناك جميع الإجابات,و كان قـــد

حافظ على المسافة الوسطية ما بين وضوح السماع و الاختفاء عن الأبصار,فلم تسمح له تلك المسافة إلا بسماع الآتى,كانت"لينا"غاضبة للغاية و هى تنهر"هنى":"هو إنتى يعنى كان لازم تقوللى لكريم إن إحنا نزلنا؟أنا الحق عليا أساسا إن أنا سيبت أميرة و أحمد و علشان أنزل معاكى إنتى,تروحى إنتى مبوظة اليوم؟" قالتها لينا ثم ذهبت للتكلم مع حسام,و حتى هى عندما تركت المجموعة لم تلاحظ وجود"كريم شمس"فى الخلف ..يستمع إلى بقية الحوار,و ككل الحقائق الإيجابية التى لا تقال فى حق أصحابها إلا بعد غيابهم قالت"يمنى":"ما هى بصراحة معاها حق مكانش لازم تكلميها و إنتى عارفة إن عمرو سلامة هييجى معاهم"

و لاحظت"هنى"كريم و لاحظ هو ذلك,فكان الوقت المناسب للتدخل "هى مين دى إللى عندها حق؟"

غمغمت"هنى"بارتباك و هى تعدل من وضع خصلات شعرها التى لا تحتاج إلى أى تعديل: لا ده حد كده.

- "حد كده هه؟ ما بلاش تحوير بقى,يعنى معايا أنا و بتخلقى مشاكل من الهوا,طب الناس ذنبها إيه فى إنك بتستمتعى بكده,يعنى إنتى مكنتيش عارفة إن عمرو جاى معانا بروح أ .."

و كعادة كريم عندما يفقد أعصابه,يبدا الجملة بمنتهى الهدوء ثم يعلو صوته تدريجيا,فقطع كلامه بنفسه عندما انحرف منه

المعنى الأصلى ومستوى صوته دون تخطيط,و قبل أن يتـدخل أى شخص ليقول أى شىء,رن موبايل, موبايل"هنى".."أيوة يا مامى,خلاص خلاص ماشى أنا جاية أوكيه,كريم هيوصلنى"

نعم كانت والدة"هنى"تدرى بأمر كريم,و بطبيعـة علاقتـه بابنتها و بمعظم التفاصيل الأخرى المهم منها و غير مهـم,بـل وتجمعها (أقصد أم هنا) بكريم صداقة وطيدة,و فريـدة مـن نوعها للغاية ما بين امرأة تعدت العقد الرابع من عمرها و بين شاب لم يصل حتى إلى السنة الرابعة له فى الكلية,و عندما سمع كريم تلك الجملة الأخيرة أدار ظهره,و غمغم فى قرف :"يـوه دى حتدبسنى بقى".

سمعته يمنى و هو يقولها فعلقت:"فيها إيه يعنى ما إنتا بتوصلها كل مرة ".

- "المرة دى غير كل مرة و انا نفسى مش قـادر اتكلـم معاها زيادة النهاردة"قالها و لم يدر أحد أنه قالها ناسيا وجـود هنا وسماعها لما يقوله أم أنه قد استهدف ذلك و تناسى تلـك الحقيقة بقصد مدروس,ليوصل إلى"هنى"غرضا محددا فى نفـس يعقوب,استكمل كلامه هذه المرة فى اتجاه آخر و لكن بـنفس القرف :"خلاص خلاص مش فارقة,رامى هات مفتاح عربيتك معلش"

***

فى نبذة بسيطة عن أسباب الخلاف القديم ما بـــين"عائلـــة الكفراوى",ما حدث بالضبط هو ما يحدث فى كل الزيجـــات التى لا يتوافق فيه الطرفان من الناحية الماديــــة,عنـــدما تـــزوج الشاب رأفت الكفراوى من والدة شريف لينجبـــا (شـــريف وصبحى و محمود أخيهم الثالث) لم يكن قد فكـــر فى الأمـــر مليا,و لم يحسب فى ذهنه الأبعاد الاجتماعية التى سوف تترتب على ذلك الارتباط,و ما بين الخمر الذى أدمنه و العنف الزائد الاستبدادى معها كان الطلاق مسألة وقت,ذلك الطلاق الذى أثر على حياتهم النفسية والاجتماعية فيما بعد,و كان فى ذلك الوقت شريف أصغرهم,و أعمقهم تأثرا بالعاطفة,فكبر و أصبح أكثرهم كرها لعائلة"الكفراوى",و لكن كل ذلك شارف الآن على الانتهاء,لقد استغل تواجده المؤقت فى الإسكندرية أفضل استغلال,فى يومه الأول قام بالزيارة المنتظرة مع أخيه صـــبحى للعائلة,و قال و ما قاله بمنتهى الذكاء مع اختيار الوقت المناسب وضع العائلة بأكملها فى مأزق مقصود,و باقية له خطوة واحدة فقط أخيرة لتمهد لانتقامه,و ها هو يقوم بها الآن,إقناع أخيهم الثالث الأكبر محمود,و محمود يعيش فى بيت والدهم القديم فى محطة الرمل,يبلغ الآن من العمر الثالثة و الخمسين,و لكن شكله يوحى بأنه أكبر من ذلك,ربما ليس شكله بالتحديد ربما السبب هو بطء حركته و عقله الرصين,شعره الأشـــيب المُـــصاحب

بطريقة كلامه البطيئة غير المملة و التى تعطيه فرصة للتأكد من صحة حديثه قبل نطقه,و هو أرمل,زوجته ماتت منــذ زمــن طويل,لم يتزوج بعــدها قــط فى حياتــه,هــو يعــرف الله جيدا,صلواته الخمس فى المسجد,و قبل أن يزوره إخوانــه فى تلك الليلة لم يكن بيته مهيأ لاستقبال أى زائر آدمى غــيره,و هذا ما لاحظه شريف من الوهلــة الأولى عنــدما دخــل إلى المكان,ليس هناك حجرة فى البيت خالية من الكراكيب تسمح لثلاثتهم بالجلوس فيها بشكل مُحترم,فجلس شريف و محمــود فى الشرفة,و حاول صبحى متطوعا أن يحضر ثلاث أكواب من الشاى و لكنه وجد نفسه يعترض فى سخط فى وسط المطبخ:" إيه يا محمود مال المطبخ عندك عندك كده مظروط إيه الريحــة دى؟".. رد محمود ببرود و هو يلوح بسيجارته مبتسما: آه مانا بقاللى يومين مرميتش الزبالة.

-"طب لما تحب تاكل طيب بتقــف فى المطــبخ ده إزاى"؟ "مابقفش فيه خالص,فى مطعم هنا فى آخر الشارع بطلب إللى أنا عايزه بالتليفون بيجيللى فى أقل من خمس دقــايق,بيعمــل جمبرى تُحفة"

لم يرد"صبحى"بل عاد ساخطا إلى المطبخ على أمل العثــور على مكان برطمان يشبه البُن على أمل أن يقوم بتحضير شيىء يشبه القهوة أو الشاى.

"مفكرتش تتجوز يا محمود؟"طرح"شريف"برفـــق ذلـــك السؤال على أخيه.

رد شريف مستهزءاً بالتساؤل الذى غاب عن المنطق :"هاها هاها,ما خلاص بقى كبرنا على الكلام ده,و لا إنت عـــايزنى أعمل زيك؟" كان محمود فى عبارته الأخيرة يشير إلى علاقـــة شريف بمروة,كان يعلم بسرهما,حتى عندما تبت الخلافات بين الاثنين تتـــصل مـــروة بمحمـــود هاتفيـــا لكـــى تـــصل إلى شريف,برق"شريف"بعينيه غاضبا فى إشارة صامتة و واضـــحة بألا يتفوه بمثل تلك الأمور فى وجود أخيهم الثالث,حـــتى و إن كان صبحى بعيدا عنهما نسبيا,فاعتذر"محمود"عن ذلك الخطأ الفنى وسط ضحكاته:"معلش هاهاها مختش بالى معلش"

و عندما جاء صبحى و سحب بعض الكراكيب ليصنع منها كرسيا يجلس عليه فى الشرفة معهم,قاطع ذلك الحديث الهادىء ليدخل فى الموضوع:"هه يا محمود قولت إيه؟"

سأله محمود فى حيرة :"فى إيه؟"

أوضح شريف: فى موضوع القضية. رد محمود غير مهتما: لا لا أنا مش محتاج الفلوس دى فى حاجة,أنا مش قد شحططة المحاكم فى سنى ده

حاول صبحى و شريف أن يشجعاه بعبارات مثل"ممكـــن تعملنا توكيل و كده مش هتتضطر تيجى كتير,هى المرة إللـــى

هيسألوك فيها بس"و"متسبهومش ياكلوا حق ولادى و ولادك علشان إنت مكسل تمشور نفسك شوية"

و لكن رده جـاء صـارما للغايـة و لطيفـا فى نفـس الوقت:"ولادى أنا خلاص اتجوزوا و خلفوا و عايشين أحسن عيشة يا شريف,اعذرونى يا جماعة أنا بره الموضوع ده"

أصر صبحى : يا محمود فكر شـوية,مليـون إلا ربـع ده بالنسبة لهم يبقى إيه ؟ ولا حاجة.

و لكن شريف قاطعه هذه المرة بهدوء: سيبه براحتـه يـا صبحى, ثم سكت شريف برهة من الزمن قبـل أن يـستكمل بمرارة: "أنا لو قعدت حياتى كلها أفكر مش هـاعرف إنـت بتعمل كده ليه,على العموم ده ورثك و إنت حر فيه,و إنـت أخويا الكبير و ماليش كلام عليك"

لم يرد محمود بل ظل ينفث ببطء دخان غليونـه فى الهـواء متجاهلا نظرات إخوانه الغاضـبين.. هـذا كلـه قبـل أن يشير"صبحى": يلا بينا يا شريف"

استطرد شريف و هو يبتعد متجها بظهره نحو باب الشقة : لو غيرت رأيك اتصل بيا على المكتب يا محمود.

أومأ محمود برأسه ببطء واثق : مفتكرش إنى هاغير رأيى.

****

بعد أعطى"رامى"مفاتيح سيارته لـ"كريم"ليوصل بها"هنى"إلى بيتها,

و بعد أن خرج كريم مع هنا من شيكسبير كافيه معلقا و هو يشير إلى"عمرو سلامة",أنا ربع ساعة و جاى تانى يا رامى و يا ريت تفوق الحيوان ده عقبال مرجع" و بعد أن نزلا دخلا إلى السيارة, رمت"هنى"و هى جالسة بجانبه فى السيارة تلك الجملة العتابية :"هاه كمل إنت لسه مخلصتش كلامك"

- كلام ايه ؟؟؟

- إنت قولتلى فى الكافيه لو إللى حصل دة حصل تانى و بعد كده سكت علشان موضوع عمرو..كنت عايز تقول إيه؟

- فكك من الكلام ده دلوقتى أنا مش طايق نفسى.

أصرت هى فى عصبية :"لا ما أنا عايزة أعرف"

رد و قد انتقل فيروس عصبيتها إليه :"إيه هو إنتى عايزة تتخانقى و خلاص؟"

- مش عايزة أتخانق ولا حاجة بس عايزة أعرف,عايزة أفهم إنت بتفكر إزاى.

- مش حعرفك تانى.

- نعم!

أوضح كريم مبتسما :"بقية الجملة: لو اللى حصل ده حصل بعد كده مش حعرفك تانى"

هدأت و هى تحول نظرها إلى الشباك :"خـــلاص خـــلاص مش طالباها خناق على آخر الليل"

قال و هو ما زال محتفظا بابتسامته الاستفزازية :"مانا قولت كده من الأول,ما ترسيلك على بر!"

****

الفصل الخامس

"خللى بالك,ده (نوفو-ريش)"

"Fais attention , C'est un NOUVEAU-RICHE"

بما أننا فى عصر السرعة,العصر الذى تغير فيه كل شىء,ظهر نوع جديد من الناس,و زاد على جنس الإنسان فصيلة جديدة هجينة ما بين االفقراء و الأغنياء و الطبقة الوسطى..إنهم الـ"نوفوريش" Nouveau-riche والكلمة فرنسية الأصل تنقسم إلى جزأين"نوفو"أى جديد و"ريش"أى غنى,فالكلمة معناها الأغنياء الجدد .. مخلوق النوفو-ريش هذا غنى و لكنه ليس"ابن ناس"أو ذا أصل أو نسب,تماما مثل تلك الأفلام (أو الروايات و المسرحيات) الساخرة الأجنبية التى تتناول قصة حياة رجل فقير للغاية اكتشف لتوه أن قريبا له لا يعرفه قد مات فأورثه مبلغا كبير من المال,أو أن الأرض التى كان يزرعها أصبحت فجأة تقذف بالبترول,فأصبح ما بين ليلة و ضحاها غنيا أو حتى ملكاً,فتنقلب حياته رأسا على عقب,و تختلف ظروف معيشته اختلاف الـ١٨٠ درجة,و يحاول طوال الفيلم أن ينسى فقره و تحدث المفارقات الكوميدية عندما يحاول أن يندمج مع أعلى طبقة فى الشعب,هذه بالضبط هى قصة حياة

كل"نوفو ريش",إلا أن النسخة الواقعية منها ليست كوميــديا على الإطلاق بل هى مأساة إنسانية متكاملة الأرجاء,هــؤلاء المساكين يعيشون حياة غريبة للغاية,فلقد بدأ الأغنياء فى الفترة الأخــيرة (ثلاثــة أجيــال متتاليــة) بدراســة و معرفــة النوفوريش,تمييزهم دون خطأ,فإن لهم علامات أكيدة,سلاسل رجالية من الذهب,ملابس نسائية مُبالغ فيها,لهجة إنجليزية تُشبه إعلانات قناة Melody Tunes,رائحة عرق تــنم عــن كرههم للاستحمام دون داع تماما مثلما يتمتع معظم المكفوفين بحاسة موسيقية عالية,و كما يتمتع ضعاف البنية فى كثير مــن الأحيان بقدرات ذهنية مذهلة,فالنوفو – ريش أيضا فى العــادة يتمتعون بذكاء اجتماعي قوى للغاية,و كان محمد البــارودى واحدا من هؤلاء و تمتع"البارودى"ببراعة فى الإيستيميشن,و لم لا ؟فهو أكثر الناس الذين عرفتهم قدرة على اختيار الأوقــات المناسبة للهجوم أو الانسحاب أو الظهور أو الاختفاء,فى أكثر الأوقات التى لا تتوقع فيها ذلك منه,فهو خبيث دون أ ن يظهر عليه ذلك,كاذب يعرف كيف لا يغرق فى نفاقه فهو يــدرى جيدا كيفية السباحة فيه,ماكر ليس قصير القامة بالضرورة,بــل كان عريضا للغاية,و جسده ضخم لا تــستطيع أن تحــدد إن كانت تلك الضخامة ناتجة عن العــضلات أم عــن الــدهون متراكمة,و الذى لا يعرفه الكثيرون أنه كان قد قدم طلبا منــذ

سنتين للالتحاق بكلية الشرطة,و تم رفـضه,نجـح فى كـل الاختبارات المطلوبة إلا واحدا,إختبار الكـشف عـن نـسبة المخدرات فى الجسم بالطبع , و لكن لماذا؟, لماذا أراد أن يلتحق بكلية الشرطة من الأساس؟فإن كان يريد وجاهة اجتماعية,أفلم يكن من الأجدر و الأنسب له أن يدرس الاقتـصاد و العلـوم السياسية فى الجامعة الأمريكية مثلا,و إن كان يحتاج إلى صـفة قانونية تخرجه من المشاكل,فثروة أبيه المجهولة المصدر قادرة أن تفعل له كل ذلك,إذن فما السبب ؟السبب ببساطة هو حبـه للتحكم فى الناس,عشقه فى تحريكهم يمينا و يسارا و شمـالا و جنوبا حسب مزاجه الشخصى,و البارودى مشابه للكثير مـن المسؤلين الكبار الذين نعرفهم فى بلادنا,إلا أنه أكثر ذكـاء و دهاء,لديه جهاز المخابرات الخاص به داخل عقلـه,يحلـل و يترجم فيه كل شيء بلا استثناء,متربص فى حالة السلام,منتبـه حتى و هو مسطول ..

***

انتهت ليلة البارحة على ما يرام,رامى اسـتطاع (مـستغلا مشكلة عمرو) أن يخفى محتوى حديثه المؤلم مع"يمـنى" عـن كريم,حتى"عمرو"سكير الأمس الذى كادت تصرفاته أن تلـح لتوقعه فى المشاكل,عاد بيته سالماً,الوحيد الذى أصـابه الأرق هو"كريم شمس",بات مستيقظا و قد استهلك مـن الـسجائر

كمية أكثر من التي قد إستهلكها في الثلاثة أيام السابقة مجتمعين,كان يفكر في أمر"هني"بالطبع,إذا رفضته بأدب كما رفضت"يمنى"رامي أو حتى كما رفضت"لينا"عمرو بمنتهى الوقاحة,فإنه حينها سيعرف ما هو فاعله,سينساها كما نسيته,أو إذا تقبلته فسيرتاح باله و يسكن و يستقر أمره,سيحبها كما أحبته,و لكن المشكلة أنها لم و لن تحدد موقفها,هي شخصية متناقضة للغاية,فتاة لا تعرف ما تريد بالمعنى الحرفي للكلمة,دائما مترددة,في كل شيء بدايةً من استغراقها لوقت زائد عن الطبيعي عندما تجلس في أى كافيه لتقرر ماهية المشروب الذى سوف تشربه,حتى موقفها غير الواضح معه,مرورا بترددها في اختيارها للكلية التي سوف ترتادها و نوعية الناس التي تخرج معهم,و في وسط سهره وجد الملل و الضجر,جاء على باله أن يتصل بعمرو و لكنه تذكر أن عمرو في هذه الساعة من الليل إما نائم أو سكير أو يعاني من صداع شديد أثر الخمر,فقرر كريم أن يتصل بـ"رامي",و تكلم الصديقان لساعات طويلة,تكلم كل منهما عن مشكلته,و قارنا مشكلتهما ببعض,ثم بمشكلة عمرو ثم بمشاكل أناس آخرين,ظل"كريم"طوال المكالمة كعادته عندما يغضب يعلو صوته بشكل مفزع بدون سبب محدد ثم ينخفض مرة أخرى (أيضا بدون سبب محدد)

***

إنه اليوم الذى ينتظره"أحمد شمس"بفارغ الصبر و بملىء الغضب على حد سواء,إنه اليوم الذى سوف يعرج على مدينة القاهرة ليأخذ ابنه من زوجته الخائنة على حسب الميعاد المتفق الذى حدده مع مروة,صعد سلالم العمارة,رن جرس الباب بدلا من أن يفتحه بالمفتاح الذى فى حوزته بمنتهى البساطة,لم يكن ذلك نتيجة لقلة تركيزة,بل على النقيض إنما هى إشارة واضحة مقصودة منه إليها,أنه لا يريد أن يبدأ بالمشاكل,و أنه ينوى أن يبادر"بالذوق"و ليس بالقوة و"العافية"رغم أنه يستطيع ذلك,فتحت الباب جلسا فى الصالون,حتى الآن كل شىء على ما يرام,تم التعامل فيما بينهما فى حيادية تكاد تصل إلى الوقاحة و فى دبلوماسية لا بد منها,ظلا على هذا الحال حتى جاءت اللحظة الحاسمة,اللحظة التى يطلب منها فيها أن تسلمه أبنه و لكن ردها المتردد جاء مُخذلا للغاية:"

"لأ طبعاً الموضوع ده مش بسيط زى ما أنت متخيل,أنا أمه,مهما كنت أنا غلطانة فى حقك مش هاسيبك تخده منى بسهولة كده"

-"يعنى إيه؟"

قالها بغضب شديد هذه المرة,فلم يغير ذلك من موقفها شيئا سوى نبرة تردد و خوف قد زادت على عباراتها التى تعبر عن

نفس المعنى التى كانت تقوله منذ لحظات بمنتهى القوة و كأنــه أمر:"أنا هارفع قضية يا أحمد أنا آسفة"

فكر أحمد جديا أن يتركها تكلم نفسها و يفتش فى الـشقة يمينا و شمالا,بحثا عن ابنه,و لكن هذا سوف يكون الغباء بعينه فهو بالتأكيد ليس هنا,فقرر هو أن يفاجئها هذه المرة عندما قال ضاحكاً و هو يضع ساق فوق الأخـرى :"عـايزة ترفعـى قضية؟براحتك,بس شوفى أنا بقى هاقول إيه فى المحكمـة لمـا أتسأل عن سبب الطلاق!!"

قالها و لم ينتظر ردا بل قام و خرج من البيت

تركها وراءه حائرة فى أمرها لا تدرى ما سـوف تفعلـه, ولسبب غير مفهـوم قفـزت فى ذهنـها صـورة"شـريف الكفراى",عشيقها,بالتأكيد,حل هذه المشكلة لديه كما كانت لديه فى المرة السابقة,توجهت إلى المرآة و قضت أمامها وقتـا طويلا مُبالغا فيه,فسوف تقابل"شـريف"الـذى عـاد مـن الإسكندرية اليوم و تحتاج عند اللقاء أن تصل بعينيه إلى أعمق قاع فى بحر أنوثتها و جمالها الصناعى و أن تظهر أمامه أقرب ما يمكن إلى الكمال المستحيل,فـ"مروة"اليوم شأنها شأن أى دولة مات حاكمها القديم (أحمد) و احتلتها دولة أجنبيـة جديـدة (شريف).. فأصبح لابد من أجل مصلحة شعبها (ابنها:علـى)

أن تتملق المُحتل الجديد إلى أقصى الحدود,أن تبتعد عن غــضبه و أن تسكن رضاه,فلقد أصبحت كل المــوارد فى يــده هــو وحده,ففى بعض الأحيان لا يكون الصواب و الكرامة شــيئا واحدا.

***

ليلة البارحة عندما أبلغ "كريم" "رامى" بأن صــباح اليــوم التالى سيكون مخصــصاً للــذهاب إلى محمــد البــارودى ,لم يستطع"رامى"أن يمنع نفــسه مــن التــساؤل عــن طبيعــة هذا"المشوار",أجابه"كريم"بأنه لا يــدرى بالــضبط و لكــن الموضوع له علاقة واضحة بأحداث وقعــت بعــد مُغــادرتهم لإسيتيميشن,وبثلاثة أصدقاء من مدرسة سان مــارك"مــارك ونادر و خالد"نطق كريم الأسماء بتردد,فلم يكن متأكدا مــن صحتها بعد,على الأقل حتى الآن,و لكن الواضح أن البارودى قد حن إلى هوايته الأصلية فى اللعب بالبشر و تحريكهم كقطع الشطرنج,و التحكم بأعصابهم و مشاعرهم بدم بــارد لمجــرد التسلية.

و كما ذكرت لكم مرارا و تكــرارا و بطــرق مباشــرة وملتوية,أن ما حكيته و ســوف أســتكمله ممــا وقــع مــا بين"البارودى"و شلة"مارك"أو غيرها من أحداث هو حقيقــة

وواقع جرت أحداثه بالفعل لأناس قريبين مـــنى (ككاتـــب)، و كأى مشاجرة صبيانية قد استهلكت أكثر مما يجـــب مـــن الوقت،عندما تنتهى ينسى كل طـــرف مـــن هـــو المُخطـــىء الحقيقى،أو حتى السبب الحقيقى لكل الخسائر،و بناء على ذلك عندما تحاول أن تسجل الضحكات و الدموع المحيطة بحـــدث كهذا تواجه مشكلة فى توثيق ما وقع بدقة،فلا يبقى أمامك إلا أن تمشى وراء المُتفق عليه من أحداث،و أكثر الكلام إقناعـــا، وتحاول أن تكون حياديا (على قدر ما تستطيع)،و أن تستخدم ما تعرفه عن شخصية كل فرد من المتورطين فيما حدث،و لكن فى النهاية يبقى لكل منهما روايته المختلفـــة عـــن الأســـباب والأحداث والمُعادلة الاجتماعية التى كونـــت كـــل موقـــف، وآخر مـــا رويتـــه لكـــم كـــان تحطـــيم ســـيارة نـــادر، واتفاق"البارودى"مع"رامى"و"عمرو"و"كريم"على أن يقـــابلوه فى اليوم التالى لسبب ما، بناء على طلب شخصى من البارودى كانت المجموعة (أقصد هانى و كريم و رامى و عمرو) كلـــها هناك فى ظهيرة اليوم التالى،ينتظـــرون ظهـــور أى فـــرد مـــن شلة"سان-مارك"ليجتمعوا عليه،ليضربوه ضربا مُبرحا،ليـــتعلم درسا لن ينساه و بالفعل جاء أحدهم،منفردا وحيدا كما تمنوا تماما،دون أن يلحظ و جودهم دخل"خالد"إلى المكان،جلس فى مكانه المُفضل و الذى توقع البارودى أنه سوف يجلـــس فيـــه،

و عندما دخل إلى المكان لم يحتج أى عاقل منـــهما أن يـــسأل البارودى إن كان هذا الزائر هو الشخص المقصود الانتقام منه أم لا,كان اعتدال البارودى فى جلسته و تغير ملامحه و سكوته المُفاجىء وضحكته المريضة أفضل مؤشر لكل ذلك و كـــأى دور مُحنك فى الإيستيميشن يكون فيه الصبر هـــو اللاعـــب الخامس,و كأى لاعبين مُحترفين فى اللعبة انتظـــروا الوقـــت المُناسب للم الأوراق.

****

- ما حكاه خالد-

عندما دخلت إلى إيستيميشن كافيه لم يكن هدفى هذه المرة هو التسكع أو التسلية,بل أردت مكانا مألوفــا أجلــس فيــه لأفكر,لا تمنعنى ضوضاء مرتاديه عن التركيز و لا يخشى هدوئه المبالغ فيه على الشرود,فكان إيستيميشن هو الوطن المناســب الوحيد الذى قررت أن أهاجر إليه فى لحظة كهـــذه,وضــعت موبايلى و محفظتى على المنضدة,أرخيت ظهرى المُنهك,و بدأت التفكير , حتى الآن بدأت أحداث حياتى التافهة فى المــسير فى الطريق الذى رسمتــه لهــا,أبى قــد تــذكرنا أنــا و أمــى أخيرا,حتى"ريم"التى لا أعرفها جيدا تأكد لى الآن أن الأعجاب ما بينى و بينها مُتبادل,إذن فكل شيء على ما يــرام,و لكــن كيف أحافظ على كل ذلك ؟؟! أحان الوقت لترك المخدرات؟

قطع حبل أفكارى دون قصد"سيد"الجرسون,و"سيد"لــيس مجرد نادل فى مقهانا المُفضل بل هو صديق من قاع مصر,يعرفنا ونعرفه,و نفهمه و يفهمنا بسهولة,و لنا معه نشاطات جانبيــة وسرية غير مشروعة,هو الذى يأتى إلينــا بالمُخــدرات الــتى نحتاجها من وقت للآخر,فكلامه موثوق بــه حــتى إن ظــل (ظاهريا) مُجرد خادم,و المثير للدهشة أنه هذه المــرة عنــدما إقترب منى,لم يكن مُبتسما (على عكس عادته),بل جاء مهرولا قلقا,و هذه فى حد ذاتها حالة مُريبة لم أعتد أن أراه عليها قط,و بدلا من أن يحيينى بعبارة"خالد باشا"التى كــان قــد عــودنى

عليها,وقف أمامى و مال على و كأنه سـوف يقـول سـرا خطيرا,سألنى فى سخط هامس و ارتباك واضح :"إنت إيه إللى جابك دلوقتى؟!!"

سألته و قد أضحكنى قلقه فى البداية:"إيه يا سيد بلاش آجى يعنى؟"

- مش قصدى بس

- إيه مالك مقلقنى كده ليه ؟ ما تنطق,فى إيه؟ أنـا مـش ناقص مزاولة.

نظر حوله كأنه يتأكد أنه غير مُراقب قبـل أن يطلـب فى تحذير :"بص وراك كده"

و تنفيذا كلامه ليس أكثر بدأت أستدير بظهرى تمهيدًا لأن أنظر لما ورائى لأرى الخطر الذى يقصده و أكتـشف الـشبح الذى أرعبه و أنا أقول محتفظا بضحكتى:"إيه مُزة و لا إيه؟",إلا أننى فوجئت به ينهانى عن تنفيذ الأمر الذى صدر منه شخصيا منذ ثوان قليلة"لأ ماتبصش,إوعى تبص"قالهـا بـسخط فـاق سخطه السابق,بدأ ذلك الأهطل يعاملنى و كأننى أنـا المجنـون الغبى,فما وجدت منى إلا أن أسأله بضجر إن كان سـكرانا, ولكنه تجاهل سؤالى تماما و سألنى,هذه المرة جملة كاملة واضحة المعالم نسبيا عندما تقرالها بباقى حديثه المتناقض :"هو الواد إللى

إنتو أتخانقت معاه إنت و مارك و نادر من كام يوم بره الكافيه شكله عامل إزاى؟"

- إشمعنى يعنى؟

- قوللى بس.

- أبيضانى كده و طخين سنة، ليه إشمعنى يعنى؟

و استكمل و هو مازال ينظر ورائى :"و لابس نضارة وشعره إسود خفيف"

سألته و قد نجح أن يشد إنتباهى :"هو قاعد ورايا ولا إيه؟"

أجاب برأسه موافقا و هو يُفسر:"من تانى يوم الخناقة و هو أو حد من صحابه و هما دايما قاعدين، اظاهر حد منهم سمع إن إنتو بتيجوا هنا كتير,و الواد أبو نضارة ده بالذات سأل عليكو كذه مرة"

سألته و قد أصبح خوفى واضحا :"و شكله ناوى على مشاكل؟"

***

الفصل السادس

زيج زاج,بوب مارلى,عمرو دياب,و عمرو خالد !؟

"لأ طبعاً ده بيهوش بس، و لا يقدر يعمل أى حاجة من اللى بيقول عليها دى خالص!"

قالها شريف الكفراوى محاولا أن يهدىء من روع"مروة",كانا فى مخبأهما فى المهندسين,روت له بالطبع عما قاله"أحمد شمس"و كانت تلك العبارة السابقة هى رده القانونى المؤكد,سألته مرة أخرى فى محاولة أن تصرف عن نفسها عفريت القلق "يعنى هو ميقدرش يقول حاجة زى دى فى المحكمة؟"أوضح شريف شبه مستسلما:"من ناحية يقدر فهو يقدر و كل حاجة"و كادت أن تبكى لولا أن استكمل:"بس لو فكرتى فيها,إيه إللى يخليه يعمل حاجة زى كده؟أولا مفيش حد بيحب إنه يظهر مغفل قدام الناس,و إنتى ولا فارقة معاه فى أى حاجة على فكرة,و ثانيا و ده الأهم: حاجة زى دى لو اتقالت هاتسوء سمعة إبنه لحد ما يكبر,ابنه إللى هو من الأول عامل كل ده علشانه,هو بس بيقول كده علشان يخوفك,علشان يلخبطك و يأثر على تفكيرك"كان كلامه على قدر ما هو صريح على قدر ما هو مُقنع للغاية,وقد لاحظ هو أنه يحسن النقاط لصالحه فاستكمل:"دى قضية هابلة أى محامى صغير فى مكتبى ممكن يكسبهالك على فكرة بس أنا إللى هتابعها بنفسى"و عندما قالها أدركت هى أنه قد مل من الكلام

فى هذا الموضوع,و بحكم العادة,تلك الأمور التى نعيدها مـرارا وتكرارا دون أن نفهمها أو نتوقـف عنـدها لنفكـر فيهـا مليا,كانت هى قد عودته أن يتوقع بعد أى خدمة يؤديها لهـا مقابل جنسي,إنها النسخة الأنثوية من تطبيق نظريـة الثـواب والعقاب,فلا متعة لشيء قد تم توقعه مسبقا,يـصبح كالأكـل دون جوع,و كان هذا هو الحال بينهما,اقترب منـها ليأخـذ مكافأته,لا يعلمان لماذا ظلا يفعلا ذلك بعد أن خلا الأمر مـن المُتعة,و أصبح العشق بينهما طريقة لقفل الحسابات و تبـادل الخدمات المعلوماتية,و تجرد الجنس مـن سـخونته ليـصبح احتكاكا جسديا حارا مُرهقا يحبس الأنفاس ولا ينتج عنه رضا أو ذرية,أصبح روتينا عاريا لا تتخلله أية فائدة و لا ينتج عـن غيابه أى ضرر,و لكنه,اعتاد,و هى اعتادت,جنـسهما يـشبه السجائر,يواظبان عليها و يلعناها سرا و علنا بمجرد انتهائها,ثم يمسكان القداحة ليبدؤوا فى جديدة

***

حالة فريدة من نوعها للغاية فى الإنسان,المثال الذى يحضرنى الآن قد قراته فى أحد كتب أنيس منصور عن رجل قد"أصيبت ساقاه فتمسك بعكازان,جعله مرضه نصف مُعاق يعانى فى كل خطوة من فرط الألم,ثم فجأة و بدون مقدمات ظهـر أمامـه ثعبان,فرمى العكازين بلا تردد و جرى بسرعة قد لا يصل إليها و هو فى أفضل حالاته الصحية,أنا أتكلم عن تلك القدرات التى نكتشفها فى أنفسنا لأول مرة عندما نقع فى مُشكلة,هذا أقرب

وصف لما حدث فى إيستيميــشن كافيــه فى ظهــيرة ذلــك اليوم"خالد"قد حوصر تماما من كل جهة,و أصبح من الصعب للغاية أن يخرج سالما من موقف كهذا,و"سيد"خائف أن تحدث مُشكلة فى مكان عمله فيخسر وظيفته,خاصة أنه من المعروف عند مديرى المقهى أن"خالد"و"مارك"و"نادر"هــم فى الأصــل معرفته,و أن أى مشكلة ستصدر بسببهما هو مسؤول عنــها بشكل ما,توصل الاثنان فى سرعة لخطة محكمة قــادرة رغــم بساطتها أن تنهى الموقف بأقل خسائر ممكنة,هناك باب داخــل حمام المقهى يؤدى إلى الشارع مباشــرة,و لكنــهما وجــدا أن"خالد"بدأ يعيد إلى جيبه أغراضه التى قــد وضــعها أمامــه فسيدرك من يراقبونه إنه ينوى الرحيل,اتفق"سيد"مــع هــذا الأخير أن يترك هاتفه الجوال و محفظته و أن يتظاهر بأنه ذاهب إلى الحمام. لم يكن هناك وقــت أمــام خالــد لــيحكم إن كان"سيد"يمتلك الأمانة التى تجعله مؤهلا للاحتفاظ بــأغراض ثمينة الثمن كتلك أم لا,فكل ثانية تمر هى اقتراب مــن مــصير ثقيل الظل غير مرغــوب فيــه,و بالفعــل قــام خالــد إلى الحمام,وبمجرد أن اختفى عن أنظارهم تحولت مشيته الهادئة إلى جرية سريعة للغاية,اصطدم خلالها بــالكثير مــن الجــدران و الأشياء, وأخيرا إستطدم بشخص فى سنه,كان هذا الــشخص هو"كريم شمس",فرسميا لم يكن الاثنان قد تقابلا من قبل,لــيس ذلك التعارف الذى يؤكــد إليهمــا هويــة الآخــر,اعتــذر إليه"خالد"شارد الذهن ثم انطلق مرة أخرى فى طريــق هربــه,

"كريم"قد عرفه ولكن ذلك السريع الأخير لم يتـذكر كـريم,
عندما عاد كريم إليهما سألهم فى إعجاب عما سبب فى إنهـاء
الأمر بهذه السرعة,فاجأوه إنهم ما زالا فى إنتظار تلك اللحظـة
المُناسبة حتى الآن,أكد لهما أنه قد رحل بالفعل,سبوه و اتهموه
بالغباء و أشار"البارودى"بيده إلى المكان الذى يجلس فيه و هو
يؤكد"إنت أهبل يا بنى ؟ يمشى إزاى إذا كانت حاجته لسه"ثم
قطع البارودى جملته بنفسه عندما وجد "سيد"يأخذ الأغـراض
ليجلس أناس آخرين فى نفس المكان,تركـوا بـدورهم كـل
شئ,خرجوا هم أيضا من نفس الباب,لينتهى هـم الأمـر فى
زقاق فقير ضيق,لمحوا فى آخر ذلك الممر ظله و هـو يجـرى.
وبـدأت المطـاردة مـا بينـه و مـا بـين الخمـسة
(هانى,محمد,كريم,رامى,عمرو),وكاد المنظر أن يقتـرب مـن
الطرافة,و لم لا ؟كلهم مدمنو حشيش و سـجائر,بما فـيهم
خالد"خالد"البطئ يجرى وراءه خمسة أبطأ منه,و بـدا الأمـر
للواقفين أمام"مول زهران"و كأنهم يتظـاهرون أو يمارسـون
الرياضة مثلا,فمن المستحيل أن تكون هـذه هـى الـسرعة
القصوى عند أى شخص هارب أو مُطارِد,بدأت أنفاس خالد
تتلاحق و قد قصرت المسافة ما بين الشهيق و الـزفير و بـدأ
تركيزه يقل,و هم مثله تماما,بمجرد أن وصـلوا إلى مـساكن
سموحة توقفوا,و رأوه من بعيد ما زال يجرى خائفـا حـتى أن
ينظر وراءه,و عندما فعل وجدهم واقفين فتوقف هـو الآخـر
وقد فصل بينهمم مسافة شارع بأكمله,و هنا صدمته سـيارة

مسرعة, لم تطرحه أرضا بل أصابت ذراعه الأيمن فقط,و لكـــن حتى ذلك لم يحفزهم على الاقتراب كانوا قد تعبـــوا صــــدقاً, ووجد الصيادون أنهم إن تسببوا فى إصابة الطريــــدة و إلحـــاق الأذى بها فإن هذا فى حد ذاته نصرا قريبا من الرجوع بهـــا إلى بيوتهم

***

لا يدرى أحد ما أصاب"أحمد شمس"منـــذ أن عـــاد مـــن العاصمة, لم يتكلم مع أى مخلوق سواء عن ما حــــدث لـــه فى القاهرة أو حتى أى موضوع آخر, لم ينبس ببنت شفة منـــذ أن وصل,أصبح بقاية بشرى و حطام إنسان أخرسته الهموم,قطعت لسانه المتاعب,و إنتصر عليه ثنائى الحزن و القلق,انتصار ساحق هذه المرة, لم يخرج من حجرتـــه,فى البدايـــة أثـــر البقـــاء فى الهدوء,فالصمت يساعده على التفكير بـــشكل منطقـــى,ثم لم يتحمل البقاء بمفرده مع أفكاره,وجد شريط,إحدى محاضرات عمرو خالد,محاضرة تتكلم عن الحجاب,عن موضوع بعيد تماما عن مشكلته,و لكن لا بأس فأى صوت صادر من حوله سوف يفى بالغرض,أى صوت خارجى يغطى على صوت عقله,بضع دقائق و بدأ صوت الداعية الرفيع يقلب عليه المواجـــع,أطفـــأ الكاسيت,بدأ يُشغل شريط لعمرو دياب,وعلى أنغـــام عربيـــة غربية الأصل بدأ يُشعل أول سيجارة حـــشيش منـــذ زمـــن

طويل,توصل بشكل ما إلى المكان الذى يُخفى فيه أخوه"كريم"أدوات تدخينه,قرش حشيش كامل,أنواع كثيرة ومُختلفة من أوراق البفرة,محلية و أجنبية,وجد فى وسطها"بوب مارلى",نوع أجنبى شهير من أوراق البفرة (سُمى على اسم مُطرب جامايكى مُدمن),أراحته الموسيقى نسبيا,نظر إلى شريط المُحاضرة الدينية المهجور فشعر بالذنب,هيأ له المُخدر أن الثقبان فى وسط الشريط عينان تنظر إليه فى مقت,و رغم غباء الفكرة إلا أنه لم يستطع أن يطردها من عقله,و لم يرد أن يطفىء الموسيقى كذلك,و لم يرد أن يتخلص من الاثنين ليعود إلى جحيم الصمت,و توصل إلى حل,بسيط و أبله و لكنه فعال,أدار الموسيقى و الدُعاء فى نفس الوقت,فى يده اليمنى حشيشة يستهلكها و فى يده الأخرى سبحة تستهلكه,و بدت كل جملة من أغانى عمرو دياب و كأنها ترد على عمرو خالد,وجد هدفه فى التناقض,و وجد الاستقرار فى الضوضاء, وقبل أن ننتقده,ألا نفعل كلنا ما يفعله الآن بشكل ما أو بآخر؟كل ما فعله هو أنه قد خلق (مصر) الخاصة به داخل حجرة نومه.

****

قعدة حشيش أخرى فى شاليه"محمد"البارودى فى مارينا,لم يجد ذلك الأخير طريقة غيرها لشكر"رامى"و"كريم"و"هانى"

وعمرو"سلامة,و ليكافئهم على وقوفهم بجانبه فى موقف أمـــنى حساس للغاية كذلك الموقف مع"شلة"مدرسة"سان-مارك",هذا يضحك و هذا يغضب و هذا يهتف و قـــد أخذتـــه حماســـة اللعب"إنتو بتسطعبطوا؟ ما دام فيه ورقتين شايب كاروه مـــن نفس الكوتشينة يبقى الكوتشينة دى بايظة", و هذا يتفرج على التلفزيون كل هذا و "عمرو سلامة" ساكت,و هذا شيء مثير للفضول أكثر منه استفزازا للصداقة,تذكروا معلومة قد نسيوها أو تناسوها عنه,عمرو سلامة هو فى الأصل شاعر,ربمـــا هـــذا يُفسر لماذا هو حساس عاطفى هكذا,لـــيس شـــاعرا مُحترفـــا ولكنه لا بأس به,و شعره تماما كشخصيته,رغم ضعف المظهـــر العام و عدم الالتزام بالقواعد إلا أن لديه معان تنتـــصر علـــى ضعف الوزن أحيانا,التفت إليه هانى و اقترح بلـــسان أثقلتـــه الخمور"طب ما بدل ما انت قاعـــد ســـاكت بتتفـــرج علينـــا كده,اقرالنا شوية شعر من بتوعك",تردد فى البدايـــة ثم بـــدأ بالإلقاء,و كأنه كان ينتظر تلك الفرصة بفارغ الصبر ليخـــرج من شرنقته بلا عودة,لتأتى عشرات الحروف التى تكون جملا, وعشرات الجمل التى تكون قصائد,و قصائد كثيرة تكون فكرة واحدة,اشتياقه للينا,ألا ينوى أن ينساها أبدا؟!!,تكلـــم عنـــها بوفرة قبل أن يتكلم عن نفسه.

"أنا عاقل جواه أراجوز,و دى فكرة الحاجز النفسى

أنا عيل من جواه عجوز,أنا معانيه و المعنى العكسى

متدين بيموت فى البوس,و ده مخرج لتناقضى و كبسى

أنا إللى الخايف من العفريت,و هو الجنى و هو الإنسى

مغرور رغم إن أنا مهزوز ..و محسس نفسى أوى بنفسى"

الفصل السابع

مسائل عائلية

– ما حكته نيفين حنى–

منذ أن رن هاتفى الجوال اليوم,و أنا أفتقد الهدوء,ف البداية مكالمة من"مارك"ثم"خالد"ثم"نادر",فالثلاثة كلما وقعوا فى مشكلة,جروا بسرعة نحوى,نحو"ماما نيفين"التى تمتلك إجابات كل الأسئلة التى تخص الحياة و لديها حلول أية مشكلة احتماعية,احتفظوا لى بتلك الصورة الفاضلة المُبالغ فيها فى آذهالهم لسبب لا أفهمه رغم أننى أصغرهم كلهم سناً,كلهم يبلغوننى بنفس المعنى و لكن بكلمات مختلفة,و الفكرة هى هى و لا تتغير إلى حد الملل,هناك شيء ما حدث,و يجب أن نتقابل فى مكان غير إيستيميشن كافيه .."خلاص عرفنا بقى!"و بعد أن أنهيت آخر مكالمة معهم,لم تكن تلك نهاية الأحزان,و لا حتى بدايتها,مكالمة من فلانة فى الكنيسة تذكرنى بموعد صلاة لا أريد أن أحضرها و لا تخص طائفتى (شهود يهوى) فى أى شيء,و اتصال هاتفى من علان فى الكلية يريد تصوير الـ٥٥ محاضرة السابقين من كل المواد,و أخيرا"ريم",تلك الفتاة التى قابلتها فى إيستيميشن و التى كدت أن أنسى أمرها تماما,قاطعت وجبة غدائى لتبلغنى بحماسة و حرارة ينمان عن الفراغ التى تعيش فيه,عن"قد إيه هى نفسها تشوفنا كلنا", وتجلس معنا كلنا,و إن إحنا كلنا مبنسألش,و آلاف الجمل

الأخرى التي تحتوى بشكل أو بآخر على كلمة"كلنا",و عند أول فرصة توقفت هي فيها عن التعبير عن تلك المشاعر الجماعية,و عند أول سكوت لها من بداية المكالمة (لماذا يصر المُتصل بأنه من حقه أن يتكلم أكثر لمجرد أن المكالمة محسوبة من رصيده؟),أبلغتها أننا سنتقابل اليوم فى مكان ما فى محطة الرمل و أنها مدعوة للقدوم,و أنها إذا أرادت أن تعرف المزيد من التفاصيل فيجب عليها أن تتصل بمارك و ليس بى,هذا لأننى قد قررت ألا أتلقى أى مكالمات أخرى,موبايلى سيظل مغلقا حتى الساعة السابعة (قبل موعدى مع أصدقائى بساعة),أسلمت نفسى للنعاس,و كأى شيء جميل ينتهى بسرعة,انتهى النوم بسرعة,أبلغنى منبهى المُزعج بذلك ذهبت إلى محطة الرمل,يوم غريب بمعنى الكلمة,خالد يده مكسورة ونادر سيارته مكسورة,يزعمان أن شخص واحد (محمد البارودى) كسر الإثنان بقصد,إذن فلماذا لم يحدث أى شيء لى أو لمارك؟ربما لم يحن دورنا بعد,لم أتوقف كثيرا عند الأمر,كنا حول"ترابيزة البلياردو"لعبة قد بدأت بين"خالد"و"نادر",مارك واقف بجانبى, وريم لم تظهر بعد و لكنها اتصلت بمارك,تعرفت بالمكان ووعدت بالمجىء,سألت"نادر"و هو مُنشغل باللعب"طب وتصليح العربية هيكلف كام تقريبا؟".

لم يرد,هدوء لم أعتده من"نادر",ظننته لم يسمعنى,و لكننى أدركت أنه فى حالة تركيز قبل لعبته القادمة,ثم جاءت إجابته: "ألف وخمسميت جنيه,و المفروض بكره ورايا مشوار مع أهلى

هنقابل ناس قرايبنا,و أنا لسه مقولتش لأمى حتى,إن فى حاجة حصلت فى العربية أصلا"

سألته:"قرايبك مين؟"

أجاب بزهق :"معرفش واحد دكتور باين,من أول الصيف إللى فات و إحنا عمال يطلعلنا قرايب عمرى ما شـــفتهم فى حياتى وبعدين هى دى المشكلة يعـــنى؟ خلينـــا فى موضـــوع العربية".. سأله مارك : طب العيال دول إللى كسروها شكلهم إيه طيب؟أجاب نادر وقـــد تـــرك اللعبـــة مؤقتـــا: بقولـــك مشوفتهمش,أنا سيبتكم وطلعت لقيت العربية مدغدغة كأنهـــا لسه طالعة من حادثة,لقيت حوليها زحمـــة,قـــالولى إن فيـــه ميكروباص وقف و نزل منها شباب فى سننا تقريبا أو أكـــبر شوية,ومسكوا عصيان و قعدوا يكسروا فى القزاز,بعد كـــده طلعوا سكاكين و فسوا العجل,و لما الراجل بتاع الباركنج راح يبعدهم عن العربية,ضربوه""بلطجية يعنى !!",قالهـــا"خالـــد"ثم استكمل"طب هنعمل إيه دلوقتى , ناوى تجيب فلوس منين"

-"فى كذا مكان فى دماغى أجيـــب منـــه (كاشـــات) , وبعديها..."

قاطعه خالد :"أنا مش بتكلم على كده,محمـــد البـــارودى ده,هنعمل معاه إيه؟ واحد حب يشوف نفسه علينا يتـــساب كده؟".. سأل"مارك"فى برود:"أمال عايزنا نعمله إيه مثلا؟"

"إنت لسه هاتسأل , نضربه طبعاً"

قالها"خالد"و قد زادت عصبيته و برقت عيناه,أحمر وجهه ويده تسافر جوا يمينا و شمالا فى حماسة غريبة حتى كادت أن تصطدم بوجهى,و كان موقفا غريبا بالفعل,رأيت فيه لأول مرة"خالد"الذى اشتهر بالهدوء الذى يصل إلى حد الاستفزاز أحيانا هو الطائش الأهوج هذه المرة,بل"نادر"الذى اتسم بالهبل تحول اليوم إلى إنسان عاقل حكيم للغاية بشكل يثير الإعجاب,أشار عليه نادر مُهدئا :"هنفضل نتخانق نتخانق وفى الآخر مش هنستفاد حاجة,أنا أكتر شىء هاممنى دلوقتى,هو إن أنا آخد منه فلوس تصليح العربية"

ثم استكمل"مارك"متابعا :"و أنا بصراحة برضه مش طالبة معايا بخناق اليومين دول خالص,خصوصا إن الميد ترم (إمتحان منتصف الترم الدراسى) قرب و أنا مش مذاكر حاجة "

:"تصدقوا بقى إن إنتو شباب"قطع خالد جملته من نصفها,احمرت عيناه أكثر و أكثر فزادت حركته فى المكان واستكمل وقد تملكه الغضب"مش عارف أقولوكو إيه و فى بنات واقفة,طب و منظركم قدام الناس هيبقى إيه,لما واحد يعمل فيكوه كل ده و فى الآخر إنتوا إللى تروحوا تعتذرو له؟"

أجاب نادر بعصبية معقولة و محكومة :"يا خالد أنا مستعد,أروح أتخانق معاك دلوقتى حالا,لو تدفعلى فلوس العربية" .. ثم دافع مارك عن فكرة السلام :"و بعدين ، مين قال نعتذر له ؟ إحنا هنروح نتكلم عادى جدا,و زى ما هو ليه

حاجات عندنا إحنا كمان لينا حاجات عنده,و بعديها كل واحد يشوف مصلحته"

هنا رن هاتفي كانت ريم تستفسر للمرة الثانية عن المكان,عندما انتهت المكالمة كان خالد واقفا بجانبي يشدني بعيدا عن الجميع ليسألني في لهفة عن ريم:"هي جاية دلوقتي؟"

-"أيوه"

-"كلمتيها في حواري"

-"لأ كنت بفكر أكلمهالك النهاردة"

-"لأ لأ أوعى تعمللي كده,أنا ههندل (سوف أتحكم في) الموضوع ده خلاص.

رجعنا إلى أماكننا,أتت ريم لم نجد حرجا أن نستكمل أمامها الموضوع بشكل طبيعي,بل و لم نشعر بالضيق عندما أبدات هي رأيها :"إديله الجاكت بتاعه,و هو يدى لنادر فلوسه"

هنا عقد"خالد"ساعديه أمامن صدره و غمغم بصوت ظن هو إنه ليس مسموع :"لو كانت المشكلة على الجاكتة كانت اتحلت,المشكلة فاللى كان جواها"فوجيء بي بعدها و أنا أسأله:" أمال المُشكلة في إيه؟"ارتبك و قال بنبرة مهزوزة خائفة:"هه؟لا أبدا المشكلة إن أنا مش هاروح الحوار ده خالص,مش هاروح أعتذر له يعني"

و قال نادر مطمئنا:"و مين قالك إنك هاتروح ؟ و لا أنـــا حتى هاروح,مارك هو إللى هيقوم بالمُهمة دى؟ مـــارك هـــو الوحيد إللى متعاملش معاه يوميها فينا"

أبلغتنا"ريم":"خلاص مارك هو إللى يجى معايا,أنا متـــهيألى لسه ليا كلام مع محمد ممكن أكون الوسطة بينكم و أصالحكم على بعض"

قال مارك فى حماس وطنى: "تمـــام أوى,و أنـــا كفـــاءة إنى أتفاهم معاه"

و ساد الارتيـــاح علـــى وجـــه الجميـــع,الجميـــع فيمـــا عدا"خالد"الذى تنفس بثقل كأنه لا يريـــد أن يـــتكلم عـــن الموضوع,و هو ينحنى بجسده جزئيا و يقول فى هم و تـــشاؤم ممسكا بعصاه:"أنا هالعب على البلاك"

***

فى صباح اليوم التالى,ازدحم بيت عمرو سلامة بالناس,أتى الضيوف على غير هـــواه,كـــان يُفـــضل أن يـــوفى بوعـــده مع"كريم"و"رامى",أن يقابلهم اليوم فى نادى سبورتنج (نـــادى الإسكندرية الرياضى الشهير بنادى سبورتنج),فـــ"كـــريم"فى حاجة ماسة إلى المساعدة فى مادة تُسمى"الداتا بيـــز-قاعـــدة البينات",و هو يعلم أن"رامى"وحده لن يكفى بمُساعدته,فرامى على غير دراية بكيفية شرح مادة معقدة كتلك لـــ"كريم",كما

أن"عمرو"كان- غير كل ذلك- ما زال حتى الآن لا يجيد أبدا مجاملة الضيوف على أى حال,فهو مهما كبر سنه يحتفظ بخجل نسبى منذ طفولته,و الضيوف هذه المرة يتكونان من عائلة كاملة,أب و أم,ابن مخطوب حديثاً و خطيبته,و ابن آخر صغير (فى سن عمرو سلامة) فى هذه العائلة الرذيلة,إنها إحدى تلك العائلات التى تجدها أتت إلى بيتك فجأة,و أهلك يأكدون أنهم أقاربك,و يتهمونك بالجهل و التقصير فى حق صلة الرحم لمجرد إنك لا تعرف أسماء أبناء بنت عم ابنة خالة أبيك غير شقيق لعمك بالترتيب (!!), المُهم قرر"عمرو"ألا يُفسد علاقته بأهله,و أن ينفذ نصيحتهم بأن يُحسن التصرف هذه المرة (على عكس المرات السابقة),و قرر بصدق أن يفعل,فطريقته فى حسن التصرف هى ألا يتكلم إلا إذا كان المعنى جيدا ومُحترما.. لذلك قرر ألا يتكلم أبدا فى هذا الاجتماع العائلى العقيم,و لكسر الجليد بدأ أخو عمرو سلامة الكبير (نسيت أن أخبركم أن له أخا يكبره عمرا) بالمزاح هنا و هناك,و كثر المزاح الثقيل الدبلوماسى فى الجلسة,كل ذلك و"عمرو"لم ينبس ببنت شفة,و لم يكمل جملة مسموعة حتى ..و هذا الفتى الذى يقترب سنه من عمرو,اسمه"نادر"(هو نفسه نادر الميتالست صديق مارك و خالد و نيفين يبدو إتضح أنه قريب لعمرو سلامة من بعيد),يؤكد لك مظهره بأنه مجنون,أحد مجانين

موسيقى الميتال.. يعانى من مشكلة ما فى سيارته أجبرته علـى التأخير"نادر"قد جلس بجانبه بدون أية دعــوة أو داع,و بــدأ يجذب أطراف الحديث المُمل .."أنا أعرف واحد فى دفعتــك على فكرة"

حاول عمرو أدبا ليس أكثر أن يتظاهر مؤقتا بالاهتمــام : بجد و الله مين؟

– واحد صاحبى معرفش هو عندكو فى سان جابرايل و لا سان مارك.. هو مش صاحبى أوى برضه,معرفة كده

سأله عمرو بضجر وتهكم و هو يشرب العصير الذى أمامه: صاحبك إللى مش صاحبك ده له اسم يعنى؟

رمقته عائلته (عائلة عمرو) بنظرات غاضبة خفية عند نطقه لتلك الجملة الأخيرة. أجاب نادر: اسمه حسام بدر الدين.

وكل ما جاء بعد ذلك كان غير مُتوقعــا غــير مُخطــط له,وقف عند نطق اسم"حسام"(حبيب لينا الجديد) مياه العصير فى حلقة,وجد نفسه يبصق عن غير قصد محتوى شرابه فى وجه الضيف الشاب,و لم يدرك"عمرو"ما حدث إلا بعد أن حــدث بالفعل,الضيف الآن مُغرق ببصاق و لُعاب"عمرو",بصقة ملونة فنية على قميصه,و بدأت المواقف المُحرجة.

***

و يحكى "رامى":

و فى محاولة أخيرة يائسة للم المناهج قبل الامتحــان بفتــرة قصيرة,جلس "كريم" معى فى كافيتريا "الكروكيه" داخــل نــادى سبورتنج لمعرفة أى شيء و إنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل هجــوم الإمتحانات .. لم يكف كريم عن المزاح الثقيل بــدون داعــى حتى اعتذر و هو يمسك برأسه بتعب كأنه منعها من الوقــوع من فوق كتفيه :"معلش سورى يا"رامى",هى قفلت على كده النهارده,مش عارف أركز خلاص".. توقع"كريم"منى المزيد من الغضب و لكن ذلك لم يحدث,فجأة أصبحت شاردا,ناظرا إلى شيء مجهول قد لفت انتباهى فى المكان منذ ثــوان,و عنــدما سألنى"كريم"فى حيرة عما يشغلنى,وجــدنى أجذبــه و أســأله بصوت منخفض للغاية إن كان يعرف تلك السيدة,سألته و أنا أشير برأسى,نظر "كريم"إلى الاتجاه الذى أقصده بتمعن ثم أجاب :"أه,مش دى صاحبة حد فى"أميريكان- تيمور"باين؟"

- مش دى يا عم,الست الكبيرة إللى على الترابيزة اللــى جنبينا,عمالة تبصللى من ساعة ما قعدنا,مش عارف ليه.

- يمكن علشان إنت بتبصلها؟

- هى مُدرسة أو حاجة ؟

نسينا موضوع المرأة تماماً ظللنا نتحدث فى كل ما هو تافـــه ثم رحل "كريم", اتصلت بى"يمنى"على الموبايل,زاد اهتمام المرأة بالنظر إلى لمجرد أنها سمعتنى أتكلم مع فتاة تسمى"يمنى", لم أهـــتم بل أكملت المكالمة,كان الهدف من اتصالي بـــ"يمـــنى"تقريبـــاً معدوم,محاولة لجذب أطراف الحديث لسبب غامض,دخلت أنا فى الموضوع مُباشرة"فكرتى فى اللى قولتـــهولك المـــرة إللـــى فاتت؟",يا لها من لحظة مصيرية قد تـــتحكم فى علاقتنـــا إلى الأبد,و قبل أن يأتيني الرد,اضطررت أن أقطع المكالمـــة,نفـــس المرأة الأرستقراطية المُزعجة قامت من مكانها,جائت من آخـــر الدنيا لتسألنى إذا كانت تستطيع أن تستخدم السُكر,مـــسكت السُكرية التى أمامى لأوضح أنها فارغة,و لكنها تظاهرت بغباء مقصود,فظلت تسأل فى منتهى"اللذاذة"عن هذا السُكر,تجاهلتها هذه المرة و أنا أكلم"يمنى":"مين قال إنى متضايق ؟ بالعكس أنا عايزك تاخدى وقتك علشان ماتخديش قرار تندمى عليه بعـــد كده,الحاجات دى أصلها"قاطعتنى هذه المرأة (الزنانة) للمـــرة الثالثة,أخبرتها أنها يمكنها أن تسأل العاملين فى المكـــان,فلهـــذا يتقاضى هؤلاء مُرتبات على أية حال,ظننت لثانية أنها رحلت, ولكننى فوجئت و أنا أتكلم مع يمنى بمياه ساخنة تغرقنى تقريبـــاً بالكامل,كانت نفس المرأة مـــرة أخـــرى,فقـــدت أعـــصابى تماما,أغلقت الموبايل دون أن أعتذر ليمنى,و أخـــذت أنهرهـــا وأصرخ فى وجهها,قالت فى هدوء مستفز إنهـــا لم تقـــصد أن تصب الكابتشينو الذى فى يدها كله علي (!!),و بعد سيل من

الشتائم من جهتي وجمل أكثر استفزازا من جهتها من أمثال"مفيش داعي إنك تتعصب,إيه ده C'est Imposible مفيش داعي لكل ده خالص,قولتلك أنا آسفة,إيه الناس دي؟!" (رمت الكلمتين) ثم عادت إلى مقعدها الأصلي مرة أخرى و أخيرة.. أخرجني ما حدث من تركيزي تماما,بعثت برسالة على الهاتف لأعتذر بها لـ"يمنى", أنبني ضميري للأسلوب الغير اللائق الذي تعاملت به مع هذه السيدة,قمت من مقعدي,اقتربت منها ليدور بيننا الحديث المُرتبك الآتي..

- بصي حضرتك أنا آسف جدا,أنا بس كنت بكلم صاحبتي.

سألتني باستنكار بدا لي في منتهى الوقاحة : صاحبتك؟

- بنت أعرفها يعني,كانت مكالمة مهمة ..

و زادت الوقاحة: مكالمة مهمة؟بتقولوه إيه بقى؟

- نعم؟

- على العموم أنا مش زعلانة منك خلاص,أنا عارفة إنك عصبي.

- إيه ده هو حضرتك تعرفيني من حتة قبل كده؟

- مش أعرفك أعرفك شخصيا بس بسمع عنك يعني؟

- من مين؟

- من"يُمنى"، بتحكيلى عنك كتير.

-"يُمنى"مين؟

أجابت ساخرة :"يُمنى حامد إللى إنت كنت لسه بتكلمها على الموبايل !!,إيه لحقت قفلت السكة و نسيت بسرعة كده على طول؟"

زاد قلقى"حضرتك تعرف يُمنى منين؟"

- تصدق بقى إن إنت بجح,مفروض أنا إللى أسألك تعرفها منين.

- حضرتك مامتها؟مش مفروض إنك فى كندا؟

ليلى: لأ أنا مش مامتها,أنا اسمى"ليلى هانم الكفراوى",عمة يمنى,إنت بقى اسمك إيه يا حبيبى؟

***

على عكس الاجتماع العائلى الأجوف الذى حظى به"عمرو سلامة"فى بيته و الاجتماع المضطرب غير مُتوقع الذى وقع لرامى فى نادى سبورتنج,و الذى ساد عليهما الارتباك و عدم الارتياح,حظى"كريم" عند رجوعه إلى المترل باجتماع عائلى بسيط و مطلوب للغاية,اجتماع بأخته المُتزوجة وبطفلتها"فرح"التى تحب لقاء"خالو كريم"أكثر من أى

شيء,جلس مع أخته و أمهم,يتحدثون عن آخر المواقف الاجتماعية التي حدثت,و كلام من نوعية"و إنت عاملة إيه مع جوزك؟",بعد فترة من الكلام,و بعد أكثر من فنجان شاى (ينتمى كريم إلى عائلة تشرب الشاى فى فناجين بدلا من القهوة) ,انسحبت الأم لتفعل شيئا,أو تطبخ أكلا,أو لتصلى سهوا,لا نعلم لماذا قامت لكنها قامت,و استغلت أخت"كريم"و"أحمد"تلك الفرصة جيدا,كانت تدرى الحالة النفسية السيئة التي يعانى منها"أحمد"بسبب المنحيات الجديدة المؤسفة التي اتخذها إجراءات طلاقه من زوجته"مروة",فلم يكن من المنطقي أن تستفسر عن حاله أمام والدته لتذكر تلك الأم المسكينة بما آل إليه حال ابنها,فسألت"كريم"بقلق يحمل نبرة اللوم:"طب إيه,مش هيطلع يسلم عليا أخوك ده يعني؟"

رد كريم فى هم و هو يلوح بيده : معلش سيبيه فى إللى هو فيه؟ أنا لو وريتك منظره دلوقتي هتتخضى,ده كان عنده أول يوم شغل النهاردة و مراحش,من ساعة ما جه من القاهرة وهو مش طبيعي على فكرة.. فى حاجة غلط"

-"يعني خلاص بقى,قولنا يومين تلاتة و بعديها يفوق لنفسه,مش يشوف حاله كده ؟؟ و يبتدى يترل الشغل؟؟!!"

قالتها ثم توقفت فجأة عن الكلام,منذ دقائق و خلال الجمل الأخيرة كانت تتابع بعينيها تحركات ابنتها ذات العشرة أعوام

بين حجرات الشقة,و لكنه هذه المرة عندما التفتت لم تجـــدها سألت"كريم"بقلق :"إيه ده هى فرح راحت فين؟"

***

فى الحجــــرة المُجــــاورة لــــذلك المـــشهد,فى نفـــس الشقة,كان"أحمد"واقفا فى الكواليس وراء ستارة يتابع كل مـــا سبق من كلام,كلامهم عنه,فى البداية خرج ليبحث عن المزيد من السجائر و لكنه اصطدم بصوتهم,صـــوت أخيـــه كـــريم وصوت أخته الذى لم يسمعه منذ زمن بعيـــد يـــشكو قلـــة سؤاله,ما بين اللوم و الشفقة,لم يكد يصل إلى تلك النقطـــة فى الحديث التى يتم فيها اكتشاف اختفاء"فـــرح"حـــتى فـــوجىء بصوت موسيقى يأتى من ورائه,التفت ليجد"فـــرح"تـــضغط بأناملها على أصابع البيانو الواقع فى منتصف البيت,اقترب منها فى فضول و هو يتخلص من آثار السطل,و نطق,نعم نطق,أول ما قاله منذ وصوله"إنت بتعرفى تعزفى على البيانو؟"

***

و"ليلى هانم الكفراوى"ليست مُجرد أرســـتقراطية أنيقـــة فحسب,بل تمتلك أيضا ذكاء اجتماعيا و عاطفيا لا يـــستهان بهما,تعرف كيف تحرج أعداءها و تهينهم بمنتهى الأدب,تعرف كيف تكسب حقوقها دون أن تخرج عـــن حـــدود الـــذوق

واللياقة ,فكل فرد فى عائلة يختلف عن الآخر اختلاف الـ١٨٠ درجة,ما بين هادىء و مُندفع و غنى و فقير وجاهل و مُثقف,و لكن يظل بينهم ثلاث نقاط (أو سمات) تميزهم واتفقوا فيها,أولها ما تم ذكرها منذ قليل من حُسن التصرف وكثرة الكلام و إجادته أكثر من أى شىء آخر,و ثانيها الحماسة أو الإرادة التى لا يقف فى وجهها شىء (بداية من والد شريف الذى تزوج من فقيرة رغم أنف عائلة الباشوات التى ينتمى إليها,إلى النجاح الذى حققه شريف و النجاح الذى حققه حامد بعد الفقر الذى حل على العائلة بعد الثورة,مرورا بخالد و غضبه الذى لا يُفكر فى العواقب),فمعنى أنهم قد فشلوا فى شىء ما فهذا معناه أنهم لم يريدوا بداخلهم صدقا أن يحققوه حتى لو أكدوا العكس أمام الجميع..و ثالث صفة,تلك التى تميزهم عن سائر أجناس البشر هى,إتفاقهم على ألا يتفقوا

"و إنت بقى اسمك إيه يا حبيبى؟"

وقف"رامى"و قد شلت الصدمة عضلات وجهه,و أصبح جسده فى حالة ثبات تام من المُفاجأة,ثم جاء رده المتلعثم:"ا اسمى أأ"

سألته :"إيه نسيت إسمك؟"

"لأ أنسى اسمى إزاى يعنى هاهاها,رامى,إسمى رامى"

-"و بابا بيشتغل إيه يا رامى؟"

-"هه؟؟"

"بابا بيجيب فلوس إزاى؟ بيشتغل إيه؟مهنته يعنى"

-"دكتور فى الجامعة,حضرتك"

-"جامعة إسكندرية عادى ولا فاروس ولا إيه؟"

-"لأ حضرتك,جامعة فى دبى,أنا أهلى عايشين فى دبى,أنا عايش هنا لوحدى"

سألته و هى مازالت محتفظة باستهانتها: و إنت فى كلية إيه و لا لسه فى مدرسة؟

رامى(بإرتباك): أنا أصلاً خريج سان جابريال و دلوقتى فى أكاديمية أبو قير.

-"خريج سان جابريال إزاى يعنى؟ هى"سان-جابريال"فيها ثانوية عامة؟.. على العموم مش مشكلة,إنت بتيجى تذاكر هنا كل يوم يا رامى ؟أنا كتير بشوفك هنا"

رد و قد خف قلقه تدريجيا لكنه لم يختف :"ساعات آه"

أجابت هى برفق هذه المرة و كأنها قد أشفقت عليه:"طيب بكرة هابقى أنا قاعدة هنا على الساعة أربعة,إيه رأيك تيجى تشرب الشاى معايا"

"آه طبعا طبعا أكيد,ده شرف ليا"

تظاهرت وكأنها سوف ترحل إلا أنها استدارت فى اللحظة الأخيرة كأنها نسيت شيئا,رفضت أن لا تكون صاحبة آخر

جملة فى المشهد:"آه كنت هانسى أقولك حاجة كمان,لـــو أى حد,و خصوصاً"يمنى",عرف بالموضوع ده,أنا أوعــدك إنــك مش هاتشوفها و لا هاتكلمها تانى,أوكيه؟"

وضعتها فى صيغة سؤال و كأنه يملك الخيار من أمــره,يــا للسخرية.

***

من أصعب المخلوقات التى يمكنك أن تتعامل معهـــا : الأم القلقة ,أخت كريم التى أحمر و جهها خوفاً على إبنتها المختفية وكريم يحاول تهدئتها فجأة يقاطعهما صوت ...

كان صوت عزف موسيقى فى البيت,اتجه الثلاثــة (كــريم والأخت والأم) إلى الحجرة الــتى تحتــوى علــى بيــانو,لم يتدخلا,بمجرد أن سمعوا صوت"فرح"وقفوا فى مكانهم,من فتحة صغيرة فى الباب نصف مغلق,راقبــوا"أحمــد"شمــس و هــو يعلم"فرح"العزف على البيانو,فجأة بدأ يتكلم مرة أخرى,عــاد إلى الحياة,أخذ يلعب و يضحك معها,هذه المرة من قلبه,ابتعدوا عن الباب لم يشأوا أن يقاطعوا لحظة قيمة كهذه,رجعــوا إلى فناجين الشاى,و فى أعينهم نظرات تهنئة متبادلة,فلقد عاد"أحمد شمس"إلى طبيعته.

***

تم احتواء الموقف غير مرغوب فيه الذى وقع فى بيت عمرو سلامة منذ قليل,فالعائلتان (عائلة سلامة و عائلة نادر) لـــديها أســـلوب جميـــل جـــدا بحـــل المـــشاكل بتجاهلـــها تماما,لبس"نادر"إحدى قمصان"عمرو سلامة",و جلـــسا بعـــد انتهاء الغذاء,فقد حان وقت الشاى,مزاح مع العروسين (أخي نادر و خطيبته) أوضح لعمرو نصف المنتبـــه لمـــا يحـــدث أن المخطوبة هي أيضا قريبة للعروس,ألا تنتـــهى هـــذه العائلـــة أبدا؟!!,على العموم ظل"عمرو"على حاله,أصـــبح الآن أكثـــر تمسكا بالصمت,إلا أن شيئا ما قد وسوس إلى نفوسهم بدفعـــه إلى الكلام فانطلق أحدهم وسط ضحكاته :"إيه يا عمرو مالك قاعد ساكت كده ما تقول رأيك"

عاد عمرو من سرحانه و كأنه استيقظ من النوم: هـــه؟رأيي فى إيه؟

أوضح له نادر: إيه رأيك فى جواز القرايب و كده؟

أجاب عمرو بقرف غير مكترث:"معرفش سمعت مرة إنـــه بيزود من احتمال إن الأولاد يتولدوا متشوهين",توقف كـــل الجالسين شرب الشاى و حدقوا فى وجهه,دفعة واحدة,و لولا أنهم قد فعلوا ذلك,لما أدرك أنه قد قال شـــيئا خارجـــا عـــن المألوف,فعندما جاءت سيرة زواج الأقارب قفـــزت فى ذهنـــه

صورة"حسام"و"لينا"لسبب غير مفهوم فبدأ يجيب علـــى هـــذا الأساس,هو حقا لم يقصد,نزل الضيوف,و بدل أن يودعـــوهم أهل"عمرو"بالسلام و التأكيد على تكرار الزيارة,ودعوهم من على باب الفيللا بعبارات أسف و اعتذار مصحوب بابتـــسامة مُرتبكة,ركب الضيوف سيارتهم و ابتعدوا عن الفيللا فى سخط ,حتى إن أُغلق الباب بعـــد رحيـــل الـــزوار,هجـــم الجميـــع على"عمرو",و بدأ أخوه الأكبر يُعلن عن شكوكه القديمـــة فى أن"عمرو"يدمن الحشيش,بدأت المـــشاكل مـــا بـــين عمـــرو وعائلته,و هذا آخر ما كان يحتاجه ,خصوصا فى فترة كهذه.

***

الفصل الثامن

"ثم بدأت تتكلم بالإنجليزية,

كعادتها عندما ترتبك (!)"

"الانطباعات الأولى تدوم",هل تتذكر تلك العبارة؟كانــت الجملة المُشتركة و الأساسية بين الكثير من الحملات الإعلانيــة لُمنتج يُسمى X و صديقناXهذا هو عبارة عن عبــوة ســوداء قصيرة تُستخدم لإزالة رائحة العرق,و دائما تأتى تلك العبــارة بصوت أنثوى ناعم فى نهاية الإعلان,بجموعة الإعلانات تلــك التى أتكلم عنها قديمة و لكنها علقت فى أذهان الكثيرين منا,و غالبا ما تدور الأحداث بهذا الفيلم الدعائى القصير حول امرأة تقابل رجلا فتقع فى غرامه لمجرد إنه قــد اســتخدمXلإزالــة العرق!!, لاحظ أن تلك الفكرة الأساسية يتم استخدامها حتى الآن من نفس الشركة و للتسويق لــنفس المُنــتج,و لم لا ؟ألم تنجح أن تزيد من مبيعات المُنتج؟و معنى هذا أنها قد ضــغطت على وتر حساس فى الطبيعة النفسية للبشر,فــنحن حريــصين للغاية عند لقائنا الأول بأى شخص (حتى إن لم يكن مُهمــا) بأن نبدو فى أفضل صورة مُمكنة.. نغــرق أنفــسنا بــالعطور الثمينة,و بأحسن الملابس و أحدثها خروجا من سجن الغسيل

و المكواة,و تلعب ألسنتنا بلغات أجنبية لم نعتد على استخدامها فى الحياة اليومية و اللقاء الأول هذا لا يُشترط فيه أن يكـــون اللقاء الاول مع شخص لم تره من قبل بل مع شخص لم تـــره منذ فترة كذلك,فهو ليس بالضرورة"لقاؤك الأول مع فلان",بل أحيانا يكون"لقائك الأول مع فلان منذ أن حدث كذا",إنـــه الموقف الذى تقابل فيه صديق قديم (من الجنس الآخر مـــثلا) آخر مرة رآك فيها كنت مثيرا للشفقة

***

جاء اليوم الموعود"مارك"سيذهب اليوم برفقة"ريم"إلى قهوة المصريين و هو مكان يجلس فيـــه محمـــد البـــارودى علـــى الدوام,أخبرها أنها إذا أرادت أن تراه فسوف تجده هنـــاك,يـــا للغرابة و كأنه يشعر أنه سوف تحتاج إليه,توقفت بسيارتها أمام الكافيه الواقع بجانب شريط الترام.

تركت"مارك"وحـــده فى ســـيارتها,صـــعدت فى البدايـــة وحدها,تمهيدا للأمور,و تخفيفا للصدمة كانوا جالسين داخـــل كافيه المصريين كعادتهم عنـــدما يخرجـــون بـــصحبة محمـــد البارودى,وسط دخان الشيشة ورائحـــة البيتـــزات المُغطـــاه بالكاتشاب,جلس"كريم"بين"عمرو"،"هانى"،"محمد البارودى"، و"رامى",جلس يشكو من أسلوب"هنى"معه,و كـــشف عـــن نواياه الجديدة لعلاقتهما,كان ينوى أن يتقدم ل"هنى"بـــشكل رسمى ولكن سلوكها لا يشجعه على الإطلاق.

"أصل محدش فينا يقدر يفيدك,اسأل هنا و شـوف هـي هتقولك إيه؟إنت هتتقدملها هـي"نـصح عمـرو سـلامة".
فأضاف"رامي"نصيحة أخرى:"بص يا كريم أنا رأيي بـصراحة إنك تصبر شوية"

فاستكمل البارودي"هو إنتو مش لسه صغيرين على الكلام ده يا كريم؟"

و رغم تقبل"كريم"لكل ما سبق بحيادية و بأدب,إلا أنـه لم يمنع ابتسامة سخرية من التسلل إلى وجهه عندما بدأ البارودي بأبـداء رأيـه في موضـوع عـاطفي حـساس كهذا,شعر"محمد"بالإهانة فسأله عن سبب الضحكة,أجـاب و هو ما زال مقهقهاً :"يا عم أنا ممكن في حـوار زي ده أسمـع كلام هاني و لا عمرو و لا كل الرجالة إللي قاعدين دول,بس إنت لأ .."

-"ليه يعني,إبن كلب أنا ؟"

-"مش قصدي بس حوارات الحب و الصحوبية دي مـش لعبتك,مش منطقتك يا بارودي,إنت راجل بتفهم في الحشيش و الخمرة أحسن مننا كلنا,واحدة تتسلى بيها و تُعُـط معاهـا نقولك ماشي,بس حوارات حب و بتاع,سوري ملكش فيها يا معلم,كل واحد و له الليلة بتاعته"

و استكمل"هانى":"و أكبر دليل على كده هو حوار ريم"

رد البارودى بضيق :"لا لا إنت أكيد بتهزروا,يعنى أنا إيــه مش بنى آدم يعنى ؟مبحسش ؟إنتو فى حاجات كتير أوى لازم تعرفوها عنى"

- "ريم"

قالها عمرو و هو يقصد الإشارة لريم التى دخلت إلى المكان فأجابه البارودى الذى لم يفهم قصده:"لأ غير حوار ريم,هو ليه حوار ريم ده دايما ورايا؟"

أجابه هانى بتهكم :"لأنها وراك فعلا يــا غــبى",اســتدار البارودى إلى ما خلفه,ليجدها واقفة فى ظهره تنتظر أن ينــهى كلامه,تجمدت ملامح وجهه للحظات بدأت هى بالسلام على الجالسين,ابتسم البارودى و أبتعد بها عــن محــيط المعــرف وضوضاء السخرية,فى مكان ناء داخل الكافيه ليدور الحــديث الآتى..

: أنا آسف على فكرة على إلى حصل يوم إستيميشن,بــس أنا حسيت إنى كنت عايز أكلمك بأى شكل

ردت هى ببرود : أنا مش جاية علشان تقــوللى الكــلام المتخلف ده، أى حاجة كانت ما بينا خلصت و إنت عــارف كده كويس,الموضوع ده اتقفل.

– أمال إنتى جاية علشان ليه؟

– فى حاجة واحدة مكن تعملهالى لو عايزنى أفتكر إلى كان بينا ده على أساس إنه حاجة كويسة فى يوم من الأيام,

أجاب البارودى فى استسلام و هو يهز رأسه بخيبة أمل :

ماشى لو هى دى طريقتك إنك تنهى علاقة,خلاص مفيش مشكلة,عايزانى أعملك إيه؟

و بدأت فى سرد مطالب شعبها المظلوم :التلاتة إللى أنـــت اتخانقت معاهم علشانى

– مالهم؟

– فى واحد منهم مستنيبى بره فى العربية,الاتـــنين التـــانيين باعتينه علشان يتفاهموا معاك بالكلام.

سأل فى تهكم"هم بقوا صحابك دلوقتى ؟ و بقيتى تقضيلهم مصالح و بتاع؟"

انتفضت ريم و قد استفزها السؤال:أيـــوة صـــحابى، لـــو مكانش عندك مانع يعنى,أجيبو أخليه يكلمك ولا أقوله يروح و يروحنى معاه.

ضحك البـــارودى و نظـــر إلى الأرض و هـــو يطفـــىء سيجارته:" على الفكرة يا ريم أنا عمرى فى حياتى ما قلت لحد أنا آسف، بالذات لما يكون هو إللى غلطان"

و كأن"ريم"ما كادت أن تجد الفرصة لتنهى ذلك الحديث المُتعب :"ريم : خلا ص ماشي,مرسى (شكرا) أوى"

قالتها ثم أعطت له ظهرها,بدأت بالفعل تشق طريقها للخروج من المكان,وجد نفسه يقفز أمامها لقطع طريق وصولها إلى الباب,و يوضح فى لوم غاضب:"ممكن مرة واحدة فى حياتك تديني فرصة أكمل كلامى لحد الآخر"

توقفت عن الحركة قالت فى فراغ صبر :"اتفضل,أنا سامعة"

"أنا عمرى فى حياتى ما قلت لحد أنا آسف ..بس ممكن أعملها علشانك,لو أنت فعلاً عايزة كده,بس على شرط,(مش هينفع دلوقتي بالنسبة لك طبعا),بس توعديني الأول إنك هتديني فرصة أشرحلك إللى حصل,فى حاجات كتيرة إنتي فاهماها غلط,اسمعى وجهة نظرى فى الموضوع و بعد ما تفهمى إنتي حرة فى قرارك,بس على الأقل تسمعيني"

نظرت إليه للحظات تفكر فيما قال,رسمت على وجهها بقصد ملامح بلاهة و سخرية,تعبير يعنى "أننى لست بذلك الغباء"

و الجدير بالمُلاحظة,هو التقاء العباقرة,نرى كل يوم أناسا غلبتهم الطيبة,و الفريق الآخر من الناس الذى يتلاعب بهم,

ومواقف عديدة أصحاب و ضحايا الذكاء الاجتماعى,و لكن عندما يلتقي اثنان بنفس الذكاء,يزداد الشغف,يصبح الأمر أشبه بمباراة"محمد على كلاى"و"مايك تايسون",قــوى متــساوية و عالية,لا يدرى المُتفرج من هو الفائز الحقيقى حـــتى اللحظـــة الأخيرة

***

– ما حكاه مارك–

تركتني"ريم"في سيارتها,لفترة قصيرة,نفس السيارة الى تحكى"نيفين"إنها قد أوصلتها إلى بيتها فيها منذ أسبوع,وبينما أنا أستغل وقت فراغى فى تأمل الإكسسوارات الداخلية للسيارة، لا أعلم لماذا قفزت فى ذهنى نظرية"نادر"صديقى فى تشبيه الناس بالسيارات,و بدأت أفهم من أين أتت الفكرة إلى ذهنه من الأساس,إنه التشابه الواضح ما بين السيارات والناس,دائما داخل أى سيارة تجد بضع العلامات هنا و هناك التى تؤكد لك إن كانت تلك السيارة تمتلكها فتاة أم يمتلكها رجل.. و يمكنك أن تتوصل إلى حالته المادية و معتقداته الدينية كذلك,بعض المُلصقات على الزجاج,دباديب على الأرفف,ناقل الحركة قد غطاه دبدوب,دمية بلهاء تتدلى من المرآه الأمامية بلا سبب أو هدف معروف,حروف عربية وإنجليزية مُلونة وُضعت على الزجاج الخارجى لتشيد باسم"مُحمد"بوضوح إحدى تلك المُلصقات التى بات المُسلمين يضعونها منذ أحداث الدنمارك الأخيرة ..

المُفترض أن"ريم"هى الآن داخل الكافيه الذى أنتظر أنا خارجه فى السيارة,عرضت عليها أن أدخل معها إلى المكان,رفضت,رأت أنها تحتاج أن تقابله وحده فى البداية,.و ها هى قد أتت,سألتها و هى في طريقها إلى"إيه الأخبار تمام؟"

ردت بالإيجاب ودخلنا معا هذه المرة إلى المكان,ســـلالم فى آخرها تمثال لرجل أسود يعزف على آلة موسيقية,مكان غريب من الداخل ملأه الدخان,نالت منه الضوضاء,و لكنه يليـــق أن تدخله فتاة على أى حال,و فى آخر ركـــن فى المكـــان,كـــان البارودى عاقدا يديه أمام صدره يتأملنى,الله وحده أعلــم مــا الذى يدور فى باله

***

– ما حكاه محمد البارودي–

عادت"ريم"صعدت السلالم و معها أحدهم,أحـــد تلـــك الوجوه التى تشاجرت معها فى"إيستيمسيشن كافيه",شخص ما يُسمى مارك,صعد السلالم,من الواضح أنـــه لم يعتـــد علـــى الضوضاء من قبل,تطلع فى دهشة لم أفهمها إلى تمثـــال لرجـــل أسود,بدا لى مسالما,مـــسالما بـــشكل يقتـــرب إلى البلاهـــة المُفرطة,نظر أمامه فوجدنى عاقدا يدىّ أمام صـــدرى أتطلـــع إليه,أدرسه و أبحث عن مدخل له وعن اللجام الذى أروض به جموح شخصيته,أردت أن أقتله أن أخنقه حتى المـــوت,و لـــو كنت الآن من المقبولين فى كلية الشرطة لاستخدمت مسدسى لأفجر خلايا عقله فى أرجاء المكان,و خيـــل لى أنـــنى قتلتـــه بالفعل,و أن العاملين فى الكافيتريا قد تحولوا إلى أفـــراد أمـــن, و السيدة صاحبة المكـــان قامـــت مـــن كرســـيها لتتـــصل بالشرطة,أفاقتنى من أوهامى"ريم"بدأت كعادتها فى أى موقـــف مُماثل بدأت بالكلام,لا أنكر أننى شعرت تجاهه بالتهديـــد,لم أمنع نفسى أن أنال منه بمزحة ثقيلـــة مـــن تجـــاهى,فـــسألته مُستهزئا:"أمال فين صاحبك أبو قصة,أبو شعر أصفر ده كـــان نفسى أشوفه,أخبار إيده إيه صحيح"

نظر إلى بغضب و قرر أن يرد إلا أن ريم قد أشارت إليه بنظراقما أن يتجاهل الإهانة,فسكت,كم أحب هؤلاء الذين يسمعون كلام النساء و ينفذونه ! أعطانى الستره التى فقدها, و خرجت ريم بجملة بلهاء مثل"يا ريت إنتو الاتنين تنسوا إللى حصل ده خالص,علشان من يوميها و أنا حاسة إن أنا السبب فى كل ده"أو شيئا من هذا القبيل من الجُمل الحريمى,و قاطعت نفسها بنفسها و بدأت تنهرنى عندما رأتنى أفتش فى الجاكت"إيه ده يا أحمد ؟!! هم مش هيسرقوا منك حاجة مثلا"أكدت لها أن هذا ليس عيبا و أن الحق ميزعلش فى حاجة,و أننى يجب أن أتأكد أن جيوب الجاكت ليست مُمزقة,قلتها و أنا أضحك بداخلى مما أقولها و من تلك الكلمات التى خرجت من فمى,و كأن هذا هو الذى أبحث عنه فعلا,و ليس الحبوب التى كانت فى جيب السترة,و لم أجدها,الجيب فارغ تماما,ألقيت نظرة و تحسست كل الجيوب الأخرى ,و لكن لا شيء,الحبوب ليست موجودة,تبادلت أنا وهذا الـ"مارك"نظرات مفهومة,عن شيء معلوم,أشار لى بطرف عينه أن أهدأ,طلب من"ريم"الرحيل,و عندما رحلت من المكان, لم أكد أن أسأله حتى أجابنى :"خلصناهم و هنرجعلك تمنهم أول ما تحاسب عمرو سلامة على تمن الحاجات إللى كسرقما فى عربيته"

أومأت برأسي :"هو تصليحها بكام ؟"

"ألف و نص"أفرد ظهره و هو يقولها و كأنه أحمد عـــرابى فلم أجد منى سوى أن أضحك :"ألـــف و نـــص و عـــايزنى أحاسبك أنا على العربية الأول,شكلك كده مـــش عـــارف الجبوب دى بكام"

لم يتوقع إجابتى على الأقل ليس بهذه الطريقة فهـــز كتفيـــه وهو يخفى ارتباكه بمحاولة استهانة فاشلة: بكام يعنى ؟

أجبته :"لو قولتلك أنا هتفتكرنى بجوّر عليك,روح اسأل عن تمنها,و بعد كده هات صحابك علشان نـــتكلم,و لا تحـــب أقولك كمان اسم الحباية,شكلك كده مش عارفها"

دخلت ريم بلا داع أو دعوة إلى المكان مرة أخرى,قاطعت مناوراتى المُمتعة بدون سبب واضح,يبدو أنها لم تتحمل القلـــق المُصاحب للانتظار فى الخارج,و منذ أن دخلت و قررنا كـــل واحد على حدة أن يتحول كلامنا إلى شفرات و أكواد,فليس من المعقول أو المقبول أن نتحدث أمامها فى حساب مُخدرات لم تدر هى بوجودها من الأساس,فتظاهرت كأننى أســتكمل جملة وهمية , و تماما كما توقعت, لم تمنع نفسها أن تسأل عمـــا نتكلم فيه,أخبرتها بأن الجاكت كانت مقطوعا,و أريتها قطعـــة كنت قد أحدثتها بنفسى خلسة خلال حديثى مـــع مـــارك, أجابت ريم فى شك:"طب و هم إيش ضمنهم إنهـــا مكـــانتش عاملة كده فى الأول؟"

أريتها السترة مرة ثانية و أكدت :"أنا استحالة أصلاً أنـــزل من البيت بجاكت بالمنظر ده"

و بدأ"مارك"بسرعة يفهم ما أحاول فعله,فاشترك فى لعـــبتى وأكد لها هو الآخر:"لأ هو فعلاً، الجاكت اتزنق من خالـــد فى باب العربية,يوميها بالليل وإحنا مروحين"

ثم التفت لى و استكمل :"خلاص ماشى ، سيبنا نسأل عن تمن الجاكت و هبقى أجيب نادر و خالد ونقعد كلنا كـــده، تمام؟".. أجبت و أنا أومىء برأسى متظاهرا بعدم الاهتمام"تمام تمام، أوكيه، شوفوا إنتو عايزين نقعدوا فين,و إمتى و قولوا لريم وهى هتقوللى"

أجاب بارتياح :طب فل (كويس) أوى,إدينا كده فرصـــة يومين ولا حاجة و هتلقينا إحنا اتصلنا بيك من نفسنا.

و تم الاتفاق و قبل أن يرحل هو و"ريم"نبهته :"اسم المحـــل إكستا- سى علشان لما تيجى تسأل على الجاكت تبقى عارف تسأل فين"

نظر إلى فى حـــيرة للحظـــة ثم فهـــم أن اســـم المُخـــدر هو"إيكستاسى",فردد ورائى للتأكد :"إكسترا- سى ؟"

نبهته إلى خطئه برفق:"مش إكسترا يا"مارك",إكستا سى.. كلمة واحدة هى"كم أحب أن أصحح أخطاء فى اللغة الأجنبية لأناس تصيبنى براعتهم فى اللغة الإنجليزية بالاكتئاب,و الغريب

أنني شعرت مع هذا الشخص المجهول خلال ذلــك الحـــديث بالتواصل على درجة لا أجدها مع الكثيرين,فلا أحد يفهمـــني بهذه السرعة دون أن أتكلـــم,رحـــل الاثنـــان و عـــدت إلى أصدقائي,أو ما أعتقد أنهم كذلك.

***

و عندما غادر"مارك"و معه"ريم"قهوة المصريين,ساد القلـــق داخل سيارتها"مارك"في خلال الفترة القصيرة التي عرف فيهـــا ريم,أدرك ذكاءها,خشي أن يتكلم فيصبح كذبه واضحا أمامها وضوح الشمس,و هي – رغم فـــضولها- لا تريـــد أن تبـــدأ بسؤاله,بل تريده هو أن يسكب أمامها كل المعلومات لتأخـــذ منها ما تريد و تترك ما لا تحتاجه,و لكنه لم يفعل,أكدت له أنها تعرف منطقة كفر عبده,و تحفظها شبرا شبرا لأن جدتها تسكن هناك,و أنها رغم كل ذلك لا تتذكر اسم محل ملابس جـــاهزة يُسمى"إيكستاسي",و ظل هو يتجنبها بأقل و أقصر الإجابات المُمكنة حتى وصلوا إلى"إيستيميشن كافيه"حيث ينتظرهم البقية

حينها صحح لها :"المحل إسمه إكسترا–سي extra-C مش إكستاسي"

***

تحسنت الحالة الصحية لوالدة"ريم"و"هبة"كثيرا, لم تشف تماما و لكنها أصبحت أفضل حالا,بات من المسموح الآن بقاؤها فى البيت بشرط أن تحصل على الرعاية المُناسبة,و هذا خبر سار للغاية بالنسبة للأختين,بعد أن تناوبا الرعاية لأمهما فى المُستشفى, لم تكد كل منهن أن تصدق أنها حرة و أن مواعيد الخروج و الرجوع لم نعد محسوبة,أول شيء فعلته"ريم"هو الإتصال بـ"نيفين"فتاة كانت قد قابلتها منذ فترة,لتخبرها بأنها تريد أن تريد أن تراها,و ذهبت بعدها بساعات للقائهم فى محطة الرمل, أما"هبة"الأخت الكبرى فلقد وجدت أخيرا الوقت الذى تنشده للقاءات الوظائف"الإنترفيوهات",للبحث عن وظيفة أفضل و مُرتب أكبر,و ها هى فى غرفة الانتظار فى إحدى الشركات,مضى وقت طويل و هى هناك,فى تلك الفترة كانت قد استخدمت كل طرقها السرية لتفريغ الارتباك,أكلت بشراهة معظم أظفارها,قامت إلى الحمام غسلت وجهها أكثر من مرة,ثم بدأت تكلم نفسها فى المرآة,لا تندهش فهذه هى إحدى عادات"هبة",رجعت إلى مكانها و جاء دورها,قامت عند سماع اسمها,وقفت أمام الباب,الباب الذى يخفى وراءه الطريق إلى الوظيفة التى تمثل جزءا كبيرا من أحلامها,هذا الباب الذى قد يكون وراءه أعظم كوابيسها أو كل أحلامها.

"عــــايز يـــــشوفنا يهبـــــب بينـــــا إيـــــه بـــــروح أمه؟"قالها"خالد"بغضب,نفس الغضب الذى لم ينتبه و لم يتخل عنـــه منـــذ أن بـــدأ هـــذا الموضـــوع برمتـــه,كـــان هـــو و"نادر"و"نيفين"جالسين فى إيستيميشن كافيه الذى لم يعد من المحظور زيارته,و التف الجميع حول"ريم"و"مارك",حول الجنود الذين جاؤوا بحوزتهم أنباء العدو,و جاءت العبـــارة الأخـــيرة السابق ذكرها لتوضح شكوك"خالـــد الكفـــراوى"فى النوايـــا الحقيقية وراء تصرفات"محمد البارودى",ولكن يبدو أن هـــذا ليس شعور"خالد"فقط فلقد أضاف نادر :"أنا كمان حاســـس إنه بيحورعلشان نجيله فيطلع لاممنا ناس يضربونا و لا حاجة"

أوضح خالد :"بالضبط هو مش هيستفاد حاجة لما يجيبنـــا كده من نفسه و يدفع لنا فلوس"

و ازادت"ريم"من فيض علمها :"أنا أكتر واحـــدة عارفـــة البارودى,و الحركة دى لايقة أوى عليه,على فكرة"

و قبل أن يوضح مارك نقطتـــه اقتـــرب مـــن أذن نـــيفين وهمس:"معلش ممكن تقـــومى إنـــتى و ريم علـــشان نعـــرف نتكلم,بس مش دلـــوقتى علـــشان مايـــانش إن أنـــا إللـــى قولتلك"أومأت"نيفين برأسها موافقة,أما هو فلقد استدار ليعلن عن وجهة نظره :"طب لو كده إنت هيبقى فى إيدك إيه تعمله يعنى,هاتنضرب,بعد كده هنجيب كل إللى نعرفهم,و نـــروح

نضرب فيه لحد مانجيبله عاهة مُستديمة,بس أنتو روحوا و لو ده حصل يبقى على الأقل اسمكو حاولتوا تتفاهموا معاه بـــالكلام, وهو إللى مقبلش" و استكملت"ريم"آرائها غير المطلوبة فبدأت نيفين فى التمثيل و تغيير الموضوع تمهيدا للتخلص منها :"أنا كل ما حد بيتكلم فى الموضوع ده قدامى بفتكر شكل الخناقة و أنا مبحبش منظر الضرب و كده,على العموم أنا كنت عايز أقيس حاجة شوفتها جنبنا هنا فى مانجو,ما تيجى معايا يا ريم"

-ماشى.

- طب يلا بينا.

-إيه دلوقتى؟! طب ماتستنى يا بنتى أنا كده كـــده كنـــت رايحة قبل ما أروَّح,

- لأ تعالى دلوقتى أحسن علشان ده أنسب وقت غير كده هتلاقيه زحمة و مش هتعرفى تقيسى حاجة,هتيجى معايا يا ريم ولا إيه نظامك؟

"مم"غمغمت"ريم"و قد أدركت أنها غير مدعوة,و لم تتقبل ذلك بشكل شخصى,رغم أنها هذه هى المرة الثانية فى نفـــس اليوم إلا أنها عدت أن هذا من حقهم فرغم كل شيء هـــى لا تزال جديدة على هذه المجموعة فقامت مع نيفين ليس إلى محل الملابس,بل تحججت بأنهـــا تـــذكرت أمـــرا مهمـــا يجـــب

إنجازه,عرض خالد أن يوصلها و لكنها رفضت,عوضته بقولها إنه يمكنه فعل ذلك فى المرة القادمة,إذن فهناك مرة قادمة,فهكذا يقول المنطق,و هذا هو ما يوحى به التفكير السليم.

***

الداما (ورقة البنت فى لعبة الأوراق),ليلى هانم الكفراوى, ولا يدرى أحد لماذا تصر على وضع كلمة هانم فى منتصف اسمها,ربما لأفاقة محدثيها من وهم الحيادية و حلم التواضع,من سبيل"إنت مش عارف إنت بتكلم مين؟",ترجع رأسها فى فخر و هى تنطق تلك الكلمة تحديدا,و ترتسم (فى ارتياح)على شفتيها المتجعدتين ابتسامة نصر فى معركة لم تبدأ بعد,ذهبت إلى نادى سبورتنج فى المكان و الموعد اللذين حددهما مع"رامى",جاءت متأخرة بقصد لتترك عنده انطباعا مُحددا ومقصود,وجدته جالسا هناك وحيدا,سلمت عليه و جلست بدورها أمامه,و لكنها بدأت تتكلم فى هاتفها الجوال مع أخيها و والد"يُمنى"فى موضوع الورث الذى تعذر تسليمه لشريف الكفراوى و إخوته"حامد ممكن تسكت شوية و تسمعنى؟الناس دى فعلا بتتكلم فى حقها"

- يعنى إيه إيش فكرهم بيه دلوقتى ؟حقهم هما حرين,فلوسهم و هما حرين فيها.

- لأ حرين,ما هو أصله مش قرارك إنت و أخوك بس فى حاجة اسمها شرع ربنا.

كل هذا و رامى يتطلع إليها بملل و هو يسمع ردودها الهاتفية التى بدت له و كأنها ذات طرف واحد,حاول أن يقاطع حديثها بأدب مُقترحا أن يرحل و أن يأتى فى وقت آخر و لكنها,دون أن تتكلم نظرت إليه غاضبة و أشارت بيدها بأن يجلس و"إلا!",فجلس حتى أنهت المُكالمة,التفتت إليه أخيرا, وكأنها أول مرة تراه,و كانه هو لم يكن موجوداً من قبل,سألته ببرود:"عارف مين إللى كان معايا على التليفون ده؟"

-حد اسمه حامد أكيد هيبقى بابا يمنى.

- إديني سبب واحد يمنعني إني أقوله إللى بينك و بين يمنى.

- مفيش أسباب,لو حضرتك عايزة تقوليلوه أنا ماعندديش مانع.

قالها ببرود مُفاجىء,و هذا هو بالضبط ما لم تتوقعه"ليلى هانم",رغم إن ذلك طبيعي للغاية,سبب ارتباك رامى فى لقائهم السابق كان المُفاجأة,لكنه هذه المرة يعلم ما يحدث جيدا,بل ويتوقع ما سوف يحدث,فهو الآن يدرى ما يريد,و قد نظم أفكاره مُسبقا قبل هذا الاختبار,و حضر فى عقله أنسب الكلمات التى توصل إلى مسامعها المعنى الذى ينشده.

- أى واحد تانى فى مكانك كان مفروض يخاف.

أجاب بملل :"أولا ده أى واحد تانى فى مكانى.. أنا موضوع تانى خالص,ثانيا: مش منطقى إنى أخاف إنك تقولى

لبابا (أو والد) يُمنى إن فى حاجة بينى و بينـــها و الحقيقـــة إن مفيش حاجة"

سألته ليلى بدهشة من وقاحته: مفيش حاجة؟

رد رامى بنفس البرود: لأ مفيش حاجة,أنا نفـــسى طبعـــا وكل حاجة بس المشكلة فى يمنى نفسها,هى إللى خايفة تخـــش فى أى علاقة مع أى حد.. لو حضرتك عايزة تقولى للأســـتاذ حامد قوليلوه,مفيش حد يقدر يعـــاقبنى علـــى حاجـــة أنـــا معاملتهاش!!,أنا بقاللى سنة بحاول و هى بتصدنى,لو إللى قالق حضرتك إن إحنا ممكن نكون مرتبطين,يبقى مفـــيش داعـــى للقلق,اطمنى حضرتك خالص,يمنى محتاجة أربع سنين على الأقل علشان تفكر ترتبط بأى حد,دلوقتى أقدر أمشى؟

- ليه؟

- علشان ورايا مذاكرة, الميد ترم قرب.

قاطعته بصرامة : أنا مبسألكش ليه عايز تمشى,إنت كـــده كده غصبن عنك قاعد معايا شوية.. أنا بسألك ليه إنت شايف إن يمنى محتاجة مدة طويلة علشان ترتبط بأى حد؟

أجاب رامى فى إستسلام: علشان أنا إلى حد مـــا عارفهـــا كويس.

- يعني هي حاكيتلك على أي حاجة مثلا خليتها تخاف أنها ترتبط بحد؟

فقد رامي بعض من هدوئه هذه المرة,شعر بالمهانة:"ده على أساس إن هي لو حاكيالي على حاجة هاجري أقولها لحضرتك على طول؟!"

لم تغضب,بل على العكس أوضحت بحكمة :"بص يا بني متفتكرش إن فيه حاجة إنت عارفها عن يمنى أنا معرفهاش,يمنى دي أنا إللي مربياها و بتيجي تحكيللي عن أي حاجة بتحصلها,أنا بس عايزة أعرف إنت عارف إيه؟"

- عارف الحوار الأخراني.

- بتاع الواد إللي إسمه أحمد ده؟

رامي: أحمد علي آه.

سكتت ليلى لفترة ثم استكملت : إنت شكلك ولد محترم,أنا عايزة أقولك حاجة,يمنى مش هاتحكيلك حاجة زي دي غير لو هي واثقة فيك,إنت بتحب يمنى يا رامي؟بالنسبة لك حاجة جدية و لا لعب عيال؟

- لعب عيال؟ أنا مستعد أجيب أهلي من الإمارات ونيجي نتقدم من بكرة,و قولتلها هي الكلام ده قبل كده ،

بس إيه الفايدة؟ زى ما قولت لحضرتك المشكلة فيها هى مش فيا أنا.

أوضحت ليلى مرة أخرى و قد وضعت كلتا يديها علـــى سطح المنضدة على سبيل الاستقرار المعنوى فى حوارهما :يعـــنى دلوقتى إنت بتحب يمنى و مش حابب إنـــك تـــشوفها بتبعـــد عنك,و أنا كمان بحبها و مش حابة إنها تعزل نفـــسها كـــده وتسمح لنفسها إنها تخسرك و إنت شكلك شاب كويس.

أستفسر بدهشة: حضرتك هتساعدينى إنى أقرب منها مثلا؟

رجعت ليلى فى مقعدها و هى توضح خطتها: مش بالظبط أنا هاحاول أساعدها هى.

و كان المُخطط كما يلى,خريطة الطريق مـــا بـــين"ليلـــى هانم"و"رامى"هى كالآتى,بما أن رامى لا يعجبه الحال التى تعيش عليه"يُمنى",من بُعد عن الحياة العاطفية و إلغاء فكرة الإرتبـــاط بأى شاب و لاسيما هو,و بما أن ليلى هانم تعـــانى و تتعـــذب وهى ترى"يُمنى"التى هى بمثابة ابنتها تعزل نفسها عن الحفلات و الحياة الاجتماعية,و بما أن رامى اتضح أنه لا بأس به,فلا بد إذن من الاتحاد,اتحد الشاب الصغير و المرأة شبه العجوز اللذان فرقتهم العداوة فى لقائهما الأول,اجتمعا ليحققا العدالة,أو مـــا ظنوا إنه العدالة,و بدأت قواعد اللعبة تتغير.

***

فى مُبادرة غريبة من نوعها قام"نادر"من مكانه,كان قد دخل بعدها إلى مطبخ الكافيه باحثا عن"سيد",ليسأله عن السعر الحقيقى لحبوب الأكستاسى,و أماكن شرائها,لغرض الأستعلام بالطبع لا لغرض الشراء..أجابه سيد بغباء نادر:"يعنى إيه وصل تمنها لكام دى؟ هى سهم فى البورصة؟ هى طول عمرها خمسميت جنيه من أيام عبدة الشيطان لحد دلوقتى"

مسك نادر بطرف ذقنه و هو يغمغم مُفكرا (و هذا تصرف مسرحى عجيب لم يعتده سيد من أى شخص):"مش عارف ليه كان عندى الإيحاء إن سعرها اتغير"

علق سيد فى دهشة على الكلمة العربية الأصل و كأنها يابانية: إيحاء؟ تجاهل نادر ما حدث تماما و استمر فى أسئلته:"دول معظم الديلرز (التُجار) بتوعها فى كفر عبده,مش كده؟"

-"فى عيلين هناك هم إللى ماسكين الحكاية دى فى إسكندرية كلها,صحابى على فكرة لو عايزنى أظبطك معاهم رفض"نادر":"لا لا,الحوار مش عليا أنا,ده على واحد صحبى كده,بس هو على كده مينفعش يلاقيها أرخص فى أى حتة عن خمسميت جنيه هه؟"

-"لأ صعب أوى,دى ٥٠٠ دى أرخص حاجة"

رحل"نادر"بعد أن كان قد حـصل علـى مـراده مـن المعلومات,

و قبل أن يستمر"سيد"فى عملـه مـن غـسيل الأطبـاق وخلافه,شعر بكيان يراقبه,استادر"سيد"الجرسون إلى الخلـف ليجد اللواء المُتقاعد صاحب الكافيه واقفا وراءه تمامـا عاقـد ذراعيه و متأكىء على الحائط يتأمل,نعم كل هذا الوقت كان اللواء السابق مُستمعا إلى الحوار الذى دار,سمع كل مـا قيـل حرفا حرفا,و علم أخيرا بسبب تعلق الكثير من رواد المكـان بـ"سيد"و الطلبات المتكررة من الزبائن (خاصـة الـشباب) للتعامل معه,شخصيا,و بالطبع أصبح ذلك اليوم هو آخر أيـام خدمة"سيد"لهذا المكان,يا للمسكين.

***

"أيوة ما هو كل ده مكتوب قدامى فى السى.فى. ممكن أبقى أقراه على مهلى بعدين"قالها لـ"هبة"ذلك الرجل الذى قد بلغ الخمسين على الأقل من عمره,هذا هو التفسير الوحيد للـون الأبـيض الـذى قـد غطـى معظـم شـعيرات رأسـه الضخم,كانت"هبة"قد قضت على الأقل أكثر من نصف ساعة فى تلك الحجرة مع هذا الرجـل البـارد,كانـت مُرتبكـة بالطبع,ظهر الارتباك على وجهها مع الجملة الأخيرة,لم تدر ما تقول بالضبط,لاحظ ذلك الرجل الموظف بشئون العاملين ذلك و تجاهله عن قصد,كان مدرب على هذا العمـل,فاسـتكمل

كلامه بعد أن أراح ظهره على كرسى مكتبه الجلدى الــوثير :"إنت عارفة أكيد إن فى مليون موظف فى إسكندرية معــاهم شهادات خبرة أكتر من إللى معاكى بكتير"سكت لبرهة مــن الزمن وتظاهر كأنه يفكر فيما سيقوله بعد ذلك",مش قاصدى أقلقك ولا حاجة,أنا ليا نظرة و شايف إن إنتى مناسبة جدا,بس برضه فى مليون حد معاه شهادات خبرة أكتر من كده,كلمينى شوية بعيد عن الشهادات,قوليلى إنتى ليه حاسة إنك هتنجحى فى الوظيفة دى بالذات,أكتر من أى حد تانى؟"

بدأت تتكلم بالأنجليزية كعادهّا عندما تضطرب (!)

I think it is very interesting to create " techniques that provides new customers to "products ; .

كان يهز رأسه فى برود مستفز,حتى جعلها تشك فى كونــه يفهم اللغة التى قررت فجأة أن تــتكلم بهــا أم لا,فــرأت أن تترجمها إلى العربية على سبيل الاحتياط.

هبة: فيها متعة مينفعش ألاقيها فى الأكاونتج(المُحاسبة) مثلا أو فى أى تخصص تانى.

كانت قالت كل ما عندها فعلا,لكنه ظل ينظر إليها مبتسما لثوان عدة منتظرا أن تقــول شــيئا جديــدا,ممــا أربكهــا أكثر,فازدادت ابتسامته الروتينية و قام من على المكتب بشكل ميكانيكى و مد يده ليصافح هبة التى انتفــضت فجــأة هـــى

الأخرى,قبل أن يوضح:"طيب إحنا كام يوم كده هنشوف إيه الوضع,و لو فيه نصيب نتعامل مع بعض تانى يبقى هنتصل بيكى أكيد"قالها بشكل غريب يوحى لسامعه أن العبارة التى خرجت للتو من فمه مُسجلة مُسبقا تنطلق عند الحاجة,

سألته فى قلق واضح:"حضرتك معاك نمرة الموبايل ؟"

سألها الموظف بدهشة و قد اختفت من على وجهه الابتسامة:"ليه؟ هو إنتى مش كاتباها فى السى فى ؟"

ارتبكت أكثر:"لا لا لأ طبعاً إزاى يا فندم"

عادت إليه ابتسامته بسرعة غريبة قبل أن يلتقى كفا يديه وهو يقول:"خلاص طيب اتفضلى حضرتك دلوقتى,استنى تليفون مننا قريب" باختصار كان لقاء العمل (الإنترفيو) شبه فاشل,به الكثير من نقاط الضعف التى تبعث على القلق,بل تكاد تغطى على نقاط قوته غير الموجودة تقريبا,خرجت"هبة"من الحجرة و بدأت تعتصرها الكثير من الأفكار المُزعجة و هى فى طريقها إلى خارج المبنى,ماذا لو لم يقبلوا بها ؟أو لو قبلوا بها و لكن بمرتب لا يسمح لها أن تتحمل مصاريف علاج والدها ؟ماذا لو وصل إلى موظفى الشركة التى تعمل فيها أنها تتقدم للعمل فى شركات أخرى ؟هل سيكون مجرد موقف مُحرج يمحيه الوقت و الجهد ؟أم أن ذلك سيعيق

مسيرها المهنية ؟و آلاف الخواطر المخيفة الأخرى قد زارت بالها و كلها تبدأ بعبارة"ماذا لـــو", لم يقطـــع حبـــل أفكارهـــا إلا اصطدامها بفتاة أخرى في سنها تقريبا تعمل في المكان,و قـــد تبعثرت الأوراق التي كانت في يد تلك الأخيرة علـــى أرضـــية الممر,انحنت"هبة على ركبتيها و هي تعتذر لتساعدها علـــى لم الملفات و محاولة لتخفيف الأضرار غير مقصودة,و بدلا من أن تقبل الفتاة اعتذار"هبة"أو حتى ترفضه تركـــت كـــل شـــيء وأمعنت النظر في وجهها و سألتها في دهـــشة:"إيـــه ده إنـــتي بتعملي إيه هنا؟"

أجابت هبة و هي لا تزال نصف شاردة و حزينة كاملـــة:" كنت جاية أتقدم لوظيفة و.."

و يبدو أن تلك لم تكن هي الإجابة التي تسعى إليها الشابة فقاطعت هبة للمرة الثانية بنفس الدهشة:"إيه يا بنتي !..إنـــتي مش فاكراني ولا إيه؟"

نظرت هبة إلى وجه الفتاة لأول مرة منذ بداية اللقاء.. فلقد كانت طوال الوقت تنظر إلى الأرض التي غطتها الأوراق,بدأت تعدل خصلات شعرها,تبعدها من عينيها لتـــستطيع التطلـــع بشكل أوضح,حتى تقول في حيرة :"الحقيقة مـــش متـــذكرة حضرتك أوي,حضرتك تعرفيني قبل كده؟"

أجابت الفتاة ضاحكة :"أنا"مى"إللى كنــت معــاكى ن المدرسة,فى مدرسة"نوتر دام دى سيون",أنا و إنتى و نــسرين غانم"

هُنا,و فقط اتسعت عينا"هبة"من المُفاجأة,و فتحت فمها من الدهشة و الفرحة حتى كاد فكها السفلى أن يتلامس بالفعــل مع رقبتها,قالت أو بمعنى أصح صرخت (بعد عدد لا بأس بــه من الأحضان بالطبع)"إيه ده"مى"!,ســورى (أنــا آســفة) معرفتكيش خالص,الحجاب غير شكلك أوى,أنا حسيت إن أنا بشبه عليكى بس مين بقى بالظبط؟ مجاتش معايا,إنتى بتعملــى إيه هنا؟

أجابت"مى":"أنا بشتغل هنا بقالى شهرين,لسه مباقليش كام إسبــ.."

و قاطعها صوت بعيد لموظف غاضب يتكلم عــن تــأخير ورق ما,و غالبا كان هــو ذلــك الــورق الــذى فى يــدها الآن,فاعتذرت"مى"لـــ"هبة":"طب بصى أنا لازم أمشى علشان متهزقش,أنا لازم أقعد معاكى,إنتى نمرة بيتك زى ما هى صح؟

***

و مُجمل ما جرى بعد رحيل"ريم",و مُلخص ما توصــلوا إليه أصحاب الشأن الأربعة فى قضية"تقدير خسائر الحرب مــع

الباروى"هو استبعاد فكرة الاستمرار فى العنــف بعـــد أن تم الإثبات بالدلائل أن العدو أكثر قوة بكـــثير,و أكثـــر علمـــا كذلك,و لكن طرح نفسه تساؤل جديد"هل من الأمان التعامل معه ؟ هل من المُمكن الاطمئنان له؟ ماذا لو ذهبـــوا فوجـــدوا أنفسهم محاطين بأصدقائه فى نية واضحة لإلحاق الضرر بهم؟"

و كان لابد أن يوضح"مارك":"انسوا يا جماعة حكايـــة إن هو يكون محضرلنا حد دى.. عايزكوا تشيلوها من دمـــاغكم خالص,هو أصلا عايز مننا فلوس دلوقتى,حسب كلامه إن تمن الأربع حبايات إللى إحنا أخدناهم أكتر من ألف و خمـــسمية فهو هيخصم منها تمن العربية إللى كسرها و هيبقى له عنـــدنا فلوس كمان"

وكان"نادر"(علـــى عكـــس"نـــيفين"و"خالـــد") مُقتنعـــا برأى"مارك"فاستكمل :"على فكرة الأسعار دى مش بس على حسب كلام البارودى,أنا دلوقتى كنت لسه بسأل سيد قـــاللى إن الحباية الواحدة من دول خمسمية,اضرب فى أربعـــة يبقـــى ألفين,شيل منها فلوس العربية يبقى هو لسه عايز مننا خمسمية"

تلاقى بعد تلك الجملة الأخيرة حاجبا"خالـــد الكفـــراوى" وسأل فى غضب و ثورة لا علاقة لهما بالمشكلة الأصلية:"ثانية واحدة,إنت روحت سألت سيد عن أسعار حبايـــات ؟، إيـــه

الغباء ده,أكيد بعد كده هيقولك دول عيال هابلة مش فاهمة حاجة,و يعد يغلي علينا الأسعار"

و أوصل"مارك"نفس المعنى ولكن بهدوء:"إنت كان ممكن تسألني أنا على فكرة و أنا كنت هقولك"ثم استكمل"بس مش هو ده الحوار دلوقتي، مينفعش إحنا التلاتة نتكيف و نادر هو إللى يدفع نتيجة اللى إحنا كلنا عملناه"

هنا أسند نادر ظهره على المقعد و أضاف في ارتياح:"خلاص يبقى كده كل واحد فيكو يدفعلى".

الفصل التاسع

"ميس توزيع"

"ميس توزيـــع"أو Missed توزيـــع أو Miss توزيـــع الثلاث كلمات تؤدى إلى نفس المعنى و القصد و الإتجاه,فقـــد للتوزيع الصحيح الأوراق, و هذه أيضا إحـــدى مواصـــفات اللعبة,نتيجة لخطأ أحد اللاعبين يتم توزيع الأوراق بشكل غير عادل و غير متساو,فيصبح من المستحيل الاستمرار فى اللعب, ومن المُحال الكسب فيه أو حتى الخسارة,فيسلم الجميع أوراقه لموزع الأوراق ليعيد توزيعها هذه المرة بفرص متكافئة,نفـــس النظرية التى حاول جمال عبد الناصر أن ينفذها بعـــد الثـــورة ولكن هذه المرة بإعادة توزيع أوراق اللعب بدلا مـــن إعـــادة توزيع أرزاق الله على البشر,هذا كله فى اللعب,و لكن عنـــدما نأتى إلى الواقع هل يحدث ذلك ؟وحتى إذا استسلمنا لمخاوفنـــا الخاطئة و إلى أوهامنا..

على مُجرد افتراض أن الأوراق التى فى يدنا لا تناسبنا,و أن الفقير أراد أن يصبح ذا مال مثل الغنى,و أن المـــريض أراد أن يُصبح ذا صحة مثل الرياضى,لماذا لا نطلب إعادة التوزيع ؟لماذا لا نبدأ بالعمل و الدعاء أن نغير فى تركيبتنـــا الحالية؟فنـــستثمر

الأموال لكى تزيد,و نقلع عن التدخين لنستعيد الصحة الضائعة و هكذا,لماذا ننسى عندما نفشل أن هناك دائما حق أبـــدى فى التوبة و بدء اللعب من جديد ؟لماذا لا نطلب كوبا غير الكوب نصف الفارغ ؟لماذا لا نلعب بأوراق أخرى بدلا من تلك التى نشكك أنفسنا فى صحة أعدادها ؟ألن يكون ذلـــك أســـرع وأفضل من إضاعة الوقت فى البكاء علـــى اللـــبن المـــسكوب والندم؟ لماذا نرفض أن نبدأ من جديد خاصـــة إذا كنـــا غـــير فخورين بما مضى؟

لماذا نتظاهر عندما ينخفض مُعدل الدرجات أثناء اللعـــب بالتعب قبل نهاية اللعبة بدلا من الاستمرار أملا فى الفوز؟لمـــاذا نرفض أن ننسى أحزان الأمس و نأبى نعيش اليوم الجديد ؟

لماذا لا نؤمن بالفرص الجديدة؟

***

بدأ الجميع بالشك فى أمر"عمـــرو ســـلامة"و فى صـــدق أحاسيسه تجاه "لينا" ,جميع الأصدقاء,جميع الزملاء,جميع مـــن يعلم بمشاكله السابقة مع لينا,الجميع بلا استثناء حـــتى أقـــرب الناس إليه شكوا فى حقيقة شعوره نحوها ,إن كـــان حزينـــا بالفعل كما يُحاول أن يوحى و يزعم للناس؟ أم أنه سعيد مـــن الداخل؟ربما تظاهر بالحزن رجاء فى المزيد من التعاطف العـــام ممن حوله لإشباع رغبة نفسية مُعينة,ربما خشى أن يُـــلام و أن

يُحمل ذنب انتهاء هذه العلاقة,فقرر أن يظهر حزنه أولا مـــن باب أن الهجوم هو أفضل وسيلة للدفاع فيتلـــهى فى إســـكاته الجميع و ينسوا أن يلحقوا به أذى الكـــلام,لم تكـــن تلـــك الشكوك مُجرد نظريات فارغة لمضيعة الوقت,فتلك الشكوك- و إن لم تخرج عن غرض النميمة فهى- مبنية على أسس عاقلة و حكيمة للغاية و مُرتبة بشكل يكاد يتحرى المنطق,لم تكـــن شكوك بلا سبب بل كانت نتيجة لطول فترة حزنه عليها,على قدر ما كان من الطبيعى أن يحزن عند انتهاء العلاقة على قـــدر ما أنه ليس من المقبول أبداً أن يستمر حزنه حتى الآن,فلقد مر على فراقها مدة أطول من مدة معرفته بها!!,لماذا مازال يغضب عند سماع اسمها؟لماذا يضع صورها خلفية لهاتفه الجوال ؟لماذا لا تزال هى الموضوع الأوحد لكل أبيات شعره؟لماذا يتحدث عنها حتى هذه اللحظة؟حقيقة أنه مازال يتذكر اسمها غريبة فى حـــد ذاتها,حتى أقرب الناس للمُتوفى لا يحزنون عليه أكثر من أربعين يوما,فكيف به يحزن عليها كل هذا الوقـــت؟ألم يتعـــب ؟ألم يمل؟طول الفترة أفقدت المصداقية لصورة العاشق المُخلص الـــتى رسمها الجميع عن"عمرو سلامة",فما أسهل أن يتحجج بمشاكله معها لكى يبرر رسوبه فى الدراسة,يتخـــذها ســـببا لـــشرب الحشيش,باختصار رأى الكثيرون كونه لا يزال علـــى حالـــه مُبالغة غير مطلوبة,إعادة مُملة لفكرة قد وصلت بالفعـــل,إذن فلماذا؟ .. توقفت بعد كتابة السطر السابق,ســـرد أحـــداث حقيقية يفرض عليك أمانة مُحددة و هذا هو ما أوقفنى,ذهبت

لأسأله,أسأل صاحب الشأن"عمرو سـلامة"عـن أقوالـه فى الاتهامات المُوجهة إليه,و تجمعنى كراو للأحداث صداقة فريدة من نوعها بـ"عمرو",نعرف بعضنا منذ زمن بعيد فلا مجـال إذن للخجل بيننا,ابتعدت به عن الضوضاء و الأضواء,جلسنا فى مكان ناء مُنعزل عن الجميع و سألته,سألته عن السبب الحقيقى لكل ذلك,و جاءت إجاباته بسيطة للغاية,هـو لا يتـذكرها دائما,و يغضب عند سماع اسمها لأن الأسم يـذكره بـصاحبة الاسم التى ينوى أن ينساها,صورة العاشق تلك لم يكن ينـوى أن يظهرها بل تسربت منه دون قصد أو تخطيط,و بصفتى أحد المُعجبين القلائل بأبيات شعره غير الموزونة سألته عن الـسبب الذى جعلها وحدها موضوعه الأهم فى الـشعر,فأوضـح أن أبيات شعره لا يكتبها إلا عن شىء لمسه و شعر به و هـو لم يترل إلى ملعب الحياة ليجرب أية علاقة بعدها,إنه — و علـى قدر ما يبدو هذا غريبا و سخيفا فى آن واحـد- لا يجـد أى عائق فى تخطى ذكرى فُراق"لينا",هو حقا يريـد أن ينـساها ولكنه لم يجد من ينسيها له,أو حتى ما ينساها به,ينتظـر أوراق جواز السفر ليهاجر من من جمهورية لينا القائمة علـى نظـام الحُكم الديكتاتورى,ينتظر عقيدة أخـرى بديلـة و جديـدة يتمسك بها قبل أن يكفر بقدسـية"لينـا"إلى الأبـد,إنـه لا يتذكر"لينا"لعظمة حادثة لقائها و لكن لعدم حدوث أى شىء مهم أو غير مهم فى حياته,حياتـه المليئـة بفنـاجين القهـوة والمُحاضرات و التكرار,حياته التى يأكل الفراغ معظمها فـلا

يبقى لديه الوقت للقيام بأى شيء,فهل"عمرو سلامة"هو ذلك المسكين ؟هل هو ضحية ؟أم أنه يريدنا أن نظن ذلك؟أنا رغم معرفتي الوطيدة به لا أعلم بصدق أية إجابة حقيقية لهذا السؤال

***

فى الفترة الأخيرة كثُرت اللقاءات السرية ما بين"رامى"و"ليلى هانم الكفراوى",و من كثرة اللقاءات بات الآن"رامى"يرى"ليلى هانم"عمة"يمنى"أكثر مما يرى"يمنى"نفسها,قبل أى لقاء مع"يمنى"يثرى ثقافته بحوالى لقائين أو ثلاث لقاءات مع عمتها على سبيل التحضير و التخطيط المُسبق للاحتمالات,وكان لكل منهما دوره فى لعبة الإحاطة بتفكير"يُمنى",ليلى هانم أصبحت الآن أكثر فضولا عن أى شيء يخص"يُمنى",اهتماماها,ما تحبه و ما تكرهه,أفلامها المفضلة و آراؤها السياسية,و تجمع"ليلى هانم"كل تلك البيانات لتسلمها إلى"رامى",و هنا يبدأ دوره,يظهر بالمصادفة فى أى مكان تذهب إليه,و يتظاهر بالتفاجؤ و الدهشة عندما يراها بعبارات مثل"إيه ده هو انتى بتعمللى إيه هنا؟",و تلك عملية شاقة للغاية,وجد نفسه حاضرا بشكل متواصل لأفلام كل تلاميذ يوسف شاهين غير المفهومة بالمرة فقط لأن ليلى هانم قد نبهته أن"يمنى"تميل إلى تلك النوعية من الأفلام السيكوباتية غير المألوفة,أصبح رغم أنفه من المهتمين بالظواهر الثقافية للعالم

السفلى نصف المشهور للموسيقى العربية الجديدة والحديثة,حضر أكثر من حفلة لفرق غنائية لم يسمع عنها من قبل مثل"وسط البلد"و"افتكاسات"و"مسار إجبارى"،"كاريوكى"و ""Born in hell"" .. و فرق أخرى يجد حتى هذه اللحظة صعوبة فى نطق أسمائها.. فما بالك بفهم معانى كلمات أغانيهم و مقاصدهم؟؟

***

لعبة الإيستيميشن لها الكثير من الطرق لإجادتها,فيمكنك أن تلعبها كثيراً,أو أن تلعبها مع المحترفين,أو أن تشاهد الكثير من المباريات دون المشاركة على سبيل التعلم,و لكن هذا كله سيكون بلا فائدة إذا نقصتك صفة واحدة هى التى تفتح لك أبواب الإيستيميشن,و هذه الصفة هى: قوة الذاكرة,فهناك تشابه كبير بين ترتيبك لأوراق اللعب و ترتيبك لأوراق حياتك,يجب فى البداية أن تتذكر عدد و نوعية الأوراق التى لم تعد فى يدك و التى لم تنزل على"الأرض"بعد,فهذا يعنى أنها لا تزال فى أيدى الآخرين,فقوة و تأثير الأوراق التى سوف تلعب بها مُعتمدة بشكل أساسى على ذاكرتك,و مستقبلك فى بقية المباراة لن يحدده إلا تذكرك الدقيق لماضى المبارة حتى هذه اللحظة,فعندما تبدأ من جديد أملا فى الفوز بعد طول الخسارة

يجب عليك أن تتعلم بصدق من أخطائك السابقة,ألم أقل لكم إن الذاكرة هى مفتاح تلك اللعبة,لعبة الحياة؟

***

هل تتذكر فترة التسعينيات ؟كانت لهـــا سمـــات مُميـــزة للغاية,المتطرفون,عبدة الشيطان.. القناة الأولى والثانية ,سيارات الـــ١٢٨ و الـــ١٢٧ التى ملأت البلاد, مسلـــسلات ليـــالى الحلمية,رأفت الهجان, فيلم المنسى.. جمال الشاعر ومُسابقات القرآن الكريم,مفيد فوزى, عزب شو,كاظم الـــساهر,بدايـــة نجاحات عمرو دياب ونهاية نجاحات جيل على الحجار,مجلـــة ميكى,الشيخ الشعراوى,أفلام الكونج فو بطولة أشباه بـــروس لى,مايكل جاكسون,فوازير نيللى,ثم ظهور اختراع الدِش,رزان المغربى,قنوات الأم . بى. سى. عندما كانـــت قنـــاة واحـــدة فقط,قناة النيل للمنوعات عندما كان لها علاقـــة بالمنوعـــات والترفيه,سينما الشباب, محمد هنيدى,علاء ولى الدين,يا لها من فترة !,ولكن مهما كنت تتذكر تلك الفتـــرة بوضـــوح فلـــن تتذكرها مثلما يفعل"أحمد شمس",هو تقريبا يفعل ذلك كل يوم من الصباح حتى المساء,فقط عندما نصل إلى النهاية نبدأ نفكر فى البداية,عندما ينتهى الفيلم نفكر فى الرموز الفلسفية المقصودة من المشهد الأول,عاد"أحمد شمس"إلى عمله القـــديم و مكتبـــه

الأساسى,حاصرته الذكريات القديمة,كل ركن فى المكتب,نفس المكتب,نفس الوظيفة والموظفين,نفس الزملاء والأصدقاء,حتى الكرسى الذى يجلس عليه لم يتغير فيه الكثير,قضى أول أيامه هناك سائحا أكثر منه عاملا,زائرا للبيت الذى قضى فيه شبابه أكثر منه مشاركا فى العائلة التى تسكن الشركة,و زاد ذلك السلوك عندما اكتشف بعد توظيفه بأسابيع عمل إحدى معارفه القدامى معه فى نفس الشركة ولكن فى قسم مُختلف,كانت زميلته فتاة تُسمى"مى",فتاة عرفها بشكل سطحى أيام الدراسة,عندما كان هو فى سان-مارك كانت هى أصغر منه بسنتين فى مدرسة نوتر- دام- دى- سيون، فى البداية كانت مسألة أصدقاء مُشتركين,أصدقائها و أصدقائه الذين يصممون أن يتقابلوا فى مكان يُسمى السيندريللا,و السيندريللا هذا اشتهر فى التسعينيات بتبنى أول أشكال ظهور موسيقى الهاوس-ماتيل فى الإسكندرية, وظل على نجاحه حتى اتهمته مجلة"الريّس كويّس والشعب مهيّس"الشهيرة بمجلة"روزاليوسف"بممارسة طقوس عبادة الشيطان هناك,ظل المكان يُحارب تلك السُمعة السيئة و الاتهامات الظالمة و لكن المجلة كانت قد حسمت أمرها بالفعل دون استشارة أى شخص,فاضطر صاحب المكان أسفا أن يهاجر إلى الخارج ومازال (حسب ما سمعت) يعيش فى الخارج حتى الآن,و لم تنته معرفتهما بغلق ذلك المكان,فعندما

اضطرته زوجتـــه القديمـــة إلى الهجـــرة إلى القـــاهرة قابـــل هناك"مى"للمرة الثانية كانت ظروفها هى الأخرى قد اضطرتها إلى السفر إلى العاصمة لاستكمال الدراسة,كان يقابلها بانتظام أثناء زواجه من"مروة",صفته كصديق قديم لم تـــتغير قـــط,لم يكن"على"ابنه قد أتى بعد إلى الدنيا,بالغت كعادتها مـــروة فى علاقة"أحمد"بها اتهمته بخيانتها معها,عندما قدرت الظـــروف أن يتقابل"مروة"و"مى"بالصدفة فى مكان عام أحرجتها"مروة"أمام الناس,من فرط سوء الموقف لم يملك"أحمد"الفرصـــة للاعتـــذار لـــ"مى",ثم جاءت بعد ذلك ولادة"على"و ألهت الحياة أحمـــد شمس,لم يقابل"مى"بعد ذلك,ليس حتى الآن,أخبرها اليوم أنه قد انفصل بشكل نهـــائى عـــن"مـــروة ",لم تـــستطع أن تخفـــى سعادتها,كانت تحبه سرا منذ زمن طويل على ما يبدو,جلسا فى مكتبه يتبادلا الذكريات,وسرقهما الوقت, "لأ أنا افتكرت,إللى إنتى بتتكلمى عنه ده مش تامر ده كان محمود"كانت تحكى عن أحد زملاء فترة الشباب و قد طلبت منه أن يحاول معها تذكر اسمه,و بعد أن قال العبارة الأخيرة بثقة,أرجعت هى ظهرها إلى المقعد و سألته فى اهتمام:"محمود؟معلش مين محمود ده؟" "مش فاكرة محمود؟!"سألها"أحمـــد فى دهـــشة قبـــل أن يـــستكمل ضاحكا"أنا مش فاكر اسمه بالكامل بصراحة,بس المفـــروض إن

أنا أعرفه عن طريقكو,كان تبع شلتكوا إنتو,فاكرة ياسمين إنتى صح؟"

"آه طبعا فاكراها دى فضلت أنتيمتى لحد ما سافرت أمريكا" استكمل"أحمد"بحماسة :"محمود هو إللى كان مصاحبها,وكان عنده موتوسيكل ماركة"ياماها"و عمل بيه حادثة يوم ما كانت عاملة عيد ميلادها فى فيلتهم فى العجمى"

اختفت علامات الاستغراب من على وجهها لتستبدلها الضحكات:"آه افتكرته,ده كان مسخرة,هو راح فين ده؟"

"سمعت إن هو بقى مُعيد فى تجارة دمنهور باين,معرفش إزاى! أنا عن نفسى مش متخيلاه مُعيد بصراحة"

"بس والله يا أحمد صدفة حلوة إنى أقابلك علشان نفتكر الحاجات دى"لم تنتظر رده بل انتفضت فجأة نتيجة للحقيقة التى كادت أن تنسى إبلاغه بها :"عارف مين كمان هيشتغل هنا معانا؟"

-"مين؟ حد أعرفه؟".

-"هبة"قالتها بفرحة شديدة لم يفهم لها سببا.

-"هبة مين؟"

-"هبة عبد السلام,قابلتها و هى طالعة من الإنترفيو بتاعها من كام يوم"

أجاب و هو ما زال فى حيرته :"المفروض إنى أعرفها يعنى؟"

-"تعرفها؟!,فى إيه يا أحمد مالك؟ إنت كنت مصاحبها"

-"أنا عمرى ما صاحبت واحدة اسمها"هبة",هــى كانــت بتيجى معانا سيندريللا مثلا؟"

-"لأ لأ,لو قابلتها و أنا معاك هابقى أعرفك بيها و أنــت هتفتكرها"

قرر أن ينسى الموضوع برمته,ارتسمت قبل أن يتكلم علــى شفتيه ابتسامة ارتياح:"كانت أيام حلوة أوى"

وافقته و هى تومىء برأسها,كان خلال الــدقائق الــسابقة يحاول أن يختار اللحظة المُناسبة لدعوتها إلى الغداء,لا يريــد أن يُفسد بهجة الذكريات بتحويلها إلى شــكليات تُفــسد هــذا الشكل العفوى التلقائى للحديث,تغلب على خجله وحــسم أمره :"مى إنتِ وراكى حاجة بعد الشغل؟"

قالها فجأة و بسرعة شديدة و كأنه يتخلص منها قبــل أن يغير رأيه أو يتملكه التردد مرة أخرى.

أجابت"مى"فى حيرة:"آه فاضية أكيد ليه؟"

و جاءت اللحظة التي سيدعوها فيها إلى الغداء, لم يكـــد أن ينطقها حتى قاطعه نقر على باب المكتـــب,ثم شـــاب يـــدخل و يسأل في بلاهة غير مطلوبة في وقت حساس كهـــذا:"لـــو سمحت هنا مكتب البشمهندس مندور؟"

كان شابا يصغر "أحمد شمس"بحوالي خمسة أعوام,قوي الـــبني و لكن ليس ضخم الجثة,شكله مألوف إلى حد ما,

أجابه أحمد :"لأ,الأودة اللي زي دي في الدور إللي فوقينا"

و كأن الشاب كان قد قصد مقاطعتهم بالذات فاستكمل إستفساره:"معلش الظاهر إن أنا اتلخبطت,أمـــال ده مكتـــب مين؟"

أجابته"مي"هذه المرة:"مكتب احمد شمس"

و لم تكن تلك هي نهاية مُسلسل إزعاجـــه فاســـتكمل في حيرة:"أحمد شمس ؟ أمال حضرتك تبقى مين؟"

رد أحمد بسخط,فقد كان الضيق قد سيطر عليه فعلاُ هـــذه المرة :"أنا أحمد,حضرتك عايز حاجة؟"

ابتسم الشاب :"إيه يا شاف أحمد إنت مـــش فـــاكرني ولا إيه؟"

هنا أضاق أحمد عيناه و تمعن محدثه فى تساؤل:"شاف؟إنت كنت معايا فى الكاريتاس؟"

زادت ابتسامة الشاب :"إيه يا شاف شمس فى إيه مالك؟ أنا عيسوى"

ظهرت المفاجأة المتأخرة على وجـه"أحمـد"و صـحبتها ضحكة حماسية:"إيه ده ؟ لا لا لا,عيسوى بتاع الـسكواش,لا مش ممكن إنت بتشتغل هنا إنت كمان و لا إيه؟"

أجاب عيسوى بشيء من الفخر غير المفهوم:"آه لسه متثبت الأسبوع إللى فات"

سأله أحمد فى إهتمام :"و لسه بتلعب سكواش زى مانت؟"

أجاب عيسوى و هو يحاول التمسك بابتسامته:"لأ أخدت بطولة الجمهورية كام مرة كده و بعدين حصلتلى حادثة كده فاتمنعت من اللعب"قالها بشيء من الهم و لكنـه يخلـو مـن الاعتراض أو الشكوى.

لم تكن"مى"تعرفه و لكنها على سبيل المشاركة الذوقيـة فى الحديث سألته فى تظاهر بالاهتمام:"إيه ده ؟ حادثة عربية؟"

أجاب مضطرا و قد غلب عليه الحرج والغضب و الارتباك معا:"لأ حادثة خناقة يعنى,عيـل أهبـل ضـربنى بحاجـة فى

رجلى,مبقاش ينفع ألعب فى البطولات,بس أنا بلعب عـــادى يعنى,بروح ألعب كل كام يوم فى سبورتنج,الحمد لله على كل حال"

لاحظ أحمد شمس ذلك المزيج من الأحاسيس المُزعجة الذى عصف بـــ"عيسوى"فخرج من هذا الإطار من الحديث:"علـــى العموم حصل خير,و أختك الصغيرة"نادين"دخلت إيـــه؟اسمها نادين مش كده؟"

نجحت تجربة"أحمد شمس"و عادت ابتسامة"عيـــسوى"إليـــه وهو يقول :"نادين آه,دخلت فنـــون,هـــى دماغهـــا رســـم والحاجات دى" استكمل أحمد :"هى نادين كانت فى سن كريم أخويا أو أصغر منه بسنة.. يعنى مفروض تكون فى أولى دلوقتى صح؟"

و شاركت"مى"بقولها:"إيه ده؟ هو كريم بقى فى تانية كلية؟ ده أنا آخر مرة شوفته كان فى العجمى,عيل صـــغير راكـــب بسكلتة و بتاع"

ضحك الثلاثة كثيرا,و نسي"أحمد"و"مى"عملهما,لدرجـــة أن"عيسوى"لم يعد يتذكر أنه كان مـــن المُفتـــرض أن يقابـــل شخصا ما اسمه البشمنهدس\مندور الذى أتـــى فى الأســـاس للبحث عنه,انقضت ساعتان كاملتان على هذا المنوال,و لم يبد

أيهما أى اعتراض عنـــدما اقتـــرح أحمـــد شمـــس:"بقولكـــو إيه,الاستراحة بتاعة الغدا تقريبا إبتدت,إيه رأيكم نروح نتغدى فى"كووك دور"؟"

***

الساعة الثامنة مساءا,قهوة المصريين مرة أخرى,البـــارودى (الذى كاد أن يُصبح من ساكنى المكان) ومعه"هـــانى",ظـــل الاثنان يضحكان و هم يتذكروا نجاحهم فى أن يلحقوا الأضرار بـــ"شلة سان-مارك", لم يكن من الممكن علـــى أى حـــال أن يتحركا من مكانهما فهم فى انتظار"مـــارك و نـــادر"و شـــلته ومبارة كرة القدم التى سوف تبدأ بعد قليل,و ظـــلا فى تلـــك الحالة من الانتظار حتى عندما أتى عليهم"عمرو ســـلامة"دون موعد مُسبق,استكملوا الحديث الضاحك و لكنه لم يـــضحك معهم و لم يشارك بالكثير من الكلمات,فأصبح المشهد كوميديا للغاية عندما ظل يحدق إليهما و هم يضحكان بوجهه المكتئب الخالى من أى تعبير,و بعد فترة,بعد أن أصبح وجوده يـــضفى جو الغرابة على المناخ العام سأله البارودى:"أمال رامى و كريم أتأخروا ليه ؟"

سأله"عمرو"بدهشة بها شيء من القلق :"و: هـــو رامـــى وكريم قالولك إنهم جايين هنا؟"

أجاب البارودى: لأني كنت فاكركوا كلكوا جايين مع بعض,و إنت جيت بدرى,مش متعوّد أشوفك جاي لى غير معاهم بصراحة,

لم يجب"عمرو"بل انطوى داخل نفسه و حضن بيده كوب الشاى الساخن الذى لم يشرب منه شيئا فى وضعية جسدية تشبه صلاة المسيحيين فى الكنائس,ربما كان يحمد الله سراً أن"رامى"و"كريم"لن يأتيا ليرياه على هذا الحال, ساد الهدوء لفترة قصير قبل أن يهتف"هانى"فى حماس:"إيه ده دى"يارا"!"

قالها و هو يشير إلى مكان ما ناء فى المقهى,سأله البارودى و هو ينظر إلى المكان الذى يقصده بعدم إكتراث:"يارا مين؟"

أجاب"هانى"بهدوء هذه المرة :"بنت أعرفها ثانية واحدة هاروح أسلم و آجى"

و قام"هانى",ليواصل"محمد"حديثه الغريب من نوعه مع"عمرو"فى شيء من التهكم:"لأ بس غريبة منك يعنى,تيجى من نفسك كده و تقوللى أعملى قعدة و بتاع,هو إنتو مش بطلتوا؟؟"

وضع"عمرو"كوب الشاى من يده و هو يجيب مشيرا فى حديثه إلى كريم و رامى:"هما بطلوا آه"

-"طب و إنت؟!"

-"لأ أنا خلاص زى ما تقول كده بطلت أبطل,أنا دلـوقتى نفسى أتسطل ومفوقش سنة قـدام ولا حاجـة"ثم تـسللت الحماسة إلى نبرة حديثه ليستكمل"اتكل إنت بـس علـى الله وسيبني أنا هاظبطلك المُكنة و القعدة كلها عليا أنـا و إنـت وهاني و أى حد تجيبه معاك"

تعجب البارودى أكثر :"للدرجة دى؟ ..إيه يا بنى ده أنـا أول ما كريم عرفني عليك كنا بنتحايل عليك علشان تحـش فى جوب (سيجارة حشيش) واحد"

بدا"عمرو"فى مُنتهى الحكمة و هو يردف قائلا لأول مـرة العبارة التى أصبحت هى قوله الـشهير فيمـا بعـد لفتـرات قادمة:"الناس بتتغير بقى,سُنة الحياة"

اقترب البارودى فى مجلسه أكثر من"عمرو"و سأله بـصوت خافت:"أنا عارف إن لو فى حاجة مضايقاك مش هاتحكيهـالى أنا,بس هو حوار نسوان صح"

لم يتفاجأ"عمرو"من السؤال فلقد أصبح مُدركاً الآن أن آثار الفراق أصبحت واضحة على وجهه أمام أى شـخص,أومـأ برأسه أسفا:"حاجة زى كده آه"

أجاب البارودى مُقترحاً:"حاجة زى كده,يبقى فُكك مـن الحشيش خالص,بس خللى فلوسه معاك أنا عارف إنت عـايز إيه؟ فاضى إنت بكرة بالليل؟"

عمرو بدهشة :"آه فاضي,إشمعني يعني؟"

دخل هاني في المُناقشة مرة أخرى:"هتيجي معانـــا مـــشوار كده..

لم يدر"عمرو"بالتحديد متى عاد"هاني"ألم يكن منذ لحظات واقفا بعيدا في مكان ما داخل المقهى,و لكن من الواضـــح في كلامه أن"هاني"قـــد سمـــع الجـــزء المُحـــرج الأخـــير مـــن حديث"عمرو",

استاذن عمرو منهما في الرحيل,و سأله"البـــارودي"عـــن السبب فأجاب"عمرو"بخيبة أمل:"لأ ما هو أنا كنت نازل على حوار كيف,مفيش يبقى أروح أحسن"

أكد البارودي :"فكك من الكيف خالص,الحوار إللي أنـــا هظبطهولك بكرة ده أجمد بكتير"

كان عمرو قد استدار و بدأ بالفعل في الرحيل فلوّح بيـــده مغمغما:"خلاص بقى بكرة هنشوف,سلام"

و عند رحيل"عمرو"اقتربت"يارا",المـــدعوة"يـــارا"هـــذه هي"يارا"التي كان"مـــارك"يعـــاني مـــن فراقهـــا في الفتـــرة الأخيرة,تعرفت بـــ"هاني"من الكنيسة,و السبب الذي جعلـــها تقترب هو نفس السبب الوحيد الذي يدفعها للاقتراب من أي شخص طوال حياته: إحتياجها لشي ما.

"بقولك إيه يا"هاني"! معلش معاك رصيد؟ كنت عايزة أعمل مكالمة من عندك"

أجاب"هاني"أسفاً:"لأ إنتي جايالي في وقت غلط خالص,أنا معيش رنات حتى"

و قبل أن ترحل"يارا"لتبحث عن شخص آخر معه رصيد وجدت يد"محمد البارودي"تمتد إليها و بها"موبايل":"ممكن تتكلمي من عندي لو عايزة",و كانت هذه هي أول مرة تلاحظ"يارا"وجود البارودي من الأساس,تمعنت جيدا في ذلك الكائن شبه البدين,ملابسه (فَاقعة لَوْنُها لا تَسُر النَاظِرين) غير متناسقة تذكرك بشعبان عبد الرحيم,و تنم على حالة تخلف عقلي ما تسيطر على ذوق صاحبها,يده التي تمتد بالهاتف الجوال يحيط بمعصمها أسورة ذهبية مُبالغ فيها للغاية و علامات كثيرة لا يمكنك أن تصفها إلا بكلمة"بيئة"كلمة عامية اختصار لعبارة"بيئة مصرية واطية",باختصار شديد لم تتشجع"يارا"من هيئة"محمد البارودي"الخارجية مهما كانت حاجتها لمساعدته,نظرت إليه و هو تحاول أن تخفي استحقارها و قالت بإبتسامة صفراء :"لأ,مرسيه (شكراً)"

أصر البارودي و يده ما زالت مُمتدة :"(مرسيه) إيه بس؟! أمسكي إتكلمي و الله ما فارقة",عبارة أخرى قيلت خصيصا

لكى توضح المعنى العظيم أن"محمد البـــارودى"لا يمتلــك إلا الأموال.. و لكن هل ستأخذ منه الهاتف؟و دعنا نتوقف هنـــا عند تحليل سريع للغاية لشخصية"يارا",اتفق الأطباء النفـــسيون أن أسهل و أسرع و أدق طريقة لتوقع السلوك المـــستقبلى لأى شـــخص هـــو النظـــر إلى ســـلوكه الـــسابق,و نظـــرا لسلوك"يارا"السابق,فهى بكل بساطة فتاة لم يسبق لها أن تتخلى عن أى فرصة مادية مناسبة,

***

كان"مارك"و معه"ريم"و"خالد"و"نادر"فى طريقهما بالفعـــل إلى قهوة المصريين لموافاة الموعد المُتفق عليه عندما رن جـــرس هاتف"خالد",نمرة غير مـــسجلة علـــى هاتفـــه,رد علـــى أى حال,كانت"يارا",لو كان يعلم ذلك لمـــا رد مـــن الأســـاس, وغالبا هذا هو السبب الذى احتاجت من أجله هـــاتف غـــير هاتفها,لتستدرج"خالد"للرد"خالد"الذى يتفاداهـــا لأســـابيع, وطبعا كانت أول جملة فى المكالمة منها هى:"فى إيه يا خالـــد ؟ مبتردش على مكالماتى ليه؟"

رد مُرتبكا و هو يتأكد بعينيه أن"مارك"لا يشك فى هويـــة من معه على الهاتف:"لأ عادى يعنى,مكنش فيه وقت بس"

-"مالك ؟حاساك مش عارف تتكلم,هو"مارك"جنبك و لا إيه؟" .. غمغم موضحا"آه حاجة زى كده"

"طب على العموم لو عرفت تقوم من عندك أنا قاعدة فى فلمنج,يا ريت تعدى عليا,أنا محتاجة أتكلم معاك"قالتها هذه المرة و قد أصبح صوتها أكثر نعومة,

-"لا لا أنا مش هينفع معايا خالص,فلمنج إيه بس,إحنا هنقعد فى سموحة و بتاع"

-"خلاص براحتك"

قالتها بغضب ثم أنهت المكالمة التى كانت هى التى بدأتها,

***

إحساس قوى بالملل,مُصاحب بشعور مُزعج بالالفة غير المطلوبة و الأحداث المُتكررة التى تخلو من أى جديد,عصف ذلك المزيج بقلب"لينا",هل تتذكرون"لينا"?تلك الفتاة ذات الصوت الطفولى الناعم و التى كانت هى مصدر الخلاف والأرض المُتنازع عليها بين"حُسام"بطل الجمهورية فى لعبة الأسكواش و"عمرو سلامة"بطل العالم فى الندم بعد فوات الأوان والبكاء على اللبن المسكوب,تلك الفتاة التى لا تعرف ما تريد,تلك التى ترفض النضوج,, تلك هى"لينا"التى أقصدها,شبه جزيرة"لينا",تماما مثل شبه جزيرة سيناء (أو أى شبه جزيرة أخرى),لفظ جغرافى يعبر عن أراض لا تستطيع أن تُحدد إن كانت جزيرة أم ساحل,هل هى مُنعزلة عن الناس (مثلى) يصعب العثور و الوصول عليها و إليها أم أنها مكان شهير

للاسترخاء تقصده وقتما تريد بسهولة لتشعر بالراحـــة ؟هـــى نفسها لا تعرف أية إجابة عن هذا السؤال,لا تعرف أى إجابة على أى سؤال يخصها,تماما مثل الأطفال تحركها الأحاســيس وليس الأفكار,و هذه هى ميزتها و نقمتها فى أن واحد,تلــك الصفة التى جعلت ولادتها و حياتها بيننا مُميزة هى نفس الصفة التى قتلت قلوب الكثيرين و سوف تتـسبب بمقتلــها قريبـــا, "لينا"الآن أكبر شهورا منذ آخر مرة رأيتموها فيهـــا,و لكـــن كالعادة لم يكبر عقلها و لم يتعلم أى جديد,هى الآن تـشعر بالضجر,لا تجد أى شىء تفعله,اتصلت بــ"حُسام" لم يجـب,و عندما أجاب اعتذر,اعتذر عن استكمال المُكالمـة ليعـود إلى التدريب,مازال مُقتنعا أنه يستطيع أن يدرب نفسه بنفسه كما يزعُم.. قنوات التلفاز كلها مُملة فى هذا التوقيت,مبارة الأهلى والإسماعيلى قد احتلت نصف القنوات,دخـل بعـض الهـواء الخفيف من النافذة ليطير ورقة ما من فوق أرفف حجرتها المُثبتة فى الحائط,رسالة من عمرو سلامة,مُغلفة فى ظرف ورقـى لم تفتحه يد منذ أن أغلقه"عمرو سلامة"بنفسه منذ أكثـر مـن شهرين,كان"عمرو"فى مرحلة ما عندما بدأت خلافاته معهـا, ورفضت هى أن ترد على مكالماتـه كتـب تلـك الرسـالة لتقرأها,أوصلها إليها الأصدقاء المُشتركين و معها بعض الهـدايا التى كانت قد أعطتها لعمرو,رسالة كانت قد أوهمت الجميـع بانها قرأتها ثم أحرقتها و الحقيقة إنها لم تفعل هذا أو ذاك,بـل أخفتها فقط بعيدا عن الأنظار,و ها هـى الآن بـين يـديها

مُجددا,مشهد محذوف من فيلم لم يعد فى صالات السينما,تملكها الفضول أكثر من أى شيء آخر,أرادت أن تفهم لماذا كانت كلما زادت خلافاتها مع"عمرو"تحجج هو بتلك الرسالة و ما كتب فيها,ما الذى تحتويه الرسالة بالضبط؟ صورة فوتوغرافية ؟ أبيات شعر؟ أم ماذا؟ الآن فقط سنعرف,فتحت الجواب فوجدت الآتى,ورقة مكتوب عليها بخط اليد من الجهتين (وش و ضهر) باللهجة العامية :"

من"عمرو سلامة"إلى"لينا عباس"

بما إن كل مشاكلنا ليها علاقة بالتفكير الغلط منى أو من أى حد,فبالتالى الحل الوحيد إن إحنا نرجع للعقل و نحكمه,ونقعد لوحدنا و نرتب أفكارنا علشان نفهم إيه إللى حصل بالظبط,

الفكرة من الآخر إن تلت تربع الحاجات إللى إنتى فاكرة إن أنا عملتها انا معملتهاش بس فى حد وصلك معلومات غلط

ممكن تفتكرى معايا حاجة واحدة بس؟

فاكرة فى آخر مشكلة ما بينا قولتلك إيه ؟

لو الموضوع ده مكتوبله إنه يخلص خليه يخلص لإن إحنا قررنا إنه يخلص مش لأن حد غيرى و غيرك قاعد بيتفرج علينا و هو حاطط رجل على رجل و قرر إن إحنا مش نافعين لبعض,خلينا إحنا إللى نقرر ده و لا البارودى ولا رامى ولا كريم و لا"هنى"و لا فلان ولا علانة ولا الجن الأزرق ..أنا

وإنتي بس لأن لما نفركش مفيش حد هينجرح زينا و لما نبقى
مع بعض مفيش حد هيحس إللى إحنا حاسين بيه غير أنا
وإنتي بس,الناس إللي أنا قولت أساميها دى ممكن تتدخل
علشان تصلح و معروف إنهم عايزينلنا الخير بس إللى حصل إن
أنا بقيت بكلمهم علشان يحلوا مشاكل بيني و بينك أكتر من
كلامى أنا و إنتي لما بنكون متصالحين,يعنى بلاقى نفسي بتكلم
مع كل الناس عنك فى الوقت الوحيد اللى أنا فعلا عايز أكلمه
هو: إنتي,زى ما قولتلك هما عايزين لينا الخير بس مهما
كان,مينفعش نسلم لهم حياتنا و نقولهم خدوا قرارات بالنيابة
عننا,ببساطة لأن مفيش حد ذكى لدرجة إنه يقرا أفكارنا
ويعرف إحنا محتاجين إيه أكتر من مننا,حتى لو كان عبقرى ..
حاجة اتعلمتها فى دُنيّتى : إن مفيش حد بيلاقى حمار
ومبيركبوش يا إلا هيبقى هو إللى حمار,إحنا كلنا فى سن كل
واحد فينا عايز يبين إن هو مقطع السمكة و ديلها و فاهم كل
حاجة فى الدنيا دى,عمرك شفتى فى حياتك واحد غرقان
بيتمسك بواحد غرقان الحقيقة المعروفة و إللى محدش بيقولها إن
إحنا كلنا لسه عيال و منعرفش أى حاجة,يمكن نعرف ناخد
قرارات فردية إنى بحب فلانة و هتجوزها أو إنى هسافر أعيش
بره أو إنى هشرب سجاير أو هبطلها بس لسه فاضل كتير أوى
عقبال ما نبقى مؤهلين إننا نتحكم فى حياة غيرنا,مش كل

حاجة بتتقال لازم نصدقها,و مهما كان الناس مـــش أنبيـــاء, وحتى الأنبياء كانوا بيغلطوا و على فرض إن إللى حـــصل ده مكانش بسبب حد اتدخل : إنتى لو حبيتينى فى يوم من الأيـــام كان لازم تفهمى الأول إنك حبيتى بنى آدم مش مـــلاك و إن البنى آدمين بيغلطوا أنا معاكى إن غلطة عن غلطة تفرق بس أنا غلطاتى مهما كبرت فهى من حبى ليكى,يوم خروجة"ســـان- ستيفانو"كنت عايز أعبرلك عن حاجة أنا حاســـس إنى عـــايز أوصلهالك,اتضح إن أنا حمار و إن إنتى مش مستعدة للتعبير ده دلوقتى أو حتى بعدين. و آخر يوم إنتى شوفتينى فيه عصبيتى دى كان سببها أكيد إن أنا بحبك مش إن أنا بكرهك مثلا,فكرى فيها مع نفسك كده,لو كنت بكرهـــك كـــان إيـــه إللـــى هيضايقنى,لو واحدة أنا بكرهها و هى رافضة تكلمنى إيه إللى هيضايقنى؟ مش كده؟ .. مشكلتى معاكى و مع صحابى و مع كل الناس إللى اتعاملت معاهم إنى عفوى و تلقائى و إن إللى فى قلبى على لسانى و لو مكانتش الخصلة دى موجـــودة فيـــا صدقينى كان زمانى وفرت على نفسى مشاكل كتير جدا أنـــا بعانى منها لحد دلوقتى و إنتى متعرفيهاش, و لو مكانتش الخصلة دى فيا مكانش طلبت إنى أصاحبك من رابع مـــرة شـــوفتك فيها,لو أنا شخص عاقل و بيعرف يتحكم فى نفسه كان زمانى لحد دلوقتى حاطط عينى عليكى بس,

إللى كان معصبنى آخر مرة و كل مرة إن أنا أختـــرت إنى أخش معاكى علاقة,إنتى بس,إيه معنى إنى ألاقى نفسى بستأذن من كل صحابنا قبل ما أكلمك,و إن كانوا همـــا شـــايفين إن الوقت ده مناسب ولا لأ,طب إيه الفكرة؟؟؟! و لو إحنا الاتنين مش عارفين نعامل و نكلم بعض إزاى وإمـــتى أمـــال مـــين هيعرف؟!

و حاجة تانية كانت مخليانى مش شايف قدامى,إن رد فعلك آخر مرة على كلامى كان غريب جدا,لو كنتى لطشتينى بالألم على وشى قدام كل الناس كان هيبقى أرحملى من الكلام إللى إنتى قولتيهولى بكتير جدا,لو مش فاكرة إنتى قـــولتى إيـــه دى شوية جمل مكتوبة زى ما إنتى قولتيها تقريبا:

خلينا مفركشين لحد امتحاناتك ماتخلص.

خلاص بلاش نفضل مفركشين لحد ما امتحاناتك ماتخلص خلينا مفركشين على طول هاهاها.

إنت بالنسبة لى مش حاجة أساسا هاهاهااهاه.

قعدت أفكر فى الجمل دى لوحدى من ساعتها لحد دلوقتى معرفتش إيه إللى بيضحك بالظبط.

حتى لو كانت غلاسة أو هزار أو أيا كان فـــإنتى اخترتـــى الوقت الغلط علشان تهزرى فيه و الشخص الغلـــط علـــشان

تهزرى معاه,لو إن فى استمتاع معين إنتى بتحسى بيه لما بتذليني و بتلعبى بقلبى و أعصابى بالشكل ده فأنا متخيل شكلك و إنتى فطسانة على نفسك من الضحك لما تسمعى إنى سقطت فى الامتحانات أو و إنتى واقعة فى الأرض من كتر الضحك لما تسمعى إن أنا و العياذ بالله انتحرت بسببك,بس إنتى مش كده,أنا عارف كده كويس,كونك تديني فرصة تانية أو لأ المفروض إن الجواب ده جاى معاه حاجتك إللى إنتى إديتيهالى,ده معناه إن الموضوع بإيدك تماما,بس أنا عايز أفهمك حاجة,لو إنتى عايزة تبقى معايا فعلا بس اللى مانعك كرامتك,افتكرى إن ربنا بيسامح نفس البنى آدم فى اليوم مليون مرة لو البنى آدم ده جه وأعتزرله,و لما ربنا بيسامحه ده مبيقللش من عظمة ربنا بالعكس ده بيزودها,و البنى آدمين برضه كده بيبقوا أعظم لما يسامحوا مش العكس,و أعظم شخص فى العالم هو الشخص إللى بيسامح مش اللى بيقفش و يزعل و يتقمص علشان خاطر كرامته.

و لو أنا فيا عيب العصبية,تقبليني زى ما أنا و خلاص, وممكن نقعد و نحل المشكلة دى.

كان نفسى بعد الجملة اللى فاتت دى أفكرك بعيب فيكى و أقولك زى ما إنتى فيكى العيب الفلانى وأنا تقبلته,بس المشكلة إنى فعلاً مش لاقى فيكى عيوب وعلشان كده

بحبك,أو بمعنى أصح علشان مفتكرنيش بسرح بيكى : كل ما ألاقى فيكى عيب أكتشف إن ده ميزة مش عيب و أزعل لـــو فى يوم من الأيام العيب ده اختفى,

زى ما بتفتكريلى بسرعة أى حاجـــة وحـــشة افتكريلـــى الحاجات الكويسة,إنت بتقولى إن أى ولد و بنت بيقعـــوا فى مشكلة بيحوللك,يعنى حسب كلامك إنتِ المفروض إن عنـــدك خبرة بمشاكل الولاد و البنات,عمرك سمعتى عن ولـــد ســـاب الحشيش علشان بنت و لو سمعتى بزمتك هاتقوللى عليه إيه؟ ..

لو إنت قررتى إنك تبقى معايا و كل الناس إللى فى العـــالم قرروا إن إحنا نفترق,هتبقى معايا.

و لو إنت قررتى إن إحنا نفترق و كـــل ســـكان الأرض حاولوا يغصبوكى إن إحنا نبقى مع بعض يبقـــى.. هنفتـــرق برضه,الموضوع بإيدك إنتِ و بس.

فكرة الحب أساسا إنه مبيقفش قدامه حاجة علشان كـــده سموه حب.

علشان كده لما أسمع (لا قدر الله) منك كلمـــة إن إحنـــا نفترق عمرى ما هقول معـــذورة علـــشان شـــكلها قـــدام الناس,لأ,هقول إن ده قرارك إنتِ بس,لإنك لو فعلا بتحبـــينى مش هيفرق معاكى كلام حد.

و لو موضوع الناس مضايقك أوى (و هو فعـــلا حاجـــة تضايق) ممكن مثلا توريهم الجواب ده علشان يعرفوا أنا بحبك قد إيه و إن انا مش راميكى زى ما ف"حد"مش هاقول اسمـــه حاول يلمحلى بكده,مع إنى أفضل إن محـــدش غـــيرك يقـــرا الجواب ده. و قبل ما تقوليلى إن إحنا مش لبعض فكرى إنك قبل ما تقوليها إنك هيبقى عندك مشكلة أكبر.. و هى إنـــك ساعتها هتبتدى تدورى على حد بيحبك قدى,و ده صـــعب شوية إنك تلاقيه,ده لو مكانش مُستحيل.

اللى الجواب ده بيحاول يعمله إن هو يحطك على مفتـــرق طرق يا تبقى مع"عمرو سلامة"يا إما لأ,و لو لأ فالحاجات إللى أنا قولتهالك دى أكيد هاتفيدك بعد كده,صدقيني فى دى لأن أنا على قد ما عملت فيكى بس عمرى ما كدبت عليكـــى أو قولت كلمة انا مش قدها,

افتكرى,

وفكرى,

واحكمى,

و ارجعيلى

إمضاء: عمرو سلامة.

***

و هناك (قبل أن نستكمل السرد) حقائق خفيـــة قـــد آن الآوان لتنكشف لكم,حقائق بخصوص"يـــارا"فاتنـــة كنـــائس الإسكندرية,هناك مُربع من المشاعر غير المُتبادلـــة ذات اتجـــاه واحد,

١-"نيفين"تحب"مارك"إلى حد العشق و الحلم بالارتباط,

٢- بينما"مارك"لا يرى أمامه سوى"يارا",

كل هذا معروف مسبقا و لكن الجديد هو:

٣- أن"يارا"أيضاً لهـــا حبيـــب خفـــى,ذلـــك الحبيـــب هو"خالد",الذى يشعر بالذنب تجاه نيفين و مارك.

و قد تكون هذه هى من أغرب العلاقات التى قد رأيتها فى حياتى,فتاة مسيحية تدمن الجنس و الخمر قد أحبت مُسلم قد أدمن الحشيش و العادات السرية,و إن كان"خالد"قد انجـــرف مرة أو مرتين على الأكثر أمام إغراءاتها التى لا تنتهى إلا أنه لا يبادلها تلك المشاعر أو حتى جزءا منها,كلما رآها أمامه بهـــذه الـــصورة أحـــس بأنـــه ســـبب معانـــاة"مـــارك" وعذاب"نيفين""مارك"و"نيفين"اللذان لم يترددا قط فى الوقوف بجانبه فى أى موقف مهما اشتدت صعوبته"مارك"الذى يساعده ماديا عندما يحتاج إلى الأموال لشراء الحشيش ثم يرفض بعـــزة وكبرياء أن يُعاد إليه ماله,و"نيفين"التى تـــساعده فى التعـــرف

بالبنات بشكل دؤوب و مستمر,اعذروا المثالية المُبالغ فيها التي يحتوى عليها كلامى,و لكن هذا هو ما كان عليه الحال بالفعل (و ما على الرسول إلا البلاغ),كانت نسخة مريضة سـكيرة ومُنحرفة من السيناريوهات السينمائية المُعتادة التي تتكلم عـن الوحدة الوطنية (أمثال :فيلم"حـسن و مُـرقص"و"الكـابتن هيما"),و إن كانت أغرب شكلا من الخارج,و لم تكن تلـك المُكالمـة الأخـيرة الـتي تم إجراؤهـا مـن خـلال هاتف"البارودى"الجوال ما بين"يار"و"خالد"سوى محاولة أخرى منها لإستدراجه,مُحاولة قد باءت بالفشل,و الفشل يا إخوانى هو الشعور الوحيد الذى لم تعتده"يارا",لم تعتـد أن يرفـضها رجل أيا كان,و هذا هو التفسير الوحيد لغضبها الشديد أثنـاء وبعد إغلاقها للخط بدقائق,شيء ما في شكل المرأة الغاضـبة يثير"محمد البارودى"جنسياً إلى أقصى حـد,إحمـرار وجههـا وعروقها التي قد برزت من وراء جلد عنقها يوحى لأى عقـل مريض بأنها قد وصلت إلى أقصى مراحل التشوى و الاحتيـاج دون أن يلمسها أى شخص و دون ان تعـزف علـى أوتـار مناطقها الحساسة أصابع أى يد غريبة,و حبذا لو كانت شقراء بيضاء البشرة,كما هو الحال مع"يارا",فلم يجد"محمد"من نفسه إلا إن يقوم من مكانه ليقترب منها,و أن يسألها فى أدب:"إنتى متأكدة أن أنا مشفتكيش قبل كده؟"

و تحكى لى"يارا":

كنت جالـــسة فى حـــالى لا أســـتطيع أن أفكـــر ســـوى فى"خالد",ليس لأننى أعتب عليه أو أى شـــىء,فـــإننى كنـــت ومازلت و سأظل أجمل فتيات الأسكندرية,هو حُر,و هو إللى خسران و هو إللى ---- و ---- و ابن و---- أساســا (شتائم إنجليزية وعربية حذفتها بنفسى),هو إللى أهبل و عبيط أعمله إيه يعنى؟أنا بس متضايقة من الأســـلوب إللـــى كـــان بيكلمنى بيه,كأنى أنا إللى برمى نفسى عليه (!),

و هنا ظهر"محمد البارودى"اقترب منى و سألنى إن كنـــت متأكدة إن كنت لم أره من قبل,لا أعلم حتى الآن لماذا ســـألنى إن كنت"متأكدة",و كأنه سألنى مرة قبلها و أنا رفضت,علـــى العموم نظرت إليه باستحقار و أجبت ببرود:"لأ مش فـــاكرة بصراحة" و لم ينته عن الإزعاج بل استكمل:"إنت فى كلية إيه طيب؟"

توقفت"يارا"عن السرد لتوضح لى (بلا مُناســـبة) أنهـــا إذا وصلت إلى قمة الفرح أو الغـــضب أو الـــسُكر أو (حـــسب قولها)"الإكستريم"بتاع أى حاجة تتحول لا إراديـــا لإنـــسان صريح جدا و"إللى فى قلبها على لسانها",(لاحظـــوا أن هـــذا اعتراف واضح و صـــريح منـــها بأنهـــا مُنافقـــة فى حالاتهـــا العادية),فقررت أن تختصر عليه عبارته الطويلة ومشوار الألف

ميل بخطوة واحدة,عن طريق الدخول فى الموضوع مُباشــرة,أن تفاجأه برفضها لما يُريد من الأساس,فسألته بغضب:"عايز إيــه من الآخر يعنى؟"

ارتبك من الرد غير المُتوقع :"آه,يا ريت لو"

واستغلت هى الفرصة فقاطعته بجرأة تُحسد عليها:"يا ريت لو تصاحبنى و بتاع صح؟بقولك إيه أنا مش عارفة اسمك إيه و مش عايزة أعرف,بس لو ممشيتش دلوقتى حالا"

قاطعها و هو يحاول أن يقلل من عصبيتها :"ممكــن تهــدى شوية، يا ريت"

قاطعته للمرة الثانية على التوالى غاضبة:"حبيبى ما خــلاص قولنا مفيش"يا ريت"دى خالص، شكلك كده و منظرك مش عاجبنى بالتى شيرت الحريمى إللى إنت لابسهالى دى,الله هــو بالعافية؟ ممكن تتكل بقى علشان أنا مش طايقة نفسى و مــش شايفة قدامى"

سكت"محمد"و على وجهه ابتسامة,سكت لفترة بعــد أن أنهت هى حديثها ليتأكد هذه المرة أنها لن تقاطعه ثم اســتكمل ضاحكاً:"يا ريت لو"

كادت أن تقاطعــه و لكنــه لم يعطهــا الفرصــة لكــى تبــدأ,قاطعهــا قبــل أن تقاطعــه و أســكتها قبــل أن تكلمه:"ششت,استنى لما أخلص كلامى أوكيه؟"

أجابت بملل:"خلص وانجزنى"

استكمل محمد البارودى و هو يحاول أن يمنع نفسه من الضحك :"يا ريت,لو تديني الموبايل علشان مستنى مكالمة,شوفتى سهلة إزاى؟حصل حاجة بقى؟ حد اتعور؟"

نظرت إلى الهاتف الجوال الذى فى يدها,كانت قد نسيت تماما أن هاتفه مازال بحوزتها,احمر وجهها للمرة الثانية هذه المرة من تأثير الإحراج بدلا من الغضب,ناولته الهاتف دون أن تجد ما تقوله,زادت ابتسامته,أخذ"الموبايل",وضعه فى جيبه و بدأ بالابتعاد عنها و هو مازال مُبتسما,و لكن هل ستكون هذه هى نهاية المُناقشة المليئة بالمُقاطعات,هل سيتركها و هى فى حالتها هذه دون أن يعبث بها ؟بالطبع لا و إلا لن يكون"البارودى"الذى أعرفه,استدار و سألها بمرح :"هو التى-شيرت إللى أنا لبسه بجد شكله حريمى أوى كده؟"

ابتسمت"يارا",أول ابتسامة فى يومها الغريب هذا,و بدأت تستلطف إلى حد ما"البارودى",كان ذلك تمهيد لعلاقة أغرب بكثير من كل العلاقات السرية و العلنية التى سبق ذكرها حتى الآن,

***

عندما أغلقت"يارا"الخط في وجه"خالد",ارتبـك الأخـير بشكل واضح,كان هو و مارك و نادر وريم,كلـهم مـازالوا داخل السيارة تفصل بينهم و بين بوابة قهوة المـصريين الـتى ينتظرهم"محمد البارودى"بداخلها شـوارع قـصيرة و وقـت أقصر,و نتيجة لارتباك"خالد"بعد المكالمة زاد الفضول,و زادت معه الأسئلة,و جاءت إجابة"خالد"الذى كـان لديـه كذبـة مُختلفة"لا ده"شريف"أبويا بيأكد إنه هيوصل بُكرة"

سأله نادر:"طب بيسألك إنت فين ليه؟"

أجاب خالد و هو يخفـى قلقـه:"عـادى بقـى إنـت عارف"شريف"بيحب يغلس و يستظرف و بتاع"

-"ده ليه كده؟"

-"في إيه يا نادر إنت هتستلمنى؟"

غمغم"مارك"مقاطعا:"خلاص وصلنا",و فقط عندما بـدأوا بالنزول من السيارة,أعلنت"ريم"في تردد :

"أنا على فكرة مش هينفع أخش معاكو,كملوا إنتو,اتصرفوا منكوا ليه على طول,أنا مش هيبقى ليا لازمة خالص في القعدة دى"

سألها"نادر"سؤاله الشهير ذو الثلاث كلمات:"ده ليه كده؟"

أجابت فى قلق :"أصل أنا و بارودى شدينا مع بعض لما كان مارك معايا,فلو دخلت معاكو جوا ممكن تطلب معاه بقفش"اعتذرت وسلمت عليهم ثم أوقفت سيارة أجرة لترحل,

و لم تكد"ريم"أن ترحل حتى أردف"نادر":"اهو أنا بقى دلوقتى أتأكدت مية فى المية إن البارودى ده محضرلنا ناس جوه,مهما كان متنسوش إن ريم دى تبعه هو"

اعترض"خالد"باستخفاف :"هيحضرلنا ناس و هو عايز مننا فلوس؟ يعنى,مش داخلة دماغى على فكرة"

أصر"نادر":"و هى شغلانة؟ ياخد مننا فلوسه و بعدين يشرّح فى خلقتنا زى ما هو عايز"

أعاد"مارك"على مسامعهم أفكاره القديمة و قد أصابه الملل والضجر هذه المرة:"مش لسه قايلكوا إمبارح أنا تنسوا حوار الناس إللى عايزة تضربنا دى خالص ؟أنا شوفت ريم و محمد وهم بيتعاملوا مع بعض على فكرة,و واضح أوى إن فى تاتش فعلا و إن هى مبتحورش علينا ولا حاجة..الحاجات دى بتبان ثم قاطع"مارك"نفسه بنفسه عندما رآها أمامه,رأى"يارا",كان الثلاثة يصعدون سلالم المقهى عندما كانت هى تنزل,و كانت قد تركت البارودى منذ دقائق إلا أن"مارك"لا يدرى ذلك,فالبارودى ليس معها الآن,كما أن البارودى لا يدرك أى صلة ما بين تلك الفتاة الشقراء التى قابلها و بين"مارك"

و مُشاجرة يوم"إيستيميشن",توقفت هى من الارتباك,لم ترتبك فقط من حقيقة أن"مارك"الذى يتعقبها بمنتهى الإزعاج أمامها الآن بل أيضا لأن خالد التى كانت تتعقبه بنفس القدر من الإزعاج واقف معهم كذلك,و هذا دليل على أنه لم يكن فى سموحة كما زعم عند مكالمتهم الأخيرة التى لم تنته سوى منذ دقائق معدودة,سألها مارك عن حالها أجابت بأقصر الإجابات,لم تعطه الفرصة لوصل حبال الود بل إعتذرت: " مارك معلش أنا متأخرة,ابقى كلمنى على الموبايل بعدين"قالتها وهى تنظر بغضب إلى خالد,كانت فى الظاهر تقولها لمارك و لكن الكلام كان موجها لخالد,قالتها ثم رحلت عن المكان,فاستكمل الثلاثة طريقهم,ما بين مارك الذى قد تملكه الغضب و خالد الذى قد تملكه الإحراج و نادر الذى لا يأبه لكل ذلك.

و هذا هو ما يُعجبنى فى قهوة المصريين تلك,لن تتوقع أبدا من ستقابل فى زيارتك القادمة لها,البارودى كان هُناك و معه كان هانى ثم يارا ثم مارك و خالد و نادر هذا كله بعد أن رحل عمرو سلامة,و أخيرا و ليس آخرا أحمد شمس,نعم أحمد شمس أيضا كان هُناك, فى محاولة منه للهرب من أحزانه ونسيان ما أصابه بعد طلاقه من مروة,زادت"خروجاته"مع صديقه الجديد"عيسوى"و بعد أيام اقترح عيسوى على"أحمد"أن يذهبوا إلى قهوة المصريين,جلس هناك هو و"عيسوى"و صديق ثالث من أيام الدراسة يُسمى"أدهم",الاثنان

:"عيسوى"و"أدهم"كانا تحت قيادة"أحمد شمس"الذى يكبرهما بأعوام فى"الكيرفايون"و هى الكشافة الخاصة بمدرسة سان-مارك,و على غير الحال فى آخر مرة تقابل فيها أحمد مع"أدهم"عندما كان فى الثالثة الإعدادية"أدهم"الآن يبلغ من العمر الخامسة و العشرين,و بمجرد أن جلس الثلاثة,اقترح أحدهم لعبة الإيستيميشن,و بدأت اللعبة و بدأت أحاديث الذكريات تدريجيا, نظر"أحمد"إلى أوراقه مُعترضا قبل أن يسأل عيسوى الجالس بجانبه"إنت متأكد إنك شيلت التريفلات من الكوتشينة ؟"

أكد عيسوى بأنه قد فعل فسأله"أحمد"بتهكم و هى يمسك فى يده ورقة من لون التريفلات :"أمال دى بتعمل معايا إيه؟"

نظر إليه"عيسوى"قبل أن يردف بضجر:"خلاص بقى يا"أحمد",شيلها من نفسك مش لازم بقى تقعد تقرفنا"

و هُنا أضاف أدهم مازحاً:"الله الله,إنت بتقول لواحد كان الشاف بتاعك فى يوم من الأيام"مش لازم تقعد تقرفنا"إيه قلة الأدب إللى إنت فيها دى؟"

أجاب"عيسوى"و هو ما زال مشغولاً بتوزيع الأوراق: "فيها إيه يعنى؟؟؟ ما أنا كمان بقيت"شاف"بعديها !!"

أضاف أحمد :"عارف إنت لو كنت قولتهالى و إحنا لسه فى الكاريتاس,كان زمانى خليتك تنزل تعمل عشرة ضغط وإحنا قاعدين كده فى وسط الكافيه عادى جدا"

قالها قبل أن يفاجأوا بفتاة من بعيد تصرخ فى وجه فتى (هذه هى"يارا"و هذا هو"محمد البارودى"إلا أنهم على غير معرفة سابقة بالاثنين),و قبل أن يتملكهم الفضول كان صوت الفتاة قد انخفض بالفعل,تغاضوا عن الأمر.. كلهم فيما عدا"أحمد شمس"الذى ظل يحدق بالفتاة التى لا يعرفها و هى تتكلم مع البارودى الذى لا يعرفه,و ظل على تحديقه هذا و هو يستكمل فى موضوعه الأصلى مع عيسوى:"إنت فاكرنى بهزر,والله العظيم كنت هاخليك تعمل عشرة و بعديها عشرة و بعديها عشرة تانية,و تعد تعمل كده فى وسط المكان و لا حد يقدر يقولك حاجة" .

ابتسم"أدهم"كان هو الوحيد الذى نجح فى الربط المنطقى ما بين جمال الفتاة (يارا) و بين تكرار"أحمد شمس"لرقم عشرة,أما"عيسوى"الذى كان لا يزال يظن الكلام موجه إليه فرد بملل:"ده لو بقى,لو كنا لسه صغيرين"

خرجت ضحكة غير متوقعة من"أحمد",كان قد تذكر شيئا ما يبعث على السرور و أراد أن يشاركه:"فاكر فى الرحلة بتاعة سفاجا لما قعدتوا تستظرفوا مع الأجانب قومت إيديتكوا كيس رمل و خليتكوا تعدوا فيه كام رملاية؟"

استسلم عيسوى أكثر للضجر:"و لازمتها إيه السيرة دى طيب و لا هو أى ذُل و خلاص؟"

و علق أدهم : ما هى الحاجات دى إللى خلتنى مفكـــرش مرتين قبل ما أسيب الموفمان و الكيرفـــايون كلـــها (حركـــة الكشافة),

و هنا اعتدل أحمد شمس فى مجلسه و استفسر:"آه إنت كنت أختفيت مرة واحدة كده صحيح,فاكر أنا الموضوع ده"

فسر أدهم :"كان دخول الكليات بقى,فملاقيتش وقت"

-"إنت كنت دخلت إيه ؟"

-"حقوق"

زاد اهتمام أحمد أكثر :"و إنت دلوقتى محامى مع نفـــسك و ليك مكتب و كده و لا فى مكتب حد؟"

-"كنت بشتغل فى مكتب محامى كبير فى القـــاهرة,بـــس اكتشفت إن أنا بيتمص دمى,يعنى الـــشغل كلـــه عليـــا أنـــا بس,قومت جيت إسكندرية هافتح المكتب بتاعى هنا"

– و إنت تخصصك إيه ليك فى قضايا الطلاق مثلا ؟

– إشمعنى يعنى؟

– لأ عادى يعنى باخد فكرة.

****

فلنـــتكلم قلـــيلا عـــن "الميتاليـــست" (مُحـــب موســـيقى الميتال) ,فلنتكلم قليلا عن نادر,عن ذلـــك الـــشخص المـــثير للجدل,لديه الكثير من الصفات الغريبة و العجيبة التي تستحق أن نتكلم عنها و لكن,هناك صفة واحدة تُعـــد أهـــم مميزاتـــه وأخطر عيوبه في آن واحد,تلك الصفة هي عـــدم التركيـــز في أمرين في نفس الوقت,إنه من هؤلاء الذين يفقدون الـــسيطرة على القيادة إذا تكلموا في الهاتف الجوال و هـــم يقـــودون,أو يرسبون في الامتحانات إذا طرأ في فترة الإختبارات شيء مـــا جديد,فنادر عندما يهتم لأمر ما يهتم به بشكل مُطلق و بغض النظر عن أي شيء آخر,أما إذا قرر أن ما يحدث أمامه لا يهمه فهو لا يأبه بمعنى الكلمة,و كان قد قرر يومهـــا أن الظهـــور المُفاجيء ليارا على سلالم قهوة"المصريين"لا يهمه في أي شيء و لا يضيف على حياته أي جديد,كان لقاء البـــارودي هـــو الحدث الوحيد الذي استحوذ على تفكيره,و كـــان أول مـــن كسر الصمت بعد رحيل"يارا"ليسأل"خالد"عن توقعاتـــه عـــن مُستقبل تلك الجلسة و علام سوف تنتهي,و إذا كان التعـــرض للضرب هو أحد السيناريوهات المُحتملـــة,فجـــاء رد خالـــد بارداً:"طب ولو فيه ضرب أنا هعرف منين بس يا نادر؟"

قالها فتحول نادر من الاستفسار إلى التهكم و النقد:"علـــى العموم خالد لو انضربنا جوه تبقى مسؤليتك,كل إللي بيحصل ده بسببك أصلا".

فأجاب خالد بعصبية:"بسببي أنا؟"

أصر نادر :"أيوة مش إنت إللى قعـدت تقولنـا طبقـوا الجاكتة,طبقوا الجاكتة"

دافع خالد عن وجهه نظره صارخا :"و هـى المـشكلة فى الجاكتة برضه يا أهبل يا بن الأهبل؟ و لا فى الحبوب,مش إللى كنت قاعد معانا فى العربية و أقعدت تعزم علينا من الحبـوب كأنك وارثها عن أمك,و إنت الوحيد إللى عـارف تمنـها و مقولتلناش,عارف لو كنت قولتلنا من الأول يمكن مكناش قربنا منها"

أجاب نادر :"يعنى أنا هعرف تمنها منين؟ شـايفنى بتـاع برشام زيك؟"

-"بقت غلطتى أنا دلوقت يعنى!,و أنا إيش عرفنى إن إحنـا هنترب (و هنضطر نتعامل) مع البارودى ده تـانى أساسـا ؟ وبعدين أنا ذنبى إيه إن أنا ماشى مع ناس جاهلة مش عـارفين قرش الحشيش بكام؟ لسه لحد دلوقتى بيخللوه الجرسون هـو إللى يقضيلهم حشيش علشان خايفين يترلوا بنفسهم"

هدأ نادر,لم يهدأ لكى يُهدىء معه حرارة الموقف,بل هـدأ بقصد لكى يزيد الأمور اشتعالا,هـدأ و أجـاب بـسخرية

غاضبة:"خلاص يا حبيبى المرة إللــى جايــة متبقــاش تمــشى معاهم"قالها و هو يخبط على كتف"خالد"

"ماتمـــــدش إيــــدك يـــــابنى لأحــــــسن و ديـــــنى لأعيطك"نطقها"خالد"قبل أن يدفعه"نادر"فى تحدى و يــسأله: "طب وربنى هطعيطنى إزاى كده؟"

تراجع خالد من أثر قوة الدفعه للوراء,ثم عــاد إلى توازنــه ليمسك قميص"نادر",و هُنا تدخل"مارك",أدخل جسده ما بين الاثنين ليمنعما عن إيذاء بعضهم و هو يوضح:"مــش وقتــه خالص الهطل إللى فى دم أهاليكو ده,إللــى حــصل حــصل خلاص,عايزين بس دلوقتى نعرف البارودى ده قاعد فين"

سمع نادل كان يمر بجانب مارك تلك الجملة الأخيرة,فسألهم الجارسون إذا كانوا يبحثون عن محمــد البــارودى,يبــدو أن شهرته فى هذا المكان قد وصلت إلى درجة لا بأس بهــا لكــى يعرف العاملين بالمكان اسمه بالكامل,أشــار الجرســون أنهــم سيجدوه جالسا أمام التلفاز يشاهد مباراة كرة القــدم,رحــل الجرسون بعد أن شكره"مــارك"ماديــا و معنويــا,و رغــم أن"مارك"لم ير"محمد"البارودى حتى الآن إلا إنــه اســتمر فى الاتجاه إلى المكان الذى أشار إليه النادل,و تماما مثل الأطفــال كان"خالد"و"نادر"يومها,بمجرد أن أدار"مارك"ظهره قامت مــا بينهما مُشاجرة أخرى,على ما يبدو أن أحد المارين بالمكان قد اصطدم دون قصد بــ"نادر"فاصطدم"نادر"بدوره دون قــصد

بــ"خالد",فتسبب ذلك فى بداية مُناقشة ساخنة أخرى انتهت بكسر نظارة"نادر"الشمسية و بلكمة وجهها نادر لخالد لتصيب ذلــك الأخـــير فى وجهـــه,و اســـتمرت المُـــشاجرة رغـــم محاولات"مارك"للتهدئة,ابتعد الناس عنهم و تكونـــت حـــولهم (حول نادر و خالد) دائرة كاملة فى وسط المقهـــى,مـــا بـــين الفضوليين و الخائفين و غير الآبهين من رواد المكان اســـتمرت مباراة الملاكمة ما بين"خالد"و"نادر",و فى خـــضم الأحـــداث العنيفة,تعثر"خالد"و"نادر"ببعضهما و سقط الاثنين فوق منضدة خشبية قد تكسرت و هى تنزل معهم إلى الأرض,و هنا ظهـــر البارودى لأول مرة,كان هو الجالس أمـــام تلـــك الترابيـــزة وصاحب العصير الذى كان عليها و انسكب,و بدلا مـــن أن يتملكه الغضب,تملكته حالة هيستيرية من الضحك,و سألهم قبل أن يسلم عليهم من وسط ضحكاته:"هو إنتو ملقيتـــوش حـــد تتخانقوا معاه,فاتربيتوا (وقعتوا) فى بعض و لا إيه؟"

ابتسم"مارك"لكى يخفى إحراجه,كان الثلاثة قد تفاجـــأوا بوجود"محمد"بجانبهم طوال هذا الوقت سأله"مارك"بارتباك:"إيه ده إنت هنا يا راجل؟! و أنا عمال أدور عليك,مش تقول"

أجابه"محمد"و هو ما زال يصارع الضحكات:"عايز أقولك إن أنا سيبت الماتش و عمال أتفرج عليكو أساسا"

قالها البارودى قبل أن يمد يده ليسلم على"مارك"الذى نظر إلى يده الممتدة أمامه لجزء من الثانية متردداً ثم حزم أمره بـــألا

يخرجه,جلس الثلاثة مع محمد البارودى,و عندما أصدر ذلـــك الأخير أمر لأحد العاملين بالمكان بإحضار كوب غـــير الـــذى تكسّر,لم يستطع النادل أن يعترض كثيرا على الأشـــياء الـــتى تدمرت,فقد ساعدت كثرة تواجد"محمـــد البـــارودى"هنـــاك العاملين بالمكان على التعـــرف بخطورتـــه و ســـرعة غـــضبه وساعدت"محمد البارودى"نفسه بالتعرف بصاحبة الكافيتريـــا بشكل شخصى,فبناء على ذلك أى نقد لسلوكيات"محمـــد"فى القهوة لن يكون فى محله,ظل النادل واقفا بينما أصر"محمد":"أنا لازم أعزمكوا على حاجة، فى حد فيكوا مبيشربش مية ؟"(كان ذلك سؤال معناه إذا كانوا من شاربى الخمر,فالمياه أصـــبحت رمزا للخمر عند الكثيرين).

أجابه"مارك"شاكرا :"بنشرب,بس مفيش داعى بجـــد يـــا محمد" تجاهل ذلك الأخير تماما رفض"مارك"الدبلوماسى و هو يوجه حديثه للجارسون :"خلاص و إنت بتجيبللى عصير بدل إللى اتكسر ده، هاتلهم تلاتة"إيدج"

فوجه"مارك"بدوره حديثه إلى النادل الذى أصبح هو بـــلا مناسبة صاحب القرار الأخير:"لأ لأ متجيبش حاجة"

ثم التفت"مارك"لـــ"محمد"و استكمل مبررا:"معلش عايزين نبقى فايقين و إحنا بنتكلم"

تجاهل"محمد"عبارة مارك الأخيرة كالعادة و توجه بكلامه إلى النادل الذى أصبح الآن فى منتهى الحيرة من أمره :"روح إنت بس جيب إللى أنا قولتلك عليه,و ملكش دعوة"

رحل النادل على الكلمة الأخيرة"للبارودى"الذى استكمل للجالسين ناصحا و ضاحكا فى آن واحد:"دى إيدج يا جماعة مش فودكا يعنى,مش عشرة فى المية إللى هتعملكوا حاجة,ده إنتو لسه واخدين ٣ حبوب إكستى- سى من كام يوم,يعنى خلاص عديتوا"قالها"محمد"و هو يغمز بعين واحدة بحركة تعبيرية توازى لفظ"أيوه يا عم"فى اللغة العامية ثم استطرد مهنئا"مفيش حاجة هتعملكوا دماغ بسهولة بعد كده"

***

عانى"سيد"من حالة اكتئاب شديدة بعد أن فقسد وظيفته فى"إيستيميشن كافيه",و ظل يسأل نفسه فى مرارة,لماذا سرحهُ صاحب المكان من عمله؟.. أبمجرد أنه يبيع الحشيش ؟أيعد هذا سببا كافيا لقطع الرزق,هؤلاء الذين باع لهم الحشيش كانوا سيشترونه بأى حال من الأحوال,و إن لم يكن"سيد"هو الذى سيأتى به كانوا سيجدون غيره,كل ما فعله هو أنه قد عفاهم من النزول إلى المناطق الشعبية لشرائه حتى لا يتعرضوا للسرقة,أبهذا يُصبح"سيد"مُجرما فى نظر المُجتمع؟ ولأن"سيد"شخص عملى بطبعه لم يقض الكثير من الوقت فى

محاولة البحث عن إجابات لتلك الأسئلة,كان عليه أن يتخلــى عن أحزانه عاجلا أو أجلا فمُدخراته المالية قد بــدأت تنفــد وبدأت ثلاجة بيته الفقير بالتحول إلى دولاب أبيض بارد فارغ و خال من الطعام,عزم أمره و توجــه إلى عمــه,لم يتــأخر قط"الحاج صــابر"(شــقيق أبيــه المتــوفى) عــن خدمــة ومساعدة"سيد"أو"أم سيد"حــتى توفــت تلــك الأخــيرة, وكان"الحاج صابر"يحب"سيد"للغاية و يعده الابــن الــذى لم يرزق به,و آخر ما يقال فى الحاج"صابر"هو جهل الجميع ممــن يعرفونه للسبب الذى لُقب من أجله بكلمة"حاج"هذه,فهــو لم يغادر"مصر"قط فى حياته فبالتالى لم يحــج أو يــزر بيــت الله الحرام,لماذا يصر رجل يعتمد فى رزقه على الدعارة و المُخدرات و النشاطات المشبوهة على تسمية نفــسه"حــاج"؟لتعــويض إحساس ما بالنقص ربما..وصل"سيد"إلى المكان (الكافيرتيــا؟ الغُرزة؟ بيت الدعارة؟ البــار؟ الكــوفى شــوب؟ المؤســسة؟ البيزنس؟!!) الذى يعمل فيه"الحاج صابر"و يقضى معظم وقته هناك مُتابعا للأعمال بنفسه,لم يكن المكان يتمتع بأية فخامــة غير مطلوبة فخدماته تعتمد على السرية أكثــر منــها علــى الرفاهية,الحيطان هى مجرد عصيان من الخوص,و المكان ناء جدا داخل منطقة"بحرى"لدرجة جعلت"سيد"يتكبد العنــاء المــادى لثلاثة مشاريع (سيارات أجرة جماعية) متتالية لكى توصــله إلى مقصده,و عندما دخل إلى المكان مُجهــدا بــالهموم و تعــب الطريق لم يقض الكثير من الوقت للبحث عن عمه,بل لمحه عمه

من بعيد سلم عليه وأجلسه,عاتبه فى البداية مازحا على الجفاء و عدم السؤال,و بعد فترة قصيرة كان من الصعب ألا يرى"الحاج صابر"الضيق الذى يتملك"سيد"و الحزن الظاهر عليه فسأله"الحاج"بقلق:"مالك؟ شكلك متكدر كده"دخل سيد فى الموضوع مباشرة كعادته:"أنا اترفدت ومحتاجك تشوفللى شغلانة"

أقترح الحاج صابر:"إيه رأيك أنزلّك تبيع حشيش فى بحرى؟"

رفض سيد بارتباك:"لألأ مش عايز أصدر نفسى فى الحاجات دى تانى"ثم عاد إليه هدوؤه قبل أن يستكمل مقترحا على عمه:"أنا مش بتأمر و لا حاجة.. بس معندكش شغلانة عليها القيمة شوية كده؟"

أضاق الحاج صابر عينيه,أراح ظهره على الكرسى,سحب نفسا أطول و أقوى من الشيشة (الجوزة؟ البرطمان؟ المعسل؟!) التى أمامه,كل هذا و هو ينظر إلى سيد متأملا,رجل مثل الحاج صابر يستطيع أن يدبر الكثير من الوظائف فى مدة قصيرة من الوقت و لكنه كان يحاول أن يختار لسيد الوظيفة التى تناسبه, وكان يتأمل سيد لكى يساعده ذلك على تخيله فى أكثر من مكان,و أخيرا ترك الشيشة ليقترح"طب أنا عندى ليك شغلانة,هى صحيح مش عليها القيمة قوى بس قانونى, وصاحب المكان حبيى و زبون عندى"

انفرجت أسارير سيد و هو يهلل:"بس هى دى يا"حـــاج". هتخليني أقابل صاحب المكان ده إمتى؟"

صابر: يلا بينا دلوقتى لو حبيت؟

فرح سيد أكثر:"و إنت متأكد إنه هيشغلنى كـــده علـــى طول؟"

"و الله ما بنحور عليك,مع إنى كنت مقاطع الكيف بقـــالى سنة,بس حصلتلى دماغ خفيف كده,بعديها لقيـــت نفـــسى نايم,و خالد بيصحينى"نطق مارك بتلك العبارة الأخيرة ردا على سؤال البارودى عن مدى تأثير الحبوب عليهم,ما زالوا حـــتى هذه اللحظة فى قهوة المصريين,نسوا الثلاثة (فيما عدا خالد) أن ذلك الشخص الذين يجلسون معه هو عدو و ليس صديق,ساد جـــو عجيـــب مـــن الاطمئنـــان و الارتيـــاح,مـــا بينـــهم وبين"البارودى"و بين"هانى"الذى لم يشارك فى الحديث بكلمة واحدة لانشغاله بمشاهدة مبارة كرة القدم,

أضاف"نادر"نافيا أقوال"مارك":"دماغ خفيفة مين يا عم؟ده إنت كنت هتخيش بينا بالعربية مليون مرة و إنت سايق"

صحح"خالد"بغضب معقول:"إنت بالذات متتكلمش,أنـــا أصلا فاكرك يوميها,طلعت من الشباك الورانى و قعدت تغـــنى ولا مش فاكر قعدت تعملنا إيه كده ؟"

سأله"نادر"بحرج:"أنا؟؟؟؟"

-"أمال أمي؟"قالها خالد قبل أن يهـدىء الجميـع,فتـرة سكوت مُتعارف عليها تقع عندما يقتـرب النـادل ليـضع الطلبات,ثم بعد رحيل الجرسون استكمل"نادر":"أنا طلعت من الشباك و قعدت أغنى ؟"

ضحك خالد لأول مرة و هو يحكى محاولا التذكر:"أيـوه وقعدت تغنى أغنية العنب و لا إيه مش فاكر,كـان شـكلك مسخرة على فكرة",حاول"خالد"أن يضحك ثانية بعد تلـك العبارة و لكن الضربة التى تلقاها من"نادر"منذ لحظات كانـت قد منعته من تحريك فكه بحرية فقطع الضحك مضطرا و تحولت قهقهته دون قصد منه إلى تأوه ملحوظ,

اقترح عليه البارودى متصنعا القلق أن يطلب من العـاملين بالمكان بعض الثلج حتى لا يتورم الجرح و لكن"خالد"رفـض رغم حاجته,عدها سخرية من"البارودى",و بدلا من ذلك تجهم وجه"خالد"الذى لم يرد أن يصبح بينه و بـين"البـارودى"أى علاقة غير مادية و لم يشرب من الزجاجة التى أمامه و اقتـرح فى ضجر:"ممكن نخش فى الحوار إللى إحنا جايين علشانه علـى طول ؟"

أجاب محمد ضاحكًا :"إنت مالك يا عم واخدها قفش ليه كده؟"

رد خالد بقرف :"ولا قفش و لا حاجة,ممكــن نتحاســب بس؟ علشان نروّح إحنا و كل واحد يشوف حاله"

تفهم"محمد"شعوره فأوضح و هو ما زال محتفظاً بابتــسامته الدبلوماسية:"طب طيب متزقش بس"ثم استكمل هــذه المــرة وقد أضاف بعض الجدية إلى نبرة حديثه"أنادلوقتى ممكن أقعــد معاكوا بس هتبقى دماغى مع الماتش إللى شغال,لو ينفع يعــنى تقعدوا على بال ماتشربوه الكوبايــات دى يكــون المــاتش خلص,هو فاضله تلت ساعة بس على فكرة,أصــل الأهلــى والإسماعيلى لما بيجوا يلعبوا مبقاش عارف أركز فى أى حاجــة تانية,ما تتفرجوا معايا"

***

هل دخلت إلى ملهى ليلى من قبل؟ أم أن كل خبرتك عــن هذه الأنواع من الأماكن لا تتعدى بضع المشاهد السينمائية؟

الأمر مُبالغ فيه إلى حد كبير,الملاهى الليلية لا تختلف كــثيرا عن تلك التى نراها فى الدراما,إلا فى شــىء واحــد ينــسى المُخرجين أن يوضحوه فى الأفلام و هــو أن الكباريهــات أو الملاهى الليلية تماما مثل الفنادق,هناك كباريه نجمة واحــدة أو نجمتان أو خمس نجوم,و لكل مستوى منهم زبائنه و مُرتاديــه, والوظيفة التى رشحها"الحاج صابر"لــ"سيد"هــى"بارمــان"أو

ساقى خمور فى كباريه"خمس نجوم"يُـــسمى"جـــوهرة بحـــرى" ورشحه لتلك الوظيفة بالذات لعلمه عـــن أان أخيـــه حُـــسن الاستماع وسرعة التعلم و طول البال على المساطيل و هذه هى المُتطلبات الأساسية للوظيفة,دخلا إلى المكان,جلسا على ترابيزة فخمة مُغطاه بمفرش أحمر قطيفة لا بأس به,أبلغ"الحاج"الجرسون أنه على معرفة سابقة بصاحب المكان و يريد أن يقابله من أجل موضوع مهم,و بعد أن رحل النادل لينقل الخـــبر إلى مـــدير الكباريه, لم يمر وقت طويل قبـــل قـــدوم الرجـــل المطلـــوب استغله"الحاج"ببراعة فى نصح"سيد"بعدم الوقوع فى المـــشاكل ومحاولة الشرح بإيجاز عن طبيعة الوظيفة,وسأله"سيد":هو إنت تعرف الراجل ده منين أصلا يا حاج,ضحك صابر دون سبب و هو يجيب :"الراجل ده أصله عنده أحلى حريم فى إسكندرية"

- "طب و إنت إيه يوديك عنده ؟! مانت عندك الحريم إللى شغالين تحت إيدك"

أجاب الحاج صابر بحكمة:"لا لا الحاجة إللى تحت إيـــدى دى عمر مايبقى ليها طعم,هاعرف أتمتع بالست منـــهم إزاى وأنا عارف إنها تحت طوعى؟"

- و الله يا عمى قلبى حاسس إن هيجيلك يـــوم و تيجـــى واحدة تقلبك و تهرب ماتعرفش تجيبها.

- عيب يا وله تقلبنى ده إيه ؟هو إنت فاكر عمـــك ده أى كلام؟

ثم أتى الشخص المنشود,لا يختلف كثيرا عن الصورة التي احتفظنا بها فى أذهاننا عن الداعر أو القوّاد فى كل مكان فى العالم,ألوان فاقعة يتميز بها قميصه,بذلة حمراء ينتمى لونها إلى فترة الثمانينيات,شعر أكرت و طويل,سلاسل و أساور ذهبية,ثم ذقن مربعة على طريقة"دوجليس",

جلس الرجل بعد أن رحب بالحاج,و قبل أن يتعرف بـ"سيد"قاطعهم صوت تصفيق الجمهور السكير تعقيبا على انتهاء الراقصة من فقرتها التى نالت إعجابهم للغاية,أنحنت الراقصة أمام الجمهور لتثبت للمرة الأخيرة براءتها من أى ملابس داخلية,ثم تركت خشبة المسرح لتنضم إلى الترابيزة التى يجلس عليها سيد و الحاج و صاحب المكان,و رغم البيئة المُنحرفة التى يعيش فيها ذلك الرجل إلا أنه لم ينس مبادىء الذوق و أصول الضيافة قدّم الراقصة التى اتضح أنها تُسمى"دلال"إلى الجالسين,و أمر الرجل دلال:"سلمى على الحج صابر ده حبيبنا من زمان"

سلمت على الحاج و سألته فى نعومة عن حاله فرحب الحاج الذى كاد لعابه أن يسيل :"ما دام شوفتك بقيت كويس يا قمر" .. هُنا ارتبك الرجل و هو يحاول أن يخفى غضبه بمزاحه:"إيه يا حج إحنا هنلبخ ولا إيه؟"

وفقط أصبح من الواضح أن الراقصة على علاقة ما بالرجل,بل على علاقة قوية لدرجة تدفعه للغيرة,اعتدل صاحب

المكان فى مجلسه و استكمل فى لهجة وزارية لا تتناسب مع الجو الذى يحيطه"هو ده بقى إبن أخوك إللــى قــولتللى عليـــه فى التليفون؟"

أجاب"صابر"بفخر:"آه هو,إنما واد إيه ..هيعجبك هيعجبك يعنى (توكيد معنوى)"

تجاهل الرجل مديح الحاج و توجه بكلامه بقرف هذه المرة إلى"سيد":"إنت اشتغلت فين قبل كده؟".. رد سيد بقلـــق: فى كافيتريا كده اسمها إستيميشن فى سموحة.

أجاب الرجل فى صرامة :"معرفهاش,أنا معيّنـــك علـــشان خاطر غلاوة الحج عندنا" .. شكره الحاج بعد تلـــك العبـــارة الأخيرة إلا أن الرجل استكمل كلامه متجاهلا للمرة الثانية ما قيل للتو:"بس عايزك تبقى فاهم الشغلانة دى مش سهلة,لازم تبقى عارف إزاى تسايس الناس و تريحهم و متعملش مشاكل مع حد", و أثناء قول الرجل لتلك العبارة الأخيرة,كانت دلال الجالسة معهم و التى تلعب الآن فى خصلات شعرها تنظـــر إلى سيد,و تتمنى"دلال"إلى من نوع النساء الـــلاتى إذا ملكتـــهن الشهوة بات ذلك واضحا,واضحا تماما,كما أن من الواضـــح أيضا أن رحلـــة"ســـيد"فى هـــذا المكـــان ســـوف تمتلـــىء بالمتاعب,تخللت تلك الأفكار التشاؤمية رأسه و هـــو يهزهـــا ليوضح استماعه و تفهمه لنصائح صاحب المكـــان الـــذى لم يلاحظ صفقة تبادل النظرات الذى تمت منذ قليل,

الفصل العاشر

"نخب الصداقات الجديدة"

بدأت الساعات الأولى من صباح اليوم اللاحـــق لتوقيـــع اتفاقيات عملية الـــسلام مـــا بـــين الـــديكتاتور المُتمثـــل فى شخص"محمد البارودى"و فئات الشعب المختلفـــة المُتمثلـــة فى عقل"مارك"الكاره للعنف و حماسة"خالد"الزائدة و"نادر"الذى لا يأبه إلا لاستعادة أمواله,وبدون الـــدخول فى أى تفاصـــيل عسكرية,تم كل شيء على ما يُرام,على الأقل بشكل عام,ليس فقط من حيث الحقوق التى قد حـــصلوا عليهـــا بـــل أيـــضا كان"محمد"البارحة خفيف الظل سهل المعشر على غير عادتـــه, و انطباعات الثلاث حول الجلـــسة إيجابيـــة,الثلاثـــة فيمـــا عدا"خالد"بالطبع,ما زال غاضبا,قام البارحة أثناء الجلسة أكثـــر من مرة بحجة شرب السجائر,كان غير مرتاحـــاً"للبـــارودى", و كان كذلك ضد فكرة الذهاب إلى عرين البـــارودى مـــن الأساس,و أكد أكثر من مرة لصديقيه أن ما أخـــذ بـــالقوة لا يُسترد إلا بالقوة,

***

و لعبة الإيستيميشن شانها شأن المُخـــدرات و الـــصلاة فى المسجد و لعب كرة القدم وشأن أى نشاط جماعى آخر يعرفك

بأصدقاء جدد,عندما تكون مع صـــديقين لـــك و تـــضطروا لإدخال أى شخص رابع عشوائيا دون معرفة ســـابقة لمجـــرد استكمال اللعبة,أو عندما يقوم أحد اللاعبين مُعتذرا و مصححا خطأه بإجلاس أحد أصدقائه هو فى مكانه كيلا تتوقف عملية اللعب,أو عندما تكوّنوا أنت و أصدقائك العدد الرباعى الكامل المطلوب للعبة و ينقص عنصر وجود أوراق الكوتشينة فتضطر إلى إنشاء صداقة عابرة مع أى فرد لا تعرفه من محيطك لمجـــرد امتلاكه لأوراق اللعب,فالإيستيميشن شأنها شـــأن العمـــل فى السياسة و الدراسة و الخمر تجمعك مع أصدقاء جدد تجد فيهم نفسك و طريقة تفكيرك لتشربوا معا نخب الصداقة الجديدة.

***

استيقظت والدة"كريم و أحمد شمس"اليوم على صوت جرس الباب المُزعج,فتحته لتجد وراءه شابا فى مُنتصف العشرينيات,

"صباح الخير أنا إيهاب عيـــسوى صـــاحب أحمـــد مـــن الشركة.. كان قاللى أعدى عليه علشان.."

قاطعته الأم موضحة له الضرورة الذوقية للدخول إلى البيت و أنها لن تسمح لنفـــسها أن تتركـــه واقفـــا علـــى البـــاب هكذا,أجابها مازحا بأنه يعمل كمندوب للمبيعات فى شـــركته و أنه قد اعتاد الوقوف على الأبواب و لم يعد يجد فى ذلك أية

صعوبة أو عدم تقبل من الآخر,ألحت أكثر,فدخل تحت ضغط إلحاحها,ثم استكمل و قد غلبه جزء من الحرج :"هو كان قاللى أعدى عليه دلوقتى,علشان نروح النادى"

-"طب ثانية واحدة هاخش أناديهوللك من جوه"نطقتـــها الأم قبل تختفى داخل طرقات الشقة لتتركه وحيدا فى حجـــرة الصالون,لم يكن ذلك هو أول نزول لـــ"إيهاب"و"أحمد"معـــا كانت صداقتهم قد تطورت منذ فترة و خطتهم هذا الـــصباح هى الذهاب لاستكمال مُباراة"إسكواش"مؤجلـــة فى ملاعـــب نادى سبورتنج,عندما خرج"أحمد"أخيرا ليستقبل"إيهـــاب"، لم يلاحظ وجوده ذلك الأخير,كان مُنغمسا فى تأمل صورة قديمة تجمع ما بين"أحمد"و أخيه"كريم"فى لقطة فوتوغرافيـــة تـــسجل مراهقة الأول و طفولة الثانى بجانب فتاة سنها متوسط ما بـــين الاثنين استنتج"عيسوى"أنها أختهما المُتزوجة ..

التفت"عيسوى"لـــ"أحمد"لينهره بدلا من أن يُسلم عليـــه: "إيه يا أحمد إنت بتهزر ؟ إنت لسه ملبستش ؟ الملعب هيتاخد"

كان أحمد الذى استيقظ من النوم منذ لحظات مازال يسكن ثياب النوم,و قبل أن يبرر له أحمد رن جرس هاتف البيـــت,رد أحمد بعض أن تأخرت بقية أعضاء الأســـرة فى الـــرد,رفـــع السماعة,كانت فتاة تُسمى"هنى"تبغى التحدث مع أخيه"كريم"

***

استيقظ"كريم شمس"اليوم على مكالمة هاتفية ثقيلة الظل من"هنى"تعتذر فيها عن أخطائها التى لن تعترف بها أبدا, و تتأسف عن المشاكل و الأضرار النفسية التى كانت قد سببتها له بقصد,لم ينو هو أن يستقبل المُكالمة على أى حال,بل أضطر كريم إلى ذلك عندما وضعه أخيه"أحمد"أمام الأمر الواقع برده على التليفون و إخبارها بأن"كريم"موجود و"أقولوه مين عاوزوه",و ما حدث ما بين"كريم"و"هنى"هو السيناريو الذى كان الجميع قد توقعه,فاتحها فى موضوع الارتباط الرسمى فأجابته بالتردد الأقرب إلى الرفض الدبلوماسى منه إلى البحث عن وقت للتفكير,

سألته إن كان لا زال غاضبا منها فأجاب بضجر:"طبعا لسه متضايق!!,مش سهلة على ولد إن هو يطلب طلب زى ده و يتقاله لأ"

خرج صوتها فى نبرة دفاعية من سماعة الهاتف بإصرار:"أنا مقولتش لأ"

أصر هو أكثر موضحا:"و مقولتيش أيوه"

-"الحاجات دى مبتجيش كده أصلها"

-"أمال بتيجى إزاى إن شاء الله؟"

-"لازم تديني فرصة أفكر شوية"

-"تفكرى فى إيه؟أنا مش عايز أغلط يعنى,بس لو إللى بينـــا ده محل تفكير يبقى إنتِ سورى يعنى بقالك معايا سنتين بتعملى معايا إيه؟"

لفظ تلك العبارة الأخيرة بعصبية قبل أن يغلق الخط.

***

بعد فترة طويلة من اللعب,كان الإجهاد قد بدأ يحتل تدريجيا جسد"أحمد شمس"أثناء تواجده فى ملاعب الإسكواش الخاصـــة بنادى سبورتنج مع"إيهاب عيسوى",

"ده آخر ماتش يا إيهاب أنا مش قادر"أوضـــحها أحمـــد بصوت ضاعت معظم حروفه فى التنفس أثناء اللعـــب,حـــاول إيهاب أن يحفزه على الاستكمال و لكن"أحمد"كان قد أُنهِـــك بالفعل,سأله أحمد على سبيل تغيير الموضـــوع :"هـــو أدهـــم مبيظهرش بقاللوه فترة ليه؟"

أجابه"إيهاب"و هو مازال منشغلا باللعب:"لأ لأ عادى هو بس علشان مشغول فى حوار المكتب ده"

-"هو خلاص فتح مكتب المحاماة بتاعه؟"

-"المفروض إن هو خلّص تشطيب فيه,ممكن يبتدى يستقبل زباين من بُكرة الصُبح,ده لو مكانش النهارده كمان"

لعبا بعدها لُمدة نصف ساعة ثم رحل أحمد رغــم إصــرار إيهاب,و أبى إيهاب أن يرحل معــه آثــر البقــاء فى المكــان لاستكمال اللعبة حتى و لو وحيدا.. و كأنه القــدر,جلــس ليستريح و كافأ نفسه بقدر قليل من المياه المعدنية قبل أن يلفت انتباهه شيء ما..

***

"حُسام",هذا اسمه"حُسام بدر الدين صلاح",اشتهر فى كل مكان بغروره و تعاليه المُتزايد,لا يحب أى شيء فى حياتــه إلا لعبته التى لا يجيد سواها"الإسكواش",يحبها أكثر حتى مما يحــب أهله و أكثر مما يحب"لينا"قريبته و صديقته الحالية,حبــه لهــذه الرياضة ليس مجرد تحمس بل أصبحت جزءا لا يتجزأ من هوّيته و شخصيته,إذا حاولت فى يوم من الأيام أن تسأله عــن اسمــه على سبيل التعارف سيجيبك بأنه"حُسام بدر الــدين صــلاح بطل الجمهورية فى الإسكواش",و كأن ذلك اللقب الأخير هو جزء من اسمه,و حسام الآن يعانى من مُشكلة سببت له القلــق والاضطراب لأيام طويلة, بعد إختلاف فى وجهات النظر بينــه وبين مُدربه انقض عليه"حُــسام"باللكمــات,أى شــخص فى مكان"حُسام"سيعترف بأن تلك الحادثة قد أنهــت مُــستقبله, ولكن ليس حُسام,قرر أن يُدرّب نفسه بنفــسه,و أن يحــسن

مهاراته بشكل ذاتي بحت,و استمر فعلا على هذا الحال لمدة لا بأس بها,كل يوم يذهب إلى ملاعب نادى سبورتنج ليُمرن نفسه,كل يوم بلا استثناء,حتى حدث يومها ما حدث لتتغير حياة"حُسام"تماما,و إلى الأبد,

كان مُندمجا فى لعبه الفردى إلى أقصى الحدود عندما فوجئ بخبط على الباب الزجاجى للملعب,أوقف لعبه و أوضح لزائره بقرف :"أنا حاجز الملعب ده"وقف الزائر مكانه ورفض أن يرحل فأكد عليه"حُسام"للمرة الثانية:"فى حاجة حضرتك؟أنا حاجز الملعب ده ساعة إلا ربع؟"

كان هذا الزائر هو"إيهاب عيسوى",و لا تنسوا أن إيهاب عيسوى هو بطل مصر السابق فى الإسكواش كان بطلا فى نهاية التسعينيات و فى طليعة القرن الجديد,و لولا إصابة فى ساقه قد أصيب بها فى مُشاجرة لظل هو بطل مصر الأوحد حتى الآن,كان قد أتى فى البداية بصحبة"أحمد شمس".

و بعد أن رحل ذلك الأخير,لفت شيء ما فى لعب"حُسام"انتباهه,أجاب"إيهاب"على"حُسام"مبتسماً:"لا لا,أنا بس كنت شايفك بتلعب كويس على فكرة بس بتتحركك بطريقة غلط قولت أنبهك"

جحظت عينا"حُسام"غير مُصدق لما يقال ابتسم باستهزاء:"بجد والله,طب و الله العظيم كويس"

فما كان من عيسوى إلا أن يهز كتفيه فى برود ليسأله:"إيه فى حاجة فى كلامى بتضحك؟"

أجاب حُسام الذى لا يــزال يــضحك باســتخفاف:"لأ مفيش,بس إنت شايف يعنى إنك ممكن تطلع غلطــة فى لعــبى أنا؟"

-"ليه لأ؟"

-انقلبت لهجته إلى الجدية التامة و هــو يوضــح"هقــول لحضرتك ليه: إللى واقف قدامك ده واخد بطولة الجمهوريــة السنة إللى فاتت"

تحولت نبرة إيهاب هذه المرة إلى الاستخفاف و هو يــردف ساخرا:"طب كويس,الحق إفرح بقى علشان لو قعدت تلعــب بالطريقة دى عمرك ما هتخدها تانى"

أردف"حُسام"بعصبية:"معلش يعنى إنــت آخــرك إيــه فى الإسكواش ؟، علشان تتكلم"

كان من الممكن جدا أن يكشف"عيسوى"عن هويته ,لكنه لم يفعل بل أراد أن يلقن هذا المغرور درســا,لم تعــل نــبرة صوته,لم يتخل عن هدوئه,بل أجاب"عيسوى"الذى لم تزد فيه إلا وسع ابتسامته المُستفزة الباردة:"خــلاص إثبتلــى إن أنــا غلطان,متهيألى إن لو واحد مالوش فى الإسكواش زيى عــرف يكسبك يبقى إنت مليكيش أى أمل فى البطولة؟"

-"ده لو إنت كسبتنى بقى"

زادت ابتسامة"عيسوى"للمرة الثانية,كان الحديث قد وصل بالضبط إلى المنطقة التى أرادها,

***

و كأى تصرف يصدر من أحمد شمس لا يدرى هو نفسه لماذا قام به,و كأى مكان يقصده لا يدرى بالضبط ما الذى أتى به إلى هناك,وجد"أحمد شمس"نفسه يحوم حول المبنى الذى يقع فيه مكتب"أدهم"الجديد,حتى بعد أن صعد السلالم تردد كثيرا أمام باب المكتب,فتح الباب ليجد سكرتيرة مُحجبة وصالة انتظار خالية من أى شخص,سألته السكرتيرة فى أدب:"حضرتك عايز حاجة؟"

دخل أحمد شمس أخيرا من الباب بعد أن كان منتصف جسده بالخارج:"لو سمحتى الأستاذ أدهم موجود؟"

أجابته السكرتيرة:"لأ تلاقيه جاى دلوقتى,اتفضل حضرتك استناه"

غمغم أحمد :"لأ خلاص مش مشكلة بقى,هبقى أجيله فى يوم تانى"

-"طب مش هاتسيب إسمك,أبلغه لما يجى إن حضرتك كنت هنا؟"

أجاب و هو يبتعد عن المكان:"لأ خلاص أنا هبقى أتــصل بيه على الموبايل"

كان"أحمد"سيرحل بالفعل لولا ظهور"أدهم"المُفاجىء,ابتسم ذلك الأخير مُرحبا بــ"أحمد"و سأله عن ســبب مجيئــه"و لا حاجة كنت جاى أباركلك على المكتب"قالها أحمد فى حــرج غير مفهوم.

"طب تعالى تعالى .."نطقها أدهم و هو يدخل إلى حجــرة المكتب قبل أن يلتفت إلى"أحمد":"خش اتفــضل إنــت لــسه هتتكسف؟إنت مال ريحتك عرق كده؟"

أجاب أحمد و هو يدخل إلى الحجرة :"لسه كنت بلعــب إسكواش مع عيسوى أصلى,لأ بس واضح إن الــشغل لــسه مبتداش"

سأله أدهم فى مرح و هو يغلق الباب و راءهما:"لسه فاتحين إمبارح بقى.. إحنا لسه لحقنا؟متعرفش أى حد عايز يرفع قضية على حد؟"

زاد تردد أحمد:"ما هو أنا كنت جايلــك علــشان كــده كمان,أنا عندى قضية ليك"

-"إيه؟ عقارات ؟ المحافظ الجديد عامل مشاكل معاك إنت كمان؟"

-"لأ,قضية طلاق"

-"آه,مراتك إنت ؟"نطقها أدهم بحذر.

أجابه أحمد :"آه,هى إللى رافعة عليا قضية علـــشان تاخـــد الولد"

أجاب أدهم و هو يشعل سيجارة :"دى مش طلاق بقـــى دى حضانة"

ارتبك"أحمد"أكثر لجهله العام بتلك الأمور القانونية,استكمل أدهم و قد بدا عليه الاهتمام:"و إنت المحضر جالك البيت؟"

-"أيوه"

-"واستلمت الجواب الإعلان ؟ماشى ماشى,شكرا علـــى ثقتك فيا و كل حاجة,بس إنت مش شايف إنك من الأحسن إنك تروح لمحامى كبير؟معندكومش محامى عيلة ولا حاجة؟"

رد أحمد فى مرح : أنا مراهن عليك يا عم.

أجابه أدهم فى حكمة :"أيوه إنت كـــده بتـــراهن عليـــا بابنك,متقنعنيش إنك بتعمل كل ده علشان إحنا صحاب"

-"لأ هو بصراحة فى سبب تانى"

-"إللى هو؟"

-"إللى هو إن أسباب الطلاق نفسه مينفعش تتقال لحد أنا مش بأتمنه على سر,لازم يكون حد أنا عارفه كويس"

***

"مى"و"هبة"أصبحتا الآن صديقتين,اليوم هو أول خروج معا حسب الموعد المُتفق عليه تليفونيا,اليوم سوف تستمع"هبـــة"إلى نصيحة"مى"بخصوص تجربة النادى الرياضى الخـــاص بنـــادى أكاسيا,

"لأ معتقدش إنك نيلتِ الدنيا للدرجة دى يعنى"

قالتها"مى"مُطمئنة و مُهدئة من روع"هبة"(التى لا تزال تنتظر رد الشركة فى قبولها كموظفة جديدة) بنبرة قد غلبها الإجهاد الناتج عن التمرين المُستمر لساعتين متواصلتين ثم اســـتكملت وهى تدفن شعر رأسها فى المنشفة لتتخلص من العرق"إنتى مين إللى عملك الإنترفيو؟"

"لا، مش فاكرة اسمه"قالتها هبة لتعزف عن الكلام للحظات لكى تحاول أن تستحضر فى ذهنها المظهر الخـــارجى للرجـــل المقصود قبل أن تستكمل فى تردد :"بس هو شعره كله أبـــيض عنده بتاع اربعين سنة بس كتافه عريضة كده"

ستكملت"مى"و قد وصلت إليها الفكرة و تعرفته :"ودايمـــا فشته عايمة على الفاضية والمليانة,صح؟"

أجابت هبة :"تقريبا آه"

فاستطردت"مى"بملل:"نفس إللى عمللى الإنترفيو بتاعى,ده عبيط,ما قعد يعمل معايا أنا كده برضه .."ثم تسللت بعض الحماسة على نبرة صوتها لتستكمل:"كنت طالعة بقى يا بنتى قولت خلاص,أنا استحالة أشتغل فى الشركة دى,بعديها بأربع أيام لقيتهم بيتصلوا بيا من غير أى واسطة حتى ولا حاجة,هم أساسا ظروف شغلهم بتخليهم يتهبلوا على أى حد معاه فرنساوى"قالتها"مى"و هى تتناول إحدى زجاجات المياه المعدنية من ثلاجة النادى الرياضى,غيّرت"هبة"الإطار العام للحديث بسؤالها الجديد :"هو إنتى لسه بتشوفى حد من الدفعة؟"

-"لأ من ساعة ما سافرت القاهرة و جيت و أنا مش عارفة أوصل لحد منهم"

سألتها بإصرار"مبتشوفيش حد خالص من إللى كنا بنخرج معاهم أيام ثانوى حتى؟"

قاطعت"مى"عملية رشفها للمياه لكى تجيب بتلقائية:"لا والله العظيم أبدا,إنجى سالم جت تدرب عندنا كام إسبوع كده و مشيت اشتغلت فى حتة تانية,و أحمد شمس,بيشتغل فى الناتوورك فى الدور الأرضى كان سايب الشغل و لسه مستلمه تانى قريب".

سألتها"هبة"فى حيرة صادقة:"مين أحمد شمس ده؟"

أوضحت"مى"محاولة تذكيرها:"وإحنا صغيرين,كنتوا إنــتى وهو متصاحبين فترة قصيرة كده و قفشتوا على بعض .."

زادت حيرة هبة : مين ده؟ قصدك تامر؟

و زاد إصرار مى : لأ,مش تامر يا بنتى,لأ.

قاطعتها هبة هذه المرة"كان فى مدرسة إيه طيب؟"

أجابت مى :"مش فاكرة بقى !!,حاجة فرنساوى برضــه (سان-مارك) حاجة كده"

مطت هبة شفتيها فى لا مبالاة و هى تؤكد ببرود :"مــش فاكراه خالص بصراحة"سكتت للحظات تُفكر قبل أن تستطرد هذه المرة بمرح:"و أنــا أصــلى مــش همــشى مــع حــد وأنساه,متحسسينيش إن أنا كنت صايعة للدرجة دى"

أجابت"مى"التى كانت قد سأمت الحديث :"مــش إنــتى داخلة ماركتنج ؟ هو هيبقى فى نفس الدور معاكى"

***

إذا كنت أنت أيضا من مُحبى رياضة"الإسكواش"فــستحب بالتأكيد أن ترى هذا المشهد بعينك,بطل مصر السابق يلاعب بطل مصر الحالى,الأمر أشبه بالصراع المهنى المعروف فى كــل

مكان ما بين الخبرة و الشباب,الهدوء المُتأنى والاندفاع المغرور"إيهاب عيسوى"و"حُسام بدر الدين",لعلو مُستوى الاثنين كان الماتش مثيرا للاهتمام بالفعل,كثير من مُستخدمى الملاعب المُجاورة قد تركوا ما يفعلون فقط ليراقبوا الموقف عن كثب,حتى إن لم تحضر أحداث المباراة من البداية و حتى إن لم يطلعك أحدهم على النتيجة,فسيكون من الواضح أمامك أن الخاسر بشكل عام هو"حُسام"الذى لم توفقه قدراته على اللحاق بسرعة"عيسوى",انتهت المُبارة لصالح ذلك الأخير,خرج"عيسوى"من الملعب بينما لحق به"حُسام"ذو الغرور المكسور محاولا أن يتجاذب معه أطراف الحديث بجمل امتزج فيها الإعجاب بالإحراج:

"هو إنت بقالك كتير بتلعب إسكواش؟"

أجاب عيسوى بضجر و هو يجفف عرقه:"مش كتير أوى من قبل ما إنت تتولد تقريبا"

قطع عيسوى حديثه بنفسه ليشكر أحد العاملين بالمكان الذى توقف لوضع صينية أكل أمامه,سأل"حُسام"الرجل :"لو سمحت ممكن كباية ليمون؟"

أجاب العامل فى صرامة :"ممنوع نترل أكل للملاعب لأى حد"

سأله حسام فى دهشة غاضبة و هو يشير للصينية :"أمـــال إللى إنت لسه حاطه ده إيه؟"

ابتسم العامل و هو ينظر إلى عيسوى :"لا ما هـــو كـــابتن عيسوى مش أى حد,ده حبيبنا من زمان"

أردف عيسوى فى تواضع : ربنا يخليك يا عم فتحى.

هُنا جحظت عينا"حُسام"من فرط المُفاجـــأة :"عيـــسوى ؟ حضرتك كابتن إيهاب عيسوى؟"

ابتسم"عيسوى":"إيه سمعت عنى ولا إيه ؟"

لم يدر"حُسام"ما يقول حقا,هذا كـــابتن"إيهـــاب"الـــذى رآه"حسام"يلعب عندما كان عمر الأول لا يتعدى التسع سنين فقرر حسام من فرط إعجابه أن يحترف اللعبة,كان عيـــسوى بالنسبة إلى حسام هو المثل الأعلى فى هذه الرياضى,إنه إيهاب عيسوى الذى كان"أحمد برادة"اللاعب الشهير يخشاه بـــصدق وبشكل واضح,أجاب"حسام"بعد أن سيطر بشكل جزئى على انفعالاته :"سمعت عنك ؟ !,فى حد بيلعب إسكواش مسمعش عن عيسوى,أنا كنت بتفرج عليك وأنا صغير على فكرة"

أجابه عيسوى فى برود مقصود لا يتناسب مع المديح:"بجد و الله طب فرصة سعيدة جدا يا حسام,إنت اسمك حسام مش كده؟"

و لم يعط فرصة لحسام هذا بل مضى فى حديثه"أنا مـــضطر أمشى بقى علشان ورايا شغل,عايز أبقى أشوفك هه؟"

قالها ثم ابتعد ليترك حُسام فى صدمته.

***

"محدش قاللى صحيح عملتوه إيه إمبارح مع محمد؟"

نطقتها"ريم"بتردد,حاولت أن تضيف إلى نبرتها بعض العفوية حتى لا يتهمها أحد بالفضول,إنها الساعة التاســعة مــساء.. كانت هى و"نيفين"و"مارك"و"نــارد"و"خالــد"جالــسين فى إيستيميشن كافيه,

"محمد مين؟"سألها خالد بقرف و هو يطفىء سيجارته قبل أن يجيب هو عن سؤاله بنفسه:"آه آه,و لا حاجة اتفقنا علــى الكاشات و كل واحد هيدفع للتانى تمن حاجته,و خلاص"

ثم أضاف"نادر"كالعادة :"لأ بس عارفة,مطلعش نفــخ أوى زى ما كنت متخيله يعنى"

فأوضح"مارك"أكثر:"آه,لو كان حد تانى كان ممكن يستهبل فيها بزيادة"

قالها"مارك"قبل أن يبتعد بـــ"نيفين"عن الجميع ليسألها:"هــه كلمتيها ؟"

أجابته نيفين فى حيرة:"كلمت مين؟"

-"يارا هيكون مين يعنى؟"

-"ملقيتش فرصة غير إمبارح"

زاد قلقه أكثر:"و قالتلك إيه ؟"

أجابته نيفين بحذر:"قالتلى استحالة"

فأومأ برأسه مهموما قبل أن تستكمل هى فى آسف:"مع إنى قعدت أقنع فيها بس هى فضلت راكبة دماغها"

قاطعهم"نادر"الذى كان لا يزال على مقربة منهم رغم عدم سماعه لما يتكلمون فيه:"ناويين تروحوا صحيح الحفلة إللى قالنا عليها دى و لا إيه ؟"

سألته نيفين :"حفلة إيه ؟"

أجاب مارك غير آبها:"معرفش عزمنا على حفلة كـده فى العجمى,بس شكلنا كده هنحلقلوه,أنا إيه إللى فى الدنيا يودينى لحد العجمى يعنى؟"

و نصحت"ريم":"يا ريت بلاش تروحـوا حفـلات تبـع البارودى خالص,هاتلاقوها كلها سُكر و مخدرات وبنات مش محترمة و حاجات كده"

أجابها"نادر"متظاهرا و هو لا يعنى ما يقـول:"بجـد و الله كويس إنك قولتيلى من دلوقتى,أصل أنا مبرتاحش فى الجـو ده خالص"قالها ثم ضحك ضحكة خفية ذات مغذى,

"مش هتقوللي بقى إيه المشوار إللي إنـــت هـــاتوديهوللي ده؟"طرح"عمرو سلامة"في ضيق ذلك السؤال علـــى"محمـــد البارودي"و"هاني"،كان الثلاثة في سـيارة"المرسـيدس ســـي ١٨٠"الخاصة بمحمد,أجابه هاني ضاحكا :"و إنت مـــستعجل على إيه ؟ اصبر و أنت هتعرف!!"

غمغم عمـــرو :"أيـــوه,بـــس إنتـــو دلـــوقتي بوظتـــوللي حوار"كيف"فيا ريت ميطلعش على الفاضي يعني"

ضحك"محمد"بصوت عال و هو يطمئنه:"لأ ماتخفش,لـــو الحوار ده طلع على الفاضي يبقى العيب فيك إنـــت بقـــى ؟ هاهاها"

لم يفهم"عمرو"ما يعنيه"محمد",و لم يتوصل إلى السبب الذى يُضحك الإثنان ,و قبل أن يستكمل استفساراته كانت السيارة قد توقفت بالفعل,أبلغه"محمد"أنهم قد وصلوا,نزلوا الثلاث من السيارة,ازدادت حيرة"عمرو"عندما أشار له البارودى إلى باب ملهى ليلي واقع تحت لافتة مضيئة مكتوب عليهـــا"جـــوهرة بحرّي"ليسأله:"هه؟ إيه رأيك",

أجابه"عمرو"في سخط :"إيه ده يا محمـــد؟ إنـــت جـــايبني كباريه؟"

فسر"محمد"بحكمة:"بص يا عمرو تجربتي علمتني إن مشاكل النسوان متـــتحلش بالحـــشيش,مـــشاكل النـــسوان بتتحـــل

بالنسوان,مفيش حاجة هتنسيك مشاكلك مع ست غير واحدة ست زيها"

ظل عدم الارتياح واضحا على"عمرو",خاصة بعد أن دخلوا إلى المكان,كان ينظر باشمئزاز إلى كل شيء أو شخص حوله,لم يكن"عمرو"مُحترما بشكل مثالى أو بالشكل المتعارف عليه,كان يشرب الخمور و الحشيش و يُصاحب الفتيات, ولكنه حرص طوال حياته أن لا تجعله معاصيه يتدنى إلى مستوى اجتماعى مُحدد,اقترب هانى من عمرو وطلب منه المال الذى كان قد خصصه لشراء الحشيش,سأله عمرو عن السبب و لكن هانى ظل متمسكا بمبدأ"اصبر و إنت هتعرف"

اقترب"محمد"و"هانى"و معهم"عمرو"من امرأة فى أواخر الأربعينيات من عمرها.

"عاملة إيه يا دلال إزيك؟"قالها محمد ضاحكا لكى تلتفت إليه الراقصة التى لم تلاحظ وجوده إلا الآن"إيه ده ؟ ما افتكرتنا إنت و صاحبك؟"

أدخل هانى ذو المعرفة السابقة بها نفسه فى الحديث :"لأ بس المرة دى كمان معانا واحد صاحبنا عايزينك تتوصى بيه"

أجابت دلال فى نبرة لا أستطيع وصفها إلا بكونها خالية من الحياء :"إيه ده ؟ إنتو التلاتة أنا كبرت على الكلام ده

خلاص"قالتها قبل أن تفاجىء الآذان بضحكة خليعة اشتهرت بها الراقصات فى الدراما العربية.

رد محمد الذى لم يتفاجأ بالضحكة بخبث :"لا متطمعيش ده هو لوحده بس,إحنا بقى نبقى نجيلك بعدين"

اقترب منها فى قلق قبل أن يسألها بقرف :"إسمك دلال إنتى هه؟"

علقت دلال مازحة:"يا ختى كاميلا عليه,شـوفت جاهـا بسرعة إزاى ؟إوعى تطلع سريع كده فى كل حاجـة"قالتـها لتفاجأ عمرو للمرة الثانية بنفس الضحكة التى تصلح أن تكون رنة موبايل أكثر من كونها ضحكة تتخلل الكلام.

أعطاها هانى المال الذى أخذه من عمرو منذ قليل,أخـبرهم أنهم يجب أن يزيدوا فى المال بعض الشيء لأنها تفعل ما تفعـل من دون علم صاحب المكان (طب وهم مالهم؟؟!) على العموم أضاف"محمد"بعض النقود من جانبه,

"طيب هنمشى إحنا بقى يا عمرو"قالها"هانى"و هو يـودع عمرو الذى أصبح أثر تلك العبارة الأخيرة أشبه بالطفل الصغير الذى لا يريد من أمه أن تتركه وحده فى المدرسة:"إيه ده رايحين فين؟"

أجابه"محمد":"هنشوف حالنا إحنا بقى .."قالهـا قبـل أن يستكمل ضاحكا و هو ينظر إلى دلال مُغازلا:"و بعدين إنـت زعلان ليه,حد يطول يقعد القعدة إللى إنت قاعدها دى ؟"

لم يستطع"عمرو"أن يخفى رعبه من المُحيط الذى لم يعتـــد عليه خاصة بعد أن رحل أصدقاؤه,مالت عليـــه دلال :"روّق كده و اسمع كلام صاحبك,متشيلش هم.. ده إنـــت معـــاك دلال"

أجاب وهو ما بين الارتباك و الاستخفاف:"معايـــا دلال آه صحيح إزاى فاتتنى دى,تشربى إيه يا دلال؟"

"إيه ده هتعزمنى؟"انتفضت داخل مقعدها فى فرحة شـــديدة وهى تقولها و لم تنتظر حتى إجابة"عمرو"طلبت من البارمـــان: "سيد !! هاتلى إتنين شامبانيا على حسابه"

نظر سيد حوله قبل أن يقترب منها ليسألها فى حيرة:"علـــى حساب مين؟"

أجابته فى تلقائية:"على حساب مين ده إيه؟ما هو قـــدامك أهو"

التفتت إلى جانبها لتشير إلى"عمرو"لتجده قد اختفى مـــن المكان,سألت نفسها بصوت عال"إيه ده هو راح فـــين؟!! ده كان لسه هنا!"

إقترب منها"سيد"بحذر ليسألها:"مدام دلال!! إنت متأكـــدة إنك لسه عايزة تسكرى؟"

***

الفصل الحادى عشر

"على أضواء شاشة الموبايل (!)"

كان من الطبيعى أن يترك الكباريه فى أول فرصة دون حتى أى محاولة لاسترجاع ماله من الراقصة ..هرب في الزحــام فى أسرع وقت ممكن,ترك المكان مُسرعا..رجع إلى بيته,دخل إلى حجرته أطفأ النور ضغط على زر تشغيل المروحــة و أخــرج قطعة حشيش كان قد أخفاها فى جيبه و حوّلها إلى ســيجارة مُستعيناً بأضواء شاشة الموبايـــل,و قــد تــرى ذلـــك شــيئا غريبا,تصرف مريب لا تفسير أو سبب منطقى له,و لكنك إذا كنت من أصدقاء"عمرو"فستنظر إلى الحدث من زاوية أخرى.

تماماً كما لا يختلط الزيت بالماء بسبب اختلاف التركيبـــة الكيميائية لكل منهما,فهناك أنواع من البشر المزج ما بينـــهما مُستحيل,هذا هو بالضبط ما حدث فى تلك الليلة مع"عمـــرو سلامة",حتى إن منعه خجله من التورط فى أى اتصال جنـــسى مع أنثى حتى الآن من قبـــل فإنــــه لم يرحـــل يومهـــا مـــن كباريه"جوهرة بحرّى"لهذا السبب,بل من المُحيط,كيف تتوقـــع من شخص انطوائى مثله أن يتأقلم فى جو مُتأسس على عـــدم الحياء ؟لقد اعتاد علـــى المعـــصية فى الخفـــاء و الطاعـــة فى الخفاء,فهكذا صلّى لله و هكذا شرب الخمر و هكـــذا عـــاش حياته كلها,فى السر بعيدا عن أنظار الجميع,

"عمرو سلامة"هو أحد هؤلاء الذين يعيشون على أضـــواء شاشة الموبايل,الذين استخدموا نفس القدرات التى أعطاها الله لهم لمساعدتهم على الاتصال الاجتماعى بالبشر لغـــرض آخـــر و هو الابتعاد عنهم,ليعيشوا على أضواء شاشة الموبايل إلى الأبد إذا.

***

فلنكشف (على سبيل النميمة ليس أكثر) بعـــض الأســـرار الشخصية لنادر"الميتاليست"و المؤسس و المغنى الأساسى لفرقة "Born in hell" و التى تُعد من أهم فرق الهاف الماتيـــل المصرية,هذه المرة عن السبب الحقيقـــى للكـــره الدبلوماســـى والحرب الباردة اللذين يدوران بينه و بين صديقه"خالد",كانت فتاة بالطبع,كان اسمها"نادين"تعرف بها"نادر"أولا أثناء تواجده فى العاصمة لتشجيع المُنتخب المصرى فى بطولة كـــأس الأمـــم الأفريقية لكرة القدم التى أقيمت فى إستاد القاهرة,كانت هـــى أيضا من الإسكندرية,و كأنه القدر ألا يتقابلا إلا بعيـــدا عـــن مدينتهما,بذل مجهودا كبيرا فعلا لمجرد جذب أطراف الحـــديث معهـــا,الغلطـــة الوحيـــدة الـــتى ارتكبـــها هـــو تعريفهـــا بـــ"خالد"فأصبحت فتاة أحلامه فجأة هى صديقة خالد,كـــره ذلك التصرف من خالد,و كره"خالد"عده خائنا لمجرد أنه أنشأ

صداقة مع فتاة أرادت هى ذلك منه,و كـــره"مـــارك"كثـــرة المشاجرات وسئمت"نيفين"كثرة الخلافات ما بينهما,فتطـــوع الأخيران لتهدئة الموقف,فسكت الاثنان (خالد و نادر) و انتهى الكلام فى الموضوع و لكن ما فى القلب ظل فى القلب.

***

و"نادين"ما هى فى الأساس إلا فتاة مُرتبكة مثـــل معظـــم الفتيات فى سنها,أبوها و أمها ميتـــان,تعـــيش مـــع أخيهـــا وزوجته,و أخيها هو"عيسوى"بطل مـــصر الـــسابق فى لعبـــة الإسكواش و القائد (السابق كذلك) فى كشافة الكاريتاس,منذ سنوات كوّنت صداقة قوية التأثير قصيرة الـــزمن مـــع"كـــريم شمس"ثم انفصلا,ارتبط هو هنا و ارتبطت هى بـــشاب آخـــر يُسمى"نادر"ثم بصديق لنادر يُسمى"خالد",و بسبب مُـــشكلة سببها نادر,قام خلاف نتج عنه التحامـــا جـــسديا مـــا بـــين أصدقاء"نادر"و أصدقاء أخيها,هذا هو السبب الذى كُـــسرت بسببه قدم"عيسوى"ليُحرم ذلك الأخير من احتراف الإسكواش حتى بعد انتهاء فترة علاجه.

***

السر المخفى عن أنظار الجميع بخصوص"نادر"هو اســـتمرار إعجابه بـــ"نادين"رغم مرور سنتين عن انفصالهما,لم يحاول أن

يتصل بها بل طوال تلك الفترة بل ظل يراقبها يوميـــا,حفـــظ جدولها اليومى عن ظهر قلب,ليس بالضرورة بحثاً عن فرصة و لكن للاطمئنان عليها فقط,رآها أكثـــر مـــن مـــرة تتعـــرض للـــ"مُعاكسات"و التحرشات,كان ينتظر أن ترحل هى عـــن المكان فيتجه إلى أصحاب الفعل الشائن ليلقنهم درســـا لـــن ينسوه أبدا,وظف نفسه فى منصب ملاكها الحـــارس,و هـــذه حقيقة استطاع نـــادر أن يخفيهـــا عـــن أقـــرب أصـــدقائه وعن"نادين"نفسها التى لم تفهم قط سبب تـــورم وجـــه مـــن يتعرض لها عندما تراه فى اليوم التالى,

***

كل إنسان منا يحتفظ سرا بجزء من الطفولة مهما كبر ســـنه و مهما حاول أن يدعى أو يتظاهر بالنضوج و الحكمة,جزء لم يتأثر بالعوامل الزمنية,لم و لن يغير فيه الوقت شيء,هذا الجـــزء يحدد شخصيتنا الحقيقة.

● فمثلا"عمرو"احتفظ بالخجل و الانطواء منـــذ طفولتـــه، أينعم قلل على قدر ما يستطيع من ذلك تجنبا للوحدة و لكـــن بشكل عام:"عمرو"ذو التسعة عشر عاما الذى يعيش بيننا الآن هو مُجرد نسخة أكثر تطورا من"عمرو"ذي التسعة أعوام.. ما زال ينتظر الفرص ليختلى بذاته.

- و"رامى"أيضا ظل كما هو.. حساس عاطفى بشكل مُبالغ فيه أحيانا ..
- كريم احتفظ بعصبيته غير مطلوبة و مازال يشاهد (خلسة) الأفلام الكرتونية حتى الآن,
- "ريم"احتفظت بذكائها و سرعة إدراكها لما حولها,
- و"خالد"احتفظ بالإصرار على أى فكرة تأتى إلى عقله بغض النظر عن صحتها,
- "نادر"احتفظ بكثرة الحركة و الجرى فى كل مكان,
- "مارك"احتفظ بعدم حبه للتحرك و التنقل من مكان إلى آخر,كان يحب الاستقرار بشدة,يكره الترحال فعلا,
- "نيفين"احتفظت بعدم قدرتها على المجاملة أو التمثيل أو إخفاء المشاعر,حسام احتفظ بجسده الضخم و قوته الجسمانية,هانى احتفظ بعقله و تأنيه,
- "شريف"احتفظ بكرهه لأبيه,
- "أحمد شمس"احتفظ بتناقضه وسرعة حزنه و فرحه..
- "هنا و لينا"لم يتغير فيهن أى شىء لكى يحتفظوا به أو يتركونه,ما زالا طفلتين بمعنى الكلمة,فى كل شىء,تطورت

أجسادهما و لم تتطور العقول,و كبرت الصدور و لكن القلب واحد,برزت بشكل واضح الثنيات أسفل الظهور من وراء سراويل الجينز الضيقة و لكن الخلفية النفسية واحدة,لا أعلم حقا الوصف الصحيح لذلك إن كان عيبا أم ميزة,أعنى أن يظل الإنسان كما هو هكذا,إن كان ذلك صدقا مطلوبا و براءة نادرة الوجود؟أم تأخيرا فى التطور يوشك أن يقترب من التخلف العقلى؟

● "يمنى"احتفظت بأموالها.. أى شيء عدا ذلك فقد تغير تماما..

● "يارا"(فاتنة كنائس الإسكندرية) احتفظت باستخدامها لجمال مظهرها الخارجى لكى تحصل على مرادها,فى طفولتها كانت تمتلك ملامح وجه صغيرة بريئة و رائعة لا يستطيع الكبار أن يرفضوا لها طلب بمجرد النظر إليها,و عندما كبرت أصبحت تمتلك بدلا من تلك الملامح الملائكية فى وجهها صفات جسدية شيطانية فى جسمها,ثنيات مُذهلة و أحجام إعجازية (ظننا كعرب أن المطربة إليسا هى صاحبة التوكيل الوحيد لتلك الأحجام فى بلادنا) و لون أشقر يليق على كل ذلك,فهل يستطيع أى رجل بصدق أن يرفض لها طلب؟و هل تمتلك أى فتاة من أمرها سوى أن تغار؟.

● أما"محمد البارودى"فعندما كان طفلا لم يكن يحب أن يشارك أى شخص معه فى ألعابه.. دللوه أهله و عوّدوه على ذلك,كبر على الألعاب و ظلت الخصلة موجودة و واضحة, ولكن هذه المرة فى المال و الحشيش,و الخمور,فأصبح هو البارودى,ديكتاتور الخمور الذى نعرفه الآن,انفصل أبيه عن أمه و هو فى سن الثانية عشرة,فأعطاه ذلك حرية زائدة تركت له المساحة للتورط فى مشاكل ندم هو عليها الآن,أبوه الآن متزوج,و أمه الآن متزوجة,كل منهما سعيد فى حياته بعيدا عن الآخر,و هذا الموقف الاجتماعى المحدد (الطلاق) يعطيك فرصة غير عادية كابن للتلاعب و الحصول على ما تريد بمنتهى السهولة,كل ما عليك فعله هو الذهاب إلى أحدهم و الشكوى من الآخر فتنسكب الأموال و الفرص و يصبح كل شىء مسموحا,و هكذا عاش"محمد البارودى"السبعة أعوام السابقة,بلا حدود,أو موانع,و كُل مريض نفسى فى العالم بلا استثناء ترجع أسباب مرضه الحقيقية إلى نشأته,الحقيقة المُرة التى نهرب منها هى أن الصفحة الأخيرة فى قصة حياتنا قد كُتبت قبل حتى أن نولد,نؤلف النظريات الفارغة حول كل شى طوال الوقت بينما نحن مجرد تطبيقات لنظرية كُتبت فى السماء منذ زمن بعيد.

***

و من التصرفات التي لن أدرى أبدا مدى صحتها من عدمه مهما راقبت عن كثب سلوكيات لاعبي الإيستيميشن،هو إصرار بعضهم ألا يرى أحد أوراق لعبهم،حتى إن كان هذا الشخص مُجرد مُشاهد لا يشارك في اللعبة بشكل فعلي،ثم إصرار البعض الآخر على كشف أوراقهم بدون سبب واضح،تكون جالس بعيدا عنهم فيأتي بك من آخر الدنيا لكي يُريك أوراقه،و يخبرك أنه سيطلب كذا،حتى أن بعضهم قد وصلوا إلى مرحلة اللعب و هُم يكشون ورقهم بالكامل على"الترابيزة"أمام منافسيهم في اللعبة،أيهما الأصح؟

مخبئو أوراقهم يؤكدون أن إطلاع الأغراب على الأوراق التي تخصهم يربكهم و يضيع تركيزهم المخصص للعلب،و يعرضهم لنصائح قد تكون خاطئة،فيخسرون نتيجة لغباء شخص آخر.. و إن كانوا ممن يهتمون بآراء الآخرين فإن كانت الأوراق مُشجعة و جيدة سيكون الفوز تحصيل حاصل لا مُكافأة فيه و لا فرحة و الخسارة تستحق العقاب الشفهي من المُشاهدين،و إذا كان الورق قليل الفرص فسيستمعون طوال اللعب إلى آراء تحبطهم.

أما كاشفو الأوراق يؤكدون أن كشف الأوراق هو علامة تنم عن ثقة عالية تربك مُناقسيهم في اللعبة،كما أنهم يرحبون تماماً بأي رأى خارجي،لكنهم لن ينفذوه إلا إذا اقتنعوا هم به.

فأيهما أصح ؟

ليس فى الإيستيميشن فقط بل فى الحياة،أيهما أفضل؟

الفخر و الإعلان الذى يوضح للجميع أنك لا تمتلك من الأسرار ما تخشى كشفه؟

أم أن للحياة السرية فوائد تماما كما لها أضرارا؟

أم أن الموضوع عبارة عن نسبة و تناسب ما بين الاثنين؟

***

لم يكن اليوم يوما عاديا فى حياة"هبة"،كانت قد تلقت منذ يومين تلك المُكالمة الهاتفية المُنتظرة التى تبلغها بأنها تم قبولها بالعمل فى شركة"يونى سيلفر"الشهيرة لصناعة الأغذية و هى نفس الشركة التى يعمل فيها"مى"و"أحمد"،لم تكن حتى تلك اللحظة تتذكر صدقا من هو أحمد شمس لكنها نست الموضوع برمته على أية حال،و لم تبلغ أى شخص قريب منها بخبر قبولها بالعمل فى الشركة التى تعد الأضخم فى مجالها فى الشرق الأوسط،خافت أن يحسدها أحد،نزلت من البيت فى أجمل ثياها أرادت أن يكون أول انطباع عنها رائعا،ثم دخلت إلى مبنى الشركة،ما زالت رهبة المبنى الجديد عليها آخذة إياها،

"صباح الخير أنا،المفروض النهاردة كنت جاية أستلم الوظيفة إللى هنا فى الديبارتمنت (القسم) .."

قالتها دفعة واحدة ودون أى مقدمات فى وجه أول موظف قابلته،هذا الموظف كان"عيسوى"الذى ابتعد عن الجميع ليشرب سيجارة خفية عن أعين الناس، لم يكن أحد يعلم بإدمان"عيسوى"للسجائر سوى"عيسوى"نفسه،سر شخصى لم يستأمن عليه أى شخص حتى الآن بما فيهم زوجته،رمى سيجارته فى ارتباك دون أن ينهيها ليسألها :"إنتى هبة محمود،مش كده؟"

-"بالظبط كده،كان مفروض النهارده أستلم الشغل مع حد اسمه أحمد شمس،قالولى كده فوق"

-"لأ أحمد لسه فى استراحة الغدا،عقبال ما يجى،هاوريكى مكتبك إللى إنتى هاتشتغلى فيه،هو يمكن كتمة شوية بس علشان التكييف بقاله يومين"كان يقولها و هو يتحرك معها بالفعل ليدلها على مكان مكتبها،فتح الباب ليقطع كلامه بنفسه،على عكس ما توقع وجد"أحمد شمس"بالداخل ومعه"مى"التى من المفترض أنها تعمل فى قسم مختلف،الاثنان اللذان كانا مندمجان فى الأكل تماما نظرا إليه فجأة،فأردف هو ضاحكا"إيه ده هو مش المفروض إنك روحت تتغدى؟"

حارب أحمد بقايا الطعام فى فمه لكى يكوّن جملة تهكمية وواضحة الحروف فى نفس الوقت:"طلبت الغدا دليفرى على هنا إن مكانش عند أهلك مانع يعنى"

-"يعنى تسيبلى شغلك و ألاقيك فى الآخر قاعـد عمـال ترغيلى مع الآنسة،و إنتى كمان إيه إللى مقعدك هنا إنتى كمان مش تروحى تشوفى شغلك"قال كل ذلك قاصدا المداعبة ليس أكثر ..

فأجابته"مى"ساخرة:"إحنا فى استراحة الغدا،هنفضل نقنعك لإمتى إنك المخلوق الوحيد إللى بيفضل شغال فى الوقت ده ؟ "ثم التفتت إلى هبة التى ظلت واقفة فى مكانها مُحدقة فى وجـه أحمد"متقعدى يا هبة مفيش حد غريب ده أحمد"

أشار أحمد برأسه إلى هبة ليطلب من"مـى"و"عيـسوى"أن يعرفاه بها بما أنها لا تريد الكلام،أجابته"مى":"دى هبـة إللـى جاية علشان تستلم الشغل النهارده،هبة صاحبتى إللى قولتلـك عليها يا بنى،لسه مش فاكرها برضه؟"

-"بصراحة لأ، على العموم أهلا وسهلا"قالهـا أحمـد فى استسلام.

ردت هبة فى ارتباك :"أهلا و سهلا"ثم التفتت إلى صديقتها لتطلب منه فى صرامة أقرب إلى الأمـر العـسكرى"مـى !! عايزاكى ثانية واحدة"

قامت الصديقتان ابتعدا عن مسامع"عيسوى"و"أحمد"،

"إنـتى كـان قـصدك علـى أحمـد ده؟ أحمـد بتـاع الكاريتاس؟"قالتها فى قمة الغضب غير المفهوم.

أجابت مى (وقد تلاشت ابتسامتها) فى حيرة:"هو إنتى مقومانى علشان تقوليلى كده؟!!,أيوه هوا إيه مشكلتك يعنى؟"

-"طب مقولتيش ليه من الأول ؟"

-"قولتلك على فكرة بس إنتى إللى مفتكرتيهوش,و بعدين برضه مش فاهمة إنتى إيه مشكلتك ؟"؟

زاد غضب هبة أكثر :"يعنى أنا كل يوم هاجى الشغل هاقعد فى نفس المكتب مع واحد أن هزقته (أيام إعدادى) قدام كل صحابه؟"

-"أنا مش متخيلة إنك فاكرة التفاصيل الهابلة دى لسه,فكك يا"هبة"ده شغل عيال,إذا كان هو نفسه مش فاكرك أساسا,عمالة أفكره بيكى ولاا! إنتى على باله أساسا"

-"إيه الهبل ده؟ يعنى هو فاكرك إنتى، بس مش فاكرنى أنا إن شاء الله؟"

-"أيوة أكيد فاكرنى، أنا كان ليا صحاب معاه فى كلية,و كنت بشوفه فى القاهرة,بقولك إيه، أنا عارفة كويس أوى إنك دوختى على الوظيفة دى,و مش هتلاقى زيها تانى لو عملتى إيه,متخلقيش مشاكل من الهوا,حتى لو,فلنفرض إنه فاكرك هو ليه عندك إيه يعنى ؟"

و هذا سؤال إذا فكرنا فيه لمدة كافية سنجد فيه حلا لجميع مشاكلنا الاجتماعية و الدينية و حتى السياسية,لماذا نخجل من أشياء لا نستطيع تغييرها فى أنفسنا؟.

السؤال الذى ننسى أن نسأله لأنفسنا وإن سألناه ننسى أن نجيب عنه..

"و هو إللى شايفنا ده,ليه عندنا إيه؟!!"

***

استغل"عيسوى"فرصة انتهاء مواعيد العمل الرسمية فى شركة"يونى سيلفر"ليعرج على ملاعب الإسكواش الخاصة بنادى سبورتنج,كان يدمن الإسكواش إدمانا مساويا لإدمان البعض للخمور و المُكيفات,لم يستطع أن يستمتع باللعب,أينما ذهب كان يجد المدعو"حُسام"هذا يلاحقه فى كل مكان يلح عليه أن يتولى تدريبه,و لولا غرور"حُسام"الواضح للجميع لما اعترض"عيسوى"عن مُساعدته,و للتخلص من الإزعاج ليس أكثر,و لإغلاق هذا الموضوع مرة واحدة و إلى الأبد,رضى أن يلعب لمرة واحدة مع حُسام ليخبره أنه يرفض تدريبه.

"طيب مفيش مشكلة بس على الأقل حضرتك ممكن تفهّمنى,إيه السبب إلى يخليك ترفض تدربنى؟ يعنى حضرتك

مبتدربش أصلا أى حد؟" لم يكن حُسام من النوع الذى يتقبل كلمة"لا"كجواب,

أجاب عيسوى بضجر :"بدرب ما بدرش مش هى دى المشكلة؟ أنا مش عايز أدربك إنت"

ضحك حُسام و قد تملكه الإحراج من هذا الرفض الشخصى الصريح:"طب ليه بس؟هو حضرتك لسه عرفتنى كويس ؟داحنا الاتنين سان مارك زى بعض و دماغنا زى بعض,معتقدتش إنك عرفتنى كويس من مرتين شوفتنى فيهم؟"

توقف"حُسام"عن اللعب,كان السأم قد تملكه بالفعل فأردف فى عصبية فاجأت"حُسام":"لا ماتقلقش أنا عارفك وفاهمك كويس أوى,أنا اتفرجت عليك فى البطولة إللى فاتت,إنت شخص عصبى جدا,و لما أعصابك بتفلت مبتعرفش تتحكم و ده فى حد ذاته غباء ابن وسخة خصوصا فى لعبة زى دى,و بره الملعب,ملكش صحاب ولا من الكلية و لا من المدرسة,أو ليك صحاب بس مش الناس إللى إنت نفسهم يبقوا صحابك,لإن الناس إللى إنت نفسهم يبقوا صحابك,إنت مينفعش تخرج معاهم لإنك بسبب الرياضة اللى هى أهم حاجة بالنسبة لك و لا بتقدر تحشش و لا تُعُط و لا تشرب سجاير حتى,فأنت مبتمارسش اللعبة علشان بتحبها إنت بتمارسها علشان بقت بالنسبة لك أمر واقع,مبقاش ليك غيرها,أو بمعنى

أصبح مبتعرفش تعمل حاجة غيرها,هى دُنيتك كلها يـــا إمـــا التدريب يا إما صاحبتك,و لما لقيت البطولة راحـــت منـــك قومت جريـــت عليـــا,علـــشان إنـــت فـــاكر إنـــك لـــو مبقيتش"حُسام"بطل الجمهورية هاتبقى ولا حاجة فى نظر البنت دى,فهتبقى حياتك فاضية تماما,و هتنحرف بس دى كمـــان مش هتعرف تعملها,لإن السن إللى إنت بتتعلم فيه أى صياعة ممكن تتعمل فاتك" مزيج من المُفاجأة و الإحراج قد عـــصف بعقل"حُسام"فلم يجد ما يقوله إلا :"على فكرة مسمهاش البنت دى"

أجاب عيسوى فى ملل واستسلام:"مسمهاش البنت دى يا سيدى,اسمها صاحبتك,إللى هى غالبـــا هـــاتطلع قريبتـــك فى الآخر"

زادت دهشة حُسام و بلغت أقصاها من هذا الغريب الذى استطاع فى دقيقة واحدة أن يلخص حقائق شخصيته.. الحقائق المُخجلة لأنها حقيقية,صحيحة تماما كما شرحها كـــل شـــىء فيها,و قبل أن يـــسأل"حُـــسام"نفـــسه ســـرا عـــن كيفيـــة معرفة"عيسوى"لكل ذلك,كان عيسوى قد أجابه بالفعل عـــن سبب حيرته عندما استكمل موضحا:"إللى عايز أقوله إن أنـــا جت عليا فترة كنت زيك بالظبط فى كل حاجة,و إللـــى أنـــا أقدر أقولهولك دلوقتى إنك لو فعـــلا عـــايزنى أســـاعدك,لازم

تسيبلى نفسك خالص"و تحولت نبرتــه إلى التحــدى و هــو يسأله"هه!! قدها ولا تدوررلك على حد تانى؟"

***

اجتمع"رامى"و"كريم"و معهم عمرو سلامة فى شقة رامــى لشرب الحشيش,كان من المُفترض من تلك الجلسة أن تقام فى سيارة"رامى"بدلا من شقته,إلا أنه قد وعد أنه سوف يُراســل أخاه الأصغر"فهد"الذى مازال حتى تلك اللحظــة يعــيش فى الإمارات مع أبيه و أمه,و فى العادة تُعد مُراسلة"فهد"عن طريق الإنترنت مصدر متعة كبيرة للثلاثة,هــذا لأن"فهــد"هــذا ذو الخمسة عشر عاما يتسم بالسذاجة إلى أبعد الحدود من السهل التلاعب به للغاية أثناء تواجده على برنــامج ال"إم.إس.إن",إلا أن"رامى"قد رفض اليوم بصرامة أى تلاعب بعقل"فهد"علــى الأقل اليوم,سألوه عن الــسبب فأجــاب بعبــارة غامــضة للغاية"معلش يا جماعة فى حوار مُهم"

سأله"كريم":"حوار مُهم إيه مثلا؟"

أجاب"رامى"فى هم :"آخر كام مُكالمة على التليفون,لقيت أهلى ابتدوا تانى يلمحوا إنهم ممكن يبعتوا"فهد"يعيش معايا هنا فى الشقة"

سأله"عمرو":"و تفتكر الحوار ده بجد ؟ و لا هياس؟"

أجاب"رامى"فى ثقة أو بهذا أكد لنفسه:"لأ طبعا هياس,هــو كده كده مش هيقتنع إنه يجى مصر,أنا كل ما يفتحوا الحــوار ده معايا على التليفون أقعد أقولهم ماشى ماشى,علشان متبقاش جت منى أنا"

صمت قليلا ليسحب نفسا من سيجارة الحشيش الــتى فى يده ليستكمل:"أصل لو إن هو ييجي مصر هيخلليــه يبطــل هيروين كنت أنا أول واحد وافقت,بــس ده أخويــا و أنــا عارفه,هو لو عايز يشرب,هايشرب,حتى لو ودوه المريخ"

زادت حيرة عمرو:"أنا لسه مش فاهم على فكرة,هو إيــه علاقة الهيروين إللى كان بيشربه بإنه ييجي مصر؟"

وضح رامى بهدوء:"هى الفكرة كلها إن أهلى لما عرفوا إنه مُدمن دخلوه مركز تأهيل مرتين,و كل مرة كان بيطلع كــان بيرجع زى ما كان و أنيل,لإنهم مش عارفين يبعــدوهم عــن صحابه,فقالوا الحل الوحيد إنهــم يبتعــوه لأخــوه إللــى فى مصر,بقالهم ييجي سنة دلوقتى بيقوللوه الحوار ده لــو كــانوا عايزين يبعتوا كانوا بعتوه من زمان"

أردف كريم مُستهزئا:"يعنى هم فاكرين إنه هنا هيتــصلح حاله ؟ يعنى هى مصر إللى مافيهاش مُخدرات؟ دى كفاية بس قعدته هُنا فى الشقة,مُجرد إنه يتعرف على الــواد المــسيحى

بتاعكوا ده إبن صاحب العمارة إللى كل شوية يجيب صـــحابه يحشش معاهم فوق السطوح"

أجاب رامى و قد سئم الحديث فى هذا الموضـــوع :"هـــم فاكرين كده سيبهم براحتهم,إحنا مالنا بقى,و بعدين فكك من الشتيمة فى صاحب العمارة إحنا مش عايزين مشاكل مع الناس دى"

***

زادت تحذيرات مارك هذه المرة بشأن التزام الهـــدوء أثنـــاء صعود السلالم المؤدية إلى سطح عمارتـــه لـــشرب الحـــشيش هناك,يقول إن هناك بعض الجيران قد شكّوا فى أمره مـــؤخرا, ولا يعلم أحد لماذا يخشى"مارك"الجيران و آراءهم إذا كان أبوه هو صاحب العمارة,لماذا لا يعلن عن انزعاجـــه مـــن صـــوت الموسيقى الصادرة من الشاب الذى يُسمى رامى و الذى يقطن فى الدور الأول,أو لماذا لا يرد على تلك التعليقات الـــسخيفة التى يسمعها من الرجل المُلتحى الذى يسكن الدور الأخير,تلك التعليقات التى لا يتلقاها مارك إلا لمجرد أنـــه مـــسيحى,ربمـــا خشاهم لأنهم أكثر عددا,سألوه أصدقاؤه كثيرا عن سبب ذلك فأجاب أن هؤلاء السكان و إن خرج بعضهم عـــن حـــدود الأدب فإنهم فى الغالب يعتذرون فى النهاية,كما أنه لا يحبذ أن يدخل فى أى مشاكل مع السكان لأنهم"هُما إللـــى شـــايليين العمارة"على حد تعبيره,هم الذين يصلحون كل شـــىء عنـــد

تكسيره (الأسانسيرات و نور السلم,إلخ) دون تدخل منه أو من أبيه,و هم الذين تصدوا بكل ما لديهم مـــن قسوة و وســـاطة ومعارف لوقف قرارات الهدم المتكررة التى يصدرها المُحـــافظ الجديد للعمارة,سبب غريب للغاية !,ألا يدرى أنهم سيعيشون فى الشوارع هم أيضا إذا هُدمت العمارة ؟!!,و أنهم لم يفعلـــوا ذلك من أجل سواد عيونه هو و أبيه بـــل لمـــصلحتهم هـــم البحتة؟!,و أنهم سوف يظلوا يفعلوا ذلك رغم أنوفهم حتى لو كان صاحب العمارة يهوديا صهيونيا إسرائيليا,إذا فلمـــاذا لا يقول رأيه ؟لماذا لا يصارحهم بحقيقة ما يظن و ما يـــرى ؟ألا يعلم أن الظلام هو الغذاء المُفضل لفيروس الظلم؟.. على العموم نفذ أصدقاؤه تعليماته إرضاء لرغبته ليس أكثر,لم يعارضوه حتى عندما رفض إضاءة نور السلم,لكى يصعدوا ســـلالم العمـــارة كلها على أضواء شاشات الموبايلات.

***

رغم أنه لا يدرك تلك الحقيقة,إلا أن"رامى"يعيش فى إحدى شقق العمارة التى يمتلكها"مارك""رامى"لا يدرك ذلك لأنه حتى الآن لم يقابل"مارك"من الأساس,لم يتعـــرف بـــه فبالتـــالى لم يفهمه.. بل يسمع عنه من"البارودى"فحسب و لكن هذا كله على وشك التغيير.

و تماما كما تمنى"رامى"بدأ"كريم"بالفعل فى ســـرد حـــديث جديد بعيدا عن ابن صاحب العُمارة:"مشوفتوش إنتـــوا إللـــى حصللى فى البيت إمبارح"

و بعد أن جذب انتباه صديقيه بالفعل استكمل :"بتكلم مع هنا فى التليفون و بتاع،أبص ألاقى مين قاعد عندنا فى البيت؟"

-"مين؟"قالها أحدهم.

-"إيهاب عيسوى"

أغمض"رامي"عينيه مُحاولا التذكر :"إيهاب عيسوى ده إللى هو المفروض أخو البنت إللى إنت فركشت معاها من سنتين،إللى اسمها نادين صح؟"

أجاب كريم:"بالظبط"

سأل عمرو:"وده كان بيعمل إيه عندكوا ده؟"

أوضح كريم و هو مُبتسم ابتسامة صفراء قصد أن تبدو مُزيفة و هو يضع يديه بجانب مُمتلكات عضوه الذكرى فى حركة شهير تعبر عن عدم الرضا:"ما أنا اكتشفت إنه مع أخويا فى الشغل و بقى أنتيمو و بتاع"

علق رامى :"إيه الحظ ابن الوسخة ده و هو أخوك ملقاش غير عيسوى؟!"

و أضاف عمرو:"بس هو ميعرفش شكلك صح؟"

غمغم كريم:"آه الحمدلله"

أردف رامي:"طب إنت كده بقى فيه احتمال إنك تقابل نادين تاني"

أجاب كريم و هو يهز كتفيه و يمط شفتيه :"لأ معتقدتش،واحد صاحب أخويا إيه المناسبة إللى ممكن تخليني أقابل أخته؟"

-"هي الحفلة بتاعة البارودى هتتعمل إمتى؟"كان عمرو هو السائل بالطبع.

تفاجأ رامي الذى كان قد نسى:"يلا دى كمان كام إسبوع،أنا سقطت (نسيت) خالص،ساعتها هنبقى آخر الشهر و أنا أولريدى اتفقت على كورسات و مش هيبقى معايا فلوس على العموم كده كده مش فارقة أنا مش هروح"

-"ليه؟"

"معيش فلوس أعمل إيه يعني؟"

تطوع عمرو:"و هو الموضوع محتاج فلوس فى إيه؟ فلوس بترين رايح جاى يعني؟ اعتبرها عليا أنا"

أجاب رامي فى حرج :"مش حوار كده .. لسه هيبقى فيه فلوس كيف و خمرة"

طمأنه كريم :"لا مش مشكلة هكلملك"بارودى"أنا.. هـــو مبتفرقش معاه كاشات (فلوس) لما يكون هو إللى عامل الحفلة"

***

لم يحتج الأمر أن يكون"سيد"شديد الذكاء لكى يلاحظ ما لاحظه فى وظيفته الجديدة،

بعد أول يوم عمل لـــ"سيد"كبارمان فى"كباريـــه جـــوهرة بحرى"رأى حقائق و دلائل مؤكدة على أن هذا المكان قـــائم على النصب و السرقة و ليس على البغـــاء فقـــط،الراقـــصة المُسماة"دلال"مُحترفة فى استغلال السكارى يدفعون لها ثمـــن الفحشاء قبل أن ينتصر عليهم السُكر فلا يـــصلون معهـــا إلى السرير،بل لا يغادرون الكباريه من الأساس،ثانى ما لاحظه سيد هو اضطراب عقلى فى شخصية"دلال"هذه،ففى أول أيامه مـــن المكان طلبت منه"دلال"تقديم كوب من أفخر أنواع الخمـــور على حساب شخص لا وجـــود لـــه إلا فى عقلـــها ســـألها بحذر:"مدام دلال!! إنىِ متأكدة إنك لسه عايزة تسكرى؟"فما كان منها إلا أن صرخت و هبت فيه غاضبة،و آخر ما لاحظه هو وجود الفتاة التى تعمل"لبيسة"لدى دلال،فقيرة مثله،ملامح وجهها البرىء يؤكد أنها لا تنتمى إلى هذا النوع من الأمـــاكن عرف عن طريق الصدفة أن اسمها"فتحية"،و رغم تبادل نظرات

الإعجاب ما بينهما إلا أنه خشى أن يكلمها،خشى أن يقـــوم بأية خطوة حيالها أو حيال ما لاحظه،ردد داخل نفسه جملة قد اخترعها بعد طرده من إيستيميشن كافيه بسبب محاولته لتقديم المُساعدة للزبائن :"خليك فى حالك يا سيد ملكش دعوة بحد"

"خليك فى حالك يا سيد ملكش دعوة بحد"

"خليك فى حالك يا سيد"

"خليك فى حالك"

***

المُشكلة الوحيدة التى سوف تواجهها عندما تصعد ســـلالم عمارة كاملة على أضواء النور الصادر عن شاشة الموبايل هـــى الجروح الناتجة عن ذلك،فالبشر لم يخلقهم الله قـــادرين علـــى الرؤية فى الظلام،عندما تصر على هذا الفعل لن تسلم أبدا مـــن التريف،مهما ظننت أنك تتفهم طبيعة المكان و أنك حفظتـــها عن ظهر قلب و تأقلمت معها لن ينقضى الكثير مـــن الوقـــت حتى تصطدم بحائط ظننت أنه ليس أمامك،أصـــيب"مـــارك"فى فكه و"خالد"فى يده (نفس اليد المُصابة) و"نادر"فى رأسه،

و أخيرا وصلوا إلى السطح،و بدلا من أن يسألوا بعـــضهم عن جروحهم فتحوا موضـــوعا آخـــر تمامـــا لا علاقـــة لـــه بآلامهم،الحفلة التى سوف تقام فى فيللا البارودى فى العجمى،

وكان رأى نادر واضحا فى أى شيء يتضمن المُخدرات"إنتوا ماسمعتوش ريم دى بتقولكوا إيه ؟ سُكر و مُخدرات و بنات مش محترمة,يعنى رايحين وش (طبعا) يا معلم,أنا عن نفسى رايح,شوفوا إنتو نظامكو إيه بقى"قالها و قد اتسعت عيناه فى حماس زائد.

سأله مارك فى هدوء:"إيه"شوفوا إنتوا نظامكوا إيه"دى ؟ يعنى لو إحنا الاتنين مش رايحين هتروح لوحدك؟"

أصر نادر :"قولتلك أنا كده كده رايح,بيكو أو من غيركو,و لو طلبت، أيوه ممكن أروح لوحدى,حتى لو تصليح عربيتى مخلصش,عادى سوبر جيت معفن بعشرين جنيه هبقى هناك" قلب مارك الفكرة فى رأسه فعلق:"أنا على فكرة معنديش مانع برضه,هاتيجى يا خالد؟"

أجاب خالد فى قرف و هو مشغول بإعداد و فرد الحشيش:"لأ مفتكرش"

أردف نادر فى فراغ صبر:"يا خالد افهم.. دلوقتى هو إللى ليه فلوس عندنا,لو اتصاحبنا عليه و عرفنا نتجندله صح,ممكن مياخدش مننا حاجة و ينسى الموضوع كله"

تمسك خالد برأيه :"متزعلوش من كلامى يا جماعة بس أنا عن نفسى مقدرش أتجندل و أزل نفسى لحد زى البارودى ده؟

مش عارف أنا مستحقر الشخصية دى ليه؟، أنا إحتمال لو شوفتوا تانى أضربه أو حاجة,مبطقش البنى آدم ده,و بعدين إنتو شاغلين بالكم ليه؟ الحفلة دى قدام لها كتير أوى,هتبقى بعد التخرج و التخرج بعد إسبوعين من دلوقتى"

غمغم مارك:"مش عارف ليه حاسس إن الإسبوعين دول هيعدوا من غير ما نحس بيهم"و كان هذا هو أول توقع سابق لأوانه اتضح أنه صحيح إلى حد كبير.

لم يشعر أحد بالأسبوعين الباقيين على موعد حفلة التخرج لمدرسة"سان-مارك",لم تكن الحفلة مخيبة للآمال بالمرة,لافتة كبيرة مكتوب عليها بالعربية و بالفرنسية"حفلة تخرج سان مارك دفعة ٢٠٠٧",موسيقى صاخبة ..المكان مزدحم ..الكل يبحث عن مقاعده,نظرا لطبيعة إضاءة الحفلة المُوجهة بشكل أساسى إلى المسرح كان على كل الأهالى استخدام أضواء شاشة الهواتف الجوالة للبحث عن مقاعدهم,

و كان"نادر"قد تلقى مُكالمة هاتفية منذ أيام من"الأستاذ:--"مدير المدرسة,يطلب فيها ذلك الأخير منه أن يأتى بفرقته الموسيقية إلى الحفلة ليُحييها,و وافق بالطبع,أسعده ذلك للغاية,بل و ضحك بشدة عندما نبهه المدير"و خليها خفيفة بلاش شغل عبدة الشياطين بتاع فرقتك ده يا نادر",نفس

الطلب الذى يصيبه بالغضب عندما يقترحه عليه أى صـــاحب مكان يقيم فيه هو و فرقته الحفلات أضحكه الآن,فــلا تجـــده اليوم إلا مُرتبكا كثير الحركة يتأكد من وجـــود كـــل الآلات الموسيقية التى يحتاجها قبل بدأ العرض, و لكن أليس ذلك هـــو حالنا جميعاً فى حفلات تخرجنا ؟؟كلنا مُرتبكون,

و أكثر الناس ارتباكا يومها كانت والدة"مارك"أعادت على مسامعه للمرة الخمسين :"بص إحنا هنقعد هنا و لمـــا تاخـــد الشهادة بصيلنا علشان نعرف نصورك"

كانت قد غيرت مكانها لأكثر من ثلاث مـــرات بالفعـــل فأجاب"مارك"فى ملل :"ماشى ماشى أوكيه"

حضرت نيفين الحفلة بالطبع و حضر أهلها معها ليجلـــسوا مع أهل مارك بما أنهم أصدقاء من الكنيسة,

أتى"خالد"الذى كان الارتباك قد نال منه هو أيضا,ســـألهم بقلق :"محدش شاف شريف؟"

أجاب"مارك":"معرفش هو فين صحيح ؟ اتصل بيه خلليـــه ييجى بسرعة الحفلة قربت تبتدى"

ابتعد"خالد"عن الضوضاء ليتصل بأبيه و لكن لا رد مُرض,

رجع إلى الزحام وجد نادر يشتكى فى هاتفـــه الجـــوال إلى أحد أعضاء فرقته الذى تأخر فى الحضور:"يا عم و أنـــا مـــالى

دلوقتي,زحمة مش زحمة,دى حفلة تخرجـــى يـــا بـــنى إنـــت بتهزر,هاطلع أعزف إزاى أنا من غير درامز؟لو إنت مش قـــد الحوار ده قولت ليه إنك هتمسكه"

- طيب خلاص خلاص بس انجز بس.

لم يوشك أن يغلق الخط حتى سأله"خالد":"نادر!! و إنـــت جاى كده مشوفتش شريف؟"

-"شريف مين ؟ شريف أبوك؟"

-"أيوه، مشوفتوش؟"

-"لا، بس عربيته راكنة بره باين"

***

"إنتى بتتكلمى جد و لا بتهزرى؟"

نطق أو بمعنى أدق صاح"شريف الكفراوى"(والد خالد) فى تلك العبارة فى وجه زوجته,كانا قد دخلا بسيارتهما المدرســة بالفعل عندما فاجأته هى بأن هُناك من أخبرها بوجود علاقــة خفية ما بينه و بين عشيقة صغيرة السن فى القـــاهرة,بـــررت سؤالها و قد تسللت على أعينها الدموع:"و أنـــا أعمـــل إيـــه طيب؟ أنا واثقة فيك بس طبيعى النـــاس بتقعـــد تلعـــب فى دماغى؟".. زادت عصبيته الوقحة :"يعـــنى إيـــه بتلعـــب فى دماغك؟ متجننيش,إنتى لو قررتى إنك متـــصدقيش حاجـــة

محدش فى الدنيا يقدر يعمل حاجة يخليكى تصدقيها,و لو إنــتى جواكى عايزة تصدقى إنى بخونك و كل الناس بثبتلك العكس هتصدقى إللى إنتى عايزة تقنعى نفسك بيه"ثم اعتدل فى كرسيه ليستكمل وصلة التمثيل:"و بعدين عايز أفهم يعنى إيه النــاس بتلعب فى دماغك؟ و هى أى كلمة تتقال تصدقيها؟"

أجابت و قد أربكها صياحه :"لأ طبعاً، أنا آسفة يا شريف، خلاص؟".. استطرد شريف مرافعته:"لأ مش خلاص، أنا إللى خلانى أختارك من عشرين سنة,هو إنى حسيت إنك بتفهمــينى من غير ماتكلم,و بتعرفى أنا بفكر فى إيه من قبل مــا أفكــر فيه,تقومى دلوقتى تكدبينى أنا و تصدقى ناس متعرفيهومش ؟أنا كل يوم فى شغلى بشوف ناس بتتطلق,و عندى خبرة فى الأمور دى,هى دى شغلتى,و صدقينى لو أنا و إنتى مش فاهمين بعــض وإيدينالهم حتى و لو فرصة صغيرة,يلعبوا فى دماغنا يبقى الجوازة دى خلصت,انتهت"هدأ قليلا ليلتقط أنفاسه المتلاحقة قبــل أن يستكمل:"الجواز أو أى علاقة ما بين اتنين بتفشل أول ما حد من الاتنين بدل ما بيبقى واثق فى التانى مية فى المية بيبقى واثــق فيه تسعة و تسعين فى المية,و بعد كده والله العظيم الباقى بيبقى سهل أوى"

أجابت و قد هزمها البكاء:"طب أنا مطلوب منى أعمل إيه يا شريف؟أنا مرمية فى إسكندرية و إنــت تقريبــاً عــايش فى القاهرة .." .. عاد إلى عصبيته مرة أخرى:"طــب أنــا بقــى

مطلوب منى أعمل إيه أنا طيب ؟ ظروف شغلى كده,نص مرتبى جاى من وظيفة المستشار القانونى دى مينفعش أبقى المستشار القانونى بتاع شركة مقرها فى القاهرة و أقبض مرتب منهم و أنا قاعد فى إسكندرية,وأنا بحاول آجى على قد ماقدر و أبقى معاكو"

هدأ شريف بعض أن أفرغ غضبه المُزيف أشعل سيجارة وسألها فى غضب أقل من غضبه السابق :"دلوقتى ابننا قاعد جوه فى حفلة تخرجه و متوقع إن إحنا نكون موجودين جنبه,بس لو إنتى عايزانا نقعد هنا و نتخانق على حاجة موجودة فى خيالك بس أنا معنديش مانع"

و كان لكلامه مفعوله فلقد كان قديما فى اللعبة.

لا أجد أى تعليق أو وصف للمشهد السابق,سوى أننى لا أريد أن يسألنى أحد بعد أن حكيت ما حكيت عن سر نجاح"شريف"فى مهنة المُحاماة.

***

صعد مُدرس فوق خشبة المسرح لينظم الحفلة شفهيا"هو إحنا عارفين إن الأهالى كلها طبعا مش قادرة تصبر و تشوف ولادها بتستلم الشهادة,هو على العموم إحنا بس مستنيين كل الناس تقعد مكانها"و الناطق بتلك العبارة الأخيرة هو

الأستاذ"سعيد مايكل",مُعلم الرياضيات و الفيزيـــاء للثانويـــة العامة,فقد أثناء ظروف غامضة قدرته في نطق حرف الـــسين (ينطقه"ش") و فقد معها (فى نفس تلـــك الظـــروف) شـــفته العُلية,فى البداية يبدو الأمر غريبا,و لكن بعد أكثر من حـــصة تسمع فيها شرحه و تتعرف على شخصيته و مُميزاته تكتشف أن الأمر أغرب بكثير مما تظن,لماذا يصر على استخدام الحروف التى توضح لدغته دون الحروف أخرى تخفيها أو تخففها؟ (!!).

جلس"حُسام"بجانب"مارك"و"خالد"و"نادر"انتظارا لـــسماع أسمائهم لتسلم الشهادة,أحب أن يتجـــاذب معهـــم أطـــراف الحديث"إيه ده مين اللى بيتكلم ده؟ ده موسيو سعيد؟"

أجاب خالد الـــرافض للحـــديث معـــه مـــن الأســـاس بصرامة:"مش عارف مش شايف من عندى حاجة"

استكمل حُسام:"والله العظيم,الواحد كان قـــرب ينـــسى الشخصيات دى"

نظر حسام إلى خالد مُنتظرا الرد ليجد ذلك الأخير يـــتكلم مع نادر و مارك,متجاهلين وجوده تماما,لقد ظل طوال حياتـــه غير مرئى لقد مرت حياته المدرسية كلها دون أصدقاء تقريبـــا, وأُعلنت الآن بشكل رسمى الوفاة الاجتماعية للمدعو"حُـــسام بدر الدين صلاح"حسب التوقيت المحلّى لمدينة الإســـكندرية, "حُسام"الآن ليس أمامه إلا الإسكواش,هذا هو أمله الأخير.

على عكس أى متأخر يسعى إلى لفت أقل انتباه مُمكن عند دخوله.. ساعدت موهبة شريف فى الإقناع على حصوله هـــو زوجته على أفضل المقاعد رغم قدومهما بعد فوات الأوان,

و بعد أن جلسا هناك اقترب منهما رجل فى حوالى الأربعين من عمره,كان شريف مُنشغلا بتجربة آلة تصويره فلم يُلاحظ أن هذا الرجل هو"حامد الكفراوى"قريبه اللـــدود,و عـــدوه القريب.

"مُمكن كرسى بعد إذنك؟" قالها حامد بأدب غريـــب"آه أوى اتفضـــ.."قطعت زوجة شريف كلامها بنفسها عنـــدما فوجئت بهوية الرجل"إيه ده حامد إنت بتعمـــل إيـــه هِنـــا ؟" أجاب حامد :"ابن واحد صحبى هيتخرج النـــهاردة قولـــت آجى,إنتو عارفنى دايما صاحب واجب"أنهى وصلة المديح الذاتى ليسألهما:"و إنتو بقى بتعملوا إيه هِنا؟"

أجابه شريف بكره واضح : يعنى إنت عايز تفهمنى إنـــك مش عارف؟

-"مش عارف إيه؟"

-"مش عارف إن ابنى هنا فى المدرسة دى"

بدا تفاجؤ"حامد"مُبالغا فيه للغاية :"إيه ده إنتو إبنكـــوا فى المدرسة دى.. طب والله كويس دى حتى مدرسة نضيفة"توقف

عن الكلام و ضاقت عيناه ليستطرد و هو يُعبر عـــن دهـــشته لـــ"شريف":"أنا أعرف إن ابنك من الدفعة إللى اتخرجت,هـــو إزاى حفلة تخرجه السنة دى؟ هو عايد سنة ولا حاجة؟"

ازداد كره شريف ليسأل حامد فى ضجر:"إنت عايز حاجة مُعينة يا حامد؟لو على الكرسى إحنا مش عايزينوه علشان بعد إذنك يعنى أنا و مراتى عايزين نتفـــرج علـــى ابننـــا و هـــو بيتخرج,ده لو معندكش مانع"

-"إنت ليه متضايق مـــنى يـــا شـــريف ؟ ده أنـــا حـــتى مبسوطلك,إن ابنك فى مدرسة محترمة و كده,حاجة كويـــسة والله العظيم,على العموم متزعلش أوى كده,أنا هاخد الكرسى و أمشى أهو"

رحل حامد,و لم يرحل برحيله الغضب عن"شريف"الـــذى ظل يشكو لزوجته بعد رحيل ذلك الأخير :"أنا نفسى أشوف فين صاحبه إللى جاى بيقول عليه ده,كل الناس إللى فى الحفلة طالع عينها علشان تجيب تذاكر زيادة,شكله جاى مخـــصوص علشان ينكد عليا"

أجابته زوجته بحكمة:"خلاص بقى يا شريف شـــيلوه مـــن دماغك مش عايزين نبوظ فرحتنا"

***

على أنغام أغنية مُسلسل F.R.E.I.N.D.S. التلفيزيونى الشهير التى أدتها فرقة"نادر",رمى الخريجون قبعاتهم,صعد البعض على خشبة المسرح على سبيل التجاوب,عُرضت على شاشات ضخمة صور قديمة للتلاميذ,كانت الفرحة مرئية بالفعل,

و كأى شىء جميل ينتهى بسرعة انتهت الحفلة,المكان الذى كان مُزدحما منذ قليل أصبح الآن شبه خال من الحياة قبعات التخرج المُلقاة على الأرض تبدو و كأنها خوذات وقعت من على رؤوس جنود و بقايا معركة مُنتهية,يمكنك الآن أن ترى مُنسق الأغنيات (الدى.جى.) يعيد ترتيب أدواته و سماعاته الضخمة داخل سيارة نقل متوقفة,مُعظم التلاميذ رحلوا بالفعل عن المكان هُم و أهلهم,و المتبقون منهم فى طريقهم إلى الرحيل,انتظر"مارك"و"نيفين"انتهاء حديث"نادر"مع والديه,"إنت متأكد إنك مش عايزنا نوصلكوا حتة إنت وصحابك ؟"

سأل والد"نادر"من خلف عجلة القيادة,كان أهل نادر جميعا فى السيارة استعدادا للرحيل بينما ظل هو واقف خارجها و قد أدخل رأسه من نافذة مقعد السائق.

أجاب نادر:"لأ ، إحنا مش هنمشى دلوقتى أصلنا، أنا احتمال أبات عند مارك الليلة دى"

"ماشى,بس خللى موبايلك مشحون,معاك فلوس؟"

-"لأ مش كتير يعنى"

اقترح والد نادر:"ألف جنيه يكفوك؟"

و لم يكد"نادر"أن يعود إلى"نيفين"و"مارك"حتى فوجىء بذاك الأخير يشتكى :"إيه هو إحنا مش هنروح السينما ولا إيه؟"

أجاب نادر بلا مُبالاة:"يا جماعة أنا دايس معاكو,شوفوا خالد فين"

***

على عكس الجميع بقى"خالد"وأبوه"شريف"ليلتها داخل المدرسة نفسها,تركا الوالدة ترحل و وقفا أمام إحدى نوافذ مبنىَ المدرسة الأثرى المَبنِى على الطراز الكاثوليكى الأوروبى القديم,أخرج شريف من جيبه سيجارتين من النوع الكوبى,وضع واحدة فى فمه وأعطى الأخرى لابنه,لكل منا طريقته فى الاحتفال,و السيجار الكوبى الفخم هو طريقة"شريف"الذى أخرج ولاعته الثمينة المُرصعة بالذهب قبل أن يمنعه الهواء من إشعال السيجار,عندها أردف"خالد"مُداعباً :"إيه يا شريف ؟!,إللى مايعرفش يولع فى الهوا"

لم يعر شريف الكثير من الاهتمام لما قاله إبنه على غير عادته, لم يضحك, لم يقل أى شىء,كان مشغولا بأمر ما,

وأخيراً قرر شريف أن يفصح عما فى داخله لابنه :"أنـــا مـــش عايز أنكد عليك يا خالد بس أنا بقاللى كتير مستنى اليـــوم ده علشان أخد رأيك فى حاجة,إنت كنت و إنت صغير بتستغرب هو أنا ليه مبحبش أحكيلك عن أهلى,و كل إللى إنت عرفتـــه من مامتك و من عمامك إن جدك مات بعد ما إنت اتولـــدت بخمس سنين,و إن أمى ماتت و أنـــا أصـــغر منـــك بحـــوالى سنتين"سكت لبرهة من الزمن ليستكمل"بـــس إللـــى إنـــت متعرفوش و إللى أنا حاسس إنى عايزك تعرفوه,إن جدك مـــش بس مكنش أب مثالى,جدك مكانش أب أصلا,كان سُـــكرى وبتاع نسوان,و أنا فى إعدادى طلق أمى,و العيلتين قعدوا مـــع بعض حاولوا يرجعوه المية لمجاريها,بابا رجع عاش معانا تـــانى وأنا فى ثانوية عامة,و أمى ماتت لإنها كانت حامل و ليلة كده كان مبسوط شوية مد إيده عليها,فجالها نزيف فماتـــت هـــى وأخويا إللى فى بطنها,أبويا مطقش يقعد فى البيت تانى.. قـــام سابه بس المرة دى محدش شافه بعد كده,و جالنا نـــاس مـــن عيلته يهددونا,إن إللى حـــصل يـــوم مـــا أمـــى ماتـــت ده ميطلعش,كان من عيلة كبيرة أوى أبويا ده,بس كان عمـــك محمود بقى كان كبير ساعتها,اشتغل و محتاجناش لحد,طـــول الفترة دى من ساعة ما وفاة جدتك لحد ما مات مشفتوش غير مرة واحدة بس"

"إمتى ؟"

سأل"خالد"الذى لم يعتد أن يرى أبيه فى تلك الحالة.

أجابه شريف و هو يومىء برأسه و كأنه يريـــد أن يطـــرد الذكريات من عقله:"يوم ما إنت اتولدت,من كُتر ما هو كان ناسيني أنا وإخواتي,مميزتوش,مشفتوش بقاللى فترة,معرفتـــوش أول ما شوفته,بس فوجئت بيه واقف قدامى فى المستشفى"

-"و كان جاى عايز إيه ده؟"

-"كان جاى يطلب منى إنى أنسى كل حاجة عملها فيـــا وفأمى و فى أخواتى,و إنى كده كده مرتبى مش هيكفى و إنى هحتاج فلوسه علشان أعرف أربيك تربية محترمة,كان الطبيعى إنى,أوافق ظروفى ساعتها كانت تخليني ممكن ألجأ لأى حد,بس قولت له لأ,قولت له إنى مش عايز أشوف وشـــه تـــانى,و إن المولود اللى اتولد ده,مش هاحرمه من حاجة وهربيه أحـــسن تربية فى الدنيا,و بعديها بقى بفترة سمعت إنه مات,أبويا مـــات بس الكلمة إللى أنا إديتهاله حاولت أحافظ عليها علـــى قـــد ماقدر,و هو ده إللى كنت عايز آخد رأيك فيه؟"

غمغم خالد فى حيرة:"لأ مش فاهم، فى إيه بالظبط؟"

أوضح شريف أكثر:"إنت دلوقتى فى كلية و كبير و قـــادر إنك تُحكم,إنت شايف إنى أب كويس ..و إنى لمـــا قولـــت لأبويا كده كنت بكدب و هيس عليه وإنى كنت فعلا محتاجه يساعدنى,أنا كل أملى إنك تقوللى إن كنت أب عادى حتى"

أجاب خالد:"بابا إنت مينفعش تكون أب عادى حتى لو حاولت,إنت أحسن أب أى واحد فى سنى ممكن يكون ابنه,أنا ساعات بجى حاجات على صحابى و آجى أحكيهالك,متسبش نفسك تشك حتى فى حاجة زى كده,أنا إللى مفروض أقلق إن كنت أستحق أبقى ابنك و لا لأ"

شريف:بجد؟

خالد:طبعا بجد.

ضحك شريف و هو يمسح دموعه التى لا يدرى متى تسللت إلى عينيه:"لأ عرفت تاكل أبوك يا ولا,هاهااها,أمال صحابك راحوا فين؟..أنا مش شايفهم يعنى"

الفصل الثانى عشر

الوقت بيعدى,هتنزل بأنهو ورقة؟؟؟

فى خضم الأحداث و فى خلال الأسابيع التى مـــرت منـــذ حفلة التخرج,اســـتطاع خالـــد فى نقطـــة مـــا أن يحـــصل على"ريم"كمُرافقة و"صاحبة",من يرى خالد منذ أسابيع و هو يعتصر عقله جاهدا لكى ينال رضاها لن يصدق عينه عنـــدما يراه الآن يوبخها و يتشاجر معها وكأنها هى التى فرضت نفسها عليه من البداية,يبدو أنها طبيعة فى النفس البشرية,ننسى القيمة الحقيقية للشىء عندما يصبح فى أيدينا,

"ما هو إنت أكيد عملتِ حاجة خلتنى مش طايقك كده,ما أنا مش مجنون أصلى,و لا إنتِ شايفة إيه يعنى؟"

كان معها فى أحد مطاعم النادى اليونانى عنـــدما أوضـــح مستعينا بتلك العبارة الأخيرة عن غضبه منها,

"إنت بتتكلم عن إيه يا خالد ؟"سألته هى فى حيرة.

أرجع رأسه إلى الـــوراء لـــيردف فى ســـخرية:"آ ه ه ه,ده استهبال بقى"

تبدلت حيرة ريم بغضب صارم :"ممكن تكلمـــنى بـــاحترام شوية!,منيش عيلة صغيرة قاعدة قدامك"

عادت إليه عصبيته غير المعروفة السبب :"لما إنتى مش عيلـــة صغيرة قاعدة قدامى,أمال كل تـــصرفاتك تـــصرفات عيـــال ليه؟مش أنا كنت قولتلك مليون مرة بلاش تخرجى مـــع يـــارا دى؟"

أجابت معترضة:"إشمعنى مارك بيخرج معاها عادى؟"

انخفض صوته و هو يغمغم :"إنتى عمرك ما شوفتى مـــارك بيخرج معاها,و بعدين ده وضـــع تـــانى خـــالص,مـــتغيريش الموضوع"

-"أنا مش فاهمة البنت دى عملتلك إيه يعنى ؟"

-"ماعملتليش أنا حاجة,عملت لنفسها,سُمعتها زبالـــة فى كل حتة,و كل الناس بتقول كده,ونفس الناس دول يوم مـــا هيشوفوكى معاها هيقولوه إن إنـــتى زيهـــا,ده إن مكـــانوش أولريدى قالوه,و بعدين لو إنت مكنتيش موافقة لما قولتليـــك متخرجيش معاها,مقولتليش ليه ((أنا مش مقتنعة بكلامك يـــا خالد علشان كذا و كذا و كذا))؟!,و لا كـــنتى بتـــسكتينى يعنى؟بتدخللى كلامى من ناحية وتطلعيه من ناحية,علـــشان فى الآخر تعملى إللى فى دماغك"

بررت و قد حاولت أن تحافظ هى على هدوءها :"بصراحة مفكرتش فى كل ده,حصل إن هى صاحبة بنت عمى,و أنـــا

كنت خارجة مع قريبتى عـادى جـداً,و لقيـت يـارا دى معاها,كنت عايزنى أعمل إيه مثلا ؟أقولها معلش يا يارا خـدى تاكسى و روحى علشان صاحبى قاللى مخرجش معاكى ؟"

لم ينجح هدوؤها فى جعله يلاحظ علو صوته فاسـتطرد"فى حل أسهل,إن إنتى متروحيش الخروجة دى أصلا"

قالها ليغمغم متهكماً:"ده إذا كان فارق معاكى رأيى يعنى"

إزداد سأم ريم من سلوكه فأضافت بهـدوء لم يخـل مـن الغضب:"أولا وطى صوتك,ثانياً إنت عارف كويس إنى فارق معايا رأيك,أنا بس مكنتش فاكرة إن الموضوع فـارق معـاك للدرجة دى"

نجحت محاولتـها المدروسـة فى تهدئتـه :"خـلاص أنـا آسف,ممكن علشان منتكلمش فى الموضوع ده تانى نتفق علـى حاجة؟

وماتسألنيش عن أسباب"

أومأت برأسها :"أوكيه مش هسألك"

أصدر خالد فرمانه:"فى اتنين أنا مش موافق إنك تقعـدى معاهم من غيرى و لو قابلتيهم علاقتك بيهم متعـديش إنـك تسلمى عليهم,يارا و نادر"

لم تستطع أن تخفى دهشتها :"نادر؟نادر صاحبك ؟.. ليه؟"

-:"أنا لسه قايل إيه أنا؟"

-"أوكيه خلاص مش هسأل"

صمتت للحظة إضافية قبل أن تسأله فى روتينية:"إنت طلبت الحساب مش كده؟"

أجابها فى لا مُبالاة:"آه معرفش إتأخروا ليه؟"

-"طب أنا هروح الحمام و جاية تانى"

جلس وحيدا لثوان قبل أن يأتيه الجرسون ليهمس فى أذنه فى قلق :"حضرتك فى مشكلة,الفيزا كارت إللى إدتهانى مش شغالة"

-"إزاى الكلام ده ؟ مستحيل أنا لسه شارى بيها حاجات النهاردة,معلش ممكن تجربوها تانى؟"

غمغم الجرسون فى يأس واضح:"ماشى ممكن تكون خطوط البنك مشغولة و لا حاجة بس مفتكرش يعنى"

قالها النادل قبل أن يرحل ليترك خالد هذه المرة مع قلقه وإحراجه,لم يكن خالد يحب أن يقع فى مواقف كتلك,إتصل بأصدقائه المقربين,عسى أن يكون أحدهم مارا بالقرب من المطعم فينجده مما هو فيه من منظر غير لائق أمام"ريم",اتصل

بنادر وجده مشغولاً,اتصل بعدها بمارك لتحده بعدها يغمغم فى سخط:"و هو ده وقت قفل موبايلات يا مارك ده إيه الحظ ده؟"

بعد مدة قصيرة، اقترب الجرسون مرة أخرى,أوضح له نادر فى إرتباك:"بص دى حاجة بصراحة أنا مكنونتش عامل حسابها"إبتسم الجرسون فى دبلوماسية:"خلاص يا فندم مفيش مشكلة صاحبك إللى قاعد هناك دفع الحساب"

سأله خالد فى دهشة:"صاحبى مين؟!!"

***

و محمد البارودى الذى لقبه أصدقاءه بلقب"ديكتاتور الخمور"(على سبيل المزاح) شأنه شأن أى ديكتاتور آخر, وعلى قدر ما يبدو هذا سخيفا إلا أن ديكتاتور جلسات الحشيش هذا يمتلك نفس نقاط ضعف و قوة أى ديكتاتور سياسى فى أى مكان فى العالم,يتبع نفس السياسات القمعية,علمته الحياة أن الناس قد اختلفت و تأخرت فى و إلى الصلاة و اجتمعت و أسرعت على الخمور,لاحظ أن مسلمى و نصارى و يهود الأرض قد اختلفوا على اسم الله إن كان يسوعا أم رب موسى أم رب محمد و لم يختلفوا على هوية الشيطان,الجميع يؤمن بأنه إبليس,فقرر البارودى أن إرضاء كل الصالحين مُستحيل فلكل منهم دينه و مذهبه,وجد أن إرضاء

العاصين و الساعين وراء الخمور و الشهوات أسـهل بكـثير, دعوني أوضح أكثر الصفات المُشتركة ما بين ذلك الفتى الـذى أسماه والداه عند ولادته بمحمد و بين أى حاكم تعلـم منـذ نعومة أظفاره أن يرى نفسه ظلاً لله فى الأرض,بين هذا المدعو البـارودى و بـين الـصفات الأساسـية فى أى حـاكم عسكرى,البارودى ذكي للغاية يعلم كيف يُفرق بـين النـاس ليسود هو وحده,و لعل هذه هى الإجابة الوحيدة للسؤال الذى لم يتوقف"مارك"و"خالد"و"نادر"و"نيفن"للتفكير فيه مليا,لماذا لم يلحق ضرر البارودى بـــ"نـيفين"و"مـارك"؟هـذا لأنهـم مسيحيون,أو بمعنى أدق لأنهم أقلية تجمعهم كنيسة و مناسبات لا تشمل الآخرين,و الأقلية فى أى مجموعة تصحبها علامـات الاستفهام,الأقلية فى كل مكان فى العالم مـشكوك فى وفائهـا وإخلاصها لأهداف الأغلبية,ما بين الفتاة الوحيدة فى المجموعة التى لا تـصحب بقيتـهم بـالطبع إلى جلـسات الحـشيش و"مارك"الذى لم يشرب حتى السجائر إلا قريبا جدا,الاثنان لا يـشاركان الأغلبيـة فى الاهتمامـات و المعاصـى وهجـر الصلوات,ضرب ضربته بعد كثير من الترتيب كانت خطتـه أن يظل خالد و نادر أن مارك و نيفين على معرفة سابقة به أو بمصلحة خفيـة معـه و أن يُرجعـوا إلى ذلـك إلى عـدم تعرض"مارك"للـ"بارودى"فى إيستيميشن كافيه أو عدم تعرض البارودى لنيفين و مارك بعدها,و لكن هذا لم يحدث,انتظـر و انتظر,وجد أنهم بعثوا إليه بـ"مـارك"نفـسه,وحيـدا دون

مُراقب,أيثقون فى بعضهم لتلك الدرجة ؟كانت صدمة حضارية بحق للبارودى, لم يُكن يعلم أن العالم ما زال يحتوى على هـــذا النوع من الصداقة,و ظن أنها حتى إن كانت موجـــودة فإنهـــا ستظل حكرا على أصحاب الدين و الجنس الواحــد,تملكــه الفضول بدلا من الغضب وسيطر عليه الاحتــرام أكثــر مـــن الدهشة,و البارودى لم يعتد أن يحترم أحدا غير نفسه,لـــذلك دعاهم إلى حضور تلك الحفلة,ليعطيهم الفرصة ليقعـــوا مـــن نظره,أن يعيدوا إليه إيمانه بمبادئه,

على عكس الديكتاتوريين المعروفين لنا, لم يكن البـــارودى مُهتما بترع أية حريات من أى شخص كان,بل البارودى هـــو أحرص البشر على حصولك على حريتك و لكنه أحرصـــهم كذلك على أن تُخطىء استخدامها,كلما وجد أن عرشـــه فى خطر وزع المسرات و المُسكرات على شعبه بلا مُقابل,فلذلك كان لابد من حفلة جديدة من حفلات البارودى.

***

بعد مدة قصيرة، اقترب الجرسون مرة أخرى,أوضح له نادر فى ارتباك:"بص دى حاجة بصراحة أنـــا مكـــونتش عامـــل حسابها"ابتسم الجرسون فى دبلوماسية:"خلاص يا فندم مافيش مشكلة صاحبك إللى قاعد هناك دفع الحساب"

سأله خالد داهشا:"صاحبى مين؟!!"

لم يكد ينهى سؤاله حتى لمح البارودى ينظر إليه من بعيد مُبتسما,لا يدرى خالد بصدق من أين ظهر البارودى أو ما الذى أتى به إلى مكان راق كهذا,و لكن استفهامات خالد لا تمنع الأمر الواقع بأن البارودى موجود معه بالفعل فى نفس المطعم,ها هو جالس مع رجل فى سن الخمسين و امرأة لا تتعدى الثلاثينيات من عمرها.. اتضح فيما بعد أن هؤلاء هم والده و زوجة والده الجديدة,لم يجد خالد من نفسه سوى أن يبتسم للبارودى ابتسامة صفراء,عادت ريم من الحمام لتسأل خالد فى ملل عن السبب الذى يمنعهما من الرحيل,أجاب خالد و نظره ما زال مُعلقاً على البارودى: ثانية واحدة هسلم على واحد صاحبى و راجع تانى على طول.

-"ماشى بس بسرعة علشان كده أنا اتأخرت"

اتجه خالد إلى البارودى ليقوم ذلك الأخير مُبتعدا عن أبيه وزوجته و ليدور الحوار الآتى و الذى بدأه خالد:"إيه إنت بتعمل إيه هنا؟"

-"ولا حاجة أبويا و مرات أبويا مسافرين بكرة,فقولت أتغدى معاهم"

"مرسيه (..شكرا) أوى على الحركة دى يا معلم,أنا مش عارف أقولك إيه بصراحة"

أردف محمد مُبتسما:"لا يا حبيبى مانت هترجعهم,فى الحفلة"

أجابه خالد فى حيرة مُصطنعة:"حفلة إيه ؟ آه الحفلة,تصدق كنت ناسى خالص؟"

-"إيه هو إنت مش ناوى تيجى ولا إيه؟"

أجاب خالد باضطراب: لا لا,إزاى بس؟ أكيد هاجى طبعا أكيد"

***

هناك فرق طفيف ما بين الكـــذب و مـــا بـــين إخفـــاء الحقـــائق,المحـــامون يـــدركون هـــذا الفـــرق و يجيـــدون استخدامه,و"أدهم" لم يكذب على"أحمد شمس"فى أى شىء كل ما فعله هو إخفاء حقيقـــة عملـــه الـــسابق لـــدى"شـــريف الكفراوى", لم يُحبذ أن يعلم"أحمد"بواقع أن محاميه هـــو مجـــرد متدرب سابق لدى محامى الخصم فى قضية حضانة ابنه,و الحق يقال أن آخر ما توقعه أدهم هو وصول"أحمد شمس"إلى تلـــك الحقيقة بمفرده,و ظلت خطة أدهم ناجحـــة فى إبقـــاء"أحمـــد شمس"على عماه لأسابيع بعد تولى أدهم للقضية,حتى أتى ذلك اليوم عندما فوجىء"أدهم"بضوضاء صادرة من حجرة الانتظار تخترق الهدوء الذى كان يتمتع به فى مكتبه,و صوت السكرتيرة و قد اقتربت نبرة صوتها من الـــصراخ :"مايـــصحش كـــده حضرتك,لما تخش بالطريقة دي هاتجيلى أنـــا مـــشاكل"مـــن

الواضح أنها عملية إقتحام غاضب,فتح باب مكتبه ليجد أن هذا المُقتحم هو"أحمد شمس"و قد سيطر عليه غضب غير مفهوم,التفت أدهم للسكرتيرة :"خلاص خلاص,روحى إنتى دلوقتى أعمليلنا اتنين ليمون"

دخل أحمد إلى المكان التقط أنفاسه المتلاحقة على أثر العصبية ليسأل أدهم بغضب :"إنت ليه مقولتليش من الأول إن المحامى إللى إنت كنت شغال فى مكتبه ده هو شريف كفراوى؟"

و رغم أن أدهم كان قد توقع السؤال إلى حد ما إلا أنه لم ينجح فى إخفاء إرتباكه,هز كتفيه و غمغم :"عادى مجاتش مناسبة؟"؟

ازداد غضب أحمد لا إراديا:"مجاتش مناسبة؟ إنت شغلتك كمحامى إنك تقوللى الحقيقة مش إنك تضحك عليا"ساد الصمت لفترة قبل أن يستكمل أحمد بعصبية أقل"أدهم إنت عارف مين المحامى بتاع مروة؟"

أردف أدهم بصوت منخفض:"عارف,هو شريف (زفت) الكفراوى"ساد الصمت مرة أخرى قبل أن يتملك الغضب فجأة من"أدهم"هذه المرة:"و فيها إيه يعنى هو إن أنا كنت بشتغل فى مكتبه؟ هى دى حاجة فى مصلحتنا ولا فى مصلحته؟نص قضايا الطلاق إللى كانت فى المكتب كنت أنا

إللى شايلهاله لوحدى,و حتى القضايا إللى كـــان هـــو إللـــى بيرفعها مفيش حد عارف هو بيفكر إزاى و نقط ضعفه كلـــها غيرى أنا المُحامى الوحيد إللى فاهم"شريف الكفراوى"بيفكـــر إزاى",

نظر إليه أحمد فى تردد,كان يفكر فى منطقه على ما يبـــدو, وقبل أن يعلن ذلك الأخير عن ثمار تفكيره,قاطعتهم السكرتيرة بكوبين من الليمون,و استغل"أدهـــم"هـــذا الهـــدوء المؤقـــت ليستكمل هو :"لأ بس إنت يا أحمد قولت حاجة صح فعلا أنا شغلتى كمحامى إنى أجيبلك حقك مش إنى أضحك عليك,فى حاجة عايز إنى أقولهالك,احتمالات إنك تكسب مش كتير زى ما أنت فاكر,خمسين فى المية"

سأله أحمد و قد صدمه الواقع:"أنا حكيتلك إللى حصل"؟

أجاب أدهم فى مزيج من الأسف و التعجب:"اللى حـــصل ده انا أعمل بيه إيه؟حاجة زى دى أنـــا مقـــدرش أقولهـــا فى المحكمة,الحالات إللى زى دى يا إما تثبتها فى محضر يـــا إمـــا ماتجيبش سيرتها خالص"

***

سطعت الأنوار الصادرة من فيللا البـــارودى فى العجمـــى البيطاش بشدة تلك الليلة,سطعت مُصاحبة بموسيقى ضوضائية

غاشمة,كان من الممكن أن يقيم الحفلة فى فيلته فى مارينا و لكنه وجد ذلك من غير المُناسب و غير المطلوب,فإذا أقامها فى مارينا فسيكون بذلك قد أقامها لسكانها الذين يمتلكــون تــصاريح الــــدخول إلى هنـــاك فــستفقد بــسذلك الحفلـــة معناها,حفلات"البارودى"هى منفذه الأوحد من تقاليد المجتمع الطبقى البغيضة إلى قلبه,هى فرصته الأولى و الأخيرة لممارســة سلطاته,البارودى هنا هو صاحب المكان,صــاحب الكلمــة الأخيرة و هو الملك و النجم الأوحد,البارودى هنا هو أحــد شياطين الإنس فى أحد الأماكن الــتى يرغــب فيهــا النــاس بالمعصية,عندما ترتفع فيها صوت الموسيقى الــصاخبة يــصبح الفرق معدوما ما بين أغنى الراقصين و أفقرهم,عنــدما تُرتجــع الخمور يصبح المزيد منها هو هدف الجميع بداية من أكثر الناس التزاما و تزمتا إلى أقلهم حياء و بداية من أكثر الناس حيلة إلى أكثر الناس مسكنة,و يُصبح أعلاهم سُلطة هو من يمتلك الخمر كله,فتجد حينها السكارى يتوددون إلى محمد البارودى بمنتهى الحُب و الاحترام,,حفلات البارودى و إن لم تحتو على الكثير من الفقراء فإنها ليست للأغنياء كذلك,يمكنك أن ترى ذلــك بسهولة إذا تأملت فى أنواع السيارات المركونة خارج أســوار الفيللا ستجدها مزيجا غريبا ما بين أحقر السيارات من نــوع ال١٢٨ و ال١٢٧ وأفخم سيارات المرسيدس و أكثر سيارات

البى.إم. دبليو انتشارا و شعبية,حفلات البارودى هى الـــشهوة بعينها لا فرق فيها ما بين مُسلم و مسيحى,فحتى تأتى لحظـــة خروجهم من المكان كلهم عاصين,خمور حفلات البارودى هى الماء التى تطفىء وهج الأغنياء و الـــصالحين ليـــسود الظـــلام ويصبح البارودى هو النجم الساطع الأوحد بلا مُنازع,

ليست مُجرد حفلات ترفيهية بل عدها الكـــثيرون حـــدثا اجتماعيا فى حد ذاتها,تم تأجيل الكثير من المُشاجرات انتظـــارا لحفلة البارودى القادمة التى سيصدر فيها ذلك الأخير حكمـــه النهائى,بسبب حفلاته المُتتالية أصبح ذا رأى مهم و رؤية تُحترم بعد أن عده الكثيرون دخيلا على طبقة الأغنياء, نزل البارودى من حجرة نومه كان قد ترك لأصدقائه المُقربين مُهمة الترتيـــب للحفلة و التنظيم لها,و لكنه وجد عند نزولـــه مـــا لا يـــسر نظره,وجد الأغنياء فى مكان و الفقراء فى آخر كل منـــهما فى مكان,وجـــد خريجـــى المدرســـة الواحـــدة لا يُجالـــسون الأخرى,حلبة الرقص خالية رغم صوت الموسيقى,كان هُنـــاك شىء غير موجود,هناك لون ما لا تكتمل اللوحة إلا به :"هـــو إنت يعنى لازم حد يقولك علشان تروح تجيـــب خمرة؟أمـــال الناس دى كلها هتشرب إيه؟"صاح البارودى موبخا فى وجـــه أحد أصدقائه بتلك العبارة ..

أجاب الصديق مُعتذرً:"أنا عامل حـــسابى إن إنـــت إللـــى هاتجيب,هو فى حد فاتح دلوقتى أساسا؟"

لم يجب البارودى بالكلام بل أصدر على الفور فرمانه:"روح عند درينكيز و متتفعلوش حاجة قولوه أنا تبع محمد البارودى,خليها خمسة و عشرين قزازة فودكا و يا ريت"

قطع كلامه بنفسه عندما رأى قدوم"مارك"و"خالد"

أنهى حديثه مع الصديق بلهفة لكى يرسم على وجهه ابتسامة ترحيب,اتجه إليهم,فاتجهوا بدورهم إليه هربا من هيبة المكان الجديد عليهم,

"عامل إيه يا محمد!، أنا و الله ما كنت ناوى آجى خالص بس مرديتش أزعلك"قالها خالد فى شبه عدم ارتياح غير معروف إن كان من الشخص أم المكان أم الموقف ككل.

"أمال فين نادر؟"سأل محمد البارودى.

أجابه مارك:"المفروض إنه هيجيلنا على هنا"

أومأ محمد برأسه قبل أن يغمغم :"على العموم كويس إن إنتو جيتوا بدرى"

سأله خالد : إشمعنى يعنى؟

- هتفهم دلوقتى.

قالها محمد قبل أن يدخل بهما إلى داخل الفيللا و يقترب من أحد أصدقائه (صديق آخر غير الأول) ليوضح له:"فى واحد

جاى دلوقتى اسمه نادر شعره طويل كده"ثم التفت ليسألهما"هو لابس إيه؟"

أجابه خالد و هو مازال فى حيرته :"لابس جاكت بيج وتى شيرت أزرق"

استكمل محمد لصديقه الغامض :"لابس زى ما قالك كده,يا ريت أول لما ييجى تطلعهولى للأوضة فوق"

أجاب الصديق ساخرا:"أطلعهولك على الأوضة فوق؟ ها ها مكنتش فاكرك كده"

-"اخلص يا ظريف"

-"حاضر حاضر"

تركوا الصديق ليصعد الاثنان مع محمد درجات السلم,فتح باب إحدى الحُجرات,و قبل أن يروا أى شىء من خلال الباب المفتوح هجمت عليهم سحابة ضخمة من دخان الحشيش,دخان ثقيل ناعم و لذيذ,شيئا فشيئا اتضحت الرؤية,الواضح أن الحجرة هى غرفة قيادة العمليات لتلك الحفلة,جهاز الحاسب الآلى الذى يصدر منه الموسيقى التى يرقص عليها الجميع بالأسفل موجود فى تلك الغرفة,صناديق من الخمور الفارغة و الممتلئة و الثمينة و الحقيرة تملأ

المكان,تُرب (أرباع كيلو) كاملة من الحشيش,مخـزون هائـل وضخم من أوراق البفرة و الحبوب المهلوسة و الهيروين,هـذه هى غرفة الملذات إذا كنت من محبى الخمور فإن رؤيـة تلـك الغرفة ستكون بمثابة رؤيا جزء من الجنـة بالنـسبة لـشخص مثلك,كل هذا كان وصف الغرفة,و لكـن الغرفـة لم تكـن خالية,هناك أشخاص,فإذا سلمنا أن المكان هو مجلس قيادة ثورة السكارى فبالتأكيد قاطنوه هم المقربـون لـدى الـديكتاتور الأصلى,و لك أن تتخيل حالهم دون وصف,هـم بالتأكيـد أنصاف مخمورين,شبه متيقظين شبه نائمين,من الوهلـة الأولى يبدو أكثرهم اتزانا هو"كريم"يصل إليك ذلك الانطباع بسبب قلة حركته التى توحى لك بالحكمة إلا أنك إذا دققت النظـر فستجد أنه شبه نائم,قلة حركته ليست اختيار منه بل هو الخمر اللعين الذى أشل خلايا جسده,ثم يأتى"رامى"الذى ترك كـل شى ء ليجلس أمام جهاز الحاسب الآلى لينسق و يختار الأغانى الـتى يـرقص عليهـا رواد هـذا الحفـل و محبـو هـذا الزار,و"عمرو"الذى اقترب من النافذة بحثا عن الهواء النظيف,و أخيرا و ليس آخرا"هانى",و لا تدع هدوء هانى يخدعك,هـانى هو أكثرهم ذكاء,إذا كان"محمد البارودى"هو ملك الـشطرنج فـ"هانى"هو الوزير,هو الأقدر على الحركة و المُراوغـة,هـو الذى إذا قُضى عليه أصبح موت الملك بعده مسألة وقـت,إذا

كان"محمد البارودى"هو الحاكم الديكتاتور لدولة الـــسكارى فإن"هانى"هو مستشار الملك الأول أو بمعنى أدق هو الذى يحكم الدولة"من تحت لتحت",هو الذى يحكم عقل البارودى فبالتالى يحكم الدولة بشكل غير مُباشر و دون أن يظهر فى الصورة,فلا تدع هدوءه يخدعك إنما هى حكمة منه,و كان ذلك أول لقاء رسمى ما بين أصدقاء"مارك"و أصدقاء"محمد البارودى",جلـــس الجميع على نفس المنضدة,تنفسوا نفس الأكسجين الممـــزوج بدخان الحشيش,سلموا على بعضهم البعض,فهل يُعـــد هـــذا تمهيدا لأن يتحولوا إلى كيان واحد؟

***

لم تكد"مى"اليوم تهنأ بليلتها الهادئة بعد يوم طويـــل مـــن العمل,حتى أتتها مكالمة هاتفية من"أحمد شمس"أبلغها فيها أنـــه يريد أن يراها (ضرورى جدا), لم تنكر أن الفضول قد تملكهـــا و لم يفارقها حتى قابلته,سألته عما حدث,و أكدت له أن كـــل شىء فى الشركة كان على ما يرام عند مُغادرتها.

"هو يعنى لازم يكون فى حاجة فى الشغل علشان أشوقك؟ عادى حسيت إن أنا مضايق,حبيت أقعد معاكى شوية"أكد هو مندهشا من قلقها,كان هادئا للغاية هذه المرة,مـــن الواضـــح وجود فكرة مُحبطة تفتك به,سألته :"هو إنت كان ميعادك مع المحامى بتاعك النهاردة؟"

أومأ برأسه مهموما فأستفسرت هى :"و قالك إيه ؟"

أجاب و قد زاد حزنه :"مبلاش نتكلم فى السيرة دى"

هزت كتفيها و سألته :"أمال عايزنا نتكلم عن إيه؟"

ابتسم ابتسامة خفيفة و هو يقترح فى خجل:"عنك إنتِ"

***

نحن كعرب يعتنق أغلبنا إما الديانة الإسلامية أو المسيحية لا تحتوى فطرتنا على الكره,بالطبع نكره من حين إلى آخر فنحن بشر فى النهاية و لكننا لا نعتاد على الكره أبدا,الكره بالنسبة إلينا حل مؤقت و عاطفة وقتية تنتهى بانتهاء الحروب,مُكتسبة من ظروف الحياة و ليس حق من حقوق الولادة,قدرتنا على الكره متواضعة للغاية فنحن غير موهوبون فيه بالفطرة,رصيدنا منه لا يكفى أن نكره عدوين فى وقت واحد,نحن كعرب نقضى حياتنا كلها فى الخوف من أنفسنا,نحن كعرب نقضى معظم أوقاتنا فى الخوف من العرب الآخرين وكره الجنسيات الأخرى بدلا من أن نقضيه فى الخوف من الكيان الصهيونى,حتى داخل الشعب الدولة الواحدة تجد أهل الشمال فيها يسخرون من أهل الجنوب و تجد داخل المدينة الواحدة أصحاب الديانات المُختلفة يعلنون عن اشمئزازهم من جيرانهم ذوى الديانات الأخرى,و داخل الدين الواحد تجد من يعلن بلا

حياء عدم احترامه لأى مذهب أخر مخالف لرأيه,انقسامات داخلها انقسامات أصغر و أكثر و أدق,دوائر مُحكمة من الاضطهاد الديني و الجنسي و العرقي و المذهبي,عندما ننتهي من كل ذلك لا يتبقى عندنا ما يكفي من البغض للحكام الديكتاتوريين و المُحتلين الأجانب, فالكره شأنه شأن الحب شأن أي عاطفة تنفذ مع مرور الوقت,و أعداؤنا يدركون ذلك,و لذلك تفشل القمم العربية قبل حتى أن تبدأ, و لكن ليس تلك القمة,ليس هذه المرة.

ساد جو من الاطمئنان عندما جلس"مارك"و"خالد"مع أصدقاء البارودي,فجأة اصطدموا بالحقيقة الهزلية أن هؤلاء الأعداء الذين يهربون منهم يشبهوهم إلى حد كبير..تقريبا فى كل شيء,لم يقاوم أي من الجالسين نوبة الضحك الهيستيرية التي إنتابتهم عندما اكتشفوا أن"رامى"و"مارك"قد قضوا آخر سنتين من عمرهما يخشون بعضهم,كل منهما يتعاطى الحشيش فى بيته وراء بابه المُغلق فى نفس البناية وقد خاف كل من الاثنين أن يكشف الآخر أمره,الكثير من الضحك سيطر على الجلسة حتى هاني الذى أخذ عنه الجميع انطباعا يوحى بثقل الظل نجح فى أن يوقع بذلك الايحاء عندما بدأ يشكو من مشاكله الدراسية و اقترح نادر عليه أن يأخذ كورسا إضافيا فى المادة فأجاب ذلك هاني ضاحكا :"أنا لو روحت لأبويا وقولت له أنا عايز آخد كورس تاني هايقوللي كورس أمك",

و زاد الضحك عندما أتى عمرو سلامة ليتعرف بنادر هذه المرة دون أي ضغوط عائلية,و لسخرية القدر كان نادر يرتدى على سبيل المُصادفة القميص الذى استعاره من عمـــرو فى زيارتـــه الأخيرة بدلا من ذلك الذى أفسده البُصاق غير المقصود, تلقى أثناء ذلك"خالد"مكالمات هاتفية غير مرغوب فيها من"ريم",رد على إحدى تلك المكالمات فى حنق فأتاه صوتها من الـــسماعة :"أيوه يا خالد,كنت عايزة أتكلم معاك شوية" -"مش وقتـــه خالص أنا قاعد مع ناس,هاتصل بيكى كمان تلات ســـاعات كده,ماشى؟ سلام"

ازداد غضبها :"بقولك فى حاجة تعبانى تقوللى ســـلام,فى حاجة حصلت,مامتى تعبت و نقلوها المُستشفى,ألو ألو".

لم يأتها أى رد,إلا صوت صفارة تخبرها بأنه قد أغلق هاتفه بالفعل, أعاد الهاتف إلى جيبه ليعود إلى الجلـــسة,و رغـــم أن جرس هاتفه لم يتوقف بعد تلك المكالمة أن يعلن عن مكالمـــات جديدة صادرة من ريم,تجاهل خالد الأمر تماما,بغض النظر عن صعوبة التحـــدث إلى ريم أمـــام صـــديقها الـــسابق"محمـــد البارودى",كان لتفادى خالد لريم أسباب أخرى غـــير ذلـــك الأخير,كان مستمتعا بالفعل الجلسة لا يريد أن ينهيها ولا يريد أن يفوته منها شيء,كانت مُمتعة بالفعل,و كأنه كـــان مـــن المكتوب لهما أن يتفاهموا,و لم لا ؟ كيف لا يتفـــاهم عمـــرو سلامة الشاعر مع الموسيقى نادر,كيف لا يتفاهم مارك القبطى

الحكيم مع هانى المسيحى الماكر و محمد البارودى اللئيم مع رامى جاره فى العمارة,كيف لا يتفاهم خالد المُندفع مع كريم المُتسرع فى غضبه ؟كل ما كانوا يحتاجونه هو فرصة أفضل للحوار معلومات أكثر عن الآخر ليكتشفوا أنهم يهربون من قرنائهم,كانوا يحتاجون إلى لقاء يجمعهم فيه ما يثير اهتمامهم,هذه المرة كان الحشيش,هذه المرة كان هروبهم إليه من هموم مشتركة و متشابهة,

أصبحوا بعدها أصدقاء بمعنى الكلمة خرجوا برفقة بعضهم أكثر من مرة,و لكن هل سيستمر الوضع على ما هو عليه؟

***

الوقت هو ثائر قديم,رافض لكل القواعد,الوقت لا يخضع للأرقام,سرعته لا تكبحها عقارب الساعة.. مرور الأيام لا يعنى تغييره,الوقت نسبى ..الوقت كالشاب المراهق يرى ما نريد منه أن يفعل فيقوم بعكسه لمجرد إغاظتنا و مخالفة توقعاتنا,الوقت الكئيب يمر ببطء لأننا نريده أن يختفى,الوقت السعيد يمر بسرعة لأننا طلبنا منه البقاء,و هذا ما حدث مع"أحمد شمس"و"مى",منذ أن طلب منها أن تتكلم عن نفسها,منذ اللحظة التى أعطاها فيها الفرصة لتكشف عن أسرارها أكثر وهما منسجمان تماما,غطتهما السعادة,تتكلم فيسمعها,يسكت فتفهمه,يعترض فتوافقه,تمزح هى فيضحك هو,تكشف عن

أسرارها الدفينة فيكشف هو عـــن أســـراره,و كـــان أحـــد أسرار"مى"كامرأة مطلقة هو أسرار فشل زواجها السابق.

"قعد يقوللى,أنا لو كنت عايزك محجبة,كنت دورت علـــى واحدة محجبة من الأول"

اعترض أحمد:"يا ساتر !"

أجابت مى فى هم :"هو كان تفكيره كده بقى,هنعمل إيه؟"

هُنا تيقن"أحمد شمس"بأنه قد وجد المرأة المُناسبة التى يستطيع أن يحكى لها عن أسباب فشل زواجه هو,و لكن ككل توقعاتنا التى تثبت خطأها و ككل الأوقات الـــسعيدة الـــتى تنتـــهى بسرعة,كان لابد من مُفسد للبهجة,هذه المرة كان هذا المُفسد هو هاتف"مى"الجوال,أخرجته من جيبها نظـــرت إلى شاشـــته لتهتف فى دهشة إيه ده دى هبة"

اقترح أحمد :"ردى عليها شوفيها عايزة إيه؟"؟

"أيوة يا هبة"؟

-

-"أنا مش فاهمة منك حاجة"

-

-"أهو مستشفى طيب؟طب اقفلى اقفلى أنا جايالك"

أعرب"أحمد"عن انزعاجه و قلقه :"إيه إللــى حــصل ؟فى حاجة حصلت لهبة؟"

قامت"مى"من مكانها لتعلن فى صرامة"إحنــا لازم نمــشى دلوقتى حالا"

***

وظيفة البارمان فى كباريه غير مُحترم (حتى إن كانت قادرة على تقديم مُرتب يومى لا بأس به على الإطلاق),فإنهــا غــير قادرة على تأمين المُستقبل,الوظيفة لا تتضمن معاش مــا بعــد الخدمة,و لا تتضمن تأمينا صحيا أو أى حقوق للموظفين,و لا حتى شهادة خبرة,فى أماكن كتلك يجب أن تضمن مُــستقبلك بنفسك,فكان لابد من"سيد"أن يحفر طريقه للحفــاظ علــى وظيفته,علمه قضاء الوقت هناك أنه على عكس أى مكان آخر فى العالم,عدم تدخله فى شئون غــيره ســوف يُــسرع مــن رحيله,وجد ضرورة فى أن يفهم قواعد اللعبة التى يقوم عليهــا المكان ليُشارك فيها,و كان قد أنشأ علاقة جنسية تكاد تكون يومية مع الراقصة,و إختار الراقصة لأنها على علاقة بنفس النوع مع صاحب المكان,فضمن بذلك لنفسه الكــثير مــن الثنــاء والزيادة فى المُرتب دون أى مجهود يُذكر,و أنــشأ مكانــه فى شبكة العنكبوت التى يمشى الجميع فيها,قدم على حسابه بضع أكواب الخمور للبودى جاردات و حُراس المكان,و بجانب كل ذلك نشأت بينه وبين"فتحية"لبيسة الراقصة علاقة حُب بريئــة

خالية من أى شهوات شيطانية,فيلم رومانسى جميل خال من أى مشاهد جنسية ساخنة و غير مطلوبة,و يكون بذلك قد أنشأ علاقة حب بلا جنس و علاقة جنس بلا حب و مُرتبا حاليا ضخما بلا أى مجهود يوازيه و مستقبل مضمون و تعب لكسب رضا الجميع بدلا من المال

وهذا الوقار مُزيف,أو التزييف المُوقر ليس وضعا غريبا أو غير مُعتاد فى بلادنا فـ"سيد"ليس أول الفقراء الذين يسعون للتحكم فى حياة الأغنياء,هناك ألف سائق أجرة يوصلونك إلى بيتك بطريقتهم الخاصة ..و هناك الموظفون الحكوميون الذين لا يأدون عملهم فى تعمير الأرض إلا بتخريب جيبك بالرشاوى,و هناك"فراشين"مشرحة كليات الطب الذين يديرون الكلية من تحت لتحت,و الكثيرون و الكثيرون,

***

و يحكى أحمد شمس :

طوال المدة التى جلستها داخل سيارة"مى"(التى تقود) لم أفهم منها أى شيء,سيطر عليها القلق فلم تنجح فى تكوين جملة مفيدة,أو إيصال أى معنى يوضح لى نوع الضرر الذى أصاب"هبة"زميلتنا فى الشركة,كل ما نجحت فى استنباطه من حديثها المتقطع هو أن شيئا ما حدث لوالدة"هبة",حاولت أن

أفهم منها طبيعة هذا الشيء فأجابتني"شكلها تعبت تاني",أصبح من الواضح أنه مرض,فهمت الجزء المُتعلق بالتعب و لم أفهم كلمة"تاني"هذه,فلم أكن مدركا حينها أن لـ"هبة"هذه والدة مريضة بشكل مُتكرر.

وصلنا إلى موقف السيارات المجاور لمستشفى"المدينة الطبية",دخلنا إلى المستشفى,وصلنا إلى الطابق المقصود,لنجد هُناك"هبة"مُنهارة بشدة أمام باب إحدى الحجرات,اتجهت مي لتهدءة"هبة",و أوقفني الارتباك مكاني لاحظت فتاة جالسة بعيدا عنا,فتاة في سن أخي الصغير تقريبا,اكتشفت فيما بعد أنها أخت"هبة"الصغيرة,و لأنها الأهدأ طبعا نسيناها و اتجهنا إلى أختها صاحبة الصوت البكائي العالي,اقتربت منها وجدتها تحمل في يدها هاتفها الجوال,بمن تتصل في وقت كهذا ؟!,شخص قريب إليها تشكو إليه ربما,و بدا لي كذلك أن هذا الشخص لم يجب نداءها المتكرر,عرضت عليها"ممكن تستعملي موبايلي لو عايزة,أنا عندي شبكة هنا"

"لأ مرسيه أوي,مش مشكلة خلاص"قالتها في حزن قبل أن تبتعد عن ناظري ليسود مرة أخرى صوت نحيب"هبة"و صوت محاولات"مي"لتهدئتها :"خلاص بقى يا هبة هو مش الدكتور طمنك؟"

لم تضف"هبة أي رد بل ظلت على بكائها,فقامت"مي" واتجهت إلي لتهمس في أذني:"أنا رايحة أجيبلها حاجة

تهديها,خللى بالك إنت منها يا أحمد على بال مـــاجى"قالتـــها لترحل لتجدنى أهرول وراءها فى قلق :"إنتى ســـايبانى كـــده وماشية ؟أنا مبعرفش أتصرف فى المواقف دى"

"مجاتش على دى يا أحمد,هى خمس دقايق عقبال ماجى"

انتهى الاقتباس من أحمد لأحكى أنا كراوٍ للأحـــداث مـــا حدث من وجهة نظرى:

بالرغم من حرصه ألا يرتدى غير البدل فى معظم المناسبات التى لا تستدعى ذلك علـــى عكـــس أى شـــاب فى أوائـــل الثلاثينيات و تصفيفه لشعره بطريقة محددة تظهره بشكل أكبر من سنه الحقيقى و ذلك الشكل التقليدى الذى يختفـــى وراءه والذى يوحى لك بأنه من السهل التنبؤ بتصرفاته,بالرغم مـــن كل ذلك كانت شخصية أحمد شمس هـــى أكثـــر شخـــصية متناقضة يمكن أن تتعرف بها فى حياتك,عندما كان فى الثانويـــة العامة كان يشرب الحشيش و كل أنواع الخمور لكنه لم يكن يشرب السجائر لأنها مضرة بالصحة و لأنها حرام !,لم يستطيع قط فى حياته أن يأكل من محلات الفول والطعمية بعد الدروس للأسباب لها علاقة بالنظافة,و لكنه يتجاهل تلـــك الأســـباب عندما يجلس و يشرب القهوة فى أحقر القهـــاوى الـــشعبية .. كان فى ذلك السن من أحسن أبناء دفعة مواليد ١٩٧٦شـــكلا وكان هو يعرف ذلك عن نفسه جيدا,و بالرغم من ذلك كان يحتفظ بذلك الخجل غير المبرر و الذى كان فى (وجهة نظـــره)

يزيده جاذبية,و الاختلاف الواضح ما بين طريقته فى التعامل كـ"شاف"(قائد كشافة سابق) فى كشافة الكورفايون,تلك الطريقة المليئة بالشدة,و التغير المفاجىء الذى يجده كل من يحاول أن يتعامل معه خارج الكورفايون كان يتحول إلى شخص لطيف إلى حد السذاجة أحيانا,و غيرها مئات و مئات من التناقضات,ربما تكون تلك التناقضات هى السبب الذى منعه من البكاء على الطريقة المأساوية التى انتهى بها زواجه بمروة,و لكن أهم تلك التناقضات,أهمها على الأطلاق هو إيمانه الشديد بعدم قدرته على حل مواقف محددة,مواقف فى الحقيقة لا يستطيع أحد أن يتصرف فيها غيره,نظر إلى هبة الجالسة أمامه تبكى لثلاث ثوان بالضبط كأنه يفكر فيما سيفعله,ثم تحرك و جلس بجانبها ,لو إنك سألت أحمد شمس عن الذى قاله فى تلك الليلة لهبة لما تذكر و لو سألتها ستجدها هى أيضا غير متذكرة,غير متذكرة متى توقفت عن البكاء,و متى بدأت الكلام مع أحمد بعد أن كان يتكلم هو و هى لا ترد عليه,و ما الذى قاله بالضبط ليجعلها تضحك,إنه أحد تلك المواقف التى يتذكر فيها الإنسان أنه ضحك بشدة و لكنه لا يتذكر النكتة,فقط يتذكر أن فلانا قد ساعده على ذلك,و من هنا بدأت نقطة تحول فى علاقة أحمد شمس بهبة,أو بهذا أقنعت هبة نفسها.

***

لم يستطع"هاني"أن يمنع غـضبه بعـض رحيـل"مـارك" و أصدقائه,بإختصار لم يكن"هاني"يحترم في"محمد"أية صـفة إلا موهبته في التحكم بالبشر.

"أنا مش عارف إنت إيه إللي خلاك تجيـب العيـال دول أصلاً؟ ناس مدت إيديها عليك و سرقوا منك حاجات,و هـو ده إللي ربنا قدرك عليه ؟ تجيبهم يتكيفوا ببلاش علـى أفـاك وهما أولريدي (أصلا) إنت عايز منهم فلوس؟"صاح هاني بتلك العبارة بعد انتهاء الحفل"

أجابه محمد بغيظ:"إنت عارف كويس إني لو كنت عـايز أفرج عليهم إسكندرية كلها كان زماني عملت كده من زمان"

امتزج غضب هاني هذه المرة ببعض الحيرة:"لأ مش فـاهم، أمال جيبتهم هنا ليه؟ بتحور عليهم علشان موضوع ريم يعني؟"

أردف محمد في ضيق :"جرى إيه يا"هاني"؟ و أنا إللي بقول عليك عارف تفهمني !,إيه إللي جاب سـيرة ريم دلـوقتي,ريم ملهاش أي علاقة بالليلة دي؟"

-"أمال بتحور عليهم ليه ؟"

أومأ محمد برأسه أسفا على ما وصل إليه حاله :"واضح إنك من كتر ما شوفتني بحوّر على كل الناس,اطبعـت خـلاص في دماغك إن أنا كل كلامي نصب و تحوير,و هو ليه كل حاجة بعملها في حياتي لازم تطلع في الآخر إني بحوّر أو بضحك على

حد؟ليه كل حاجة أعملها لازم يكون وراها مصلحة ؟إنـــت نسيت إنى بنى آدم قبل أى حاجة؟! ليه مكونش عايزهم يبقـــوا صحابى فعلا؟

اعترض هانى: دول؟ دول ملـــهومش فى أى حاجـــة,دول آخرهم حشيش.

أوضح محمد **فكرته** أكثر :"و علشان كده أنا عايزهم يبقوا صحابى,بص أنا بسبب ظروف أهلى و الطلاق و الليلة إللـــى إنت عارفها دى كلها سابوللى حرية زيادة,أنا دلوقتى زعـــلان إن ده حصل,و بحاول أنضف نفسى شوية,مش مـــرة واحـــدة بس,بالتدريج,عمر ما واحد كل صـــحابوا بيـــضربوا حقـــن وبرشام و بودرة هيبقى عنده أى أمل إنه يبطل"

ساد الصمت لفترة بين الاثنين,قبل أن يتذكر البارودى شيئا ما:"آه صحيح يا هانى كنت هنسى أسألك,كلمتلى يارا؟"

أجب هانى سؤاله بسؤال:"يارا مين؟"

أوضح محمد :"يارا إللى قابلناها فى قهوة المصريين"

-"ما أنا عارف إنها يارا إللى قابلناها فى زفتـــة المـــصريين, وإنت مالك و مال يارا دى؟ عايزها تعمل بيها إيه؟"

-"يعنى كلمتها و لا لأ؟"

أردف هانى بقرف:"آه لأ ما هو أنا مليش كـــلام معاهــا الحقيقة للدرجة دى"

قرأ محمد ما بين السطور ليومىء برأســه للمــرة الثانيــة أسفا:"ملكش كلام معاها هه؟ ماشى..ماشى"

***

الآن هو بداية شهر أبريل,أكثر شهور السنة تقلبا و اختلافا عن بقية الشهور.. أوشك الفـــصل الدراســـى الثـــانى علـــى الانتهاء,و على عكس الجميع كان هذا هو الميعاد الذى يقل فيه الوقت المخصص للدراسة لدى نادر,نادر تغاضى عن الدراســة فقط لأن الجميع اهتم بها فى تلك المدة من العام,هو يفعل كـــل شىء على عكس ما يهوى بقية البشر لمجرد رغبته فى الاختلاف و لفت الأنظار إليه,يقول"لا"لمجرد الاعتراض,مجلتـــه المفـــضلة هى"روز اليوسف"(بالطبع و ماذا غيرها) و يفخر بحقيقـــة أن مجلته المفضلة لا تناسب سنه (أو دينه كمسلم على أى حال), وهذا النمط التفكيرى يفسر شعره الطويل بلا مناسبة و ملابسه الصارخة بلا قضية,فهو يهتف بلا مُظاهرة,خائن بـــلا حـــرب دائرة,قائد بلا تابعين,نادر يسكت عندما يتكلم الجميع,و يتكلم عندما يسكت الجميع,يجلس عنـــدما يقـــوم النـــاس,و يقـــوم ويتحرك فى كل الاتجاهات عندما يجلسوا,و لعل هذا هو أحـــد

أسباب وصفنا لنادر بأنه غير اجتماعى و لكــن ذلــك لــيس السبب الوحيد,فكما تعلمون من أهم صفات الشخص الذكى اجتماعيا هو أن يدرك من نفسه متى يكــون وجــوده غــير مرغوب فيه,و كانت تلك هى أهم الصفات التى لا يتميز بهــا نادر على الإطلاق,تأكدنا جميعا من انعدام تلك الــصفة فيــه خلال التحضير لمهرجان الكيرماس السنوى,حين سمحــت لــه ظروفه كأحد أعضاء كشافة الكورفايون المشاركة فى الحــدث بكثــرة الالتقــاء بــريم الــتى تمتلــك لقــب قائــدة فى كشافة"الكاريتاس",رغم تفاديها الواضح له ظل يلــح عليهــا بجذب أطراف الحديث,لم تكن تكرهه بشكل شخــصى بــل كانت تنفذ نصيحة خالد بالابتعاد عنه فحــسب,و لكنــه لم ييأس,هذا ليس من عادته,و ليس من طبعه,فظلت تلك الحرب دائرة ما بين إصراره هو و ما بين تجاهل ريم لــه,بــدأت أول معركة فيها عندما قابلها لأول مرة دون وجود خالد,عنــدما استيقظ فى أحد الأيام ليتذكر فجأة أنه اليوم على موعــد مــع أعضاء حركة"الكورفايون"التى (من المُفترض) أنه ينتمى إليها,لم يكن ناشطا فيها لم يكن مهتما بما يفعلونه فيها,هو نفــسه لا يدرى لماذا سجل اسمه فيها من المقام الأول على أى حال,فهو لا يمتلك أى فكرة عن الأهداف التى تأسست عليهــا تلــك الجمعية من الأصل,رغم تحذيرات قائدي الحركة المتكررة لطرده

من المنظمة لعدم التزامه بالمواعيد,إلا أنه قرر ألا يأبه هو فلـــن يذهب إليهم إلا على هواه الشخصى,أو عندما لا يجد فى يومه أى شيء آخر ليفعله,و اليوم كان أحد تلك الأيام,استيقظ من النوم, لم يجد ما يشغله,أفراد فرقته الموســيقية كلـــهم خـــارج الإسكندرية,وجد نفسه يستقل أول سيارة أجرة تمر أمام بيتـــه لتوصله إلى مبنى مدرسة سان–مارك,و على عكس مـــا توقـــع وصل إلى هناك قبل موعده,أضاع الكثير من الوقت فى البحث عن أى بائع سجائر ثم عن أى بائع للولاعات ثم أخيرا و لـــيس أخراً عن بائع يبيع نوع معين غير منتشر من المشروبات الغازية (كان اسم المشروب"ماوتن ديو"),أضاع كل هذا الوقت لكى لا يصل إلى هُناك قبل أو فى موعده,كان يحب أن يصل إلى أى موعد متأخرا,فالمتأخر عن الاجتماعات تلتفت إليه كل الأنظار حتى إن لم يرد ذلك,دخل نادر بعد الموعد بنصف ساعة كاملة غير مرتدي للملابس الرسمية للمجموعة,فشلت توقعاته للمـــرة الثانية عندما فوجيء بعدم وجود أى اهتمام مـــن الموجـــودين به,كانوا منشغلين,الاجتماع نفسه لم يكن اجتماعـــا بـــالمعنى المفهوم كان ورشة بناء و تحضير للحدث المهرجان الذى قـــد اقترب موعده,هناك من يحمل الخشب و هناك من يحمل الحبال المُستعملة فى نصب أماكن البيع و هناك من ينـــصبها بيـــده, لم يلتفت أحد إليه,فقرر — دون أى وعى منه – أن أفضل طريقة

فى جذب الانتباه إليه هـــو مـــشاركته فى العمـــل,توجـــه إلى الـــ"شاف"الذى يصدر الأوامر للجميع,

توقف عن إصدار الأوامر و التفت إليه مُردفا فى ســـخرية غاضبة:"لا و النبى ؟!! هو إنت لسه فاكر تيجى دلوقتى؟"

-"سورى والله أنا مطبق من إمبارح، كان عندى بروفة"

-"و فين اليونى فورم (اللبس المُتفق عليه) بتاعك؟"

-"معلش أصله اتحرق"

-"اتحرق!"

- آه سيجارة مسكت فيه.

قاطعت فتاة حديثهما و هى تتوجه بكلامها إلى الـــشاف: "إحنا محتاجين حد من عندكو يساعدنا فى الديكوراشن"

أجابها القائد المزعوم :"سورى والله يا"شافتن"(مؤنث كلمة شاف)، إحنا أولريدى غايب مننا كتير و الكيرماس كمان كام يوم شوف حد من كشافة وادى النيل"

أثناء إجابة الشاف كانت ريم قد لاحظت لأول مرة وجود نادر فى مكان,نادر صديق"خالد",نفس الصديق الذى حـــذرها خالد من الاقتراب منه,أدارت وجهها إلى مكان آخر متجاهلة وقوفه مع محدثها الأساسى,و لاحظ نادر ذلك التجاهل فمـــا

كان منه سوى أن يهتف فى لهجة احتفالية:"إيه ده يا ريم إنـــتِ بتعملى إيه هنا؟"

أجابت ريم بجفاء مقصود:"عامل إيه يا نادر إزيك؟"قالتـــها بروتينية و لم تنتظر منه أية إجابة بل توجهت بكلامها بـــسرعة إلى الشاف لمجرد الهرب من الحديث مع نادر:"مـــش هينفـــع حد؟"ومن ثم توجه كلامها بسرعة إلى الشاف قبل أن يرد نادر عليها:

أنا لسه سائلة وادى النيل دلوقتى و قالولى مش هينفع برضه.

أجاب الشاف فى ضيق:"طب و أنا كمـــان مـــش هينفـــع بالنسبة لى"

-"إنتو هتقعدوا ترمونا لبعض؟"

-"مش الفكرة بس إحنا فعلا شغالين"

-"طب ما إحنا كمان شغالين,المفـــروض إن دى أصـــلا المدرسة بتاعتكوا.. مش كل سنة الكاريتاس هو إللى هيـــشيل شغل الكيرماس كله,و إحنا إللى ضيوف عنـــدكوا ســـاعدونا شوية بقى!!"

تدخل نادر لحل المُشكلة مقترحا :"مفـــيش مـــشكلة يـــا شاف,أنا ممكن أساعدهم"

إلتفت إليه الشاف معترضا:"لأ,أمال مين هيعمل البوية؟"

أجاب نادر :"أنا برضه ..هساعدهم و أعملها,إيــه إللــى يمنع؟"

نظر إليه الشاف بشك للحظات قبل أن يردف بــصرامة: "ماشى ساعة إلا ربع بالكتير تكون عندى"

و أصبحت ريم فى مأزق اكتشفت أن حل المُــشكلة الــتى افتعلتها لمجرد عدم التحدث لنادر هو نادر نفسه,لم تشأ أن تبدو أنها هى التى ترفض الحلول,كان لابد و بسرعة أن تجد سببا فى نادر يمنعه من مساعدتها فأردفت:"ثانية واحدة إنــت عملــت ديكوراشن قبل كده الأول؟"

هنا اعترض الشاف فى غــيظ واضــح مــن تخليــه عــن الألقاب:"إيه يا ريم إنتى هتتأمرى؟مفيش غير ده,كلهم شغالين"

قبلت ريم بنادر مضطرة,فى الأحوال العادية لم يكــن هــذا القائد ليسمح بأحد تابعيه بالمساعدة و المــشاركة فى تحقيــق أحلام حركة أخرى,و لكنه لاحظ اعتراض ريم على شــخص نادر فقرر أن يفرضه عليه من سبيل العقــاب لأنهــا أثــارت سخطه..

رحلت ريم ورحل وراءها نادر الذى بدت عليه الــسعادة لسبب غير واضح,فلتبدأ إذن أولى معاركه فى حرب التجاهل,

إنه يوم من تلك الأيام الصعبة التى اعتادها"شريف الكفراوى"فى المحكمة,حركة سريعة لم تعد تناسب سنه,مجهود لم يعد يناسب قدرة رئتيه اللتين أدمنا السجائر على العطاء,ما بين قضيتين سرق الوقت لنفسه ليشعل سيجارة,وضعها فى فمه ليجد أن أحدهم يقرب قداحة من وجهه ليساعده على الإشعال,أرجع"شريف"رأسه إلى الخلف ليتطلع فى هوية الرجل,كان أخوه الأكبر محمود,فأصبح سؤال شريف بديهيا,

"إيه ده إيه إللى جابك هنا؟"

-"جاى أشوفك"

ازدادت دهشة شريف :"إنت جاى من إسكندرية مخصوص علشان تشوفنى؟"

ابتسم محمود أكثر:"إيه بلاش؟"

-"لا مش قصدى,إنت غيرت رأيك فى موضوع القضية ولا إيه؟"

-"إنت خلصت و لا لسه وراك حاجة ؟"؟

-"لأ خلاص دى كانت آخر جلسة النهاردة"

-"طب تعالى نتكلم فى مكان هادى شوية"

***

هناك مفهوم رجعي خاطيء يزعم أن البغـاء و التجـارة الجنسية هما من أعمال النساء فقط,و البغـاء هـو أن يقـدم الإنسان نفسه كسلعة جنسية لمقابل مادى,ألا يفعـل بعـض الرجال ذلك؟و إن كنا أكثر تحديدا,أليس هذا هو بالضبط مـا يفعله"سيد"الآن في شقة الراقصة"دلال"؟أنهيا ما كانا يفعلانـه للمرة الخامسة على التوالى,هذه هى ميـزة أن تبلـغ الثامنـة والعشرين من عمرك مثل"سيد",ترك فراش الجنس و هاجر من جمهورية السرير ليرتدى ملابسه و هو يغمغـم بـلا حـرج: "دلال! ملاقيش معاكى خمسميت جنيه؟"

لم يمنع التعب التي لا زالت دلال تعاني منه من الاعتـراض وهى تنظم أنفاسها المتلاحقة :"هو انت مبتشبعش ؟ خمسميت جنيه مرة واحدة ليه؟".. ابتسم فى داخله,شيء مـا كـاد أن يدفعه ليربط عدد مرات النكاح الخمس بالخمسمئة جنيه و كأنها تسعيرة محددة,و لكنه بدل من ذلك أردف فى وقاحة:"لازمنى"

سألت دلال فى تلاعب باللهجة لتقول شيئا و تعـنى شـيئا آخر:"لازمينك ؟و لا هاتروح تصرفهم علـى البـت فتحيـة بتاعتك؟"

حاول سيد أن ينكر:"و هو إيه إللى جاب فتحية لل"

ولكنها قاطعته فى صرامة :"جرى إيه يا سـيد؟! تكـونش فاكرنى مختومة على قفايا؟ و لا مش شايفاكو إنتـو الاتـنين وإنتو عمالين تتودودوا فى الرايحة و الجاية؟!"

أعلن سيد عن رفضه للتدخل فى شؤونه الخاصة و هو يستكمل تزرير قميصه:"طب و دى فيها إيه أنا بتودود مع دلال و إنتِ كل يوم بتروحي عند جمال زفت صاحب الكباريه,أنا كده مبسوط و إنتِ متكيفة,لو مش عاجبك نفضها سيرة أحسن"

قامت دلال لأول مرة من على السرير لتستقر على قدميها فى سرعة غريبة:"خلاص خلاص هو إيه ؟ ما صدقت؟ الخمسميت جنيه بتوعك أهم"

ابتسم سيد و هو يتناول المال:"من يد ما نعدمها"

لم يكن ذلك نوع الشكر الذى تتوقعه دلال وتنتظره,كانت تريد عودته إلى الفراش,ليعودا إلى ما كانا يفعلانه مرارا و تكرارا ..

***

"ممكن لحد بالليل حتى,و ممكن أمشي دلوقتي,معرفش والله مش بإيدى,خللى بالك إنتِ من ماما لحد ما جيلك,معلش هاحاول متأخرش"قالتها"هبة"فى الهاتف,كانت تتحدث إلى أختها"ريم",أمهما الآن خرجت من المستشفى هذه المرة,لا تستطيع أي منهما أن تغادر المترل دون أن تبقى الأخرى فيه,منذ خروج الأم من المستشفى و هما ينسقان مواعيد الخروج و العودة عن طريق الهاتف,أغلقت"هبة"الخط,لتفاجأ

بأحمد شمس أمامها يسألها:"إيه يا هبة؟!! عيسوى قاللى إن عندك مشكلة فى جهازك"

أجابت هبة و هى تشير إلى شاشتها :

"آه الPresentationبتاعتى هاقدمها بكرة,و عملت لكل شغلى Save على السيرفيرServer,و مش لاقياه.. جيت أفتحه لقيته اختفى"

جلس أحمد مكانها و هو يغمغم دون أن ينظر إليها :"عادى عادى,الحاجات دى بتحصل هنا كتير,إنتى اسمك إيه على السيرفير إنتى هبة عبد السلام دى؟ صح"

اعترضت هبة :"هبة عبد السلام مين؟ هبة محمود إللى تحتيها"

أحمد يفكر بصوت عالى :"هبة محمود,هبة محمود,افتكرت"

سألته هبة فى حيرة:"إيه افتكرت إيه ؟"

"افتكرت أنا أعرفك منين,كنتى بتقعدى فى فاست بريك بتاع الوطنية؟إللى فى سموحة ده؟"

أجابت فى صرامة:"لأ"

اعتذر أحمد: يبقى لخبطك مع حد تانى,

قبل أن تعود إليه حماسته ليستكمل:"بس إنتى كنتى ساكنة فى لوران صح؟"

-"أنا من ساعة ما اتولدت و أنا ساكنة فى سموحة"

-"سموحة,طب كنتى بتروحى مول زهران و كده؟"

-"لأ برضه"

***

لم يجد"شريف"و"محمود"مكانا هادئا و قريب يسمح لهما بالكلام فيه دون إزعاج سوى قهوة شعبية على بعد حى سكنى من المحكمة.

"إنت بجد كنت فاكرنى هاخش معاك فى موضوع القضية دى؟ و أنا إللى جاى أرجعك فى كلامك"قالها محمود فأجاب"شريف":"بصراحة أنا كنت فاكرك جاى تقابلنى علشان فهمت أنا عايز إيه مش علشان ترجعنى أنا فى كلامى"

اقترح محمود للمرة الثانية :"متسيبك يا شريف من الكلام الفاضى ده,لو إنت كنت رافع القضية دى علشان توصلهم رسالة مُعّينة فأديها وصلت"

أردف شريف بقرف:"لا ملكش دعوة بيا,إنت عايز تتنازل اتنازل,أنا هفضل مكمل فى القضية دى لحد الآخر,حتى لو صبحى هو راخر طلع منها,أنا معاك إن ليلى دى ملهاش ذنب فى الدوشة دى بس برضه: ده حق ابنى"

***

الظالم تماما كالمجنون,لا يدرك علته,هل سمعت فى حياتك شخصا مجنونا يعترف بجنونه؟فلو اعترف به سيكون حينها من أعقل العاقلين,هل رأيت بخيلا من قبل مدركا لبخله؟مستحيل,فالبخلاء يرون نفسهم فى غاية الكرم و يرون أن كل من غيرهم مُسرف مُبذر,و كذلك هو حال الظالم.. الظالم يظن أنه أكثر الناس عدلا على وجه الأرض,مع اختلاف بسيط و هو أن العدل حينها هو العدل الذى يراه الظالم فقط, والديمقراطية الوحيدة المطروحة حينها هى الحوار المتفاهم والعاقل ما بين عقل الظالم و نفسه فقط,عندما يعيد التفكير فى أمر ما,

و"دلال"الراقصة هى إحدى هؤلاء,إحدى الذين يغطون الديكتاتورية بصبغة ديمقراطية,و يأخذون السلام سببا للحرب,ينفذون ما على هواهم بطريقة غير مُباشرة لإراحة نفسهم من وجع الضمير و لوم الناس.

هذه هى الليلة التى سيُنفذ حكم"دلال"الراقصة على خادمتها و عشيقة حبيبها"فتحية"بطريقة أو بأخرى بغض النظر عن إذراء الجميع و اعتراضهم,

بدأ كل شىء عندما كانت دلال تستعد لفقرتها التالية,

"بقولك إيه يا فتحية ! من النهاردة ملكيش دعوة بالاسمه سيد ده؟"

صدرت منها تلك الجملة الأخيرة هكذا دون أى مناسبة أو تمهيد.

أجابت فتحية فى اضطراب واضح :"ليه بس يا هانم؟"

إستكملت دلال بغضب صارم:"من غير ليــه و كلامــى يتسمع"

-"من عنيا الإتنين بس أفهم"

-"تفهمى إيه؟ إنتى فاكرة نفسك إيه ؟ ده إنتى كلك عبارة عن لبيسة,إيش حال إن مكنتش أنا إللى لماكى من الشوارع يا وسخة يا بنت ال----؟"كان صوت دلال الرفيع قــد بلــغ أعلى درجة من الممكن أن يصل إليها,كان مزعجــا لدرجــة أجبرت"جمال"صاحب الكباريه أثناء مروره فى المكــان علــى البحث عن مصدر الصوت الذى يعلن نشوب كارثة,لتجــداه دلال وفتحية قد دخل إلى الحجرة و معه اثنان مــن حــراس الكباريه ذوى الجثث الضخمة ليسأل الراقصة فى قلق واضح:

"فى إيه يا دلال صوتك جايب آخر الدنيا؟"

ازادت دلال من صراخها بعد أن أثبت مفعولــه:"تعــالى والنبى اتفرج على الست منى و هى بتشوف نفسها علينا"

سأل جمال صاحب المكان فتحية برفق :"فى إيه يا فتحيــة عملتى إيه؟"

لم تكد فتحية أن تجيب حتى أجابت دلال بدلا منها"الهـانم بتسرق من هدومى و تروح تبيعها"

اتسعت عينا فتحية من الصدمة لتهتف تلـك الأخـيرة فى غضم عارم:"أنا برضه إلى بسرق منك يا بنت الكلب؟!!"

هُنا اللحظة التى تحولت فيها المُشادة الكلامية إلى محاكمـة سرية,القاضى هو صاحب المكان,قوته التنفيذيـة متمثلـة فى الحراس الذين أتوا معه و الذين يمثلون الآن قوى الأمن المركزى للكباريه,فلصالح من سوف يصدر الحكم ؟؟..

دلال – الفرخة التى تبيض ذهبا للكاباريه و التى أصبح مـن البديهى الآن أنها على خطأ؟- أم لصالح فتحية – المغلوبة على أمرها و فقرها وقلة حيلتها و التى أصبحت الآن براءتها واضحة للغاية ؟

فى أى عالم نعيش ؟عالم عادل ؟؟؟ أم عالم مادى؟؟سوف تصبح الإجابة الغامضة معروفة بعد لحظات"بنت الوسـخة دى تترمى بره الكباريه و مشوفش وشها هنا تانى"قالها"جمال"و هو ينظر فى اللا مكان و كأنـه يتحاشـى تلاقـى عينـاه مـع عينى"فتحية"التى ملأهما الدموع.

***

إحساس قوى ينتاب"هبة"الآن.. إحساس ممزوج مـــا بـــين الغضب و الحيرة و الشعور بالذنب,غضب لأنهـــا تـــشك فى حقيقة إن كان أحمد يتذكرها و يتظاهر بالعكس مـــع ســـبق الإصرار و الترصد فقط لإذلالها,و الحيرة لأنها ليست متأكـــدة من ذلك الشعور السابق,و الذنب لإحساسها القـــديم بأنهـــا السبب فى فشل علاقتها بـــ"أحمد"فى التسعينيات,و زادت تلك المشاعر مع زيادة إلحاحه على تذكيره بالمناسبة التى جمعتـــهما قديما عندما كان منشغلا بتصليح العطل الذى تشتكى منه:"لأ بس أنا فعلا حاسس إنى مش أول مرة أتعامل معاكى,إنتى مش قادرة تفتكرى إنتى مفروض إنك تعـــرفينى مـــنين برضـــه؟أنا حاولت أفتكر معرفتش,و كمان مى أنا مش فاهم منها حاجة أساسا,أنا فهمت منها أن إحنا مفـــروض كنـــا متـــصاحبين سيادتك"

ازداد غضب هبة من وقاحته:"لا و الله؟!,إللى أنـــا فهمتـــه منها إنك كنت عايز تصاحبنى,و أنا مرضيتش"

أردف هو فى سخرية :"آه,إن شاء الله"

غمغمت فى ملل:"معرفش بقى يا أحمد يمكن كنا صـــغيرين ساعتها"

-"يمكن!! مين عارف؟!,على فكرة يا هبة لو عايزة تروحى روحى,أنا هاعرف أهندل الموضوع ده عادى يعنى"

أصرت هي"معلش خليني بس علشان أشوف الموضـــوع ده بيتحل إزاى,لو حصل تانى أعرف أتصرف"

استكمل فى الموضوع القديم :"كـــنتى بتروحـــى كـــارفور طيب؟"

"مكانش فيه كارفور ساعتها"

-"آه صحيح مكانش فيه كارفور ساعتها طبعا,ماشى طب ما هو ساعتها ده كان إمتى بقى ؟"

-"معرفش,بس أكيد قبل ما كارفور يفتح"

-"بقد إيه؟قبل ما يفتحوا كارفور بقد إيه؟"

قررت هبة أن تغير الموضوع الذى يثير غـــضبها بموضـــوع آخر,هذه المرة اختارت بلا قصد موضوع يثير غضبه هو"هـــو أنت و مي لسه متخاصمين ؟"

صمت أحمد لفترة,تلاشت ابتسامته,و بـــات تغـــير لهجتـــه واضحا عندما أوضح:"مين إللى قال إن إحنا متخاصمين ؟ليـــه سمتيها خصام يعنى؟ليه متكونش فترة تفكير,أنا اتجوزت قبـــل كده و عارف,أى اتنين فى الدنيا قبل ما يتخطبوا على طـــول زى ما تقوللى كده,بيخافوا من الالتزام,و بتحسى إن الشخص إللى إنتى كنتى بتحبيه باختيارك ابتدى يبقى أمر واقع,بتبتـــدى

عيوبه تظهر ساعتها بس,بتبقى أسهل فترة تقوم فيها خلافات على حاجات هابلة..-"قطع حديثه بنفسه ليمنع خروج لفظ غير لائق ليستكمل بسرعة مصححاً"جدا,بتبقى حاجات هابلة أوى يعنى"

تغاضت عن خطأه فى اختيار الألفاظ ليتجه تركيزها إلى المقصد الأصلى من وراء كلامه :"حاجات هابلة يمكن بالنسبة لك بس بالنسبة لها بتجرحلها كرامتها,إنت بتقول إنك فاهم فى الحاجات دى و بتاع,متبقاش بارد معاها بقى"

وصل إلى قمة العصبية بالفعل دون أن يشعر :"بارد,هه؟إنتِ إزاى؟"ثم قاطع نفسه ليمنع خروج إهانة فى حقها ليستكمل"بصى يا هبة إنتِ متعرفينيش كويس لدرجة إنك تكلمينى كده,عايزة تقعدى ترغى فى الحاجات دى مع مى إنتو صحاب و حرين مع بعض,لكن أنا ولا عمرى شوفتك و لا من بقيت أهلك علشان تتعودى عليا للدرجة دى"

زاد غضبها نتيجة لغضبه :"إنت فاكر نفسك مين؟"

زادت وقاحته نتيجة لغضبها :"إنتِ اللى فاكره نفسك مين؟ هبة بقولك إيه روحى بيتك دلوقتى,كفاية كده النهارده"

-"إنت مش من حقك تطردنى!"

"لأ من حقى,أنا المهندس المسؤل عن العطل ده و مبحــبش حد معايا,مبعرفش أشتغل,اتفضلى حضرتك اطلعى بره"

صدمها سلوكه المُفاجيء,فتمكن منها الإذهلال لتقف أمامه و قد اتسعت عيناها وفتح فمها من الدهشة حتى كاد فكهــا السفلى أن يلمس أرضية المكان,

التفت إليها ببرود ليستكمل إهانته :"إنتى لسه واقفة قدامى؟ على فكرة,الباب من هنا"

***

كان مشهد"فتحية"قليلة الجسم و الحيلــة و هــى تخــرج مطرودة من الكباريه مُصاحبة بأيدى الحراس الغليظة,مُــستفز لأى عين,حتى لهؤلاء الذين لا يدركون سبب الخــلاف,حــتى للذين لم يروا فتحية من قبل,فما بالك بــ"سيد"الذى وقــع فى حبها ؟فما بالك بــ"سيد"ذي الفكرة الجيدة عــن تفاصــيل المؤامرة القذرة التى وقعت للتو ؟اتجه إلى الرجلين الذين كادا أن يجرا"فتحية التى غلبها البُكاء,لستغل صداقته مــع الحــراس,فى البداية تدخل فى المشهد و كأنه ثالثهم و كأن طردها هو همــه الأول هو الآخر,لم تقاطع مسيرة الرباعى (سيد و الحارســين وفتحية) سوى صرخات رجل مجهول كان الخمر قد انتــصر عليه,ليهتف بلا أدنى سبب و ليحطم الأكواب و معها كل ما

حوله,مشهد معتاد للغاية فى الكباريه,معتاد إلى حد الملل أحيانا,فى العادة يتجهون (أقصد الحارسين) إلى الرجل ليرمياه خارج المكان,ما منعهم هذه المرة كان"فتحية" لم يعتادا أن يهتما بمشكلتين فى نفس الوقت,هُنا اقترح سيد عليهما فى ذكاء :"روحوا إنتو شوفوا شغلكوا معاه و أنا هاخدها أطلعها بره"

نظرا إلى بعضهما فى شك للحظات قبل أن يسلموه المسولية,مشى معها نحو باب الكباريه ليدور بين الحبيبين الحديث الآتى,و التى بدأته هى لتوضح براءتها قبل أى شيء:"والله العظيم يا سيد ما سرقت حاجة"

نظر إليها سيد فى بؤس ليردف:"إنتى هابلة يا بت ؟ ما أنا عارف طبعا,على العموم متقلقيش أنا هاخليها ترجعك الشغل تانى و رجلها فوق رقبتها"

-"لأ أنا مش هاعتب المكان ده تانى"قالتها بصرامة شديدة لا تتناسب مع موقعها الحالى من غلبة,كانا قد وصلا إلى الشارع بالفعل,فتوقفا أمام الباب ليسألها فى قلق :"أمال ناوية تعمللى إيه ؟ هتشتغللى فين؟"

-"أرض الله واسعة، إنشالله أشتغل فى البيوت حتى,ما تعمل زيى,يعنى إنت مبسوط أوى بشغلتك دى؟"

-"مش مبسوط ولا حاجة,بس لو سيبت هنا هاروح فين؟"

-"ربنا يرزق بالحلال بقى!"؟

-"انا آسف يا منى مقدرش"

قالها فى حرج قبل أن يتركها فى الشارع ليختفى في زحـــام رواد المكان.

***

حتى أنا كراوٍ لتلك الأحداث,حتى أنـــا الـــذى عاشـــرت الشخصيات الحقيقية التى أحكى عنها,لا أعلم ما هو الـــسبب الأساسى لمحاولات"نادر"المُتكررة لجـــذب أطـــراف الحـــديث مع"ريم"صديقة"خالد"دون أية مناسبة أو داع,سألت الكـــثيرين ممن يعرفون"خالد"معرفة تفوق معرفتى به و فهمـــى لجوانـــب شخصيته المعقدة,

عندما تطلب من الناس توضيح انطباعاتهم حـــول شـــخص الأصل فيه هو الإثارة للجدل لابد أن تتوقع أن تأتى الإجابات مُختلفة و متناقضة إلى أقصى حد,زميل قديم له فى المدرسة أكد لى أن"نادر"يحب أن يتقرب من الأشخاص الـــذين يرفـــضون وجوده تماما كما يحب أن يبتعد عن هؤلاء الذين يحبون التواجد معه,زميل له فى الكلية أكد لى أن محاولة اقترابه من ريم المُرتبطة بصديقه خالد ما هى إلا محاولة انتقام قذرة من خالـــد الـــذى سرق صديقة نادر السابقة نادين من يده منذ زمن بعيد.

ريم لا تأبه لكل ذلك,أو أن هذا هو ما أرادتنـــا أن نظنـــه ربما,الله أعلم.

كا ما نعرفه أنها اضطرت للجوء لمساعدته وقوته الجـــسدية فى حمل الأشياء الثقيلة أثناء التحضير للكيرماس,و أنها حاولـــت على قدر ما تستطيع أن تسكته و تخرس أسئلته المزعجة , وأن تفشل محاولاته المتكررة فى التقرب منها,مثل ذلك الحوار الذى دار قبل الكيرماس بحوالى أربعة أيام,بدأ هو بالكلام بالطبع بينما كان يساعدها على حمل شيء ما :"هو إنتي دخلتي الكاريتـــاس إمتى صحيح؟"

أجابت بملل مقصود :"من فترة كده"أشارت برأســـها إلى الحمل الذى يحملانه :"أنا عايزة أحطها وراك هنا"

وضعه نادر حيث طلبت تماما ليستكمل :"طب أنا أعـــرف واحد اسمه أحمد على معاكوا تعرفيه؟"

-"لأ"

-"بس إنتي شكلك كده زيي أول مرة تحضرى للكيرماس"

-"لأ"

-"مم، بس إنتي"شافتني"بقالك مدة قصيرة صح؟"

ريم و قد ازدادت صرامتها :"لأ"

سألها ضاحكا :"هو إنت دايما بتقوللى لأ على كل حاجـــة كده؟"

توقفت ريم عن تحريك الأشياء لتنظر إليه بملل قبل أن تجيب مرة أخرى:"لأ"

غمغم ساخرا :"لأ واضح إنه"لأ"فعلا , "

سكت لفترة لكى تعتليه الحماسة مرة أخرى ليهتف بمرح: "طب بما إنك مقضياها كده , عايز أجرب حاجة.. اســتى ..ممكن متجيش الحفلة إللى الفرقة بتاعتى هاتعملها الأســبوع إللى جاى فى هاندز الساعة تمانية؟"

أدركت هى محاولته الطفولية لإستغلال رفضها لكل شـــىء فأجابت ببرود:"حاضر,مفيش أى مشكلة,أوعدك إنك مـــش هاتلاقينى هناك,هاتلى الحبل إللى وراك ده"

نادر و هو يناولها الحبل:"هو إنتى ليه متضايقة كده؟"

-"أنا مش متضايقة,مش حاسة إن أنا متضايقة"

سألها فى رومانسية ساذجة للغاية :"أمال حاسة بإيه؟"

-"دلوقتى و أنا واقفة معاك حاسة بإيه؟"

-"آه"

-"صدقنى مش هاتحب إن أنا أقولهالك,مش هاتحب إنـــك تسمع الكلمة إللى توصف إحساسى دلوقتى حالا"

"بيض,عندنا كل أنواع البيض إللى ممكن تتخيلـــها,بـــيض مقلى,نجمة,أومليت,تحب تفطر إيه يا شريف؟"

أجاب شريف عرض أخيه صبحى بـــأدب:"لا والله مـــش قادر,أنا بس كنت جاى أكلمك فى موضوع القضية"

كان من الطبيعـــى بالنـــسبة إلى"شـــريف"أن يتجـــه إلى الإسكندرية مرة أخرى بعد زيارة أخيه محمود له فى القاهرة,فما أدراه أن"محمود"لن يحاول أن يؤثر فى تفكير أخيهما الثالث,أتى دون أى موعد مسبق إلى بيت أخيهم الثالث"صـــبحى"المُطـــل على شاطىء ستانلى فى الإسكندرية,رحـــب ذلـــك الأخـــير بشريف,جلسا فى الصالون ليدور الحديث الآتى,

"الست بصراحة وقفت معانا وقفة متتنساش وماتـــستاهلش مننا كل ده هى بس المشكلة فى إخوالها"

كانت تلك العبارة صادرة من شريف أراد أن يعلن قبل أى شيء حسن نواياه فى القضية,إلا أنه فوجى بأخيه يجيبه ساخرا: "طول عمرك هتفضل عبيط مش فاهم,ما أنت معذور كنـــت صغير ساعتها مكنتش دارى بحاجة"

تملكت الحيرة شريف :"لأ مش فاهم حاجة مكنـــتش دارى بإيه بالظبط؟"

أوضح صبحي أكثر :"ليلى و محمود و هما صغيرين كـــانوا بيحبوا بعض"

هتف شريف في دهشة :"محمود مين ؟ محمود أخويا؟ .."

أردف صبحي ساخرًا:"طول عمرك ذكي أخواتك"

من المفترض أن يغضب"شريف"حينها أن يشعر بالخيانة من أقرب الناس إليه,شعر بذلك و لكن على طريقته بدلاً مـــن أن يصرخ أرجع ظهره إلى ظهر الكرسي ليضحك و هـــو يفكـــر بصوت مسموع:"يا بن الكاالب,بقى محمود يطلـــع منـــه ده كله؟أتاريه بقى,أنا دلوقتي بس فهمت,دي آخر حاجة كونت أتوقعها"

و لم تكن تلك هي نهاية المفاجآت,المفاجـــآت لم توشـــك حتى على البدأ,كما تبين فيما بعد.

***

هنـــــاك عامــــل مهـــم لم يـــتم ذكــــره في لعبـــة الإيستيميشن,الوقت,فالغرض في تنظيم الأوراق قبل بدأ اللعب هو توفير الوقـــت,شـــركاؤك في اللعبـــة لـــن ينتظـــروك إلى الأبد,عندما يأتي دورك يجب أن تحسم أمرك في أقل من نصف دقيقة,مهما فوجئت بحقائق لم تكن تعرفها,مهما سُحب مـــن تحتك بساط الفوز المضمون,لا وقـــت للإنـــدهاش,لا وقـــت للتردد,مهما زادت المفاجآت تظـــل مـــسؤولا عـــن اللعـــب

وبسرعة,لن يتوقف العالم لحيرتك و لن تتوقف حركة عقارب الساعة فالجميع ينتظر منك قرارا و اختيارا ما وورقة تعبر عـــن سياستك للفترة القادمة,و إلا ستجد أحدهم قد تطلع إليك بملل ليردف فى ضجر :"الوقت بيعدى,هتترل بأنهو ورقة؟؟؟"

***

الفترة التى كادت"فتحية"أن تيأس تماما من العثور علـــى أى وظيفة خارج الكباريه,هى نفس تلك الفترة التى كـــاد نفـــس اليأس أن يعتلى الأختان ("ريم"و"هبة") لعدم عثورهما حتى الآن على خادمة ترعى أمهما بدلا منهن لتكون لتلـــك الأخـــيرات حرية الخروج من البيت فى أى وقت و إلى أى مكان.

"فتحية"وجدت الكثير من البيوت التى تحتـــاج إلى خادمـــة ولكن المشكلة أن معظم تلك البيوت كان بها رجلا (على الأقل واحـــد) يطلـــب إليهـــا التقـــرب الجنـــسى بـــشكل مقزز,و"فتحية"ليست من هذا النوع.

أما"ريم"و"هبة"فكانتـــا تبحثـــان عـــن خادمـــة"شـــكلها نضيف"على حد تعبير هبة,فهبة ظاهرية و سطحية بطبعها تحكم على الناس من مظاهرهم, و ظل الوضع على ما هو عليه,حتى وجدت"هبة"و"فتحية"بعضهما,نقطة الالتقاء هذه المرة كانـــت أحـــد مكاتـــب التخـــديم,و اختارتهـــا هبـــة لـــبراءة

ملامحها,فوجئت"فتحية"بـ"هبة"تقترب منها و تسألها عن مدى براعتها فى استخدام الحقن,أعلنت فتحية بالتجربة الحية عن براعة لا مثيل لها فى استخدام كل أنواع"السرينجات",و هذا طبيعى فـ"دلال"الراقصة كانت مدمنة لحقن الهيروين,لم يمسح الموقع كله"فتحية"من الابتسام لم تتوقع هى نفسها أنها سوف تستخدم فى يوم من الأيام تلك المهارة لهدف نبيل مثل العناية بمريض ,و اليوم هو يوم"فتحية"الأول فى بيت"هبة"و"ريم",طغت على الأختين السعادة ..الآن,و الآن فقط سوف تنقذن ما يمكن إنقاذه من الحياة الاجتماعية التى فاتهن جزء كبير منها بسبب مرض أمهما.

اليوم سوف تخرج"ريم"مع"نيفين"و"مارك"و"خالد" وأخيراولـيس آخرا"نادر"غير المرغوب فيه على الإطلاق"هبة"سوف تجد الفرصة لأول لحضور مناسبة اجتماعية تجمعها مع زملاء العمل,و اليوم سوف تحضر عيد ميلاد ابن"إيهاب عيسوى"فى كارفور,"بصى مش مهم التنضيف,روّقى على أد ما تقدرى وكل حاجة بس المهم متبقاش ماما فى أوضة و إنتى فى أودة تانية,تخللى بالك منها كويس أوى,لو جاتلها الأزمة دى البخاخة بتاعتها,و لو حصلت أى حاجة اتصلى بيا على طول,ماشى؟"قالتها برفق

لفتحية,قالتها قبل أن تنزل هي و تنزل ريم,ليصبح البيت فارغا تماما لا يحتوى إلا على"فتحية"و المرأة العجوز المريض,جلست فتحية,جلست تفكر,تفكر فى سيد الذى أبعدته عنـــها الحيـــاة القاسية فجأة تماما كما جمعتهما فجأة,

***

نحن لم نتحرر من الاحتلال الأجنبى كما تزعم كتب التاريخ الخاصة بوزارة التربية و التعليم,كل الزمن قد تغـــير,فبالتـــالى تغيرت معه ملامح كل شيء ليبقى المعنى واحد,الاستقلال الذى نحتفل به كل عام هو استقلالنا عن الاحتلال العسكرى,نحتفل لأن شوارع مصر الآن خالية من الجنود الإنجليز,الاحـــتلال لم يمت,بل تطور,الاحتلال الجديد مكانه داخل عقولنا,كل كلمة إنجليزية قفزت بلا سبب فى كلامنا,ملابسنا,ثقافتنا,أفلامنا التى أصبح معظمها مسروقا من أفلام أمريكية,أغانينا,آهاتنا العربيـــة المُغناه على ألحان تركية و أوروبية,المدارس الـــتى نـــأبى بعـــزة وكبرياء أن ينتسب إليها أبناؤنا إلا إذا احتوى برنامجها علـــى الشهادة الأمريكية,بعد كل ذلك ما حاجة المُحتلين لبعث جنود للسيطرة علينا إذا كنا قد أصبحنا أكثر وفاء لدولتهم مـــن أى جندى سوف يبعثوه؟؟؟أدركنا المؤامرة فقط بعد أن أصـــبحنا جزءا منها,فأومأنا برؤوسنا أسفين بعد فوات الأوان,نخفف على أنفسنا الشعور بالذنب لأننا لم نكن نتوقع,لم نكن نتوقـــع أن يكون عدونا بهذا الذكاء,لم نكن نتوقع.

أنا-ككاتب- لست سياسيا أو حتى مُثقف بشكل مبالغ فيه بطبعى,و إن قابلتنى ستجدنى أصغر سنا و أتفه بكثير مما تتخيل,و لكننى لا أستطيع رغم كل ما سبق أن أمنع كل تلك الأفكار الكئيبة من الدوران فى ذهنى عند كل مرة تلتقى عينى مع حرف الـM الأصفر الشهير الذى اشتهرت به سلسلة مطاعم ماكدونالدز المُنتشرة,المُشكلة ليست فيما وقع من ضرر بالفعل للهوية العربية,المُشكلة هى الأجيال القادمة,ماكدونالدز لم ينجح فقط فى إخفاق توقعاتنا بهذا الانتشار,بل إنه يخطط للمستقبل,ماكدونالد يحاول أن يثبت نفسه فى أذهان الأطفال,مرة واحدة أكل فيها طفل فى سن أخى الصغير عند مطعم فول و فلافل شعبى حقير ليصيبه التسمم و مرة بعدها يأكل فى ماكدونالد ليأكل بنهم و يجد المكان الذى يلعب فيه بعيدا عن الزحام,هاتان التجربتان كفيلتان بإرساخ مفهوم فى عقل هذا الطفل بأن الأجنبى أفضل إلى أن يُثبت العكس,هنا تبدأ عقدة الخواجة و نتوقع الأفضل و الأصح عند ذكر أى شيء غربى, أحد أهم أنشطة ماكدونالدز فى هذا المجال هو تنظيمه الرائع لحفلات أعياد الميلاد,اشتهر بذلك على مستوى العالم,و لا يجد المطعم أى صعوبة فى وجود أهالى يحبذون أن يقيموا حفلات أولادهم أنصاف العرب فيه,كانت زوجة إيهاب عيسوى هى إحدى هؤلاء,و بما أن اليوم هو عيد ميلاد ابنهما,فلن تجد الزوجة اليوم إلا فى فرع ماكدونالد الخاص بكارفور سيتى سنتر,الحفلة بسيطة وغير مُكلفة,جلس فيها

زوجة عيسوى و والدته، أحمد شمس، مى، و مـــروة,بجانـــب الكثير من صديقات زوجة عيسوى,و زملاء ابن عيـــسوى فى الحضانة الأمريكية,كل هؤلاء و عيسوى نفسه لم يحضر بعـــد لسبب غامض,

"جراندما جراندما.. هو بابا مش جاى؟"لفظ الطفل بتلك العبارة نصف العربية نصف الإنجليزية,فأجابته الأم بملل :

"بابا جاى دلوقتى

Go now play with ur friends he's on "
the way

رحل ابن عيسوى,لتقول الجدة زوجة عيسوى:"هو إنتو ليه مبتعودهوش على العربى أول بأول كده"

أجابت الزوجة فى ضجر :"كده أحسن بقى يا طنط"أدارت دفة الحديث لتغير الموضوع بسرعة,توجهت تلك المرة بكلامها إلى"هبة"التى تجلس الآن وحيدة دون أى معارف :"إيه يا هبـــة أمال مى و أحمد فين؟"

أجابت هبة:"معرفش قاموا مع بعض من شوية"

***

استغل"احمد شمس"و"مى"أول فرصة للاخـــتلاء بأنفـــسهما بعيدا عن الزحام منذ بداية عيد الميلاد.. كان"أحمد"يتحاشـــى

اللقاء بها حتى أتى هذا الحفل,جلسا فى كافيه"بيينوس"فى نفس المجمع التجارى,

"أنا آسف لو كنت فى الفترة الآخرانية دى زعلتك,بس أنا بجد أعصابى مش مستحملة"قالها أحمد قبل أن تردف.

مى فى حنان :"لا يا أحمد أنا مش زعلانة,أنا مضايقة من الموضوع ده أكتر منك"

استكمل أحمد تبريراته بعصبية أكثر وكأنها لم تقل شيئا: "أصلها مش سهلة عليا مهما كان حرقة الأعصاب دى,يلعن أبو المحاكم على اللى اخترعها فى يوم واحد,يرضى مين ده ؟إن أنا أبقى قاعد هنا و ابنى بعيد عنى فى آخر الدنيا؟"

-"هو مش المحامى بتاعك قالك كل حاجة هاتتحل,خلاص بقى ماتعملش فى نفسك كده.. كل حاجة هتبقى تمام"

-"ربنا يستر"

قالها واتسعت عيناه فجأة و كأن فكرة ما قد خطرت على باله :"و قوللى صحيح لهبة إنى آسف,أتعصبت عليها أصلى من كام يوم"

و قبل أن تستفسر عن الحادثة التى يريد أحمد أن يعتذر بسببها,قاطع حديثهما شاب فى حوالى الثامنة عشرة من عمره,أسمر اللون,ناعم الشعر,إذا أردت الاختصار فأنه يحمل

كل الملامح المحفورة فى الأذهان عن الأقباط,و إذا أردت الدقة كان ذلك الشاب هو مارك,اقترب منهما ليطلب فى أدب :"لو سمحت معاك ولاعة؟"

ابتسم أحمد بعد إشعال السيجارة ليردف ساخراً :"لأ شد أجمد علشان تولع,إنت شكللك جديد على السجاير و لا إيه؟"

أجاب"مارك"فى حرج غير مفهوم :"معلش بقى أهو بنجرب"

تدخلت"مى"فى الحديث مع هذا المجهول:"بس أنا متهيألى التدخين ممنوع هنا"و قبل أن يجيب"مارك"على تعليقات هذان الغريبين كان أحمد قد أجاب بدلا منه فى وطنية بدت مبالغ فيها خاصة مع تلك اللهجة الأبوية التى صعدت فى السر على لسانه:"مش من حقهم إنهم يمنعوا علينا التدخين ما دام إحنا إللى بندفع الحساب,ما دام البلد دى بلدنا يبقى من حقنا نعمل إللى أحنا عاوزينه,مش كده و لا إيه؟"

أجابه"مارك"بابتسامة مُرتبكة,لم يكن قد فهم حرفا واحدا مما قال,شكر ذلك الأخير"أحمد"على السيجارة المُشعَلة,ليعود إلى مكانه الأصلى فى نفس الكافيه,و ليستكمل المناقشة التى أجلها بسبب إشعال السيجارة,

كانت إحدى"خروجاته"المُنفردة مع نيفين,بمجرد أن جلس سألته فى قلق :"هو إنت خلاص بقيت مُدمن سجاير؟أنا كنت فاكراها كام يوم و خلاص"

أجاب فى اضطراب"أنا مابشربش سجاير هى كـــل فـــين وفين يعنى,هو أنا باين عليا أوى إنى مش متعود على السجاير؟"

لم تجب على سؤاله الغريب بل أردفت فى حزن:"معرفش يا مارك أحوالك مش عاجبانى,النهاردة بالذات إنت تقريبا عامل كده من قبل مانخش الفيلم,أنا مش قادرة أتخيل إن فى حاجـــة مضايقاك و مش عايز تكلمنى فيها"

اشترط مارك:"يعنى مش هاتزهقى مـــنى لـــو كلمتـــك فى موضوع يارا تانى؟"

أجابت و هى تحاول أن تتظاهر بالغـــضب الـــذوقى:"أنـــا عمرى ما هازهق منك يا مارك إيه إللى إنت بتقولوه ده؟"

أومأ مارك برأسه فى أسف و هو يعتـــرف لأول مـــرة فى حياته:"هو فعلا حاجة غلط إنى أثق فى يارا,حتى لو هى غلطت فى حقى أنا مؤمن إن أى شخص ممكن يتغير للأحسن,و جت كذا مشكلة من ضمنهم موضوع الصورة بتاعة شرم دى,بس أنا قولت لأ"

إزداد اهتمامها و إن كان هذه المرة ممزوجا بالفضول :"إيه بقى صحيح موضوع شرم,إللى كل مابتيجوا سيرته بتتقلب وشوشكوا إنتوا التلاتة,و بتغيروا الموضوع"

-"فاكرة رحلة شرم إللى عاملناها فى تانية ثانوى؟"

استكملت هى :"إللى إنت مانفعش تروح معاهم فيها علشان"

و استكمل هو على إستكمالها السابق:"خالتى كانت لسه متوفية,و روحت لغيت الحجز بس يارا كانت أولريدى(خلاص) حجزت"

قاطعته فى عجلة :"أيوة أنا عارفة الرحلة,إيه إللى حصل بقى"

-"يارا كانت طبعت معاهم من غيرى و إللى حصل إن أنا الوحيد إللى كان عندى رايتر (ناسخ إسطوانات) فى البيت,فخالد كلمنى على الموبايل وهما جايين,فاتفقنا إنه هايديني الكاميرا أول ما يوصل علشان أخدها و أنزله الصور على سيديهاية,و أنا بنزل الصور لقيت صورة ليارا و هى بتبوس خالد"

***

على عكس ظنون و توقعات الحبيبين القديمين"محمود الكفراوى"(أخي شريف الأكبر) و"ليلى هانم الكفراوى"ابنة

عمه لم يعد حبهما سرا,ليس بعد الآن,ليس بعــد أن عــرف شريف من أخيهم الثالث صبحى كل شيء,و حبــهما لــيس ذنبا,على الأقل ليست من وجهة نظرهما,وقعا فى الحب عنــدما كانا فى الكلية,أجلا زواجهما حفاظا على العائلة,و مع الوقت تحول التأجيل إلى إلغاء,رغم إنه قد تزوج ورغم موت زوجتــه إلا إنه لم يحزن لفراق تلك الأخيرة,فلم ير نفسه محبا صادقا إلا مع"ليلى كفراوى",بعد كل تلك المُنحنيات المُتغيرة,كان لابــد أيضا أن يتغير حبهما مع الزمن,لقد كاد الاثنان أن يبلغا مــن السن أرزله,نُزعت الرغبة الجنسية من كل منهما,فلم يعد باقيا لديهم إلا الحب العُذرى,ظلا طوال تلك السنين يتقــابلان فى أماكن عديدة يتبادلان الشكوى من أحوال الحياة التى تــسوء يوما بعد يوم,هذه المرة عندما تقابلا فى نادى سبورتنج كــان موضوعهما الأساسى هى تلك القضية التى يصر شريف علــى رفعها,غمغم "محمود"فى هم اشتهر به كبار السن: "ما هو الواد ده كده,طول عمره دماغه ناشفة".و شريف الذى يتكلم عنــه محمود ليس بعيدا عنهما,كان واقفا وراءهما يتأكد مــن خــبر ارتباطهما,فجأة قفز أمامهما دون إنذار أو تنبيه مُسبق ليهتــف فى سخرية غاضبة:"تحبوا أجبليكوا اتنين ليمــون؟ لأ حقيقــى يعنى؟".. قالها بشكل طفولى يكاد يصل إلى الطرافة لولا الكآبة المُحيطة بالمشهد.

هتفت ليلى فى دهشة :"شريف إنت بتعمل إيه هنا؟"

لم يجيب عن سؤالها بل أردف فى غضب :"أنا حمار بقرنين إنى كنت فاكرك أخويا الكبير و عاملك اعتبار"

صرخ محمود بعصبية تفوق عصبية أخيه الأصـــغر:"احتـــرم نفسك يا شريف"

استكمل شريف عرضه المسرحى :"طب ليه بس كده يـــا محمود ؟ إنت ناسى هما عملوا فينا إيه؟ و مش خايف"

قاطعه محمود:"خايف ؟ خايف من مين هو أنا عيل صغير؟ إنت فاكر نفسك ماسك عليا زلة ولا إيه ؟ على العموم كويس إنك عرفت,على الأقل دلوقتى عرفت لو القضية دى اترفعت أنا هاقف فى صف مين"

هُنا تدخلت ليلى لتضيف فى حكمة مطلوبة :"مفيش داعى للكلام ده يا محمود"

أصر محمود و قد أعماه الغضب: لأ فيه داعى.

أردف شريف ساخرا:"خلاص ماشى هايـــل"ثم اســـتكمل بغضب :"أنا مش هارفع القضية,عارف ليه؟ علشان أنا أخلاقى أحسن منك و مرضاش إنى أقف فى محكمة قصاد أخويا,بـــس غير كده إنت و لا أخويا و لا أعرفك ولا عايز أشوفك تانى"

قالها شريف ثم رحل عن المكان,كادت"ليلى"أن تلحق بـــه لتهدئته لولا أن منعها محمود قائلا:"سيبيه,أكيد هايجيللو وقـــت ويفهم أن العيلة دى ملهاش مستقبل غير لو حطت إيـــديها فى إيد بعض"

***

حققت"نيفين"الرقم القياسى فى طول المـــدة الزمنيـــة الـــتى تتمكن الدهشة من السيطرة على الناس فيها إثر خبر واحد.

"متبرقيش أوى كده,طلع فى الآخـــر إن الـــصورة دى فى جراند كافيه و إنهم كانوا سكرانين و بتاع,أقعدت أنا و خالد نتخانق على الحوار ده كتير,و بعديها نادر دخل علشان يهدى الموضوع و كده,خلصت إن إحنا قولنا إن صـــحوبية البنـــات بتروح و تيجى بس إحنا إللى هنفضل مع بعض,مش هنخـــسر بعض بسبب حاجة زى دى,و خالد قعد يقوللى إنـــت بـــس عارف تسيطر على نفسك علشان الموضوع لسه حاصل بـــس إنت كمان كام شهر هاتضحك على حاجة زى دى,عـــدت سنتين مش عارف ليه لسه مش عارف أضحك"أردفت نيفين و قد نسيت أن تستغنى عن اتساع عينيها:"مارك خللى بالك إنت بتقول إيه,خالد و نادر سكرانين و أقولك ماشى لكن واحـــدة زى يارا علشان تبقى سكرانة لدرجة إن هى ماتبقاش مجمعـــة هى بتعمل إيه صعب أوى"

أجاب مارك ساخرا و قد غطت شفتيه ابتسامة جريحة:"آه يعنى إنتى إللى دلوقتى بقيتى تفهمى فى الكيف و السطلان أوى يعنى"

عاد بنبرة حديثـه إلى شـعور ممـزوج مـا بـين الملـل والحيرة:"مش عارف، عمرى ما حسيت إن يارا إللـى خالـد ونادر بيتكلموا عليها دى هى نفسها يارا إللى أنا أعرفها.. أنا عارف إن هو مابيحورروش و لا بيوقعوا و كل حاجـة,بـص برضه أنا طول عمرى من أول خمس دقايق مع أى حد بفهـم شخصيته,ما بالك واحدة أنا معاها ليل نهار"

أجابته نيفين فى اهتمام :"أنا مش قادرة أتخيل نفسى بقولك الكلام ده ..بس تحب أكلمهالك تانى؟لو ده هيريحك"

***

"إيه ده هو عيسوى لسه مجاش؟"

كانت تلك هى أول جملة صدرت عن"أحمد"منذ أن عاد هو و"مى"إلى عيد الميلاد,

غمغمت الزوجة فى حرج:"أنا اتصلت بيه زمانه جـاى فى السكة دلوقتى"

لم تكد أن تنهى جملتها حتى وصل"عيـسوى"بالفعـل إلى الحفل,رفع يديه فوق رأسه فى تعبير يشبه تكبيرة الصلاة ليسلم

على كل الجالسين بحركة واحدة مُعتذرا:"معلش يـــا جماعـــة اتأخرت شوية,كنت فى التدريب,عاملة إيه يا مى إزيك ؟"

***

مر الكثير من الوقت,أوشك الليل على منتـــصفه,ثـــلاث ساعات كاملة قضاها المدعوون بلا أى شىء يـــشغلهم,محـــور الاهتمام الأساسى و الوحيد هو الطفل,انطوى أحمد شمس بعيدا و ظل يراقب الجميع و هم يحيطون بالطفـــل و ينقلـــون إليـــه فرحتهم,ظل نظره متعلقا بالمشهد,لم يكن كلامهـــم واضـــحا بالنسبة إليه,و كأن موسيقى حزينة قد غطت على تلك الصورة فى عقله,لسبب ما تذكر ابنه"على",فبالطبع لم تمر دقائق إضافية قبل أن يهمس فى آذن"مى":"بقولك إيه أنا مش قادر أقعد أكتر من كده هموت و أنام,تيجى أوصلك معايا؟"

-"طب ناخد هبة معانا,أنا كنت المفروض هاوصلها"

أجاب فى سخط :"يا دى هبة! إللـــى طالعـــاللى فى كـــل حاجة,هاتيها ماشى"

***

كان الحديث التالى هو إحدى الهمسات الجانبيـــة فى عيـــد الميلاد,اقترب"إيهاب عيسوى"من زوجته ليوضح شيئا ما قـــد

تذكره:"آه صحيح كنت عايز أقولك بكرة متعمليش غدا,أنـــا هاتغدى فى النادى مع حسام,مش هاجى غير بالليل"

أجابته الزوجة فى غضب :"حسام مين؟"

تملكته الدهشة :"حسام مين؟حسام الولد إللى بدربه"

-"إيهاب مش ملاحظ إن"

قاطع حديث الزوجة دون قصد أحمد شمس عندما وقف هو و مى و اقترب من الاثنين ليعتذر:"معلش بقى يـــا عيـــسوى هنروح بقى إحنا دلوقتى"

رسم عيسوى على وجهه ملامح الانزعاج"ليه ؟ ما تخليكوا قاعدين!"

أردف أحمد :"يا دوبك أنا بكرة مفروض أعمـــل"البـــاك أب"بتاع"السيستم"كله,حاجة كده بنت كلب مفروض أناملها بدرى"

غمغم عيسوى مُبتسما:"خلاص خلاص ماشى,مع السلامة"

أردفت هبة فى مرح:"قول لطارق كل سنة و هـــو طيـــب بقى"

بدت الدهشة على وجه عيسوى و هو يسألها:"إيه ده ؟هو إنتى كمان مروحة معاهم؟"

***

أحمد شمس لا يحتاج إلى صحبة هبة غير المرغوبة لتكتمـل أحزانه,بداخل ذهنه كوابيس كافية لإيقاظه لسنين قادمة,يكفى بعده عن ابنه,و جد منفذ من كل ذلك فى الارتياح الذى يعـم بمجرد بدء حديثه مع مى,لم تكن تلك أول مرة يحاول أحمد أن ينفرد بـ"مى"ليشكى إليها أحزانه فتقفز"هبة"بلا دعوة و تفسد كل شيء,,الآن هو واقف مع مـى و هبـة خـارج المجمـع التجارى,يلعن سرا اليوم الذى ظهرت فيـه"هبـة"فى مكـان عمله,و كأى لقاء يجمع الثلاثة يجب أن يسيطر على الحـديث نفـس الموضـوع المُكـرر و المُمِـل"لمـاذا لا يتـذكران بعضهما؟",هتفت"هبة"فى وجه أحمد:"إيه ده! ثانية واحدة أنـا افتكرتك على فكرة,أنا مش قادرة أصدق إنك مش فاكرنى"

أجابها بقرف :"خـلاص متـصدقيش,أنـا فعـلا مـش فاكرك,حاولت أفتكرك معرفتش".. رمقته"مى"بنظرة غاضـبة بعد تلك الجملة الأخيرة.. أردفت"هبة"فى فرحة غير مفهومـة بالمرة :"كنت عارفاك من العجمى"

ابتسم أحمد إبتسامة صفراء :"بجد والله؟"

استكملت هبة:"آه كنت ساكن إنت عند كنتاكى كده"

أضافت"مى"فى لهجة احتفالية:"هو كان عندهم فيللا هنـاك فعلا يبقى افتكرتيه بجد"ثم التفتت لأحمد لتسأله :"إنت إزاى يا أحمد مش فاكر؟"

أجاب و هو يحاول الحفاظ على هدوئه:"معرفش يا جماعة مش فاكر و خلاص"

استكملت هبة:"ده أنت حتى كنت كتبتلى جواب"

سألتها مى فى دهشة:"جواب؟"

زادت سخرية هبة :"آه جواب غرامى و بتاع ! كنا اتخانقنا وكده قام كتبللى جواب"قالتها لتعيد على مسامعه نفس السؤال الأزلى ذو الإجابة الواحدة:"إنت بجد يا أحمد مش فاكر؟".. و بدون سابق إنذار تحول رفض أحمد للموضوع إلى صراخ غاشم,:"لأ مش فاكر.. أنا مش فاكرك و مشوفتكيش قبل كده,إيه الغريب يعنى؟ إيه الصعب فى إللى أنا بقولوه .."

وصل صياحه بوضوح إلى مسامع العشرات من الشباب المُتسكعين خارج كارفور, لم تكد ابتسامات الفتاتين تتلاشى إثر سلوكه المُفاجىء,حتى سمع الثلاثة أحد الشباب الذين اتخذوا باب الـ"المول"مكانا للخروج:"خلاص بقى الراجل مش فاكرك"قالها فانفجر أصدقاؤه من الضحك,أستلم صديق آخر منه راية التحرش اللفظى:"طب تعالى كده أنا بشبه عليكى أصلى"و ازداد ضحكهم,

نظر إليهم"أحمد"و قد تسلقت ملامح الغضب وجهه لكى يبرز بشدة عرق فى منتصف جبينه اشتهر به حين

غضبه,حاولت"مى"أن تهدئه بجمل و عبارات من نوعية"سيبك منهم يا أحمد دول عيال هابلة"

***

لم تكن مجموعة الشباب هذه إلا أعضاء الفرقة الموسيقية

Born in hell

التى يتزعمها نادر منذ أكثر من سنتين,اشتهر أعضاء الفرقة بإثارة المشاكل فى كل مكان يذهبون إليه,

***

حاولت"مى"أن تهدأ أحمد ولكن على غير هواها,لم يـصل من عباراتها الأمومية حرف واحد إلى مسامع"أحمد"الذى سيطر اللون الأحمر على وجهه,اقترب من مجموعة الشباب ليقـف فى وسطهم و ليقول بهدوء:"إيه يا كباتن فى إيه؟ مش عيب برضه"

هتف أحدهم ساخرا: الله ده بيتكلم!!

فاستكمل الأخر الدُعابة:"اقلبه على وشه يمكن يقول ماما ولا حاجة"

انتظر أحمد حتى ينتهى ضحكهم ليردف بضجر تحذيرى:"طب ليه القلش ده بس؟ هاتخلينى آخد على خطرى منك بعدين"

هتف أحدهم :"تاخد على خاطرك؟لا يـا حبـيبى خـد مايهمكش.. تحب حضرتك تخده هنا و لا تروح بيه تاخـده تيك أواى؟"

ابتـسم احمـد مـن بـاب المُجاملـة و التـهكم فى آن واحد:"هاهاها لا لا مش ممكن,إيه اللذاذة دى؟"

تلاشت ابتسامة أحدهم لتحتل مكانها ملامـح القـرف: "شوفت إزاى بقى"

أجاب أحمد ساخرا: لا شوفت يا حبيبى شوفت,

قالها أحمد ليأخذ سيجارة من يـده دون إسـتأذان و هـو يضيف:"هات بقى السيجارة دى علشان محدش يتلسع بس"

أخذ أحمد نفسا مُملا و بطيئا من سيجارة الشاب لـيغمغم فى ارتياح عجيب :"لأ بس إنتوا شباب زى الفل والله العظيم.

-"ربنا يخليك"

أضاف أحمد و هو يأخذ نفسا آخر:"لأ حقيقى يعنى,شوف الواحد مبطل سجاير بقاله قد إيه ."

قاطعه أحدهم,كانوا قد شعروا بالغرابة من سلوكه الذى لا يُحسب سلما أو حربا :"طب إنت جاى تقـول حاجـة ولا تعمل حاجة يعنى فى يومك ده ولا إيه نظامك؟"

أومأ أحمد برأسه مُتفهما: ثانية واحدة أسحب آخر نفس بس,و بعد كده نتخانق"

قالها أحمد و هو يسحب ذلك النفس الأخير و يرمى السيجارة داخل تى شيرت الأول.

ثم يلكم الثانى بقبضته و يضرب الثالث ما بين رجليه.

هذا كله قبل أن يأتى نادر الذى لم يكن واقفا معهم ليهتف مهدئا:"خلاص خلاص إحنا أسفين"

نظر إليه"أحمد"و هو يلتقط أنفاسه قبل أن يهتف بغضب ليرحل بعدها عن المكان:"و لما إنتو مش قد المزاولة,بتزاولوها ليه؟ده إنتو جيل ابن وسخة مجابش راجل صحيح"

***

"مشكلة الجيل ده هو التسرع,و إنه عايز يظهر وخلاص,لازم الولاد إللى عندهم تمنتاشر و تسعتاشر سنة يتعلموا إلهم يقعدوا مع الأجيال إللى أكبر منهم علشان يتعلموا من خبرهم .."

كانت تلك واحدة من مجموعة ضخمة من جمل بنفس النوعية لم يكف"إيهاب"عن إصدارها منذ أن وصل هو وزوجته إلى بيتهما بعد انتهاء عيد الميلاد,استكمل رغم عدم

اهتمامها لما تقوله"يعنى مثلا حسام ده,بيلعب حـــل أوى لـــه مستقبل فعلا بس مابيعرفش يتقبل النقد من أى حد عارفة لو"

قاطعــت الزوجــة حماســته الزائــدة بــشأن موضــوع تدريب"حسام"ككل:"مش ملاحظ إنك مدّى للواد إللى اسمـه حُسام ده اهتمام زيادة عن اللزوم ؟مش ملاحظ إن ابنك أولى بالاهتمام ده منك؟"

لم يجد"إيهاب عيسوى"أى رد مقنع يستعين بـــه لتكـــوين إجابة منطقية للسؤال الذى لم يتوقعه,

***

آخر ما كان"نادر"ينتظره بعد نجاح محاولته فى إخراج أعضاء فرقته الموسيقية من الورطة التى أوقعوا نفسهم فيها مـــع أحمـــد شمس,هو السخط غير المفهوم الصادر من أعضاء الفرقة,هتـــف أحدهم فى غضب :"هو إنت إيه إللى دخلك فى الحوار ده من الأول!"

أجاب نادر:"أمال عايزنى كنت أعمل إيه؟ أسيبكم تقعوا فى المشاكل و أعمل نفسى مش شايف؟"

فهتف الآخر (و كان هذا الآخر يُسمى أحمد على) :"مـــا تسيبنا يا أخى فى حالنا,ماتسيبنا نعمل إللى إحنا عايزينوه,هـــو حد فينا كان عيّنك تمشينا كلنا على دماغ أهلك"

و كانت تلك هى أول مؤشرات فشل فرقة Born In Hell كان هذا هو بداية الانقسام.

***

مرت الأسابيع ليأتى اليوم المُنتظر,اليوم هو الموعّد المحدد للاحتفال بمهرجان الكيرماس السنوى,و هو مهرجان ترفيهى يُعقد كل عام لصالح القضايا الخيرية,هُنا تتجمع الطبقى الوسطى لكى يأكل الفقراء,الكُل موجود,الجميع هُنا,انظر حولك و سوف تجد معظم من تعرفهم فى الإسكندرية,هناك المشاهير,الكثير منهم,ستجد المُطرب مصطفى قمر,قد تتعثر دون قصد فى وسط الزحام لتصطدم بإحدى أعضاء فرقة واما الشهيرة,ستتعرف لأول مرة بأحد معالم الإسكندرية السياحية : شاب يُسمى"برازيلى"قد حقق الرقم القياسى فى المدة القصوى لعدم التعامل مع أى حلاق لتصل قمة شعره الخشن إلى السقف حتى لو وقف فى مكان مفتوح و ليصبح مُشابها للغاية لشخصية"هيثم"فى مُسلسل"تامر و شوقية",كما أن هناك من الأناس العاديين من لم يحصلوا على أى نصيب من الشهرة الإعلامية,ستجد البارودى و هانى مع أصدقائهم الجدد,نادر وخالد و نيفين,ستجد يارا,ستجد أحمد شمس و إيهاب عيسوى و هبة و مى,فقلما ينسى خريجو المدارس الفرنسية حضور ذلك

المهرجان الذى يُعيد إلى أذهانهم قديم الذكريات,إن سألت أيـا من هؤلاء عن سبب وجوده هُنا فسيجيب بأنه أتى باحثا عـن المرح و لم الشمل مع أصدقائه القدماء,و لكن هل يُعد هذا هو السبب الحقيقى؟بالطبع لا,لكل منهم أهداف خاصة و أجنـدة سرية أتى هُنا لتحقيقها,مُصطفى قمر قد أتى لأحياء الحفل دون أن يُطلب منه أى شخص ذلك فى محاولة يائسة لدفع مبيعـات شريطه الجديد و الذى بدأت عملية توزيعه فى الإسكندرية منذ أيام دون أى رد فعل من الجمهور,برازيلـى تـرك التحـضير للامتحانات و نزل من بيته خصيصا ليقضى بشكل نهائى على إشاعة مُغرضة و حقيرة مُفادها أنه قد نوى تقصير شعره ليصبح شكله مُشابها لبقية البشر العاديين الذين يـسكنون كوكـب الأرض (!),حتى غير المشاهير كانـت لهـم أهـدافهم غـير المُعلنة,أحمد شمس أتى مع مى ليفاتحها بنوايا الارتباط بها,لسبب غير مفهوم عندما سمعت"هبة"بذلك جمعت الكثير من زمـلاء العمل بما فيهم إيهاب عيسوى لإفساد فرصة أحمد شمس,يـارا أتت لأنها أرادت أن توضح لخالد أنها لن تنكسر لفراقه,أردات أن يراها و هى تضحك و تستمتع بوقتها دون الحاجة إليه,محمد البارودى أتى ليوثق صداقته مع أصدقائه الجدد,هانى قد أتـى ليحرص على فشل محمد فى ذلك,نـادر لم يكـن مـن زوار المهرجان بل كان من المشاركين فى الحدث,كان واقفـا عنـد

أحد الأكشاك يحاول جذب الناس لتجربة لعبة التنشين,الكاريتاس شارك هذا العام بعدد أكبر من الأكشاك ليجد نادر أن الكشك الذى وقفت فيه"ريم"يقع بجانبه تماما,من الواضح أن نادر قد أتى خصيصا ليراها,أما نيفين فقد أتت من أجل يارا,فى آخر لقاء ما بين نيفين و مارك ازداد إلحاح ذلك الأخير عليها لمساعدته فى الرجوع إلى يارا,وعدته بأنها ستكلمها فى أقرب فرصة,و كان هذا المهرجان هو أقرب فرصة,

ظلت نيفين تراقب يارا لساعات عدة فى انتظار الوقت المُناسب للحديث معها,ببعض التشجيع من مارك قررت أن تقترب منها دون أى مُناسبة,و يا ليتها ما اقتربت,

"و هى دى حاجة تتنسى أساسا ؟!,إسْمعى أنا كل سنة بفتكر عيد ميلاده يعنى؟"

قالتها يارا و قد تمكن منها الغضب بشدة,نعم هذا صحيح,السبب الذى اتخذته"يارا"للافتراق عن"مارك"كل تلك الفترة هو تخلفه عن حضور حفلة عيد ميلادها (!),فكان من الطبيعى أن تجيب"نيفين"فى رد واضح:"أنا أول مرة أسمع عن بنت تفركش مع حد علشان نسى عيد ميلادها,سورى يا يارا إنتِ كده بتتلككى يعنى"

أجابت تلك الأخيرة فى برود:"و هاتتلكك ليه مانا لو عايزة أخلع من الموضوع ده من غير سبب,هاخلع من غير سبب"

-"ما هو أصله سبب مش مقنع خالص يعنى"

-"محادش طلب منك إنك تقتنعى على فكرة,و بعدين دى مش الحاجة الوحيدة,فى حاجات كـــتير أوى بيعملـــها أنـــا ماينفعش أحكيهالك"

-"عملك إيه يعنى ؟ما هو مهما عمل مش هيبقى زى إللى إنتى بتعمليه فيه و هو بيفوتهولك و بيعمـــل نفـــسه مـــشافش حاجة"

رغم إن يارا إى أكثر المنافقين مهارة إلا إنها هى نفـــسها لم تكن تحب أن تستمع إلى تلك الجمل التى تقول شيئا لتعنى شيئا آخر,فازداد غضبها :"بجد و الله؟زى إيه طيب,فكـــرينى كـــده يمكن أنا مش واخدة بالى و لا حاجة"

-"كفاية أوى حوار شرم"

قالتها نيفين قبل أن تعقد يديها أمام صدرها و كأنها تتشفى فى محدثتها.

أردفت أو بمعنى أصح صرخت :"شرم ؟ الموضوع ده قرب يعدى عليه سنتين !,إنتى جاية تصلحى المشكلة ولا توقعى مـــا بينا؟!"

"إنتِ إللى قولتيلى هاتيلى مثل,قومت قولتلتك مثل,اصـــلك حسستيني بكلامك إنك ملاك مثلا,و إن يا عيني مارك هو إللى ظالمك و بتاع"

سألتها يارا على سبيل التأكد ليس أكثر:"جايـــة تـــوقعي يعني؟"

-"مش عارفة، شوفى إنتِ بقى، أنا السبب الوحيـــد إللـــى خلاني آجى و أكلمك إن مارك قعد يتحايل عليا علشان أعمل كده"

-"و لو مكانش اتحايل ؟ كنت هاتعملى إيه إن شاء الله ؟

كان صوتهن قد ارتفع بـــشكل نـــسبى رغـــم حـــساسية الموضوع,

-"مش عارفة كنت هاعمل إيه بالضبط,بس مهمـــا كـــان إللى كنت هاعملوا,أكيد,أكيد مكنتش هاجى و أقف معاكى و أقولك الكلام ده"

و بعد أن تحولت المُناقشة إلى حدث إعلامى,أصبح الانتصار هدف غير مقبول التنازل عنه,ليس أمام ذلـــك الحـــشد مـــن الناس,فاستكملت"يارا"بذكاء تُحسد عليه,:"روحـــى بلغيـــه وقوليلوه يشوفله واحدة تانية لو هو شايف إنه أنضف منى ولا حاجة,و هى فرصة تظبطيه"

حل الاندهاش محل الغضب عند نيفين و هى تسأل فى حيرة و حذر :"أضبطه إزاى يعنى ؟"

-"إيه ده يا نيفين مش معقولة مش عارفة يعنى إيه تظبطيه؟المفروض تبتدى تخرجى مع بنات فى سنك مش معقولة كده,تظبطيه يعنى تصاحبيه يعنى تخليه يعبر أهلك من الآخر"

كل ما قيل بعدها لم يصل إلى آذان"نيفين",كل ما حدث وأتى بعد ذلك لم يعد مهما,فالرصاص الجديد لن يقتل رجلا قد مات مُسبقا,فلقد وصلت نيفين إلى قمة حزنها بالفعل لا شيء فى العالم يمكن أن يخفف من حادثة إحراجها أمام جمع غير قليل من الناس,رغم كل ذلك استكملت"يارا"عرضها المسرحى :"إيه مالك بتبصيلى كده ليه؟هو إنتِ فاكرة كل ده إنى مش حاسة ولا إيه ؟و لا مش شايفاكى و أنتِ عمالة تتلزقى فيه و هو مش معبرك,إنتِ صعبانة عليا أوى على فكرة,أنا مشوفتش بنت بترخص نفسها زيك كده"

لم تسنح ليارا الفرصة لكى تستكمل كلامها,كانت نيفين قد شقت طريقها وسط الناس و هى تجرى هاربة من الموقف تختفى قبل أن يرى أى شخص دموعها,لم يكن"مارك"قد أتى إلى الكيرماس لكى يرى هذه الحادثة فيشارك فيها سواء بالسلب و أو بالإيجاب,كان لهذا المشهد متفرجان أساسان

أحرين هذه المرة"محمد البارودى"الذى ظل يدرس ذكاء يسارا الاجتماعى و قدرتها على قلب موازين المناقشات و إلباس الباطل بالحق,أما المتفرج الثانى فكان"نادر"الذى رغم كونه بعيدا عن الحادثة إلا إن بصره قد وقع على"نيفين"و هى تبتعد عن الزحام.

***

استغلالا للفرص التى أتاحتها الظروف قرر"نادر"مُساعدة زميلة"ريم"فى الكشك المُجاور,من سبيل التعرف أكثر بريم نفسها,و لكن هذا لم يحدث,فكانت لدى"ريم"خطة مضادة تتكون من وجه غاضب و أعين لا تقع عليه و لسانها الذى لا يتحدث معه,كان قد سئم من الحديث إلى زميلتها القبيحة بدلا منها فقرر المُخاطرة,و توجيه الكلام إليها بغض النظر عن العواقب"على فكرة شوفتك فى هاندز يوم الحفلة بتاعتى,مسمعتيش كلامى و جيتى برضه"

لم تجد ريم ما تجيب به حتى لو أرادت فهى لسبب أو بآخر كانت هناك بالفعل مع صديقات لها.

استكمل هو فى نشوة إنتصار:"طب المرة إللى جاية يبقى هاتى نمرتك كلمنى قبليها أخليهم يقعدوكوا فى مكان أحسن"

هُنا أجابت فى عصبية مندهشة من وقاحتها :"إنت عـــايزنى أديلك نمرتى؟"

هز نادر كتفيه و مط شفتيه فى لا مبالاة:"آه إيه المشكلة"

وضعت يديها حول وسطها و هى تسأله غاضبة :"ليه بقى إن شاء الله؟"

أجاب بنفس البرود:و ليه لأ؟.

-"بص يا نادر من الآخر كده أنا كل ده ساكتالك عشان إنت صاحب خالد بس والله العظيم لو ما اتلميت"

كان من الطبيعى أن يكون رد فعل نادر القـــادم فى نفـــس درجة الاستفزاز التى كانت عليها كل عباراته السابقة,أو على الأقل كان هذا هو المتوقع,لكنه لم يفعل لم يرد بل لم يعر إنتباها من الأساس,أراد أن يفعل بالطبع و لكنه فوجىء بحدث أهـــم أولى بأهتمامه,فوجىء ب"نيفين"تجرى و هى تخفى دموعها"

كانت ريم مازالت تصيح فى وجهه,جرى و تـــرك تلـــك الأخيرة وكأنها مجنونة تكلم نفسها غاضبة لسبب لا يعنيه فمـــا كان منها إلا أن هتف فى استنكار:"إيـــه ده هـــو أنـــا مـــش بكلمك؟!"

لم يسمع تلك العبارة الأخيرة كان قد رحل بالفعل,كان قد ابتعد عن الزحام الذى ينتمى الجميع إليه,

لاحظ هاني متأخرا وجود يارا في المهرجـــان , لم يتوقـــف للتفكير في سبب الزحام المحيط بها, لقد اعتاد أن يراها دائما في وسط هالة بشرية من المعجبين,إقترب منها مُبتسماً, لم يكد أن يسألها عن شيء أو شيئين لكي تسأله هي :"هو مين ده؟"قالتها و هي تشير إلى شخص ما في الساحة المجاورة , لم يفهم قصدها في البداية ليكتشف فيما بعد أنها تقصد بسؤالها محمد البارودي الواقف بعيد نسبيا عنهم , سألها هو في قرف و انزعـــاج:"و هو إنتي تعرفيه منين؟"

-"يوم ما قابلتك في المصريين و أداني موبايله أتكلم منه"

أردف في صرامة هادئة"ملكيش دعوة بالواد ده يا يارا"

-"ليه؟"

-"علشان وسخ"

-"وسخ بيعمل إيه يعني؟"

-"كل حاجة ممكن تتخيليها"

استفسرت بلهجة سادت عليها السخرية"حاجة أنا مكونش باعملها مثلا؟!"

ازدادت صرامته"بصي أنا بقولك كده علشان مصلحتك,لو عايزة تتعرفي عليه اتعرفي عليه بعيد عني أنا مليش دعوة"

***

كان أحمد شمس قد قضى الكثير من وقته محاولا العثور على الطريقة المُثلى ليفاتح"مى"فى رغبته بالارتباط الرسمى بها, فكر فى مطعم رومانسى فى"المُنتزه",ثم فكر فى فيلم رومانسى يكـــشف بعده عما فى قلبه,فكر و فكر وفكر, ثم توصل أخيرا إلى فكرة غريبة للغاية, قرر لسبب ما أن يفاتحها أثناء إحتفال الكيرمـــاس الذى يقام فى مدرسته القديمة فى نفس المكـــان الـــذى شـــهد مراهاقته و بداية رحلته عن المرأة المناسبة.. الرحلة التى انتـــهت بالعثور على مى نفسها,و كأنه يحاول أن يثبت لجدران المدرسة العتيقة شيئا ما, و بالفعل إستعان بمكانته كقائد سابق فى حركة الكاريتاس Mouvment du Caritesse ليعثر علـــى تذكرتين لحضور الكيرمـــاس, وكالعـــادة وقفـــت"هبـــة"فى طريقه,كانت فى الشركة عندما سمعته يشكر شخص ما هاتفيا على التذاكر فسألته بصوت عال إذا كان يستطيع أن يجلـــب المزيد من التذاكر لها للآخرين,ليتحول الكيرماس فى غـــصون ثوان إلى حدث دعوته عامة لكل العاملين فى الشركة,و ليـــأتى اليوم ليجد نفسه وسط جميع زملائه,فهل سيطرح الـــسؤال؟ لم يعرف معنى كلمة"الاستسلام"على أى حال, هو شخص مرن للغاية لم تمنعه تغير الظروف قط من الوصول إلى هدفـــه بـــل كانت تغير طريقة الوصول ليس أكثر, لم يحاول حتى أن يبتعـــد بهبة عن الجميع ليفاتحها,بل فاتحها فى الموضوع علـــى مـــرأى ومسمع من الجميع,صحيح أنه لم يقترح الارتبـــاط الأبـــدى بشكل مُباشر إنما عندما يكون الحب متبادلا يـــصبح التلمـــيح

كافيا, أكثر من كاف ,ارتبكت"مى"بالطبع استأذنت الجميــع, سحبت معها صديقتها"هبة"و ابتعدتا عن الزحام, دخلا فى أول حجرة خالية, كانت عبارة عن فصل مظلم غــير مــستخدم, مكان مناسب للغاية للاختلاء بالنفس,نفس الغــرض الــذى إستخدمته"نيفين" ,لقد أتت هنا لتبكى دون شهود على الدمع, لم يدركن"هبة"و"مى"وجودها أثناء دخولهن,و ساعدهن علــى ذلك ظلام المكان، كثرة الضوضاء فيه و انــشغالهن بموضــوع مهم, دخلن فأغلقت"هبة"الباب لتسأل صديقتها المرتبكــة فى انزعاج. "إيه يا بنتى مالك فى إيه؟ جريتى فجأة كده ليه؟ مــش وقت هطل خالص على فكرة"

سألتها مى فى فرحة قلقة:"هو على كان عايز يقوللى إيــه بالظبط ؟هو كان بيلمح لإيه؟هو ناوى يطلب إيدى؟"

هبة (بعصبية)"طب ماتروحى زى الناس العاقلة كده و إنتى تعرفى!"

-"أحلفك بأغلى حاجة عندك قوليلى,هو يقصد إللــى أنــا فاكرة إن هو عايزه"

-"أيوة"

ازدادت لهفة مى:"أيوة إيه؟أيوة إيه؟"

لم تمنع هبة نفسها عن الابتسام و هى تؤكد:"أيــوة عــايز يتقدملك,هو بس مستنى قضية ابنه تخلص,خلاص ارتحتى؟"

كانت"نيفين"تراقب من آخر الحجرة الحوار السابق, كانت آخر ما تحتاجه الآن هو رؤيتها لأخريات قد نجحن فى الوصول إلى ما حاولت طوال عمرها أن تصل إليه هى, انتظرت نيفين حتى خرجن الفتاتين الغامضتين, وحتى انخفض صوتهن تدريجيا مع ابتعادهن,لتدفن رأسها بين يديها لتبدأ نوبة جديدة من البكاء, لم تكد تفعل حتى شعرت بيد على كتفها, استدارت من الفزع لتفاجأ بنادر..فلم تجد من نفسها إلا أن تقوم و تحضنه وتبكى.

-"خلاص خلاص مفيش حاجة تستاهل"

قالها هو فى حنان و يرتب على ظهرها,حاولت أن تبرر دموعها"إنت مش عارف هى قالتلى إيه"

أجاب مهونا:"ماسمعتهاش بس متخيل,دى شخصية وسخة"

"أنا إيه إللى جابنى النهاردة,إيه إللى خلانى أكلمها؟"

"إللى خلاكى تكلميها إنك بتحبى مارك يا نيفين,بينى وبينك مارك يستاهل"

"ممكن تكون يارا عندها حق ممكن أكون فعلا برمى نفسى عليه,ممكن يـــ"

قاطعها نادر:"ششش مارك محتاجك إنتى,و مفيش بنت هتفهموه زيك"

-"إنت شايف كده؟"

- أى أعمى يقدر يشوف حاجة زى دى.

- : أمال هو ليه,

نادر(يقاطعها):علشان حمار,مش عارف مصلحته فين.

إبتسمت نيفين إبتسامة مجروحة ليبتسم نادر بدوره وليقترح.

"تحبى تروحى دلوقتى"

"آه كفاية كده بقى,أنا مش قادرة أقعد هنا أكتر من كده"

-"طب تعالى هوصلك"

"إيه يعنى هتسيب الكيرماس كده و تمشى عادى؟!!"

أجاب ساخرا :"كده كده كل الناس إللى فى الكيرفايون بيتلككوا علشان يطردونى منها,فماجاتش على دى يعنى"

كان مشهدا مؤثرا بالفعل رغم إنه لم يحظى إلا بمشاهد واحد : ريم التى تركت كل شيء لتراقب"نادر",فجأة وجدت فيه ما تبحث عنه فى الرجل,رحلت عن المكان حتى لا يلحظا وجودها,رحلت بجسدها فقط و لكن عقلها لم يرحل من هناك,ما زالت تفكر فيما رأته,لقد قضت عمرها تبحث عن الرجل المُناسب,و لقد أصبح نادر أحد المُرشحين,

فى مكان آخر من المهرجان كان"خالد"واقفا مـــع"محمـــد البارودى".

لقد ترك الاثنان كل ما حولهما من فرص اجتماعية لكـــى يتفرغا لتحدى بعضهم,هزم محمد صديقه الجديـــد فى معظـــم الألعاب تقريبا,أتى الدور على لعبة التنــــشين,أمـــسك خالـــد بالبندقية بكل ما لديه من قوة و إصرار,أردف محمد البـــارودى مُحذرا :"خالد على فكرة إنت وشك لونه مش طبيعى"

تجاهل خالد النصيحة اقتربت سبابته من الزناد,أغلق إحدى عينيه ليرى بالأخرى أوضح,نظر إلى الهدف أمامه,و كلما نظر أكثر كلما ابتعد الهدف و قلت دقته,و بدأ العالم تـــدريجيا فى التحول إلى الظلام الدامس,كان ذلك هو آخر مـــا رآه خالـــد قبل أن يقع على الأرض,قبل أن يفقد الوعى تماما,

الفصل الثالث عشر و الأخير

قلبت صعايدة

لم يقتصر المهتمون بحالة"خالــد"و المنتظــرون فى ردهــة المستشفى علــى أبيــه و أمــه فقــط,بــل تــضمن ذلــك أيضا"مارك"الذى أتــى مــن بيتــه مُــسرعا عنــد سماعــه للخبر"نيفين"و"نادر"الذان سمعا بما حــدث قبــل مغــادرتهم للمهرجان يبحثان عن مكان فى الشارع المجاور للمــبنى لكــى يركن فيه نادر سيارته"ريم"و"محمد البارودى"أيضا كانا هناك,و هذه هى إحدى المميزات التى يتمتع بها شخص ماهر اجتماعيا مثل"خالد",من الجيد أن تجد الكثيرين ممن يهتمــوا لأمــرك و خالد حالته الآن فى طور التحسن كما أوضح الطبيب المسئول عن حالته فى مستشفى الــI.C.C. بعد مكوث الأول لمــدة أربعة ساعات فى غرفة العناية المركزة,

بعد أن قالها الطبيب ليقل قلق الجميع نسبيا طلــب ذلــك الأخير التحدث إلى والدى"خالد"على انفراد,ليخبرهما بشىء ما يخص حالة"خالد"الصحية لا يستطيع أن يعلنه أمام الجميع.

***

بعد أكثر من أربعة دقائق قضاها والدى"خالد"مع طبيــب ابنهما خرجا أخيرا و قد احتل الشحوب وجه الاثنين؟.

لم تكد أى شرارة للحديث تشتعل مـــا بـــين شـــريف و أصدقاء"خالد"حتى ظهر نادر فجأة هو و نيفين لتـــسأل تلـــك الأخيرة:"إيه إللى حصل فى إيه؟"

أجاها شريف مُهدئا:"إيه ده ؟إيه إللى جابك؟ ..ولا حاجة قعد مطبق بقالوه يومين"

قالها شريف قبل أن يمسك بذراع مارك و ليبتعد به بعيدا,

سأله شريف:"إنت و ابنى خالد صحاب بقالكم كام سنة؟"

و رغم دهشة"مارك"من طبيعة السؤال إلا أنه أجاب علـــى أى حال :"من واحنا عيال"

استكمل شريف :"يبقى لو عايز تساعد خالد بجد فى حاجة أهم مطلوبة منك"

-"ماشى إيه هى؟"

***

رغم أن ريم كانت من آخر الموجودين وصـــولا إلا أنهـــا كانت أكثرهم قلقا,عاتبها شريف على كثرة سؤالها و حركتها فى المكان بلهجة دبلوماسية موضحا :"إيه إللـــى جابـــك يـــا ريم؟!,مفيش حاجة ده بيستهبل؟"

تجاهلت هى سؤال الأب تماما :"بس هو خالـــد كـــويس دلوقتى يا أونكل؟"

أجاب شريف خافضا صوته:"آه كويس,هو فى حد جاى معاكى؟"

أجابت ريم:"آه نادر بيدور على ركنة تحت وطالع هو ونيفين"

غمغم"شريف"بعدها بكلمات غير مفهومة مُبتعدا,

هذا كله قبل أن ينجح نادر و نيفين أخيرا فى الوصول إلى الحجرة المنشودة فى المستشفى,بعد عشرين دقيقة من وصولهم رحل البارودى,كان ذلك الأخير قد أتى تأدية لواجب اجتماعى من سبيل الذوق و ليس من سبيل القلق أو الاهتمام الحقيقيين,أو ربما رحل لأنه كره أن تجمعه مع صديقته القديمة نفس الحجرة,و عندما اختفت"ريم"عن الأنظار هى الأخرى ظنها الجميع رحلت لنفس السبب,هربا من البارودى,و ظل زائرو خالد على هذا الاعتقاد حتى وجدها نادر بالمصادفة,كان فى طريقه إلى الخارج لتدخين سيجارة عندما رآها واقفة تراقب حالة خالد من وراء حائط زجاجى,تنظر من وراء الزجاج إلى خالد الذى غلبه التخدير ليدخل فى سبات عميق,لسبب ما ذكرها الموقف بكل شىء فيه بمرض أمها,لم يمنع"نادر"نفسه وهو يراقبها من الإحساس بالذنب,شعر بدنو ذاته,كيف سولت له نفسه أن يتقرب منها من وراء ظهر صديقه ؟اقترب منها,لتكن تلك من المرات القليلة التى تغلب الجدية على لهجته:

"ريم أنا آسف لو كنت فى كلامنا فى الكيرماس, يعنى وصلتلك معنى مكانش قصدى إنه يوصل, أنا هزارى كده إنـــتى بـــس فهمتيني غلط"

لم تعر الكثير من الاهتمام لما قال للتو بل ســـألته دون أى مناسبة و دون أن تنظر إليه :"هو إيه الأغنية إللى إنتو كانـــت فرقتك بتغنيها فى"هاندز"دى؟أنا أصـــلى كنـــت فرنـــساوى فمعرفش أتابع الليركس (و كلمات الأغنية) بسهولة"

أضاق عينيه و أرجع رأسه إلى الوراء و قد أصابته الدهـــشة من السؤال الذى لا يمت للموقف الكئيب بصلة :"أنـــا إللـــى بكتب الأغانى على فكرة بس مش مجمع إنتى بتتكلمى على أنهو واحدة فيهم"

استكملت و هى تتحدث ببطء و كأنها تحت تأثير مخـــدر ما:": كان إسمها They r all dead "

حاول نادر أن يقترب بذهنه أكثر من الأغنية التى تقصدها :"

They r all gone & here is me by myself In this living hell حاجة كده صح؟

-"أيوة هى دى"

-"الأغنية دى المفروض إنها بتحكى عن بنت كل مـــاتتعلق بحد يموت,فهى بقى بتعانى من"

و قبل أن يستكمل عبارته كانت قد قامت بأغرب شـــيء على الإطلاق,أرمت بجسدها داخل حضنه,و رغم بُعد الاثنين تماما عن أنظار بقية الأصـــدقاء,إلا أن ذلـــك لم يمنـــع مـــن ارتباكه,علق ذراعيه فى الهواء و هو لا يـــدرى إن كـــان مـــن المسموح له أن يحيطها بهما أم لا,و قبل أن يحسم أمره كان قد بدأ يسمع صوت بكائها فى حضنه,غمغم لنفسه ساخرا :"يلا!! دى طلعت مجنونة!"

***

كان الطلب الإنسانى الذى طلبه شريف من صـــديق ابنـــه مـــارك فى المستـــشفى هـــو أن يحـــرص ذلـــك الأخـــير ألا يتناول"خالد"أى نوع من أنواع المخدرات أو الخمور أو حـــتى السجائر دون أن يدرى خالد نفسه بذلك الاتفـــاق الـــذى تم عقده للتـــو مـــا بـــين الأب و صـــديق الابـــن.. بـــالطبع وافق"مارك"على المساعدة و تحمل بنبل المسؤولية الملقاة علـــى عاتقه,حتى قبل أن يعلم التشخيص الحقيقى للمرض الذى يعانى منه"خالد"

***

لم يكن عيسوى ليترك شيئا قد بدأه قبل أن ينهيه,و لم يكن من المقبول أن يتخلى عن تدريب حسام خاصـــة أن بطولـــة

الجهورية قد اقتربت,فبالتالى كان من الطبيعى أن يستكمل,و أن يبذل قصارى جهده, لم تقل حماسة"حسام"أو حتى"إيهاب"الاثنين توقعا الفوز هذا العام,حسام الذى يبحث عن المجد الشخصى وإيهاب الذى يرى فى تلميذه نفسه و هو صغير,و ظلت الأمور على ما يرام حتى ذلك اليوم المشئوم,عندما أنهى حسام تدريبه ليستقبل مكالمة هتفية من صديقته و قريبته لينا,اقترحت عليه"لينا"ملاقاة"هنى"و"كريم شمس"فى سان ستيفانو,

***

حالة اقتصادية صعبة للغاية يعانى منها"رامى"تلك الأيام,الأموال التى انتظر من أهله أن يبعثوا بها من الخليج لم تصل بعد,و كان قد أنفق كل ما لديه لدرجة أنه لم يعد يمتلك المال الكافى للاتصال بهم هاتفيا,حتى الإيجار,عندما ظهر مارك على باب شقته مطالبا بإيجار الشهر الجديد أوضح رامى بحرج حالة الفقر المؤقت التى يعانى منها,تفهم"مارك"و أمهله حتى آخر الأسبوع الحالى.

رن هاتفه الجوال,كان كريم هو المتصل :"- أيوة يا كريم.

- إيه يا رامى مش عارف أوصللك من الصبح!

- آه معلش كنت قافل موبايلى.

- طب بقولك,ما تجيلنا على سان ستيفانو.

- إنت و مين؟

- أنا و هنى و محمد البارودى.

- مقدرش أوعدك بحاجة,معتقدش إنه هـــاينفع أجيلـــك، عندى حوار كاشات كده.

- إيه ده ؟!! إنت لحقت خلصت ال٤٠٠ جنيه إللى إنـــت سالفها منى أنا و عمرو ؟

-أعملك إيه طيب؟ الفلوس لسه مجاتش، و أخويا بقـــالوه تلات أيام الإم إس إن بتاعه أوف- لاين.

- ماشى سلام، بس حاول تيجى برضه.

بعد حوالى ثلث ساعة من انتهاء المكاملة وجد رامى أنه لا مانع أبدا من اللحاق بأصدقائه فى سان ستيفانو,قاطعه جـــرس الباب و هو يغير ملابسه.

فتح الباب ليجد أمامه صبى يصغره بسنتان, لم يكن أول مرة يقابله,بل كان يعرفه,يعرفه جيدا,

"فهد؟ إنت جيت مصر إمتى؟"؟

قالها رامى و هو يرجع برأسه إلى الوراء من فرط الدهـــشة وهو لا يصدق ما يرى أمامه,أوبمعنى أدق من يرى أمامه.

لم يكد كريم ينتهي من مكالمته مع مع"رامي"حسن وجد محمد البارودي أمامهما"حسام"و لينا,أردف مُرحبا بلهجة احتفالية :"إيه ده إنتوا جيتوا؟!"

أردف حسام بصوت مسرع :"بص نادين لسه مجاتش,قولتلك نوصلها معانا أحسن"

سألهم كريم في تلقائية:"نادين مين؟"

أجابت لينا غير مكترثة :"واحدة صاحبتي؟ هي دايما مواعدها زبالة كده"

ازدادت ابتسامة كريم و هو يتأكد :"و اسمها نادين؟"قالها قبل أن يغلب الضحك عليه و على محمد,سألتهم لينا في حيرة : إيه ده بتتضحكوا على إيه؟

أجابها محمد البارودي من وسط ضحكاته:"لأ أصل زمان كريم كان مصاحب واحدة اسمها نادين,و كانت مواعيدها كده برضه"

لم تضحك لينا و لو على سبيل المجاملة بل تحولت ملامحها إلى التهكم و هي توضح :"طب خلاص يا جماعة بلاش كلام في الموضوع ده,علشان هي جاية فمش عايزينها تفتكرنا بنتكلم عليها هي"

إلتفت كريم برأسه فى حركة غريزية إلى الخلف ليتعرف على نادين المقصودة,و بمجرد أن استدار و التقت عيناهـا بعينـها أصـابته الـصدمة,نعـم,كانـت هـى,بـشحمها ولحمها"نادين"القديمة.

***

من الألفاظ المتكررة على ألسنة لاعبى الإيستيميشن"قلبـت صعايدة",تعبير عامى يعلن ضرورة إعادة اللعبة نتيجـة لفـشل جميع اللاعبين فى الحصول و لو على نقطة واحدة,و هذا يعـنى أن جميع التوقعات قـد بـاءت بالفـشل,و لكلمـة"قلبـت صعايدة"الكثير من المعانى التى تستحق البحث و الدراسة,مـن ضمن تلك المعانى وجود الصعايدة فى الكلمة رغم عدم انتشار اللعبة فى صعيد مصر,و لكن لاعبى الإيستيميـشن و محترفيهـا ابتكروا تلك العبارة المستوحاة من النكتة التى تحكى عن"أربعة صعايدة لعبوا كوتشينة قام الأربعة خسروا",مفهوم ما قد انتشر فى جميع بلدان العالم أن القادم من الريف غبى و ساذج حـتى يثبت العكس.

و لا تتوقف معانى تلك العبارة العفوية عند هذا الحد,فـإذا عددنا أن صوت كل أذان على وجه الأرض هو إثبات لعظمة الإسلام,أو أن صوت الرصاص و الدبابات إثبات على وسـع

حيلة الشياطين فى الإيقاع بين البشر,فإن كل مرة تنطق فيهـــا كلمة"قلبت صعايدة"(على قدر ما تبـــدو ســـخيفة بالمقارنـــة بالمثالين السابق ذكرهما) إلا أنها هى كذلك إثبات حى على أن الإنسان لا يستطيع أن يتوقع المستقبل مهما بلغ من الذكاء مـــا بلغ,أو أحاط من العلم ما أحاط.

متى كانت آخر توقفت فيهـــا أمـــام مـــشهد أو حـــدث بعينه,لتسأل نفسك,من كان ليتوقع حدوث كـــذا؟من كـــان ليتوقع؟؟؟؟؟

***

من كان ليصدق أن تتطور العلاقة ما بين"نـــادر"و"ريم"إلى هذا الحد؟!,لقد أصبحا حبيبين و عشيقين سريين,و إلا بم تفسر لقاءاتهما المتكررة و الخفية التى استمرت منذ أسابيع بداية مـــن اليوم التالى لمهرجان الكيرماس حتى هذا اليوم ؟(!!),لماذا يستترا بلقاءاتهما عن"مارك"و"نيفين",لقد وقعا فى حب بعضهما,حـــتى إن لم يعترفا بذلك بعد.

اكتشفت"ريم"أن شخصية"نادر"أجدر بالاهتمام بكثير ممـــا يبدو عليه من الخارج,كان واسع التفكير يحب ممارسة الفلسفة رغم عدم درايته بالعلم نفسه إلا أنه كان يجيد التفلسف بشكل فطرى,تماما مثل ذلك اليوم (فى شيكسبير كافيه) الذى صارحته

فيه هى بعدم رغبتها بالسفر إلى الخارج و تمسكها الشديد باستكمال حياتها داخل مصر دون كل بلاد العالم محاولةً أن توحى له و لنفسها بأنه تقوم بذلك من سبيل حب الوطن,لتفاجأ به هى و هو يوضح :"عارفة إنتي إيه مخلاكيش تسافرى بجد؟"

أجابت فى حماس غير مفهوم :"علشان بحب بلدى ومقدرش أسيبها"

هز رأسه ساخرا و هو يؤكد:"لأ مفتكرش بصراحة,عارفة إيه إللى مانعك من السفر بجد؟"

-"إيه؟"

-"فكرى فيها بالراحة كده,هنا فى مصر إنت عُملة نادرة وممكن أى شركة تاخدك علشان الكام لغة إللى إنتِ درستيهم فى المدرسة دول,بس فى أى بلد تانية هاتلاقى نفسك بتمسحى أطباق,أنا بصراحة شايف السبب: إنك هنا المُجتمع بيعتبرك بنت ناس لمجرد إنك خريجة مدرسة فرنساوى و إنك بتعرفى تتمنظرى بكلمتين إنجلش على كام لغة تانية بغض النظر عن أخلاقك كويسة و لا زى الزفت,بس لو روحتِ أمريكا مثلا هاتتمنظرى على مين بالإنجلش بتاعك؟ إذا كان أعفن واحد هناك بيتكلموا زيك و بيلبس أحسن منك,كل الحاجات إللى

بتخليكى هنا فى مصر بنت من طبقة اجتماعية كويسة مش هاتعرفى تتضحكى بيها على حد بره,لإنك مهما لفيتى العالم مش هاتلاقى حد بياخد بالمظاهر زى شعب مصر إللى بيتوقع إنك شخصية محترمة لمجرد إنك بتلبسى كويس"

باختصار كان"نادر"مقنعاً للغاية لمحدثه إذا أراد ذلك,كثرت لقاءاتهما و ساعد على ذلك مكوث"خالد"فى المستشفى وانشغال"مارك"و"نيفين"بالعناية به على قدر المستطاع,كان لهما فى كل يوم مكان جديد يقترحه أحدهما فيذهب إليه الاثنان, واليوم كان هذا المكان هو الإستوديو الذى يتم فيه تسجيل أغانى فرقةBorn In Hell,جلس الاثنان داخل حجرة التسجيل و لم ينتبها حتى للتعليقات التى أعرب بها اثنان من أعضاء الفرقة كانا قد ظلا يراقبا الحبيبين خلف الزجاج أردف أحدهم إلى الآخر بضيق :"مش فاهم يعنى إيه القرف ده؟ والبروفة إللى إحنا سايبين علشانها امتحاناتنا و جاينلها من آخر الدنيا مش هاتتعمل يعنى علشان هو جايب البرقة بتاعته بروح أمه؟!"

أجابه زميله فى ثقة :"برقة مين ؟ لا دى مش صاحبته على فكرة"

- أمال صاحبة مين؟

- عارف خالد إللى دايما معاه ده ؟ دى هى المفروض صاحبته هو.

– كمان؟ يعنى مغلطتش لما قولت عليه وسخ بقى.

قالهـــا ثم رحـــل الاثنـــان وســـط غـــضبهما ليتركا"نادر"و"ريم"وحدهما,ليسرقهما الوقت داخل الإســـتوديو المهجور حديثا,كانت هى تغنى على سبيل المزاح و هو يعزف على الجيتار على سبيل المجاملة,تقطع غناءها لأكثر مـــن مـــرة بسبب الضحك الذى يغلب عليها,حتى توقفت تماما لتوضـــح وسط قهقهتها :"بص أنا أصلا صوتى زبالة و يقرف الحمـــار الجربان السقعان فى الصيف"

أجاب ضاحكاً:"طب جربان و فهمناها سقعان فى الصيف إزاى يعنى؟!!"

–"علشان حمار بقى,زيى كده بالظبط لو فكرت إنى صوتى حلو"

أجاب بحكمة غير مطلوبة:"لأ ما هو بصى صعب جدا إنك تلاقى بنت صوتها لايق على الماتيل,أنا بس عايز أعـــرف إيـــه رأيك فى الإحساس,إنك تبقى واقفة قدام الميكريفـــون كـــده وسامعه صوتك فى السماعات ووراه جيتار وبتاع"

– إحساس جامد أوى بصراحة,هو إنت كتبت الأغنية دى إمتى؟

-Everybody Is Gone؟ أول لما أمى ماتت علـــى طول.

أردفت فى حرج : أنا آسفة مكنتش أعرف.

أجابه ضاحكا ضحكة المهموم :"آسفة ليـه؟ هـو إنـتى إللىكنتى قتلتيها يعنى؟"ثم سيطرت الجدية على ملامحه و هـو يستطرد:"لأ أنا كده مبعرفش اكتب ولا جملة غير لما حاجـة جامدة أوى تحصللى,يعنى حد مات بنت قلبتنى,عارفة Can't say go to hellإللى لسه مسمعاليك دى ؟ دى اتكتبـت لما كان فيه بنت اسمها نادين,يعنى فركشنا"

سألته على سبيل الاطمئنان و ليس الفضول:"دى غير نادين إللى كانت صاحبة خالد طبعا"

- لأ هى,

قالها قبل أن يضيق عينيه و ليسألها فى ضيق:"هو قالك إنهـا كانت صاحبته هو؟"

ارتبكت و شعرت بإنها قد سببت مشكلة بينه و بين صديقه فسألته هى بدلا من الإجابة:"لا مش فاهمة هو إللـى حـصل بالظبط؟"

أجابها بهدوء :"نادين كانت صاحبتى أنا مـن فتـرة مـش قصيرة,أنا بكلمك فى حوالى ستيت تلت سنين كده"

-"و بعديها إيه إللى حصل؟"

نظر إليها بشك للحظات وكأنها يفكر بأمر ما قبل أن يوضح:"بصى أنا عادة مبحكيش الحوار ده لحد,أنا ممكن أحكيهولك بس على شرط"

-"إيه هو؟"

-"تصدقينى فى كل كلمة أنا هاقولها"

- و أنا إيه إللى مش هايخلينى أصدقك.

- أنا قصدى إنك تفتكرى إن أنا بحوّر عليكى و لا حاجة علشان أوقع بينك و بين خالد.

- و هو خالد كان هو إلى غلطان فى الموضوع ده؟

أومأ برأسه مهموما و هو يؤكد :"واضح إنك فى حاجات كتيرة أوى محتاجة تعرفيها عن خالد"

***

كان الموقف المادى غريبا و غير متوقع بما فيه الكفاية بالنسبة لرامى,لم يحتج ذلك الأخير لظهور أخيه الأصغر المفاجىء لكى تزيد أحزانه,لو أنك رأيتهما الآن فى شقة رامى لرأيت الارتباك واضحا على رامى,سيطرت عليه الصدمة لكى تمنعه من التكلم مع أخيه,و ساد الصمت بالفعل لفترة قبل أن يردف"فهد"فى ضجر بلهجة تداخلت فيها طريقة الكلام الخليجية بالألفاظ

المصرية:"و هو إنت هتفضل تبصللى كده,مش هتقول حاجة,مفيش يا هلا,هو إنت مكونتش عايزنى آجى ولا إيه؟"

أجاب رامى بتوتر و قد أفاق من سرحانه :"آه,قصدى لأ لأ,هى معليش المفاجأة,و كده"

-"إيه المفاجأة إللى فى الموضوع ؟ هم مش بابا و ماما قالولك فى التليفون؟"

-"ما هم بقالهم سنة بيقولوا,أنا أفتكرهم بيهيسوا زى كل مرة"

سأله فهد فى حيرة:"يعنى إيه بيهيّسوا ؟ بيرقصوا و يفرحوا يعنى؟"

-"آه إنت متعود على الخليجى,هى حاجة زى بيفرحوا فعلا"نطقها"رامى"دون حتى أن يبتسم قبل أن يستكمل :

"طب و إنت لما وصلت مصر ماتصلتش بيا على الموبايل ليه؟آه ما أنا كنت قافله صحيح,ما علينا مش ده المهم,أهلك بقالهم أسبوعين الفلوس إللى بيبعتوها متأخرة,هنتصرف إزاى دلوقتى؟"؟

-"آه ما أنا نسيت أقولك,هم قاللوا بما إنى كده كده جايلك يبعتوا الفلوس معايا أسهل"؟

-"طب كويس,هاتها بقى"

نظر"رامى"للمال الذى اخرجه"فهد"للتو من الحقيبـــة الـــتى كانت بحوزته و هو يردف فى حيرة :"إيه دول ؟ هم دول بس؟ الفلوس دى ناقصة"

فهد باضطراب :"لا دول بس شوية صـــرفتهم فى الـــسوق الحرة"؟

"لا ما أنا فاهم,مش باتكلم على كده أمال فين مـــصاريف الكلية إللى هانقدملك فيها"

أجاب فهد باطمئنان غريب و كانه قد نجا من لحظات من خطر محدق:"لا ماهو هم هيبعتوها بالبنك عادى مـــع فلـــوس الشهر إللى جاى"

غمغم رامى بعدها ببضع الكلمات و هو يقوم من مجلـــسه فما كان من أخيه إلا أن يسأله فى حرج"بس إنت مالك كنت لابس كويس كده إنت كنت نازل ولا إيه؟"

أردف رامى مرتبكا:"آه كان فى ناس مستنيانى"قالها بحروف خافتة غير مفهومة و غير واضحة وكأنه يتمنى ألا يفهم أخيه ما يقول,

"طب ما تخدنى معاك"قالها فهد بالطبع على عكس ما تمـــنى رامى.

أجاب ذلك الأخير و قد حاول أن يكـــون لطيفـــا رغـــم ارتباكه :"لا أخدك معايا فين النـــاس دى مـــاتعرفكش,دول أصحابى أنا"

"أيوة يا رامى بس أنا لسه ما بعرف حدا هنا"

"لأ مانت لسه هاتخش الكلية و هتتعرف على ناس و كده"

"خلاص ماشى"

و كانت تلك هى النقطة المحددة التى أراد"رامى"أن يـــصل الحديث إليها,و لا يعلم أحد لماذا لم يستغل تلك الفرصة مـــن الخلاص,لماذا لم يدر ظهره و يبتعد,حاول بالفعل ذلك و لكـــن شيئا ما أوقفه,شيء ما منعه,استدار قبل أن يصل إلى باب الشقة وعاد إلى أخيه الأصغر ليردف فى استـــسلام :"آه ده هيقعـــد يقرفنى بقى,ماشى تعالى معايا"قالها ثم على صوته لتتحول لهجته إلى التحذير :"بس عليا الحرام من دينى,كلمة مالهاش لازمة قدام الناس هاخللى أهلك يرجعوك الخليج تانى,آه ما أنـــا عارفـــك أجـــاب فهـــد فى ضـــجر:"طـــب ليـــه بتـــشتم دلـــوقتى؟ غغم"رامى"متهكما:"ما هو للأسف آه"قالها دون حتى أن يبتسم ليستطرد :"تعالى يللا بينا ولا عايز تفضل قاعد هنا؟"

***

الكثير من الناس يؤمنون بأن المصائب لا تـــأتى إلا دفعـــة واحدة,إذا كنت من هؤلاء فلن تجد فى ما سأحكيه الآن أيـــة غرابة,:

عندما اجتمع كل من كريم ولينا وحسام ونـــادين ومحمـــد البارودى أتت المصائب كلها دفعة و احدة بلا هوادة,

و كان كريم شمس على عكس أى شخص أعرفـــه,عنـــدما يرتبك يبدأ هو بالكلام,فبالتالى لم يمنعه ارتباكه من وجود"نادين عيسوى"عشيقته القديمة فى التطوع لفتح أطراف الحديث,بـــدأ كريم بالحديث مع حسام سأله عن أحواله و عن التحـــضيرات التى قام بها للاستعداد لبطولة الجمهورية,هنا قفزت نـــادين فى الموضوع دون سبب :"أخويا هو إللى بيدربه على فكرة"

حاول كريم ألا يبد اهتماما ناقصا أو زائدا عن المطلـــوب: "إيه ده بجد و الله؟"

و كاد أن يضيف شيئا جديدا,لولا شعوره بيد تقبض علـــى كتفه,استدار كل الجالسين برؤوســـهم إلى الزائـــر الجديـــد, وتوقع"كريم"أن يكون هذا الشخص هـــو"رامـــى"و لكنـــه لم يكن,بل إنه"عمرو سلامة",فى أول مواجهة لـــه مـــع الثنـــائى السعيد"لينا و حسام"منذ المـــشاجرة الأخـــيرة فى"شيكـــسبير كافيه".

أردف"كريم"فى ارتباك ملحوظ :"عمرو؟ إيه إللى جابك ؟ مش قولت عندك كورس؟!"

أجاب عمرو فى لامبالاة عجيبة :"آه,ما أنا روحت لقيته اتلغى,قولت أجيلكو"

قالها ثم بدأ يتفحص بعينيه وجوه الجالسين ليجد من بينهم"لينا"التى لم يلحظ وجودها إلا الآن,ليتوقف هو عن الكلام و لتتوقف هى عن الابتسام و ليضع الجميع قلوبهم على صدورهم,

لا أعدكم أن يكون ذلك هو آخر اقتباس فى الرواية من علم النفس و لكننى أحتاج ذلك التشبيه بشدة لإيضاح ما حدث بين"لينا"و"نادر"ليلتها فى الأستوديو,كلاهما يتمتع بنوع مختلف من الذكاء الخفى,الذكاء الذى يجبر محدثك على فعل تماما ما تريده أن يفعل و قول تماما ما تريده أن يقول على طريقة أن الممنوع مرغوب,كان من الطبيعى أن يزداد فضولها مع زيادة إصراره ألا يحكى ما حدث بينه و بين"خالد"فى تصارعهما السابق حول تلك الفتاة المُسماة"نادين",و هذا هو بالضبط ما أراده نادر,أراد أن يحكى و يشكو لها من ظلم صديقه و أن ترغب هى فى الاستماع بمنتهى الانتباه و بكل جوارحها دون أن يعثر هو بالذنب,و بدأ بالسرد فى الفصل الأول من الخطايا الخفية لخالد لتوضح رويدا رويدا تفاصيل و أسباب الخلاف القديم ما بين الصديقين,و القصة كالآتى :

نادر أحب نادين العيسوى و هى أيضا أحبته,و ربطت الاثنين قصة حب رائعة بالفعل تكاد تكون مثالية,كان ذلك منذ أكثر من عامين عندما بدأ الشك يساورها أن إيهاب عيسوى أخيها الأكبر (وبطل مصر فى الأسكواش و قائد كشافة الكاريتاس فى ذلك الحين) على علم بعلاقتهما, واستسلمت"نادين"تماما لذلك الهاجس,لم تعد قادرة على العيش بشكل طبيعى,أرهقها الأرق ليلا و أتعبها القلق نهارا خوفا من رد فعل أخيها الأكبر رغم عدم تأكدها من معرفته للأمر ذلك الشك الذى عذبها أكثر,و بات هذا الهم مرئيا للغاية و واضحا عليها لدرجة استفزت نادر و سألها عما يشغلها حاولت أن تنكر فى البداية و لكنها كانت مجرد مسألة وقت قبل أن تكشف له عما يساورها من قلق,و صمم هو رغم رفضها أن يذهب بنفسه ليصارح"إيهاب",ليصارحه بأنه يحب أخته الصغرى و أنه مستعد أن يرتبط بها بشكل جدى للغاية,و فعلا رغم نصائح"نادين"حسم أمره,فى البداية بحث عن صديق موثوق فيه ليكون همزة الوصل بينه و بين عيسوى و لكنه لم يجد,لم ييأس بل اقترب فى يوم من الأيام من إيهاب و قد باتت رعشة يده واضحة أمام الجميع ,كان إيهاب حينها جالسا بين مجموعة من قائدى الكشافتين (الكورفايون و الكاريتاس),و دار الحديث الآتى,

- "عامل إيه يا (شف) ؟ كنت عايز حضرتك فى حوار كده"

قالها نادر مرتعبا و كأنه يتحدث إلى رئـــيس الجمهوريـــة شخصيا ..

هز إيهاب كتفيه فى مزيج ما بين الاستخفاف و الاستحقار (رد الفعل الذى أكد لنادر بأنه يعلم) :"طب ما تتكلم هنا يا حبيبى؟"

أصر"نادر"فى أدب غريب :"معلش عايز حضرتك فى حوار مهم كده ثانية واحدة"

قام نادر من مجلسه و معتذراً لأصدقائه و هو يـــسخر مـــن طريقة نادر و قد استعار طريقة كلامه و لدغتـــه فى حـــرف الراء. لم يأبه نادر كثيرا من ضحك جميع من فى المكـــان, قـــام عيسوى و إبتعد الاثنان عن الجميع,فى البداية تـــردد نـــادر فى الكلام بالطبع,و ظل ذلك الصمت الممل حتى أردف عيـــسوى بضجر:"ناوى تقول حاجة فى يومك يعنى و لا إيه؟!"

أجاب نادر مضطربا :"إنت عارف أساسا أنا كنت عـــايز أكلمك فى إيه,صح؟"

نظر إليه عيسوى هذه المرة بتفكير عميق و أجاب فى خلطة كلامية ما بين الرفق و التحذير :"بص يـــا نـــادر هـــو مـــن مصلحتك إنها متكونش الحاجة إللى فى دماغى"

ابتسم ذلك الأخير إبتسامة مرتبكة ليستكمل و هو يحـك جبهته و كأنه يتفادى النظر فى عينى إيهاب :"أنا معرفش إيـه إللى دماغك طبعا,بس أنا كنت شايف إن من الصح إنى أقولك إن أنا و نادين (يعنى) صحاب بقالنا فترة"

لم يجب عيسوى بل ظل ينظر إلى نادر دون أى تعبير علـى وجهه فلم يجد نادر أى حل أمامه سوى أن يستكمل :"هـى مكانتش عايزة تقولك دلوقتى خالص بس أنا قولت إن إنـت لازم تكون عارف حوار زى ده"

أردف عيسوى ساخرا و لكن دون أن يبتـسم :"لا و الله فيـك الخـير .."قالهـا ثم نـزل بقبـضة يـده علـى وجه"نادر"كالصاعقة,هبط"نادر"على الأرض دفعة واحدة إثـر الضربة التى لم يتوقعها,و قبل حتى أن يلفظ"نادر"بأى شىء أو حتى أن يعتذر,كان عيسوى يصرخ بالفعل :"و رحمة أمى لـو لقيتك بتكلمنى فى الحوار ده تانى لأكون عاجنك"

كان صوت الصراخ و مشهد الضرب قد جـذب بالفعـل عددا لا بأس به من أصدقاء الاثنين و كان ضمنهم خالد الذى أتى قلقا على صديقه,و كادت مشاجرة كبرى أن تحدث لولا أن قام"نادر"و رفع يده ليعلن عن اعتذاره,و هو ينظر إلى إيهاب بغيظ :"خلاص يا جدعان محصلش حاجة"ثم توجه بكلامه إلى عيسوى"أنا آسف يا شف إن أنا كلمتـك فى حـوار زى ده, وأوعدك الموضوع ده عمره ما هيتفتح تانى,أنا إللى غلطان"قالها

بمرارة شديدة قبل أن يتفرق الجمـــع,و أن يعـــود الجميـــع إلى مشاغله.

هنا أوقفته"ريم"عن الاستكمال كان لابد أن تفعـــل,فقـــد انتهى كلامه بعيدا عن المنطـــق الـــذى بـــدأ بــــه,ألم يـــدأ بلوم"خالد",فما ذنب خالد حتى الآن فى كل ما حدث ؟!!,

لم يفاجأ"نادر"من مقاطعتها له بل طلب منـــها أن تعطيعـــه الفرصة لكى يستكمل ما سرد فاستكمل,

هذه المرة إنتقل بحكايته إلى مشهد آخر وقعت أحداثه بعـــد المشهد الأخير بحوالى يومين,عندما كان خارجا مع خالد و بقية الأصدقاء فى كارفور و اتصلت به"نادين"لتسأله عما دار بينـــه وبين أخيها,كان من الواضح أن أخيها قد أرهبها بشكل ممـــل عند رجوعه للبيت,ابتعد بالهاتف عن ضجيج المول التجـــارى ليبرر تصرفاته دون أن يعتذر :"مش أنا و الله، ده هو فى وسط ما أنا بكلمه كده لقيته ضاربنى,مكونتش ناوى أردها ..بـــس أصحابى,مستحملوش المنظر قاموا افتكروها خناقـــة و دخلـــوا بقى"

-"أنا قولتلك متكلموش إنت إللى ركبت دماغك"

-"معلش أنا إللى غلطان"

-"إنت فين دلوقتى ؟ فى إيستيميشن كافيه بتاعكوا ده؟

-"لأ أنا فى كارفور"

ارتفع صوتها فجأة فى الهاتف :"فى كارفور ؟! طب خلى بالك علشان عيسوى المفروض إنه فى كارفور بقاله ساعة,فلو قبلك أو قابل حد من صحابك إللى اتخانقوا معاه مش هيسبهم فى حالهم,هو الناس إللى إنت معاهم دول غير الناس إللى كانوا فى خناقة النهاردة صح ؟"

أجاب مرتبكا :"هـه؟لا لا دول ميعرفوش التانيين خالص,طب بقولك إيه سلام دلوقتى علشان لازم أقفل,سلام"

لم ينتظرها حتى أن ترد السلام,ليعود بأدراجه مسرعا إلى الساحة الأمامية للمركز التجارى,توقف ركضه عندما وجد فى وجهه"مارك"التى أتى راكضا بحثا عنه هو الآخر,

توقف"مارك"عن اللهاث ليسأل"نادر"فى سخط:"إيه! كل ده بتتكلم فى التليفون؟"

-"مش مهم كل ده بحبب إيه,بقولك إيه,إحنا لازم نخلع دلوقتى حالا,فى حاجة كده لازم أروح البيت علشانها"

أجابه مارك :"مينفعش نمشى دلوقتى,خالد بيتخانق مع عيسوى إللى إنتوا اتخانقتوا معاه النهار ده الصبح فى الكورفايون"

قاطعته"ريم"للمرة الثانية :"طب أنا لسه مش فاهمـــة علـــى فكرة,إيه من كل إللى حصل يخليلك تزعل من خالد للدرجـــة دى,و إيه إللى يخللى"نادين"تقفش عليك ؟!"

أجاب هو فى تنهيدة هم مُبالغ فيها قبل أن يوضح أكثر :"لأ ما هو الموضوع مخلصش على كده,الفكرة إن عيسوى ده شتم كتير فواحد صاحبنا أنا و خالد و مارك طلعله جكمان عربيـــة وضربة ضربة فى رجله خليته يطلّ إسكواش لبقيت عمره"

جزت ريم على أسنانها فى اشمئزاز و كأنها ترى المشهد أمام عينها:" طب برضه إنت ذنبك إيه يعنى؟"

استطرد نادر:"التربابة الأكبر إن فى كلام وصلها إن أنا لمـــا اضربت من حد فى الكلية إنى قعدت أتخانق معاه و أشتم فيه"

.بدت وكأنها تحل لغز جريمة و هى تستكمل :"و إنهـــا لمـــا اتصلت بيك و قالتلك إنه معاك فى كارفور إنت إللى رحـــت تتخانق معاه"

– بالظبط كده.

سألته فى فضول واضح : مين الحد ده بقى ؟

–"حد و خلاص"

ازداد إصرارها :"أيوة حد مين يعنى؟"

ابتسم نادر بمرارة و هو يجيب :"حد يعرفني كويس ومعاها في فنون"

أجابت ريم في صدمة : قصدك خالد؟

هز كتفيه في قلة حيلة و هو يوضح : أنا مش شايف حــد غيره بصراحة؟

- يعني هو إللي راح قالها كده؟

أوضح نادر و هو يصحح موضع نظارته :"مش شرط يكون قاله هي، ممكن يكون قال لحد و الحد ده قال لحد تــاني و في الآخر الكلام وصلها"

سألته ريم بحذر : و إنت الحكاية إللي إنت لسه حاكيهااللي دي صح,إنت إيه إللي مخليك باقي على واحد زي خالد بعــد حركة زي دي؟

-"العشرة مش أكتر و الله، متربيين مع بعض هاعمل إيــه طيب؟"

استنكرت سببه بشدة :"إنت ممكن حد يعمل فيك كل ده و تفضل معاه علشان العشرة؟!"

-"عندك حل تاني؟"

-"و إنت إيه إللي يجبرك على كده,إللي يبيعك بيعه,من غير ما تفكر مرتين"

توقف ذهن عمرو تماما عن التفكير في اللحظة التي وقعت فيها عيناه على"لينا",كانت الصدمة كبيرة عليه وغير متوقعة للجميع إلى أقصى حد,و يُحسب لعمرو سلامة أنه كان عاقلا وحكيما تماما ,سلم عليها بمنتهى الإحترام و سلم على حُسام بالمثل,و كأن شيئا لم يكن و كأنه ليس هناك ماض بينهما,فعل ذلك قبل أن يميل على أذن كريم ليخبره أنه يريد أن يكلمه على انفراد, و لم يكدا يبتعدا حتى بدأ عمرو بالشكوى من حساسية الموقف,و ظل عمرو لفترة على تلك الحال يلوم صديقه لعدم تحذيره و إخباره بوجود عشيقته السابقة,انتظر"كريم"حتى أنهى عمرو ما لديه لكي ينصحه,

:"بصراحة أنا معاك,لو كنت قولتلى من الأول إنك جاى كان زمانى قولتلك متجيش,بس بما إنك جيت و كده كده شافوك خلاص,يبقى اقعد"

ظل عمرو صامتا يفكر جديا في كلام صديقه,و على الأرجح كان سيظل على هذا الصمت لولا أن جاء"رامى",حيّا ذلك الأخير الاثنين قبل أن يسألهما :"مالكو إنتو الإتنين واقفين بعيد عنهم كده؟"

أجاب كريم بضجر :"عمرو عايز يمشى عشان لقى لينا قاعدة"ثم توجه بكلامه إلى عمرو عمرو إنت كده هاتقلب الترابيزة و تمشى"

تدخل رامى كالعادة :"عارف لو قومت هيحصل إيه؟"

لم ينبس عمر بنبت شفة,فاستكمل رامى على أى حال:"هما كمان هاتقلب معاهم بزعلة و هيقوموا وراك و أديك شايف حسام أهو بيتعامل عادى جدا,اقعد بيّن للينا نفسها إن مفيش حاجة"

و استكمل كريم موجها كلامه لعمرو :"هى بينى وبينك مشكلة بس مفيش حاجة تانية ممكن تتعمل"

أجاب رامى مستخفا:"إنت بتسمى دى مشكلة؟, إنت لسه مشوفتش حاجة بص إللى جاى ورايا ده"

نظر الاثنان فى حركة غريزية إلى ما وراء"رامى"ليجدا"فهد"شأنه شأن الكثير من شباب الخليج فى تلك السن,شعره المفرود عند الـ"الكوافير"بجانب طريقة مشيته من بعيد يوحيان لك بأنه أنثى,لن تظنه متشبها بالإناث بل ستظنه أنثى بالفعل إلى أن تكتشف العكس,أمعن"كريم"النظر فى القادم من بعيد ليسأل فى حيرة صادقة :"مين دى؟"

وقبل أن يجيبه أحد كان فهد قد اقترب منهم نسبيا ليلوم"رامى"بلهجته الغريبة :"إيه يا رامى سيبتنى بشترى وجريت؟"

بدا كريم متفاجئا للغاية قبل أن يردف : إيه ده؟ ده ولد! مين ده؟

سعدت"مروة"للغاية عندما تلقـــت رســالة SMS مـــن عشيقها"شريف الكفراوى",تخبرها الرسالة بأنه عاد إلى القاهرة و أنه يريد لقاءها فى مطعم فاخر و شـــهير فى القـــاهرة عنـــد الساعة الحادية عشرة مساء,حاولت أن تتصل به لتسفسر أكثر و لكنه لم يجب مكالماتها,ارتديت أفضل ما عندها و ذهبت إلى المكان و الزمان المتفق عليهما,أتى هذه المرة عابس الوجه على غير عادته,سألته عما يدور فى باله فأجاب فى برود بأنه يعتـــذر عن الدفاع عنها فى قضية حضانة ابنها,

سألته فى انفعال:"يعنى إيه ملاكش دعوة بالقضية دى؟ هـــو إنت مش وعدتنى؟"

أجابها شريف هامسا دون أن يتنازل عن بـــروده :"وطـــى صوتك,الناس بتبص علينا,فى حاجات كتيرة أوى اتغيرت مـــن ساعة لما وعدتك لحد دلوقتى,أى حاجة كنت بعملها كـــده و خلاص لازم أعيد النظر فيها,و أنا عيدت النظر فى موضــــوع قضيتك ده و لقيت إن بكل المقاييس أحمد ده مظلوم,و أنا مش هاخد حق من ناس مظلومة بعد كده"

-"مانت ياما عملتها,إشمعنى دلوقتى؟"

أجاب فى حكمة و ألم"ياما عملتها وآدى ربنا ردهـــاللى فى ابنى,أنا ابنى تعب من كام يوم,و أنا حاسس إن ربنا بيعـــاقبنى فيه"

فوجىء بمروة تنكشف على حقيقتها:"أنا مليش دعوة بابنك,أنا عايزة إبنى أنا"

-"خلاص يبقى الحقى شوفى محامى تانى غيرى"

نظرت إليه غاضبة لثوان و لم تجد فيما يمكن أن يقال سوى:"أنا مش عايزة أشوف وشك تانى"

أجابها وقد زين وجهه بابتسامة استفزازية:"لسه كنت هاقولك دلوقتى حالا إن إللى ما بينا ده خلاص خلص,كأنك أختيها من على لسانى"

هدأت إثر الجملة الأخيرة:"خلص يعنى إيه؟"

-"خلص يعنى إنسى إنك عرفتينى خالص,ما أنا علشان كده اخترت واحدة أولريدى متجوزة علشان أخلع براحتى لما أعوز أخلع,و لو فكرتى تفضحينى أنا كمان هافضحك"

كان قد عقد ذلك الاجتماع فى مكان فخم حتى يضعها فى موقف محرج,و أن يمنعها ذلك من الصراخ أو الاعتراض حتى بصوت عال,لم يكن يتوقع قط أن تقف لتضربه بكفها على وجهه أمام الجميع قبل أن ترحل عن المكان و هى تمسح دموعها,لم يهتم بالضربة أو بنظر الناس إليه بل إستكمل قهوته و كأن شيئا لم يحدث,كان قد اتخذ قرارا بتنظيف حياته,و كان خلاصه من"مروة"بمجرد خطوة مبدأية فى طريق الألف ميل.

عندما عاد كريم و رامى وعمرو و معهم فهد للجلوس مع البقية,أثار مظهر"فهد"(أو"لبوة"كما أطلق عليه"محمد البارودى"فيما بعد) الكثير من الاستنكار و الضحك والاستخفاف.

"كريم إنت عمرك ما قلتللى إنك ليك إخوات ولاد!!"قالها محمد البارودى بارتياح شديد,كان البارودى يسعد عند إيجاده لأى عيب لأى شخص.

أجابه رامى فى ارتباك:"لأ ليه؟ ساعات"

أجاب محمد ضاحكًا:"ساعات؟ ساعات إيه؟ ساعات أخوك؟ ولا ساعات ولد؟"

على عكس الجميع لم يضحك رامى إحترما لأخيه: "ساعات كنت بقولك بس إنت سقطت"

و هُنا استلم كريم راية السخرية من فهد و هو يشاور على الكيس الذى فى يده:"هو إنت كنت بتشترى إيه صحيح؟"

أجاب فهد و هو يخرج محتوى الكيس بمنتهى البلاهة:"آه ده حزام"

لم يكن مجرد حزام بل كان حزاما غريبا للغاية,(توكة الحزام عبارة عن شريط أسود تظهر عليه حروف مضيئة حمراء,و حتى إذا غضينا النظر عن ذلك المهرجان المسمى

بالحزام فلن نستطيع أن نتغاضى عن العبارة المكتوبة بالإنجليزية و التي تظهر وتختفي للفت الانتباه:

LOOK @ ME – I'M RICH

سأله"عمرو"ساخرا:"فهد بقولك إيه ؟هو مين إللي بيحـــدد الكلام إللي مكتوب؟

-"إنت بتوصله بالكمبيوتر و بتكتب إنت إللي إنت عايزه"

-"هو مبيكتبش عربي صح؟"

أجابه فهد :"لا معتقدش"

خبط عمرو كفيه في حركة مسرحية مقـــصودة:"خـــسارة كان ممكن أستلفه منك و ألبسه و أكتب عليه من قدام (احذر الوقوف المتكرر),و أروح بيه الكلية و أمشي ملك,و لا يفرق معايا حد"

و كاد الضحك أن يعلو مرة أخرى قبل أن يـــدأ رامـــي بإرسال نظرات غاضبة خفية تطلب من الجميع الكـــف عـــن السخرية من سذاجة أخيه,و الغريب أن فهد لم يشعر بأية مهانة من ضحكهم بل ظن أن ذلك الضحك مـــا هـــو إلا ســـعادة وترحيب به,فاقترح رامي لمجرد صرف الانتباه عن أخيه:"و إحنا هنفضل قاعدين كده؟مش هانلعب حاجة؟"

محمد: حاجة زي إيه يعني؟

فهد : مانلعب إستيميشن أنا نفسى أتعلمها.

عمرو : بصراحة أنا جبيت أخرى من الإستيميشن.

رامى: و بعدين الإستيميشن دى بتتلعب أربعة.

فهد : ممكن نلعب.

Spin the bottle

أجابه كريم فى ملل : لا مالهاش لازمة و بعدين إحنا عارفين كل حاجة عن بعض.

فهد : أنا معرفش أى حاجة عن أى حد.

اقترحت نادين و قد اتسعت عيناها من الاقتراح: طب و ليه لأ صحيح؟

هلل فهد : شوفت الناس إللى بتفهم.

قالها ثم وضع موبايله على الترابيزة ليدور الموبايل,و جاء دوره ليسأل"نادين":"إيه أوحش علاقة عديتى بيها مع ولد؟"قالها دون أى حرج ليجد أخيه ينهره أمام الجميع:"إيه يا فهد الأسئلة دى؟"

أجابت نادين مُبتسمة :"لأ عادى عادى مافيش مشاكل,كان واحد اسمه نادر,كنت فاكرة إن خلاص هو ده بقى, الحوار انتهى بإنه عمل مشكلة مع أخويا اتخانق معاه وكسرله رجله بطله يلعب إسكواش تانى بقية حياتى"

بدى حسام مُهتما و هو يوضح :"آ ه ما هو حكاللى على الموضوع ده"

كان كريم ينظر إللى نادين و يبتسم,لقد كان هو الشخص الذى تركته من أجل نادر,ليس هناك ما يريد أن يـــسمعه الآن سوى اعترافها أمامه بأنها ندمت,و دارت اللعبة هذه المرة لكى يأتى دور كريم ليسأل"نادين",:"طيب,لمــا حــوار نــادر ده باظ,مكنش فى حد سيبته علشان نادر ده و ندمتى عليه؟"

ضحكت نادين خجلاً كانت الوحيدة التى فهمت أنه كان يقصد نفسه بتلك العبارة الأخيرة,

نهرها ضاحكا"بتضحكى على إيه؟! ردى على السؤال"

ــ"أيوة ارتحت؟"

مط شفتيه مازحاً : شوية آه.

و ضحك الاثنان,لتستمر اللعبة و ليأتى دور فهـــد ليـــسأل عمرو:"واضح من كلام رامى علـــى الإم. إس .إن. كـــريم ورامى و محمد مصاحبين,إشمعنى إنت إللى مش مصاحب ؟"

و جحظت العيون للمرة الثانية و لتزداد حساسية الموقف,

و يحكى لى"عمرو سلامة"بنفـــسه عـــن تلـــك الحادثـــة المُحرجة:"طبعاً لما فهد رزع السؤال كلنا اتخـــضينا,خـــصوصًا

إن"لينا"كانت قاعدة معانا,و الأنيل من كل ده إن حسام كمان كان قاعد"قالها عمرو ثم رجع فى كرسيه و هو يحدثنى و لتتغير لهجته ليحكى الأمور من منظور آخر:"بس عـــارف,الــواد ده صحيح كنا كلنا بنستهبله أول ما شوفناه بس عرف يــسألنى السؤال إللى أنا مش راضى أسأله لنفسى,هو أنـــا ليـــه مـــش مصاحب لحد دلوقتى؟صحيح هو سألهولى فى موقـــف زبالـــة, وقدام ناس غلط,بس بينى و بينك أنا كنت محتـــاج ألم زى ده علشان أفوق من الأوهام إللى أنا معيش نفسى فيها"

و توقف"عمرو"عن السرد,لأجد نفسى أتركـــه لأتحـــدث إلى"كريم"هاتفيا ليبدأ ذلك الأخير بشرح الموقف مـــن وجهـــة نظره :"بصراحة أنا على قد ما كنت قلقان من إللـــى ممكـــن يحصل,على قد ما كان نفسى أتفرج و أعرف"عمرو"هيتصرف إزاى,بس بصراحة عمرو عجبنى أوى,طول عمرى كنت مقتنع إن عمرو إللى فى قلبه على لسانه بس يوميها بصراحة فاجئنـــا كلنا,لقيته بص لفهد و هو مدّىFace قفش و قاله:"لأ يعـــنى أنا كنت مصاحب و حصل حوار كده,بص !! ممكن لما تتعود عليا شوية يا فهد أبقى أكلمك فى حاجة زى دى"عجبنى أوى عمرو إنه عرف إزاى يوقف فهد عند حده من غير ما يحـــرج نفسه و يخش فى كلام مالوش لازمة"

فلنعد إلى السرد الطبيعى للأحداث,بالطبع بعـد أن أبـدى عمرو انزعاجه من سؤال فهد,نهر"رامى"أخيه الأصغر للمـرة الثانية:"فى إيه يا فهد إنت مالك؟ إيه الأسئلة دى"

تجاهل فهد نقد ذلك الأخير تمامـا ليلـف هاتفـه مـرة أخرى,هذه المرة كان دوره ليسأل"لينا",أردف"رامى"مستنكرا: "هو إنت مافيش حد غيرك بيسأل فى اللعبة دى؟!"

و كان سؤال فهد للينا هو :"لينا إيه أكتر حاجـة قليلـة الأدب عملتيها مع ولد"

هنا قفز"رامى"من مقعده و صرخ فى أخيه:"إيه إيه إيـه"ثم توجه بكلامه إلى لينا و حسام:"سورى يا جماعة ده عبـيط,ده مش عارف هو بيقول إيه"ضحكت لينا و هى تحاول أن تخفى ارتباكها.

و نظر إليها حسام ثم إلى عمؤو لقد جعله ارتباكها يـشك فى تقدير حدود علاقتها القديمـة مـع عمـرو"لا لا مفـيش حاجة,أنا لازم أمشى دلوقتى باى",قالتها لينا مضطربة و هـى تصحح وضع خصلات شعرها,(رد فعل لا إرادى اشتهرت به عند إرتباكها) رحلت ورحل معها"حسام"وسـط شـكوكه, و لم يوشك الاثنان أن يرحلا حتى علا صوت"رامى"إلى أقصى الحدود كان قد تحمل الكثير من الهراء من أخيه,و كانت تلك العبارة الأخيرة هى القشة التى قسمت ظهر البعير"إيه إللى إنت

قولتوه ده؟ إنت مجنون يا بنى ؟ إنت عبيط,إنت خلاص الهيروين لحس إللى كان فاضل فى عقلك مابقتش عارف إنت بتقول إيه و لا بتعمل إيه"قالها رامى و استمع إليها أكثر من خمسين شخص كانوا قد خرجوا لتوّهم من إحدى قاعات السينما,فاقترب"محمد"من رامى الذى قد تحول لون وجهه إلى الأحمر :"خلاص يا رامى الراجل كان بيهزر,مكانش عارف هو"

توقف رامى عن الكلام لبرهة من الوقت وكأنه يعطى لنفسه الوقت ليمتلك زمام أعصابه,و نجحت محاولته,بدا أقل غضبا وأهدأ صوتا و هو يردف لأخيه بغضب:"على العموم يا فهد إحنا مش هنتكلم هنا,لما نروح لينا كلام تانى"

و قبل أن يرحل رامى توقف وعاد إلى أصدقائه ليتذكر شيئا كاد أن ينساه,:"آه صحيح يا عمرو قبل ما أنسى إنت كان ليك عندى كام إنت و كريم ربعمية ولا خمسميت جنيه؟"

غمغم عمرو فى حرج :"مش مهم دلوقتى يا رامى"

– معلش بس علشان منساش.

أردف كريم هامسا:"لو مصمم تعرف فهم ربعمية وخمسين"

و فى أثناء انشغال"رامى"بتسديد ديونه,تفرد"محمد البارودى"بـ"فهد"ليسأله الأول :"هيروين هه؟ لأ بس إنت ليك فى البودرة و كده يا فهد؟"

***

على رغم مما قمت به من عمل,و ما بذلت من جهد على قدر استطاعتى,إلا أننى لم أجد شخصا واحدا فى الإسكندرية يعلم بالظبط كيف استطاع"محمد البارودى"أن يلتقى بـ"يارا"مرة أخرى,البعض يقول أنه قد وجدها عن طريق الصدفة.و هو يشترى (ورق بفرة),و البعض يقولون إنه عثر عليها عن طريق الـ FaceBook,و البعض يؤكد أنها هى التى وجددته أولا,لا أحد يعلم,المهم أنهما الآن صديقان مقربان للغاية,ليسا حبيبان فلقد منعه فرق الديانات و اختلاف العقائد من ذلك,و لكنهم أصدقاء,و أظن أن تلك هى فرصة جيدة لاستعراض بعض النقاط المشتركة ما بين الشخصيتين,كلاهما محب للخمور و الحشيش و المخدرات بأنواعها,كلاهما مغضوب عليهم من المجتمع لسبب أو لآخر,فبالتالى كلاهما يحب أن يجلس فوق كرسى عال ليشاهدا بوضوح عيوب و أمراض المجتمع الذى يظن أنه أفضل منهم,و ازداد الارتياح فيما بينهما,و وصلت الصراحة فى حديثهما إلى حد الغرابة أحيانا,كانا يجلسان فى أى مقهى,و يراهنان بعضهما على هوية المارين من الناس,فتشير يارا إلى عائلة و تتوقع أن يكونا من

القاهرة,توقعت ذلك بسبب لهجتهم العدوانية و تراهن علــى ذلك بخمسمئة جنيه و يــراهن محمــد بــنفس المبلــغ علــى العكس,فتقوم يارا من مجلسها لتتأكد و لتخبر العائلة أن هنــاك سيارة ملاكى الإسكندرية"راكنة غلط"فيجيبا بأنها قد تكــون سيارتهم .. فبذلك تكون هى قد خسرت الرهان..و تمتد جرأة اللعبة بأن يشير"البارودى"إلى رجل و زوجته و يتوقــع أنهمــا مسيحيان,بل و أنهما أقباط على وجه التحديد و يبنى توقعــه ذلك على تصفيفه شعر و طريقة ملبس محددة فتذهب هى لتمر بجانبهم و تلقى عليهم التحية"السلام عليكم"فلا يجيبان فيكسب محمد الرهان, وهكذا,كانت السخرية من الناس لعبة بالنــسبة إليهما,

و أثارت صداقة"يارا"و"محمد البارودى"الكثير من علامات الاستفهام فى المجتمع السكندرى بشكل عام,كان ذلك واضحا عندما أراد أن يعرّف"كريم"و"رامى"و"عمرو سلامة"بــصديقته الجديدة,اجتمعوا فى قهوة المصريين و رأوها لأول مــرة بعــد حكايات البارودى التى لا تنتهى عنها,لم تكن هــذا الجمــال كانت مثيرة جنسياً و لكنها ليست جميلــة علــى الإطــلاق (فهناك بالطبع فارق ما بــين الاثــنين),و فى اليــوم التــالى سأله"كريم"صراحة أمام"عمرو"و"رامى"عندما كانــا يلعبــون Winning Eleven لعبة البلاى ستايشن الشهيرة فى شقة ذلك الأخير مستغلين فرصة غياب فهد:"مين بقى البنت دى؟"

أجابه"محمد"فى دهشة"يارا"

أستطرد"عمرو"ضاحكا :"لأ ما إحنا قابلناها و قاطعين على اسمها أكيد بلاش غباء,كريم قصده مين دى ؟ بتعمل إيه معاك يعنى؟"

أجاب محمد فى سخط وقد فهم تلميحاتهم :"و لا حاجة يا رامى مش كل حاجة تفهمها كده"

و بالطبع لم يقتنع الثلاثة بكلامه بل زادتهم عبارته الأخـــيرة إلا سخرية إستسلم لها حتى نهاية الليلة,لم يشعر محمد البارودى بالظلم كما شعر فى ذلك المساء,ظل يسأل نفـــسه عائـــدا إلى البيت عن سبب تلك الفكرة التى أخذها الجميع عنه,كأنه غير قادر على الصداقة أو على الحب,و حتى إن ارتكـــب جرمـــا وأحب من كل قلبه,أيطلب محمد الكثير من العالم عندما يعلـــن حبه؟ أن يصدق الجميع أنه يشعر شأنه شأن ســـائر البـــشر ؟ وظلت الفكرة فى ذهنه ترفض الخروج.

***

لقد انتهى الأمر,و انتشر خبر النهاية بين جميـــع كنـــائس الإسكندرية,لقد انتهت علاقة"مارك"بـــ"يارا"هذه المرة بشكل نهائى معترف به من الطرفين,لم تعد تعنيه فى أى شىء,ليس بعد الآن,اتصل بها بنفسه ليحدد موعـــد يعيـــدا فيـــه هـــداياهما

لبعضهما,تقابلا فى الكنيسة,ظل الاثنان لدقائق طويلة على حال واحد,يعيد إليها أشياء و تعيد إليه أشياء,دون حرف واحد,دون أن ينم أحدهما ببنت شفة,ظلا على هذا المنوال حتى أمسكت هى بأحد أغراضه لتدورها فى يدها و كأنها تتفحصها من كل جانب قبل أن تردف فى قرف :"البتاعة دى مش بتاعتى على فكرة"

أجاب مارك فى إصرار ممزوج بالدهشة:"لأ بتاعتك كنت جايبهالك فى الفالنتين قبل إللى فات"

مطت شفتيها فى لا مبالاة و هى تقول:"يمكن بقى"

استفزها سلوكه فكان لابد أن يسأل :"هو إنتى مش فاكرة حاجة خالص يا يارا ؟لأ مش على الهدية دى بالذات,أنا قصدى عاما,إحنا مع بعض أكتر من سنتين,مش فكرة حاجة خالص تخليكى تزعلى على إن الموضوع خلص؟!"

أجابت دون أى إحساس و كأنها تقرأ ما تقول من ورقة أمامها :"كان وقت لذيذ و كل حاجة و أنا عمرى ما اتبسطت مع حد زيك بس"

-"أمال أنا حتى مش حاسس إنك متضايقة؟"

يارا(ببرود):"لأنى مش متضايقة"قالتها قبل أن تهز كتفيها فى لا مبالاة لتستكمل :"أقولك إيه يعنى ما أنا عـــيى أصــلى إنى مابعرفش أكدب,و مبقدرش أمثل على حد"

أجاب مارك متهكماً:"لا و المسيح الحى!!,مبتعرفيش تمثلى على حد؟!,بقالك سنتين بتمثلى عليا,إيه مش فــاهم يعــنى! طلبت معاكى الأمانة فى الخمس دقايق دول ؟"

أجابته يارا بعصبية:"يعنى إيه عايزنى أمثل عليك يعنى؟"

اتجه إليها قبل أن يردف ببغض عالى الصوت:"يارا إنتى"

قاطع نفسه بنفسه بعد أن لاحظ أن عددا كبيرا مــن رواد الكنيسة قد التفتوا إليه فجأة,اقتربت هى منه فى جرأة تحــسد عليها :"سكت ليه ما تقولها؟"

أجاب مارك بمرارة : أنا مقــدرش أقــول كلمــة زى دى علشان ده بيت الرب,على العموم لو عايزة تعرف اســألى أى حد فى إسكندرية كلها و هو يقولهالك"

***

"احلف إنك قولتلها كده قدام الكنيسة بتاعتكوا كلها"قالها خالد,كان ذلك الأخير قد خرج للتو من المستــشفى و كــان

ذلك اجتماعا فى إستيميشن كافيه حضره هو و مارك و نيفين و نادر,

أجاب مارك على السؤال متظاهرا بالبرود:"آه قولتلها كده عادى جدا"

سألته نيفين (التى لم تندم يوما على عدم ذهابهـا للكنيسة سوى ذلك اليوم) بلهفة:"و هى قالتلك إيه بقى؟"؟

-"و لا نطقت أنا كده كده,كنت أولريدى مشيت وسيبتها أساسا,بس عارفين حاسس إنى بجد مش زعلان"؟

أعلن أحدهم :"لأ بس إنت فاجئتنى يعنى,كان إللى باينلى قبل كده إنك بتحبها و بتاع"

أوضح صاحب الشأن (مارك) بحكمة كعادته:"يارا ماكنتش حب وكده,يارا كانت إدمان,زى الحشيش بالظبط,حاجة كده بتبقى حلوة فى أولها بس حتى لو كرهتها بعد كده متقدرش تسيبها,اتعودت عليها يعنى"

هنا أردف خالد :"عمرى ما قدرت أفهمك,يعنى إيه اتعودت عليها؟!,المفروض أول ما تلاقى نفسك مش دايس فى حاجة تخلع منها طول,إيه إللى فى دنيا يجبرك على حاجة إنت مش عايزها؟!" .. أنهى مارك الحديث بحكمة أخرى :"حوار

إنى أخلع مش سهل زى ما إنت فاكر كده,على الأقل بالنسبة لى أنا,أنا تعبت أوى عقبال ما عرفت أبطل يارا"

***

رغم أن دراسة فهد كانت قد بدأت بالفعل,إلا أنه كـــان منشغلا بأمور أخرى كثيرة,و تلك مرحلة طبيعية يمر بهـــا أى زائر جديد فى مصر,بلد العجائب,و على عكس كل الـــزوار الجدد الذين يهتمون بالآثـــار و الثقافـــة الـــشعبية لـــشعب مصر,كانت سياحة"فهد"لتلك البلاد مختلفة بعض الـــشىء,أراد أن يدرك كيف تدار أنشطة الدعارة و المخدرات فى الـــشارع المصرى الذى لا يمتلك رصيفا,و هكذا بـــدأت رحلتـــه بـــأن يتكيف"فى"بيئة مصر بدلا من أن يتكيف"معها",و"فهد"ســـعيد جدا فى مصر لا يمتلك سوى مشكلة واحدة,أخيه,فى يوم مـــن وهو جالس فى بيته يتطلع إلى قناة MBC Action بمنتهى الشغف و الاحترام قاطع"رامى"عليه كل هـــذا بعبـــارة غـــير واضحة المعنى"على فكرة يا فهد ماما اتصلت بيا"

أجاب"فهد"بارتباك:"بجد و الله و ماقولتليش ليه؟"

استكمل رامى مجيبا خافيا غـــضبه:"لأ مانـــت مكـــونتش جنبى,إيه إللى إنت قولتهولها ده؟ أنا برضه إللى بسيّحلك قدام

صحابي على موضوع الهيروين و لا إنت إللي بفتضح نفسك باللي إنت بتعمله؟"

– لأ إنت فهمت غلط.

– و إيه كمان حوار إن أنا بستنى فلوس كل شهر علشان أروح أفرقها على صحابي؟

– تقدر تنكر إن ده حصل؟

رامي (بعصبية): الفلوس إللي أنا كنت بديهالهم دي هي فلوسهم إللي دفعوا بيها فواتير البيت ده لما الفلوس اتأخرت.

أجاب فهد و قد أصبح صوته خافتاً فجأة: خلاص ماكنتش عارف إيه إللي حصل يعني.

تغاضى رامي بعدها عن الأمر و طلب من فهد :"طب خد الفلوس دي إطلع إديها للناس إللي في الدور الرابع,قولهوم الإيجار المتأخر جيه"

خرج فهد بالمال من الشقة,و طوال طريقه إلى شقة مارك, لم تسيطر على تفكيره سوى فكرة واحدة,كيفية تخلصه من سطوة أخيه الأكبر عليه,و أثناء صعوده السلالم رن هاتفه الجوال كانت أول مرة يكون المتصل هو شخص آخر غير أمه منذ أن وصل إلى مصر,رقم غير معروف,ظن في البداية أن"النمرة غلط"و لكنه عندما أجاب المكالمة تأكد أن المتصل المجهول

يريده هو بعينه,صوت غليظ,و لهجة ساخرة بلا سبب,ســـأله فهد فى حيرة صادقة :"مين إنت ؟"

أجاب المتحدث :"أنا محمد البارودى"؟

- البارودى مين؟

أجاب ضاحكا :"أنا إللى ممشى البلـــد دى كلـــها علـــى مزاجى"

- آه إفتكرتك آه,على العموم أخويا مش جنبى دلوقتى.

- أنا لو كنت عايز أخوك كنت اتصلت بـــأخوك,أنـــا عايزك إنت,إنت لسه ليك فى البودرة؟

***

أثناء سردى لتلك الرواية,نقلت العبارات الكاملة من علـــى لسان البعض تركتهم يحكون بدلا منى لأنهم عايشوا ما أتكلـــم عنه أكثر,و لو أننى وُضعت أمام الاختيار الصعب ألا أســـتعير سرد شخص آخر خلال ترك الرواية إلا مرة واحـــدة فقـــط فسأختار تلك الآتية,ما حدث بالتحديد أن خالد قد اختفى لم يعد له أثر شيء ما أحزنه إلى درجة الهروب من بيته,و يحكـــى نادر:"كان مختفى عن الأنظار من مدة ليست بقليلة,وجدته فى

المكان الذى توقعته فى مكان ما على لسان البحر حيث كنـــا نجلس فيه عندما كنا فى التاسعة من عمرنـــا,كـــان فى أســـوأ حالاته,لحيته التى طالت لتعطينى الإيحاء أنه قد كبر خمس سنين فى الخمسة الأيام التى اختفى فيها,و ذهب ذلـــك الإحـــساس بمجرد أن فتح فمه ليبدأ يتكلم فشعرت كأنه طفل,كان يتكلم و يبكى فى نفس الوقت بتلك النبرة الشهيرة التى يـــضيع فيهـــا نصف ما يقال و يختنق بالبكاء,فلم أجد إلا التظـــاهر بـــالفهم وحاولت تهدئته,المشهد كان غريبا حتى بالنسبة لى,إننى أعرفـــه من عشرة سنين تقريبا لم أره يبكى من قبل,كان دائما قوى فى وجه أى مشكلة,لقد كان سدا منيعـــا لكـــننى أنـــا الـــذى هددته,جلست بجانبه وقلت دون أن أنظر فى وجهـــه كـــأننى منشغل بمنظر البحر و الحقيقة ببساطة هى أننى لا أطيق رؤيته فى هذه الحالة"كنت متأكد إنى هلاقيك هنا"قلتها و أنا أحاول أن أضيف بعض المرح على لهجتى و لكننى فشلت,لم يجبنى هو من الأساس و كأننى لست موجودا,سألته عما يحزنه إلى هذا الحد فأجاب و يا ليته ما أجاب :"ريم مصاحبة واحد تانى غيرى"

و على قدر ما حزنت للشعور بالذنب على قدر ما سعدت عندما أدركت أنه لم يفهم أن هذا الشخص هو أنا,تظـــاهرت

بالدهشة :"إيه ده ؟ ريم و إنت عرفت مين؟ إنت شوفت شكله يعنى؟"

- لأ بس شوفته من ضهره.

تنهدت بارتياح قبل أن أستطرد:"تلاقيه واحد من العيــال بتوع سان جابرايل دول,رامى و كريم و العيال دى"

-"مش عارف,أنا مابقيتش عارف أى حاجة فى أى حاجة يا نادر"قالها قبل أن يغوص فى نوبة جديدة من البكاء الهستيرى

- طب قوم يا خالد قوم بس.

- أروح فين؟

- هتروح بيتك تعالى بس.

قام معى لم يكن قادرا على المشى من تــأثير الخمــور و لم أقدر أنا على المشى كذلك من تأثير الذنب,فمشينا نسند بعضنا بعضا,حتى نهاية الطريق.

***

"أنا بقاللى سنة مبفكرش غير فى يارا بس,بطلت ســجاير علشانها,و بقت حياتى كلها بتدور حواليها,لدرجــة إنى لمــا عرفتها على حقيقتها,مجاش حتى فى بالى إنى أفركش معاها لأن

الفكرة أساسا مش واردة,فكنت بضطر أقبل بكل حاجة غلط أنا شايفها فيها,لأنى مش متخيل نفسى مع واحدة غيرها أصلا,

مارك هو قائل تلك الجملة الأخيرة,استيقظت"نيفين"هـــذا الصباح على مكالمة تليفونيـــة منـــه,أراد أن يقابلـــها لـــسبب ما,جلسا فى إيستيمشن كافيه و كانت تلك العبارة السابقة هى بداية كلامه,و استكمل هو"يمكن لو جربت أشوف نفسى مع بنت تانية,الموضوع هيبقى أسهل بكتير,مش كده؟"

أجابته و هى تخفى السبب الحقيقى لسعادتها:"بالضبط"

قالتها ثم رشفت رشفة أنيقة للغاية من كوب الشاى الـــذى أمامها؟

اقترب منها فاقتربت منه,و قالت لنفسها أنها تلـــك هـــى اللحظة المنتظرة سيعترف لها بأنها سيحبها و أنها هى التى قضى عمره كله بحثا عنها,و سيعتذر عن غبائه طوال هذا الوقت لأنه لم يرها,فتح فمه و لم تستطع هى أن تتوقع ســـواء إن كانـــت تلك بداية قبلة أم كلام يشبه القبل"طب مـــا تظبطـــينى مـــع حد"قالها بعفوية شديدة دون أن يدرى أنه قد ضـــرب كـــل توقعاتها فى الحائط,وقع كوب الشاى الذى كان يسكن يـــدها على الأرض,و انكسر قلبها معه إلى ألف جزء ..

***

ليس هناك ما هو أكثر إرباكا من إجراء حديث ودى مع شخص لا تدرى نواياه تجاهلك بالتحديد,فالأشخاص الذين نكرههم نعاملهم بالكره بأسلوب دفاعى فى الكلام و النظرات و الأشخاص الذين نحبهم نثق فيهم و نتكلم براحتنا معهم,أما هؤلاء الذين يرفضون أن يفصحوا عن حقيقة مشاعرهم أولئك هم أسباب الارتباك,الارتباك كله,و هذا هو الحال الآن ما بين"أحمد شمس"و"هبة",فجأة و بدون أية مقدمات,أمرهم رئيس الشركة بالعمل سويا لتقديم presentation فى فندق هيلتون الجزيرة فى القاهرة,كانت هى التى ستقوم بالعمل كله على أية حال و لكن لأسباب يطول شرحها كان لابد من وجود مهندس كمبيوتر و لو بشكل احتياطى,

المهم,قبل الاثنان و قد غطاهما الإحراج من بعضهما,وصلا إلى الفندق,كانت تتبقى على الـ presentationساعتان كاملتان عندما أرادت هى أن تلقى نظرة على مكان الاجتماع لتخلصها من هيبة المكان,و أراد هو أن يصعد إلى الكافيرتيا ليشرب قدحا أو قدحين من القهوة,و تقابلا فى المصعد,لم يتبادلا سوى النظرات و الابتسامات الصفراء,تمنى كل منهما سرا أن يصل إلى مقصده لكى يتخلص من هذا الارتباك,

و انكسرت كل توقعاقم بالحائط عندما توقف الأسانسير,تماما.

لقدْ اكتشفت بالطريقة الصعبة وهى التجربة أن الحب من أول نظرة لا وجود له إلا فى أغانى عمرو دياب و محمد حماقى,أو بعض أفلام محمود ياسين,

الحب من أول نظرة ما هو إلا فكرة إعلانية تجارية بحتة,ساعدت على ترويجها إعلانات العطور و الملابس المستوردة,و لم أستطع قط أن أخفى اندهاشى من هؤلاء الذين يحددون مواصفات فتاة أحلامهم من قبل أن يروها,الغريب أنهم يصفونها بدقة شديدة و كأنهم يرونها أمامهم,شعرها أصفر وصدرها كبير و فمها صغير.. و بقية الصفات الشكلية الدقيقة للغاية و التى تكاد تنتهى بـ"و أول حرف من اسمها هيفاء وهبى",الحقيقة المُرة أن كل ذلك وهم,كل هذا سراب,الحب الحقيقى يأتى بالتفاهم و ليس بممارسة العادة السرية و أنت تتخيل فتاة ما.

أثناء تعلمى للعبة الإيستيميشن كنت كثير الأسئلة بشكل مزعج للغاية,و كنت دائما ما أسألهم"هو المفروض البنت إللى من لون مُعين تنزل مع أنهو ولد"و كانوا دائما ما يجيبونى بنفس الإجابة"ولد إيه ؟و بنت إيه ؟مفيش ولد مُناسب لبنت معينة,حسب الدور و حسب ظروف كل Game"و حتى بعد أن فقدت اهتمامى باللعبة ظلت الجملة تدور فى ذهنى,

وبدأت تحتل جزءا كبيرا من تفكيرى فى كـــل شـــىء يخـــص الحب,ليس هناك ولد و بنت مثاليين لبعضهما,أنما هى الحيـــاة التى تلعب بنا,

لا تسيئوا فهمى فأنا من أشد المؤمنين بالحب و لكن لـــيس هذا النوع الذى يمتلك Option من أول نظرة,هناك حـــب من أول موقف و أول جملة و أول فهم حقيقـــى لشخصية الفتاة, أنت الذى تصنع فتاة أحلامك,تجتهد أنت و هى لكى تعيشوا فى تبات و نبات ..

و فى نظرى أن ذلك الفهم الخاطىء هو أساس كل المشاكل العاطفية لذلك الجيل,ينتظرون فتاة ما شديدة الجمال و الذكاء معا لكى يقعوا فى حبها كالمجانين دون النظر فى كواليس حياتها الخفية,هذه هى مشكلة"عمرو سلامة"و حتى إن لم يعترف هو بذلك,و هذه هى أيضا مشكلة"مارك",الذى أضاع عمـــره فى البحث عن الحب من أول نظرة,

و"مارك"حتى لحظة كتابة هذه السطور لا يمتلك أدنى فكرة عن السبب الذى أربك"نيفين"و تسبب فى كسر الكوب الـــتى تحمله فى يديها,

"سورى بجد والله مش عارفة مالى النهاردة؟"قالتها هـــى فى منتهى الإحراج و هى تحاول أن تجمع ما تبقى من الكوب,أتى

أحد العاملين بإيستيميشن ليساعدها,اعتذرت للجرسون قبل أن تلتفت لمارك و هى تسأله :"إنت كنت بتقول إيه ؟"

- كونت بقولك تظبطينى مع حد.

- الحد ده بنت يعنى ؟

- أمال راجل إن شاء الله ؟!!

- فكك منى يا مارك إنى أعملك حاجة زى كده.

- طب لو قولتلك علشان خاطرى؟

وها قد بدأ فصل جديد من الـــدموع الخفيـــة و الآهـــات المكتومة فى حياة نيفين التى أختارت بملأ إرادتها أن تخفى عـــن الآخر مشاعرها.

***

عندما استخدم أحمد شمس هاتف الطوارىء المثبت داخـــل المصعد تم إخباره أن هناك عطلا سيدوم لمدة نصف ســـاعة و هذا بسبب أن هذا الجزء الفندق مـــا زال فى طـــور المراحـــل الأخيرة من البناء و التشييد,أغلق الـــسماعة و أخبرهـــا بمـــا سمعه,كل منهما شعر بأنه تم حبسه رغم أن إرادته مـــع آخـــر شخص يتمنى أن يتعامل معه,و زاد الارتباك,

كان لابد من حديث ما,حتى و لو كان تافها.

مرت أكثر من عشرون دقيقة و"أحمد شمس"يلقى النكـــات اللاذعة عن زملائه بعمله القديم بالقاهرة,

"لأ و بعدين كان راجل غريب أوى فعلا كان ألدغ"

سألته هبة فى وسط ضحكاتها :"ألدغ فى الريه؟"

- ألدغ فى الكاف عمرك سمعتى عن حد ألدغ فى الكـــاف بينطقها خاه؟؟!

- هاهاها لأ بس وحشة أوى بصراحة إن السكرتير بتاعك إللى هو مفروض بيتكلم باسمك يبقى ألدغ,كنت مـــستحمل إزاى؟

أجاب أحمد و هو يستعير أسلوب عادل إمام :"لأ عادى ما هو أصل الحاجات دى خلقة ربنا أنا مكانش عندى أى مشكلة لحد مابتدينا نتعامل مع واحد اسمه الأستاذ شـــاكر,ســـاعتها المصايب كلها جت"ثم استكمل أحمد و هو يقلد ســـكرتيره: "الأستاذ شاخر مستنى بره و زعلان جدا علشان الهاردات إللى طلبها لسه موصلتش"

وظلت الضحكات المتبادلة حتى بعد أن عـــاد المـــصعد إلى العمل,نظر إليها بحزن غير مفهوم"أنا نازل الدور ده,هاشـــوفك فى الاجتماع"

أجابته ضاحكة و هو يخرج من الأسانسير :"باى باى يـــا أحمد,ده إنت طلعت مسخرة"

نظر إليها بنفس الحزن :"و إنتِ ضحكتك زى ما هى مـــن وإحنا صغيرين"

لم تنتبه فى البداية لما قال,و عندما فهمت وجدت الوقت قد فاتها,كان باب المصعد قد أُغلق بالفعل,وكان قد ابتعد عنها.

***

احتفالا باقتراب موعد عيد ميلاد و بمناسبة حصول"محمـــد البارودى"على مفتاح فيللا مارينا الخاصة بأبيه بشكل مؤقـــت, والله أعلم لأى أسباب أخرى .

قام"البارودى"و"نادر"و"يـــارا"و"هـــانى"برحلـــة أو مـــا يسمى"طلعة"إلى مارينا ٣,لم يجد نادر أى مشكلة أن يـــشترك فى تلك"الطلعة"مع"يارا"التى مـــن المفتـــرض أنهـــا أســـاءت ل"مارك"صديقه,أينعم ضايقه ذلك و لكن كل هذا لم يمكن أن يُقَارن بالراحة النفسية التى سيجدها فى البُعد عن الإسكندرية و مشاكلها و علاقته بريم التى تؤنب له ضميره,و خرج الأربعـــة لأحد الكازينوهات فى مارينا,تكلم الثلاثة فى الحشيش بينمـــا كانت"يارا"ترقص مع شخص ما لا يعرفانه,

"المهم يعنى معاك قد إيه دلوقتى؟"قالها هـــانى بقـــرف لازم لهجته طوال الفترة الأخيرة كلما تكلم مع"البارودى"

أجاب"محمد"الذى جذب رقص"يارا"مئـــة فى المئـــة مـــن اهتمامه:"قد إيه فى إيه؟"قالها بمنتهى البلاهة و كأنه قد استيقظ لتوه من النوم مفزوعا,

أجابه نادر بملل:"هيكون إيه يعنى؟ حشيش,محمـــد إنـــت سامعنى أساسا"

هذه المرة لم يعر محمد و لو نصف اهتمام,سألهم هو :"مـــين إللى بيرقص مع يارا ده؟"

أجاب نادر بعد تمعن :"معرفوش"

واستكملوا بعدها هم الكلام و ظل هـــو بعيـــدا عنـــهم بذهنه,ظل يراقب بمنتهى الغيظ رقص يارا و الشاب المجهـــول على أغنية That Smack لـــAkon كانت مسألة وقت قبل أت يفقد شخص مثل البارودى السيطرة على أعصابه

لم يستطع هو التغاضى عن حقيقة أن الشاب كان قد لامس مؤخرة"يارا"أكثر مـــن مـــرة و بمنتـــهى الـــبطء و الـــذة و الوقاحة,لاحظ"هانى"ما لاحظه"محمد البارودى"فاقترب ذلـــك الأول من أذن البارودى ناصحا:"ما لاكش دعوة بإللى إنـــت شايفة ده خالص,هى مبسوطة كده و هى حرة"

و لكن كان الأوان قد فات,كان محمد قد تحـــرك بالفعـــل ليلكم الشاب و كأن قوانين الجاذبية الأرضية قد ألغيت لثلاث ثوان,طار الشاب بظهره إلى الوراء إثر الضربة ليقع على ترابيزة و يكسرها,و ليبدأ أصدقاء الشاب بالنظر إليه و السخرية منه,و قبل أن ينطق أي من"نادر"أو"هانى"أو حتى يارا بحرف واحـــد كان محمد البارودى قد أصدر فرمانه :"يلا بينا من هنا"

***

منذ أن خرجت هبة من المصعد و هى تجرى لاهثة فى محاولة للعثور على"أحمد شمس",و أخيرا وجدته فى أكثر أماكن الفندق وحدة و ظلاماً يشرب كأسا من الخمر,سألته مباشـــرة و دون مقدمات السؤال التى تعرف هى إجابته مسبقا:"إنـــت طـــول الوقت ده كنت مجمع أنا مين صح؟ من ساعة ما جيت الشركة أستلم الشغل؟"

أجاب حزينا دون أن يلتفت إليها : من قبل كده كمان من ساعة ما"مى"قالتللى إنك جاية.

– و ليه؟!,

قاطعها و يستدير ليرى وجهها للمرة الأولى منـــذ بدايـــة الحديث : ليه عملت نفسى مش عارف؟ علـــشان مـــضايقش مى.

و استكملت هـــى و قـــد بـــدأت تفهـــم :"و علـــشان متحرجنيش"

- و إنتِ إيه إللى حصلك ممكن تتحرجى منه؟ أنـــا إللـــى اتثبت إنتِ نسيتِ ولا إيه؟

- مكانش ده مقصود إنه يحصل يا أحمد إنت عارف كـــده كويس.

أجاب و قد تجاهل تماما ما قالته : عارفة لو كـــنتِ بـــس ساعتها قولتِ أيوة كان فى كام حاجة ممكن تتغير,على الأقـــل مكانتش هادور عليكى فى مروة و فى مى و فى كـــل ســـت أقابلها,إحنا كان ممكن نكون متجوزين دلوقتِ؟

و هنا على عكس كل التوقعات اقتربت هبة منه,و قبلته قبلة طويلة مطلوبة و مُحرمة,

***

فلنلقى نظرة سريعة إلى ما آلت إليه حياة"عمرو ســـلامة"فى الفترة الأخيرة,أصبح مـــدمنا للـــسجائر والحـــشيش بـــشكل ملحوظ,لم تكن السيجارة لتفارق فمه أو لعلبة"الـــسجاير"أن تفارق جيبه كان لديه ميعاد ثابت مع أصدقائه يتجمعون فيه فى شقة رامى تم الاتفاق عليه من قبل ويدخنون الحشيش ساعات

وساعات وساعات دون أن يشعروا بمرور الوقت ثم يعود كل منهم إلى بيته.

و بالطبع بيته هو أبغض مكان فى الأرض إلى قلبه,كـان لا يستطيع أن يدخل أو يخرج منه دون مشاجرة عنيفة مع أسـرته ما إن يدخل إلى تلك الفيلا حتى يتحول"عمرو سلامة"من ذلك الشاب خفيف الظل إلى شخص حاد الطباع منطـوٍ إلى حـد عجيب يحرص لسبب ما أن يظل باب غرفته مغلقا بالترباس مما يثير دهشة أفراد أسرته جميعا لكن ما يلبث هـذا العجـب أن يزول بعد أن تأتيه مكالمة ما على هاتفه الجـوال مـن أحـد أصدقائه الذى يطلب منه أن يقابله"الآن"فى مكان مـا فـيترل مسرعا من بيته ويترك باب غرفته مفتوحا على مصرعيه,يدخل إلى الحجرة أبيه أو أمه ويكاد الفضول أن يقتلهما ويـدفعهما دفعا ليعرفوا ماذا كان يفعل فى الحجرة,ما الشئ الذى يفعلـه يستوجب كل هذه السرية؟

يأتيهم الرد بعد ثوان معدودة داخل الحجرة مـن رائحـة الحجرة التى تكاد تصرخ وتقول أن شخصا ما كـان يـدخن السجائر فى هذا المكان.

لم يعد يهتم بأن يخفى علبة سجائره عندما يدخل إلى بيته بل كان يضعها بمنتهى الوقاحة على مكتبه,هكذا!,بجانب هاتفـه

المحمول وبجانب كتب الدراسة التي قلما يأبه أن يقرأ منها شيئا"ما دام أهله يعلمون أنه يشرب السجائر فلماذا يخفى ذلك؟!!"كان هذا مبدأه ويا له من مبدأ.

رغم كل ذلك لم يكن يشعر أنه شخصية منحلة ولو حدث أنه سمع بالصدفة فلانا أو علانا يقول عنه إنه"صايع"مثلا يثور عليه ويسبه بأهله وقد يصل معه إلى حد تطاول الأيدى أحيانا مما يدهش الذى قال ذلك فإنهم أحيانا كثيرة كانوا يقولون ذلك على سبيل المجاملة .

لم يكن يشعر أنه يعيش الحياة التي يتمنى أن يعيشها لم يكن يحب قط أن يتشاجر مع أهله كل فترة لم يكن يحب إدمانه للسجائر وللحشيش ولأنواع أخرى من المخدرات. شئ ما كان يدفعه إلى كل ذلك أصدقاؤه ؟ .. لا إنما يمكن القول العكس فهو السبب فى انحراف معظم أصدقائه,أهله؟ ..نعم.

كان يظن أنهم السبب لما هو فيه إن لم يكونوا هم السبب الوحيد لماذا يصرون أن يحولوا حياته إلى جحيم؟ لماذا؟

لماذا لا يحاولون تقويم سلوكه بدلا من المشاجرة معه ليل نهار؟

كان كلما يهم بالخروج من البيت يهبط عليه ذلك السؤال الكريه المعتاد"رايح فين؟"فيجد نفسه كل مرة يرد على السؤال"وانت مالك ؟"وقد يكون صاحب هذا السؤال هو أحد

والديه إلا أنهما لا يتفاجآن بهذه الإجابة لقد اعتاد الجميع على وقاحته ..

كان ملجأه المفضل بعـد كـل مـشاجرة عائليـة هـو أصدقاؤه,يترك البيت بمشاكله التي لا تنتهى وينزل إلى الشارع يتصل بأصدقائه من هاتفه المحمول أو من أى هـاتف عـام إذا أخذ منه أبيه هاتفه الجوال على سبيل العقاب.

و هذه المرة لم يكد يسمع الرد من الطـرف الآخـر مـن الاتصال حتى قال:"أيوة يا رامى.. أنا عمرو أنا اتخانقت مـع أهلى، مش عارف حاسس إن أنا مخنوق من الدنيا كلها عـايز أقابلك دلوقتى حالا"

كان أصدقاؤه قد اعتادوا على ثلاثى الجمـل هـذا (أنـا اتخانقت مع أهلى- أنا مخنوق- عايز أقابلك) بعد كـل مـرة يتشاجر فيهما مع أهله تلك المرة أتاه صوت رامـى فى ملـل قائلا:

بص هو مش هينفع تجيلى البيت علشان فهد,عارف القهوة اللى قدام بيتى أقابلنى عندها,,ok ؟,سلام"

***

فى الساعة العاشرة تقريبا دخل رامى إلى المقهـى الـشعبى الواقع أمام منزله تماما أخذ يبحث بعينه عن صـديقه"عمـرو

سلامة"وحده فى ركن منعزل من القهوة كان وجهه مليئا بعلامات السخط والضجر هذه المرة سحب لنفسه كرسيا وجلس بجانب صديقه سأله فى فضول"إيه يا بنى مالك؟"رد عليه عمرو فى ملل"ماليش يا عم خناقة عادية مع أهلى زى كل مرة"

رد عليه رامى فى دهشة :"خناقة عادية مين ؟ ده أنا أول مرة فى حياتى أشوفك متضايق كده ده إنت من ساعة ما .."

قاطعه عمرو وكأنه لم يكن يقول شيئا"بقولك إيه أنا تعبان,عندك مكان أبات فيه كام يوم؟"بالطبع كان اختيار المبيت عند رامى غير مقترح بسبب فهد الذى أتى على غفلة,تراجع صديقه بظهره واتكأ بيده اليمنى على المنضدة المجاورة وأخذ يراجع فى ذاكرته كل أسماء معارفه وأصدقائه ولكن جاءت الإجابة محبطة للغاية"لا ما قدرش أدبر مكان على الاقل مش دلوقتى"

كان من الواضح أن الإجابة لم ترق لـ عمرو كثيرا أخذ نفسا عميقا من سيجارة كان قد أخرجها للتو من علبة سجائره قبل أن يخرج الدخان من أنفه وفمه فى بطء شديد وهو ينظر فى اللا مكان قبل أن يلتفت لصديقه مرة أخرى وقال باحثا عن أمل أخير"حاول تفتكر كويس"هز رامى رأسه نافيا ثم جحظت عيناه فجاة وانتفض برأسه إلى الوراء كأنه تذكر

شيئا أو قفزت إلى ذهنه فكرة مُذهلة عبر بها عن طريـــق هـــذا السؤال العجيب:"إنت طلعت بطاقة مش كده؟"نظر إليه عمرو للحظة ثم أجاب"طلعتها من كام شهر إشمعنى يعنى ؟ رد عليـــه رامى"ما دام معاك بطاقة يبقى تقدر تبات فى أى فندق و.."

-"إنت فاكر يعنى إنى مفكرتش فى كده ؟ مينفعش طبعا.

– وإيه إللى مانعك.

– معيش فلوس.

ظهرت ابتسامة على شفتى رامى ثم سحب السيجارة من يد عمرو وقال وهو يضع السيجارة فى فمه دون استئذان"يعنى هى دى المشكلة يعنى ؟"قالها ثم أخرج من جيبه مبلغا مـــن المـــال واستطرد"خد منى الفلوس دى ولما إنت وأهلك تتصالحوا يبقى رجعها لى"حاول عمرو جاهدا أن يرفض عرض صديقه لكنـــه بعد فترة يئس أمام إصراره فإضطر إلى قبول المبلغ.

***

كان نادر أول من رجع سريعًا من مارينـــا,تـــرك محمـــد البارودى و يارا و هانى هناك و عاد,لم يكن ذلك بيده بل كان عليه أن يجتمع بأفراد فرقته Born In Hell,أرادوا هم ذلك الاجتماع,و ذهب ليخبروه أولا بأنهم قد أصبحوا أول فرقـــة Heavy Metal تنجح فى توقيع عقد مع شـــركة إنتـــاج

تمهيدا لبدء إنتاج ألبومات لحسابها,فرح جدا للخبر و ســألهم أول شيء عن مكسبه الشخصى فأجابوه بأنــه لم يعــد مــن الفرقة,فرغم أنه هو المؤسس إلا أن كل أعضاء الفرقــة يــروه متقاعسا عن المشاركة فى كل ما هو مهم للفرقــة,ليكتــشف رويدا رويدا أن خطيئة خيانة صديقه بدأت ترتد إلى وجهــه, وتقبل"نادر"الأمر على عكس ما توقع كل أفراد الفرقة,قام من مقعده فى Hands Cafe بهدوء غريب و تــركهم دون أن ينبس بنبت شفة,اتجه إلى ســيارته,شــرب داخــل الــسيارة الخمر,الكثير منه و هو يدور المدينة الساحلية من شــرقها إلى غربها,و عندما مل من التنقل لم يجد فى الإســكندرية مكانــا يرتاح له قلبه سوى"إيستيميشن",دخل فلم يجد أى وجه مألوفة فحمد الله سرا على ذلك,فرغم نــدرة حــدث الــدخول إلى إيستيمشن دون لقاء أحدهم إلا أن نادر كان ســعيدا للغايــة بذلك,فهو لم يبغ رؤية من يلومه على شرب الخمر أو ما غــير ذلك,جلس على البار,و بار إيستيميشن هو من البارات القليلة فى العالم التى لا تقدم الخمر,فقط القهوة,و رغم أن تلك هــى ثالث قهوة يشربها نادر إلا أن كل ذلــك الكــافيين لم يــؤثر فى"الدماغ العالية"التى كان قد وصل إليها,ما زال يترنح حــتى وهو جالس,مازال يشعر بدوران الأرض بشكل شخصى,مــا زال يجذب اطراف الحديث السكير مع النادل الذى لا يريد أن يسمعه,

"أمال سيد مابيجيش ليه يا فتحى"

"لا ما هو أصله ساب الشغل هنا من زمـــان,إنـــت لـــسه فاكر؟"

رجع نادر برأسه إلى الخلف فى دهشة:"يا راجـــل,و هـــو بيشتغل فين دلوقتى"

- علمي علمك.

- فين علمي علمك ده ؟

- معرفش بقى، إنت بتتكلم كتير ليه؟

- علشان سكران,هو الباب إللى دايما مقفول عندكوا.

أجاب فتحي ضاحكا : هاتعرف دلوقتى.

كان نادر فى سؤاله الأخير يقصد بابا ضخما مغلقا بـــشكل دائم,و المعروف أن هذا الباب يخفى وراءه قاعة للمناسبات إلا أن"نادر"السكير لم يتذكر ذلك,و ظل نادر يمطر النادل فتحـــى بأسئلته الطفولية البلهاء حتى دخل"خالد"و مر بجانب"نادر",لم يبتسم"خالد"للقاء ذلك الأخير,بل لم يرحب به على الأقل بـــل اقترب منه بوجه غاضب للغايـــة و همـــس فى أذن صـــديقه: "نادر,عايز أكلمك ثانية,أنا واقف هناك عند الباب ده"

نظر نادر إلى صـــديقه بقلـــق,أرعبتـــه مجـــرد فكـــرة أن يكون"خالد"قد اكتشف علاقته بـــ"ريم",سأله بحـــذر:"عـــايز تكلمنى فى إيه بالظبط؟"

أجابه خالد و قد زادت عصبيته :"متستعبطش أنا عرفت كل حاجة قوم من نفسك تتكلم مفيش داعى نسيح لنفسنا قدام الناس"رحل خالد ليقف بجانب باب قاعة المناسبات,قام"نادر"من على كرسيه و لا يدرى هو نفسه كيف استطاع المشى على قدميه بعد أن اجتمعت عليه جيوش السُكر و القلق,و اقترب من صديقه الغاضب"إيه كنت عايزنى فى إيه؟"

وصل غضب خالد هذه المرة إلى مرحلة تعبيرية يطلق عليها مخرجى السينما.."Over أوى"

"لا والله بجد يعنى إنت مش عارف هو فى إيه؟"

هنا استسلم"نادر"تماما و أيقن أن كابوسه قد أصبح حقيقة:"ماشى بس إدينى فرصة أشرحلك"

"يا عم كفاياك كدب بقى"

قالها خالد و هو يدفع نادر بكلتا يديه و لينفتح الباب أثر الإصطدام بجسد"نادر",و وقع نادر على أرضية الحجرة المغلقة سابقا, وقبل أن ينطق بأى حرف كانت أنوار الحجرة قد أنارت فجأة مما أذى عينه,و صوت موسيقى صاخبة تم تشغيلها حالا,نظر إلى داخل الحجرة ليجد الجميع"مارك"و"نيفين"و"كريم"و رامى و"ريم"أيضا و الكثير من

أصدقائه فى سان مارك,كا منهم قد لبس طرطور عيد ميلاد وصرخوا مبتسمين فى نفس واحد"Surprise",لم يفهم"نادر"شيئا مما يحدث خاصا عندما إلتفت إلى"خالد"الذى كان غاضبا منذ لحظات ليجده غارقا فى الضحك,

***

ما حدث كان كالآتى اليوم هو عيد ميلاد"نادر",و هم أقاموا له Surprise Party فبالتالى كان كل ما حدث مقصودا,و كان من المطلوب من"خالد"أن يفتعل معه مشاجرة ليستدرجه نحو الباب,و المهم فى كل هذا أن"خالد"لا يعرف شيئا بل هو سوء تفاهم,و بعد مرور الوقت ازدادت الحفلة جمالا,انخفضت الموسيقى و رحل كل من أتى إلى الحفل مجاملا ليبقى الأصدقاء الأنتيم,أخبرهم نادر بالخبر المؤسف بانفصاله عن فرقته,فخففوا عنه,و أخبره خالد أن انفصاله عن فرقته يوم عيد ميلاده قد لا يكون صدفة بل هو إشارة من القدر أن انفصاله عنهم سيكون ميلاده الحقيقى كفنان,

***

عندما انتهى الحفل و اقترح"نادر"أن"يوصل ريم علشان هى بيتها على سكته"لم يمانع خالد على الإطلاق,بل كان سيطلب من نادر ذلك لولا أنه هو الذى اقترح قبل منه,كان قد شرب

كثيرا فى عيد ميلاد نادر, لم يكن مهتما بمساعدة أى شخص فى الوصول إلى مترله سوى نفسه,دخل إلى البيت,و فى البيت كان أبوه"شريف الكفراوى"جالسا أمام برنامج القاهرة اليوم,و رغم الابتسامة المريرة التى صدرت عن"شريف"عندما جاء الفاصـــل الإعلانى ليكتشف أن برنامج القاهرة اليوم برعايـــة"مجموعـــة الكفراوى للإنشاء و التشييد",إلا أن شريف لم يكـــن مهتمـــا بكل ما يجرى فى التلفاز,كان فى انتظار ابنه"خالد"الذى أتـــى أخيرا.

"كنت فين لحد دلوقتى يا خالد؟"

قالها خالد فى مزيج عجيب ما بين الفـــضول و الغـــضب والصرامة و النصيحة,لم يكن ابنه الذى دخل للتـــو مترنحـــا فى مشيته قد لاحظ حتى نطق تلك الجملة وجود أبيه,

– إيه ده بابا؟ إنت جيت.

ازدادت صرامة شريف :إنت سكران يا خالد؟

– طب و دى فيها إيه يعنى؟!

– فيها إن إحنا اتفقنا إن مفيش خمرة تانى.

– فكك بقى يا شريف؟

شريف بعصبية : فكنى إيه بس؟ إنت عارف إنت عندك إيه يا خالد إنت عندك سرطان!

***

حتى بعد أن رحـــل البـــارودى و هـــانى عـــن الحفـــل ونـــزل"نـــادر"إلى الإســـكندرية دون أســـباب واضـــحة ، ظلت"يارا"عابسة فى وجه"محمد البارودى",سألها عندما كـــان معها فى سيارة هانى بعد أن نزل ذلك الأخير لجلـــب وجبـــة العشاء من مطعم .K.F.C(العربى مئة بالمئة إوعوا تنسوا).: "أنا مش قادر أفهم برضه إيه إللى مضايقك؟"

أجابته"يارا:"مكانش ليها لازمة إن تحرجنى قدام الناس دى كلها كده"

- معلش يا يارا مكانش بإيدى.

-إيه مكانش بإيدك عايزة أفهم أنا,غيران عليا مثلا؟!

رد محمد مرتبكا: غيران إزاى يعنى؟ إنتى إيه الهبل إللى إنـــتى بتقوليه ده؟ أنا بس مش حابب إنى أشوفك ماشية مع واحـــد زى ده.

استكملت فى خبث:"يعنى محصلش إنك أول لمـــا شـــوفتنى كلمت هانى إنه يظبطنى ليك على صحوبية؟"

ازداد ارتباكه: صحوبية إيه يا يارا؟ إنتِ مجنونة؟ أنا مسلم وإنتِ مسيحية,إنتِ لسه سكرانة شكلك,أقولك حاجة بقى أنا كمان لسه سكران,يا ريت منفتحش الحوار ده دلوقتي.

- يعني فيه حوار فعلا !!

- ..

- من الآخر يا محمد هو إنت بتحبني؟

توقف محمد عن الاضطراب بعد سؤالها الذى حول الحديث إلى اللعب بالأوراق المكشوفة بشكل لا يحتمل المراوغة,تحول ارتباكه و هربه من السؤال إلى التفكير العميق و هو ينظر إليها: "أنا متعودتش إني يكون حد ماسك عليا ذِلة,عودت نفسي دايماً أن الإيد إللي توجعني أقطعها,إنت مجمعة إن لو إجابة السؤال ده أيوة إنتِ عمرك ما هاتشوفيني تاني؟"

أجابت هي في صرامة :"مش أحسن مافضل أشوفك كل يوم و أقعد أسأل نفسي؟"

أومأ برأسه حزيناً و هو يردف :"لا خلاص، متسأليش نفسك و لا حاجة,امسحي نمرتي من على موبايلك,ولو حد سألك إنتِ عمرك ما شوفتيني في حياتك"قالها في برود غريب قبل أن ينزل من السيارة,لم يكد يبتعد عنها حتى انزوى لركن مظلم و بكى,نعم بكى,مثله مثل سائر البشر,ما لن تفهمه هي

أبدا أن القوى السياسية التى يجب أن يتمتع بها البارودى لها ثمن فادح يجب التضحية به,

***

تماما كما تمنت من كل قلبها,استقبلت"نادين"مكالمة هاتفية هذا الصباح من"كريم شمس",اقترح عليها"خروجة سينما"فوافقت,كانت قد افتقدته بكل ما تعنيه الكلمة من معنى,جلس الاثنان يشاهدان فيلما أجنبيا ما فى سينما جسرين بلازا,ظلا يتبادلان النكات و الأحاديث و الله أعلم إن كانت هناك قبل متورطة فى ذلك التبادل,و فجأة دون أدنى إنذار وجدته قد بدأ يخفى وجهه بيديه,كأنه خائف من أن يراه أحد معها,التفتت"نادين"فى حيرة حولها فى القاعة لتتعرف على الشبح الذى يخيفه لتجد أمامها"هى"التى كانت قد أتت مصادفة إلى نفس قاعة السينما مع أهلها,و باتت كل الإجابات واضحة.

***

بسبب بعض المتاعب التى يعانى منها الجنيه المصرى المسكين و بسبب حياة مترفة اعتاد عليها"عمرو",لم تكن السبعمئة جنيه التى أعطاها له"رامى"تكفى لأى شىء فعلا,ليس لأكثر من ليلة واحدة على الأقل,فكان لابد إذن أن يفكر فى مكان رخيص

يقضى فيه الأيام القادمة لكى يتبقى له من المال لكروت الشحن و الغذاء فى مطاعم التيك – أواى,و بالفعل فى أحد الفنـــادق الرخيصة فى حى المنشية دخل عمرو إلى بهو فنـــدق متواضـــع للغاية، الجدران لم يتم طلاؤها منذ وقت طويـــل الـــسجاجيد الحمراء التى قد انتشرت فى كل مكان فى الفندق لا تجد فيهـــا شبرا خاليا من آثار الأقدام المتسخة أو آثار طـــفء الـــسجاير، الكراسى فى بهو الفندق تشبه كراسى القهاوى الشعبية,الروائح فى المكان متعددة روائح السجاير والحشيش وروائح العطـــور المتواضعة التى تضعها بعض النساء فى الفندق,لو رأيت بعينـــك هذا الفندق ومن فيه لن تستبعد أبدا بل ستكون متأكدا بـــأن هناك أعمالا غير مشروعة تدور فيه ..اتجه"عمرو"إلى موظـــف الاستقبال وسأله فى مزيج بين القلق والتوتر: الليلة هنا بكام لو سمحت؟.. أصيب الموظف بالدهشة من شكل"عمرو"كان من الواضح أن هذا الصبى ينتمى إلى طبقة مرتفعة فى المجتمـــع مـــا الذى يـــأتى بـــشخص مثلـــه إلى هـــذا المكـــان؟ رد عليـــه الموظف"تلاتين جنيه او ســـتين,علـــى حـــسب"رد عمـــرو بسرعة"على حسب إيه؟"كان من الواضح من شكل الموظـــف أنه خاضع تحت تأثير مخدر ما,ترنح برأسه بعض الشئ كأنـــه يقاوم النـــوم قبـــل أن يقـــول فى خبـــث وبلـــسان أثقلتـــه الخمور"حسب هتبات لوحدك ولا معاك حد"لم يفهـــم تـــامر

قصده فرد بشكل تلقائى"لا أنا لوحدى عايز أوضــة بــسرير واحد"ابتسم الموظف فى خبث أكثر وقال ما هو أنا بقى بتكلم على السرير ده هتبات فيه لوحدك ولا معاك حد؟ كــان مــن الواضح من تعابير وجه تامر أنه مازال لا يفهم شــيئا فقــال الموظف فى ضحر"يعنى عايز مزة معاك فى الأوضة ولا إيــه؟. ثم تحولت تعابير وجهه من الغضب إلى ابتسامة ســاخرة و هــو يقول"ما هى أصل الحاجات من خدمات الفندق بتاعنــا زى الفطار والعشاء كده"

ضحك عمرو الذى فهم قصده أخيرا ضحكة مجاملة صفراء قلقة و حائرة,

***

رحلت"هنى"من قاعــة الــسينما دون أن يقــع نظرهــا على"كريم""نادين"ســتكون هـــى مـــصدر المــشاكل لـــه الآن"نادين"التى كادت أن تقع فى غرامه ثانية,تركتـــه غاضـــبة وهرول هو وراءها كالمجنون , توقفت أخيرا عن المشى,التفتت إليه و أعلنت فى لهجة أهدأ مما توقع بكثير:"أنا مش زعلانة,أنا بس خدت بالى من حاجة كان مفروض أشوفها مـــن زمـــان عارف إيه؟"

- إيه؟

- إنك بتحب هنا.

أردف كريم مرتبكا : لأ طبعا,إيه الهبل ده؟

اقتربت نادين منه حتى بدأت تشعر بأنفاسه غير المــضطربة وهو واقف أمامها : أوكيه,بصللى فى عينى و احلــف إنــك مبتحبهاش,أسهل حاجة أهيه.

نظر إليها كريم أراد أن يؤكد ما أرادت هى أن تشكك فى حقيقته,أراد أن يقول بمنتهى البساطة إنــه لا يحبــها,لكنــه لم يستطع توقفت الحروف فى حلقه,شيء ما منعه.. كادت نادين أن ترحل و تتركه للمرة الثانية إلا أنه منعها,كــان لابــد أن يوضح لها موقفه الغريب,أكد لها أنه لن يستطيع أن ينطق بنفس الثلاث كلمات إن سألته"هى"عنها هى,لقد أصبح معلقــا مــا بينها وما بين"هى"إلى الأبد,كل انفصال عن واحدة منهن عنه نزع منه شيئا ما,ليس هنا و نادين فقط بل عشرات و عشرات من الفتيات من قبلهن كلهن اســتحوزن علــى جــزء مــن شخصيته و رحلن به بعيدا ليتركنه ناقصا مشتتا,قالها و لم يهتم برأى"نادين"فى كل هذا,أرادها فقط أن تعرف,ثم رحل بعيــدا عنها وعن غيرها,على الأقل للفترة القادمة.

***

أيضا إنه أحد تلك الأسئلة التى توقفت عندها لفترة, لماذا لم يغادر"عمرو سلامة"فى اللحظة التى اكتشف فيها أن هناك شيئا

ما ليس على ما يرام فى المكان؟لماذا لم يفعل كما فعل فى تجربته السابقة فى الملهى الليلى ؟

تملكه الصمت برهة من الزمن وهو يفكر فى عرض الموظف لماذا لا ؟..إنه الآن فى أشد الحاجة لذلك إنه يعيش الآن فتـــرة من التوتر والمشاكل التى لا تنتهى لولا قلة المال الذى أعطاه له صديقة لولا حياؤه أن يطلب المزيد ما كان ليـــأتى إلى ذلـــك المكان الفقير فهو لا يعلم إلى متى ستدوم هذه المدة التى سيعيش فيها خارج مترله جاء إلى المنشية باحثا عن فندق رخيص أشار إليه كل من سألهم فى الشارع إلى ذلك الفندق وثلاثون جنيها زيادة لن تحدث ضررا كبيرا فى ميزانيته الدقيقة قطـــع حبـــل أفكاره صوت الموظف المزعج "هاه قولت إيه خلصنى" أخـــرج عمرو من جيبه ستين جنيه ووضعهم أمام الرجل الذى عـــادت إليه نبرة الخبث وهو يقول"ماشى كلامك"

***

لم يكن أغرب الزبائن الذين التقى بهم سيد,على الأقل حتى الآن,كان رجلا خليجيا يمتلك قدرة إعجازية علـــى ارتجـــاع كميات ضخمة من الخمر دون الترنح الملحوظ الذى يمنع عـــن المشى أو الإغماء,كان يستطيع أن يثبت بسهولة عند مرحلة ما تسمى"الدماغ الحلوة"و هى السُكر غير المُضر,و غـــير المـــؤثر سوى على الحالة المزاجية للشارب, لم يكد الرجل العربى ينهي

كأسه حتى طلب من سيد كوبا آخر,هُنا نظر سيد حوله ليتأكد من عدم وجود أى مستمعين ثم اقترب من الرجل :"مش شايف إن كده كفاية؟"

ابتسم الرجل أكثر و هو يخبط على جيب قميصه :"ما تخاف أنا معى أموال"

أوضح سيد : مقولتش حاجة,أنا بتكلم عليك إنت شكلك تعبت.

استطرد العربى ضاحكا : من الواضح إنك لم تعمل فى مثل هذى الأماكن من قبل.

غمغم سيد و هو يقلد لهجة الرجل:"مشتغلتش فيها من قبل و لا عايز أشتغل فيها تانى"

بدا على الزبون نصف السكير الاهتمام الصادق بسيد و هو يسأل ذلك الأخير :"و إنت إيش جابراك على هيك؟"

استكمل سيد مغمغما :"ظروف بقى"

رفع الخليجى سبابته إلى الأعلى و هو يأكد بنبرة تكاد تتلامس مع خطبة الجمعة :"ما فى شى اسمه ظروف,أنا كنت بشتغل سواج (-سواق- باللهجة الخليجية) عند عيلة كبيرة فى الخليج,و أول لما لجيت(لقيت) الشغل ما هو جى على هوايا,سيبته مع إنى ما كان معى ولا دينار,هما سنتين و بقيت

صاحب أكبر شركة تصدير فى السعودية,إنت إللى بتختار مــو حدا غيرك (ليس أحدا غيرك باللهجة الخليجية)"

نظر الرجل فى ساعته قبل أن يكتشف أن عينيــه لم تعــودا قادرتان على رؤية أى شىء بدقة قبل أن يسأل سيد:"لــساعة تيجى كام فى يدك"

نظر سيد إلى ساعته :"تلاتة و نص"

غمغم العربى : سبعة الصبح,ده النهار قرب يطلع علىّ و أنا قاعد هون.

وضع المال على البار,ثم قام بصعوبة,قال وهــو يتطــوح: "السلام عليكم,خللى الباجى (الباقى) علشانك"

- و عليكم السلام و رحمة الله.

كان ذلك هو أول ناطق للتحية الإسلامية داخــل ذلــك المكان,رحل الرجل,و رغم أن سيد لم يتعرف باسمه إلا أنه ظل يفكر فيما قال,و ظل سيد يردد كلام الرجل فى ذهنه"إنت إللى بتختار مش حد غيرك"

***

استهلك عمرو سلامة الكثير من الوقت للتفكير فى عــرض موظف الاستقبال,حتى حدث مــا حــسم تفكــيره لتلــك الليلة,وقعت عينيه على تلك الفتاة,رغم نحافتها وصغر إمكاناها

شمالا و جنوبا إلا أن وجهها كان به شيئا جذابا البراءة ربما, لم يبد عليها الانتماء للمكان على أى حال,مال"عمرو"علـــى أذن الموظف و سأله إن كانت تلك الفتاة تعمل هنا, لم يجب الرجل سواء إن كان بالنفى أو الإيجاب بل أردف مبتسما :"أربعـــين جنيه فى الليلة"

***

و كأنهمـــا مجرمـــان أو ثنـــائى مـــن اللـــصوص أو القتلة,ظلا"نادر"و"ريم"يتلفتان بمنتهى القلق حتى ابتعدا تماما عن كل المعارف,توقف"نادر"بالسيارة علـــى جانـــب الطريـــق, وصارحها بمخاوفه,تحدثا فى ضرورة إخبار"خالد"بعلاقتهما من عدمه,و اتفقا على تأجيل تلك الخطوة إلى أجل غير مـــسمى,و فتح ذلك نوع آخر من الحديث أنساهما مرور الوقت و الصباح الذى أوشك على الظهور,خوفهما من النهاية المحتملة لعلاقتهما جعلتهما يتذكران بدايتهما,تذكر هو و ذكرها معـــه ببدايـــة اهتمامه بها,الأسوار التى بناها خالد حولها جعلها أكثر جاذبيـــة من سبيل أن الممنوع مرغوب.. و جاء دورها أن تفصح عـــن أول مرة جذبها هو,أول مرة أرادت أن تتجاذب معه أطـــراف الحديث و لو على سبيل الاستكشاف,كـــان ذلـــك قبـــل أن تتعرف به بشكل شخصى,فى بداية قصتنا عندما كانت جالسة قريبا منه هى و لينا و هنا و حـــسام فى إيستيميـــشن كافيـــه

وسمعته يحكي عن حادثة تقبيل والدة فتـــاة تـــسمى مايـــا فى
العجمى عندما كان طفلا,و حضرها سؤال,ما الـــذى جعلـــه
يخجل بشدة من قصة كتلك لا تحتوى على ما يهينه أو يـــنقص
من رجولته و لو إنشا واحدا,و هنا دون أى سابق إنذار دخل
هو فى نوبة من البكاء,كانت هي دون أن تقصد قد ضـــغطت
بكل ما لديها من قوة على جرح عميق فى نفسه.دخل عمـــرو
إلى حجرته بالفندق و معه الفتاة التى اصطفاها,فتاه فى السابعة
عشرة من عمرها كانت أصغر بائعات الهوى ســـنا فى ذلـــك
المكان كان من الطبيعي أن يختارها هي بالذات لتقارب الـــسن
بينهما وإن كان ذلك لن يؤثر من قريب أو من بعيد على المتعة
الجنسية فى حد ذاتها إلا أنـــه لـــسبب مـــا فى نفـــسه أراد أن
يفعل"ذلك"مع فتاه فى سنة أو قريبة من سنه,ربما لم يكن يريـــد
أن يشعر أنه يقيم علاقة محرمة أراد أن يشعر أنه يفعل ذلك مع
صديقه له,أراد أن يريح ضميره بحجة أنها قـــد فعلـــت ذلـــك
برضاها,فمهما زاد اعتياد الإنسان على أنواع المعاصى المختلفة
من نميمة وخمور و,..و,..و .. فإن معصية الزنا لا تزال تحتفظ
بمهابة وقلق خاص بها أكثر بقية المعاصى العادية,على الأقـــل فى
البداية,و كأن عمرو قد أراد أن ينتهى من هذا الـــ"النشاط"قبل
أن يغيّر رأيه,اقترب منها بالقبل فإذا بها تبتعد عنه فى اشمئـــزاز,
وقبل أن يسألها عن سبب ذلك سألته هى:"إيه فى إيـــه إنـــت

بعدت كده ليه؟"هز كتفيه فى دهشة قبـــل أن يجيـــب:"أنـــا مابعدتش، إنتى إللى بعدتى"

قررا أن يجربا مرة أخرى,اقترب منها فوجدها تبتعد للمـــرة الثانية,و قبل أن يعلن عن غضبه فاجأته هى بالـــسؤال:"إنـــت سامع صوت أذان ؟",و إتسعت عيناه مع السؤال,

أحيانا نتفوه بعبارات مُحرجة لمحدثينا دون أن نقصد,نفعـــل ذلك دون حتى أن ننتبه,و إن كان عدد مرات حدوث ذلك له علاقة بذكائنا الاجتماعى فإن المفترض أن ريم هى آخر شخص متوقع منه الوقوع فى خطأ كهذا,كاد فضولها أن يقتلها و هـــى تسأل"نادر"عن سبب بكائه,و أخيرا أفصح لها عن أحد أهـــم أسراره,و المشكلة فيما حدث فى العجمـــى لـــه فى طفولتـــه كالآتى,تخيلوا معى أن فتاة فى العاشرة من عمرها قد مارســـت الجنس مع رجل بالغ فكيف سيؤثر ذلك على حياتها الجنسية فى المستقبل,إن تخيلنا ببساطة أنه بدلا من أن يحدث ذلـــك لفتـــاة حدث لفتى فى العاشرة من عمره,و أن هذا الفتى قـــد مـــارس الجنس مع امرأة بالغة,هنا تتضح الصورة,أثرت عليـــه الحادثـــة القديمة سلبا,زرعت بداخله خوفا غير مفهـــوم مـــن الجـــنس الآخر,و زاد حب نادر لريم بعد أن أفصح لهـــا عـــن أكثـــر صفحات كتاب حياته ظلاما,كان يظن أنه لو كشف هذا السر لأحد سيضحك أو سيخاف منه و لكن هذا كله لم يحـــدث لم

يصدر منها سوى أنها قد فتحت ذراعاها ليرتمى برأسه فى أحضانها,حضن مأساوى عذرى للغاية,من كان ليتوقع ؟

السر الذى ظن"أحمد شمس"و"مروة"أنهما نجحا فى إخفائه عن الجميع هو استحائرهما لحجرة فى الفندق و مبيتهما معا لتلك الليلة,و نعم,استكملا مسلسل القبلات,و بالتأكيد مارسا الجنس أكثر من مرة,سألته و هى عارية بين أحضانه"طب ومى؟"أجاب فى عدم ارتياح"مش عارف"

***

"أمال مين إللى يعرف ؟أمى؟!",إنها إحدي تلك اللحظات التى تجد نفسك فيها واقفا فى أروقة المستشفى,و قد ملأك القلق على أحدهم فلا تجد من يفصح إليك بمعلومة واحدة مفيدة, و لم يكن شريف الكفراوى أو زوجته مستعدين نفسيا لخوض تجربة كهذه,فلقد دخل خالد فى نوبة ليس لها علاقة بالمرض اللعين مباشرة بعد أن أخبره أبيه بحقيقة مرضه,حالة هياج عصبى و تسارع فى ضربات القلب,حالة أقرب إلى الصرع دخل فيها إثر صدمة فهم حقيقة المرض نفسه,أجابت الممرضة الباردة على سؤال"شريف"الغاضب"أكيد الدكتور نظمى عنده فكرة هو إللى متابع حالة ابن حضرتك"و بعد بحث دؤوب دام أكثر من نصف ساعة عن هذا"الدكتور نظمى"وجدوه أولاد

الحلال يتناول طعام الغداء فى كافيتريـا المستــشفى,و أعلــن الدكتور فى نفس الوقت المخصص لبلع الطعام"لا لا إن شاء الله مفيش حاجة,بالنسبة للى هو فيه دلوقتى,هو نايم دلوقتى حتى من غير مانديللو حقنة مهدئة,أما بالنسبة للسرطان فإحنا بعد كده هانحتــاج نــدخل خالــد فى برنــامج تحاليــل و عــلاج كيماوى",أغمضت الأم عينها لمجرد اقتــران كلمــة"عــلاج كيماوى"بابنها الوحيــد,ســأله شــريف فى تــوتر خافــت الصوت:"طيب ماشى بس برنامج العلاج ده هيكلف كام ؟

أجاب الطبيب بلا مبالاة :"مليون و نص"

لم يتفاجأ شريف كان يتوقع هذه الأرقام المبالغ فيها خاصة من مشفى خاص رأسمالى كهذا,

غمغم شريف وقد غطاه الأسف و الإحراج : طيب بــص إحنا هيبقى عندنا مشاكل فى الدفع,

توقف الطبيب عن المشى للحظات,أضاق ذلك الأخير عينيه و دار أصبع سبابته فى الهواء للحظات محاولا ليضاح فكرة ما لم يرتبه فى ذهنه بعد :"لأ ثانية واحدة ! هو مش إنتــوا خــلاص دفعتوا؟!"

اتسعت عينا شريف الكفراوى (و هذا رد فعل لا يحــدث كثيرا) و هو يسأله فى دهشة:"دفعنا؟!",لقد آن الأوان لشريف الذى فاجأ الجميع بشكل مستمر أن يلتقى هو بأكبر مفاجآته.

كثير من عاداتنا و ردود فعلنا الدقيقة للغاية قد اكتسبناها بالوراثة قبل أى عوامل أخرى,رويدا رويدا بدأت أكتشف أن طريقة تخطى"عمرو"للأزمات هى نفس طريقة عائلته,التجاهل التام,هذا لا يعنى أنه لم يتفاجأ,بل لقد اتسعت عيناه عند سؤالها عن الأذان,سألها"هو فى أذان دلوقتى أصلا ؟!الساعة تلاتة بالليل"و لكن مفاجأته تلك لم تتعد الجزء من الثانية قبل أن تبدأ مرحلة التجاهل و ليستكمل مقترحا وكأن شيئا لم يكن: "بقولك إيه تيجى نشرب كاسين الأول؟"

أبت فى أدب غريب,فأصر هو أكثر عن طريقة الترغيب:"إللى أنا أعرفه إن الحوارات دى بتبقى أحسن بعد الخمرة"

–حوارات إيه ؟

أجاب فى خجل: يعنى,إللى إحنا هانعمله.

– و الخمرة إيه علاقتها بالموضوع ؟!!

– بتخليكى تتعودى أسرع.

– خلاص يبقى إنت بس إللى تشربها,إنت إللى محتاج تتعود,أنا (فى حالة إن مكانتش لاحظت) أصلا بشتغل هنا ومتعودة على الحاجات دى.

– لينا هو إنتى مينفعش مرة واحدة تثقى فى كلامى؟

هُنا استوقفته فتاة الفندق لتسأله :"لينا مين؟",

التفت إليها فجأة و قد زاد ارتباكه و انفعاله و رعبه:"أنـــا مقولتش لينا"

أصرت فتاة الهوى أكثر:"لأ قولت"

ابتسم ليخفي انفعالاته :"أنا كنت أعرف بنت اسمها لينـــا بس أنا مقولتش اسمها دلوقتى"

عقدت الفتاة يديها أمام صدرها و تصر أكثر:"أمـــال أنـــا عرفت اسمها إزاى؟؟"

سمعها ليقع الكأس من يده,عسى أن يكون ذلك الكوب هو آخر ما ينكسر فى تلك الليلة,لا أقول إن هذا هو مـــا ســـوف يحدث إنما هو توقع متساوى الاحتمالات.

***

لم تشعر فتحية بأى ضرر نفسى إثر انتقالها من العمـــل فى الكباريه إلى العمل عند"هبة"و"ريم",بل بـــالعكس حـــتى إذا لم نغض النظر عن لهجة الكبرياء التى تلقى بها"هبة"الأوامـــر إلا أن كرامتها فى هذا المكان أفضل بكثير,رغم قلـــة المرتـــب عـــن الكباريه ألا أنها مرتاحة هنـــا أكثـــر و هـــذا وحـــده هـــو المهم,الهاجس الوحيد الذى لم تستطع أن تبتره مـــن تفكيرهـــا

هو"سيد"تعلقها به أكبر مما كانت تتخيل,جلست على مقعد بجانب المرأة المريضة و باتت ليلتها تفكر فيه,تتساءل عما يفعله هو بعينها,فيمن يفكر,أما زال يحبها؟و كانت إجابات أسئلتها أقرب إليها مما تتوقع,عندما رن جرس باب الشقة ليقطع حبل تفكيرها لم يكن القادم هو ريم أو هبة,بل كان هو,ذُهلت عندما رأته,تنفسه المتسارع و عرقه الغزير يؤكدان أنه قد أتى جريا من مكان ما بعيد,ألم يأبه بأهل البيت الذى تخدم فيه؟!!,و كيف عرف مكانها ؟!!,كل هذا لا يهم,المُهم أنه أمامها الآن بشحمه و لحمه,كان أشبه بالمجانين و هو يهتف مُحتفلا:"أنا سيبت الكباريه يا فتحية ..من النهاردة محدش يقدر يتحكم فينا,تتجوزيني؟"

وقبل أن يمتص عقلها المفاجأة,قبل أن تنبس بنبت شفة قاطعهما صوت خبط على أرضية الشقة,و كأن شيئا ما ثقيلا قد وقع و اصطدم للتو,شيء ما أوحى لها أن تتجه بأسرع ما لديها إلى مصدر الصوت,لترى بأم عينيها والدة"ريم"و"هبة" وقد فارقت الحياة,لتصبح مجرد جسد خاوٍ,و لتنطلق صرخة نحيبية عالية من"فتحية",صرخة اعتاد ملك الموت أن يسمعها من النساء بعد أن ينتهي من عمله مُباشرة,

***

"يلا خدت الشر و راحت ده حتـــة كـــاس ولا راح و لا جه"قالتها فتاة الفندق فى محاولة يائسة للتهوين علـــى عمـــرو سلامة,من الجميل أن ترى أحدهم يفعل ذلك,هى لا تعـــرف عمرو سلامة,لا تعرف حتى ما يضايقه و لكنـــه اختـــارت أن تهون عليه على أى حال,حتى عندما وصل حزنه إلى مـــداه لم تخف منه,عندما عزف عن الكلام,عندما غطى عينيـــه,عنـــدما بكى,عندما خبط بيمينه على زجاج منـــضدة لـــتترف منـــها الدماء,عندما قام فجأة,عنـــدما صـــرخ :"لأ حـــرام إسمعـــى أنا",قامت وراءه حاولت أن تحتويه بوضع كلتا يـــداها علـــى كتفاه المرتجفتان:"طب اقعد كده بس و اهدى,طب اربط إيدك دى بحاجة,علشان الجرح مايتلوثش"

ابتسم بمرارة و هو يتمتم :"سيبيها فى حالها و النبى,إنتى إيش عرفك بالجروح بس؟"

أجابته بتهكم:"على رأيك,إيش عرفنى أنا؟حاياالله فى تانيـــة طب"

***

"ادفعت,مش كده؟طب ممكن تعرفيلى اسم إللى دفعها؟"

بدا شريف كالطفل الملهوف و هو يطرح ذلك السؤال على موظفة الاستقبال فى المشفى الطبى,نظرت إليه المرأة بملل قبل أن تخبره :"حامد الكفراوى"

تجمدت ملامحه, لم يتحرك فى وجهه سوى فمه و هو يسأل :"حضرتك متأكدة من الاسم ده؟"

لم تكد المرأة تجيب حتى أتاه صوت رخيم من خلفه :"إيـــه غريبة أوى للدرجة دى؟"

استدار شريف ليجـــد حامـــد بـــالطبع,و لكـــن لـــيس وحده,كانت معه"ليلى"و"عبد الرحمن"و"محمـــود"الأخ المتـــهم بالخيانة,تزاحمت الأسئلة فى رأس شريف,ماذا يفعلون هنا؟مـــا الذى دفعهم إلى تحمل تكاليف علاج تفوق الميراث الذى طلبه منهم؟و فعل شريف كما يفعل عند اســـتجواب الـــشهود فى المحكمة,انتقى أكثر الأسئلة أهمية:"إنتوا مين قالكوا؟"

أجاب صبحى : أنا.

عاتبته ليلى : هو إنت ليه مطلبتش مننا و لا كنت فاكر إن إحنا مش هانساعدك.

صرخ شـــريف باكيـــا: و هـــو مـــين قـــال إنى محتـــاج مساعدتكوا؟, إنتوا فاكرين إن إنتوا كده بتساعدونى؟,ده أنتوا دبحتونى"

لم يظل شريف على تلك الحال كثيرا,رويدا رويدا تحولـــت كلماته الغاضبة إلى دموع,دموع فى أحضان العائلة القديمة,التى طالما حلم بها.

رغم أن فتاة الفندق بـــدت كـــالملاك إلا أنهـــا لم تكـــن كذلك,بل كانت بشر,لديها حد أقصى لعدد المعلومات الـــتى تستطيع أن تغض عنها النظر,لديها فـــضول يقتلـــها أرادت أن تعرف,من هى,من هى تلك الفتاة التى أبكته :"هى"لينا"دى حد متوفى عندكم فى العيلة"

سمع عمرو تلك الجملة لينفجر فى الضحك,رغم نظـــرات اندهاشها إلا أنه استكمل وسط قهقهته:"متوفية ها هـــا هـــا ها"حاولت أن تقاطعه بأدب و أن تبتعد عن هذا المجنون إلا أنه استكمل على أى حال :"متوفية هه ؟ أنا آخر أخبار وصـــلتلى عنها.. قالولى إن هى عايشة,عايشة أوى أكتر مـــنى و منـــك ومن أى حد تعرفيه لأنها لقت الإنسان إللى بيحبها,و لو أنـــا دلوقتى كنت ببكى زى العيال علشان هى سابتنى,تلاقيها هـــى حتى مش فاكرة اسمى"

بات الآن من الواضح أن تلك الليلة لن تحتوى سوى علـــى النكد,فاستمر الإثنان على أى حال,استكملت أسئلتها:"قعدتوا مع بعض سنين على كده"

مط عمرو شفتيه و هز كتفيه,أوضح و هو يلوح بيده غـــير مكترثا:"أقل من شهر,أيام,ساعات,هى فعـــلا المـــدة بتفـــرق الحاجات دى؟لأ حقيقى يعنى,أنا أعرف ناس بقالهم أكتر مـــن

أربع سنين مع بعض,و ماحسوش بربع إللى أنا حاسيته معاها,و أنا نفسى دخلت فى مدد طويلة سنتين و بتاع مع بنات تانية,عمرى ما حسيت إن ليا مستقبل معاهم,و كل ماقعد مع نفسى باستغرب أنا مكمل معاهم ليه؟لكن دى"توقف عن الكلام لفترة و استكمل و على وجهه إعجاب و كأنه يصف مخلوقا خرافيا:"دى حاجة تانية من أول خمس دقايق عرفتها فيهم,قولت هى دى,خلاص,و يا ريت توصل لجواز"

- إنت قولتلها الكلام ده؟

- أهبل أنا مش كده؟ كل اللى حضروا الموضوع ده قالولى كده.

أضافت بحذر: هو بينى و بينك عندهم حق.

أردف عمرو مصححا: الناس دى معندهاش حق,الناس دى عندها عقل,بيستعملوا عقلهم أكتر من قلبهم,و أنا عمرى ما هاحب كده,لأن ده مش حب ده شطرنج,كانوا بيحسبوا كل حاجة قبل ما يعملوها,فطبيعى واحد عمل إللى أنا عملته ده بالنسبة لهم يبقى مجنون,و هم مش عايزين يقولولى كده علشان مزعلش منهم بس الحقيقة إللى أنا بحسها هى إن معظمهم لحد دلوقتى فاكرين إن أنا مابحبهاش و إنى بوهم نفسى.

- عن تجربتى أنا فى حياتى و كده,فى حاجات ممكن تحصل فى خمس دقايق و تفضل مأثرة معاك العمر كله..

ابتسم رغما عنه و كأنه تذكر فجأة هوية محدثته و بعده عن همومه الشريفة:"شكرا على التشبيه,مع احترامـــى لتجربتـــك الفريدة فى الحياة,بس أنا متأكد إنك مش فاهمة حاجة من إللى أنا بقولها,حياتى غير حياتك"

أصرت الفتاة و هى ترد إهانته غاضبة:"أنا مـــش قـــصدى كده,أنا حياتى مش كلها بارات و مُكن,أكيد ما دمت بـــنى آدمة يبقى أكيد حبيت زيى زى غيرى,كلامك ده مش محتـــاج دكتوراه علشان يتفهم,و حتى لو محتاج كمان كام سنة هيبقى معايا دكتوراة علم نفس"

ازداد ضحكه و هو يغمغم:"علم نفس,آه أهلا .."وضـــع إحدى قدميه فوق الأخرى,قرر لسبب ما أن يعرف مـــا وراء تلك الشخصية :"و إنتى بقى حبيتى قبل كده؟"

- لسه بحب,بس زى إللى حصلك برضه هو مش حاسس بيا

ضحك سرا و هو يسألها :"إيه ؟عنده بنت خالة هو كمان و لا إيه؟"

بدت الحيرة على وجهها,لم تفهم ما يقصد بالظبط,أعطاها هو الضوء الأخضر بأن تغض النظر عن المزحة التى ألقاها للتـــو ..لوحت بيدها لأنها لا تريد أن تتذكر,اقترح لأنـــه يريـــد أن يعرف.. فجاء الرد خجولاً :

- ولا حاجة كان حظ أهلي كده بقى,إنى أنا أفقر بنت فى الكلية حبيت أنضف و أغنى و أكتر ولـــد محتـــرم شـــوفته فى حياتى.

- شكلك مش فقيرة للدرجة دى على فكرة.

- إنت أصلك مشوفتنيش زمان,من سنة كـــده أول مـــا دخلت الكلية لما كنت بستلف علشان أصور ورق المحاضرات

- و بعد كده إيه إللى حصل ؟

- شوفتوه,وبرضه زيك كده من أول خمس دقايق قولـــت هو ده,لازم نبقى لبعض,و لإنه مكانش ينفع يصلى و أنا عاملة كده,كان لازم فلوس.

-و ده مخليكى قاعدة معايا دلوقتى أكيد,بـــصراحة مـــش حاجة سهلة,

- هى إيه؟

- إن يكون الحل الوحيد إللى يخللى اللى بتحبيه يلاحـــظ وجودك هو إنك تخونيه من قبل ما تعرفيه.

ضحكت رغم إرادتها: عندك موهبة إنك تعرف تخللى كل حاجة كئيبة يا عمرو.

ضحك هو أكثر: لأ والله أنا من نوع الناس إللى بيبقوا من جوه بيتحرقوا و من بره بيضحكوا و لا كإن فيه أى حاجـــة خالص,اللحظات اللى بفتح فيها المواضيع دى عادة مبيتحــيش كتير,ساد الصمت بعــدها لفتــرة,صــمت مرتبــك جــاء متأخرا,تذكر الاثنان فجأة أنهما هنا من أجل الجنس و ليس من أجل العلاج النفسى.

قطعت هى ذلك الهدوء بأغرب ما يمكن أن يقــال علــى الإطلاق"بس خلاص,هانت,دى آخر ليلة ليا فى المكان ده"

حاول هو أن يبدو مهتمــاً :"بجــد؟ طــب والله حظــي كويس,إشمعنى النهاردة يعنى؟"

هزت كتفيها فى لا مبالاة :"معرفش أنا حاسة بكده"

-حاسة؟!

– مش بس حاسة يعنى,إمبارح حلمت بأن ده آخر يوم ليا هنا.

– حلمتى ؟؟؟

قالها ليقرر بعدها أن يتغاضى عما قيل للتو,أحب أن يتأكد من بضاعته:"على فكرة إحنا لسه بهدومنا,حاجة زى دى غالباً محصلتش فى تاريخ المكان ده"

و لم يكن هذا هو أغرب حالة قد وصل إليها الحديث,ليس بعد,ليس قبل أن تطلب بأدب :"معلش ممكن أستحمى الأول"

- أنا معنديش مانع.

- طب ممكن تكمل جميلك و تنزل تحت؟

- تحت فين؟

- تحت فى الريسيبشن.

ظهر غضبه لأول: إشمعنى يعنى؟

- عايزة أستحمى و أصلى.

ثم أمتزج غضبه بكثير من الدهشة و العجب: تصلى؟؟

- إيه فيها حاجة ؟

اختفت كل انفعالاته لتحل محلها اللهجة الساخرة:"لأ مفيهاش,أنا نازل,تحبى أعدى عليكى كمان قد إيه؟"

- ماتجيش قبل ربع ساعة,علشان ألحق أنا.

ما أثار جنونه فعلا أن تلك الفتاة كانت تتكلم بشكل طبيعى للغاية وكأنها تلفظ و تطالبه بأشياء عادية,كأنه هو المجنون,سألها"تلحقى إيه؟"

- إنت مالك إنت؟ لو سمحت ممكن تنزل؟

لم يستطع أن يمنع نظرة الغضب التي احتلته,لتلفظ هي بعدها بالكلمة التي لم يستطع عمرو في حياته أن يتجاهلها إذا صدرت من فتاة,عادت نبرتها إلى الهدوء لتقول بصوت أقرب إلى الهمس"أرجوك"

***

الغريب أن"خالد"عندما استقرت حالته, لم يأبه بمشهد التصالح العائلي الذي رآه على باب حجرته, لم يأبه لأي شيء,رغم معارضة أبيه و أمه صمم على أن يترك المشفى,أراد أن يختلي بنفسه قليلا,ساعده عناده على الخروج إلى الشارع رغم أن أنف الجميع.. أخرج هاتفه الجوال من جيبه,و اتصل بأحدهم:

- ألو يا مارك إنت بتعمل إيه دلوقتي؟

- عادي قاعد في البيت.

- تعرف تنزل دلوقتي؟

- هو أنا ممكن أنزل براحتي و كل حاجة علشان أهلي مسافرين,بس هانروح فين؟

- معرفش,بس أنا عايز أتكيّف,مستعد أعمل أي حاجة علشان أشرب حشيش.

- ماتفككك من الحوار ده.

- بقولك إيه,أجيلك و لا أشوفللى حد تانى؟

***

آخر ما كان يحتاجه عمرو فى فترة النقاهة الـتى اقتطعهـا لنفسه بعيدا عن بيته و عائلته و أصدقائه هى تلك الفتاة الغريبة الأطوار,من يكن يدرى أن يترك كل هذا وراءه ليقع حظه مع بائعة الهوى الوهمى هذه,تلك العاهرة مع وقف التنفيذ,

"فى إيه يا أستاذ ماتقعدلك فى حتة بقى,خايلتنى رايح جاى رايـح جـاى"لفظهـا بعـصبية عامـل الاسـتقبال المسطول,كان"عمرو"قد أنهى سيجارته الـسادسة فى انتظـار إنقضاء الربع ساعة التى قد وعد بها الفتاة,لم يكـد أن يلفـت للعامل حتى قاطع المشهد رجل فى الخمسين من عمره لا يرتدى أى شيء سوى فوطة لفها حول وسطه ليخفى بها عورته,صرخ الرجل بكل ما لديه من صوت فى وجه الموظف"يا ولاد الكلب أنا هاوديكوا فى داهية,أنا هاطربق المكان ده على إللى فيه"

حاول الموظف أن يتفهم مايحدث: فى إيه بس يـا حـاج صابر؟

استكمل الحاج صابر بعصبية أكثر و صوت أعلى و وجـه أكثر احمرارا:"فى إيه؟ عايز تعرف فى إيه؟فى إن النسوان إللـى

عندكم حرامية ولاد وسخة,تسهيني أخش أســتحمى تقــوم تسرق فلوسى"

لم يبرح"عمرو"فى مكانه أكثر منذ ثانية واحدة فى مكانه بعد أن سمع ما قاله الرجل المجهول,لم يحتج لأكثر من ذلك الجزء من الثانية ليربط الأحداث ببعضها,الفتاة التى أخرجته من حجرتــه وحقيبته التى لا تزال بالأعلى,هاتفه الجوال,أموال صديقه,جرى بكل ما يملك من سرعة,لم يهتم بالاعتذار بكــل العــاهرات والعاهرين الذين اصطدم بهم أثناء هرولته,وصل إلى غرفتــه فى وقت قياسى,فتح الباب ليرى ما ظن أنه لن يراه يوما .

***

كان مارك فى منتهى الذكاء عندما استدرج خالد للمجيء إليه بدلا من أى صديق آخر,حيث أن رغبة خالد فى الحشيش باتت واضحة,و بات من الواضح كذلك أن خالد سوف ينفذ ما فى رأسه بمساعدة مارك أو بدونها,فرأى"مــارك"أنــه مــن الأفضل أن يشرب بنفسه على الجرعات التى يتناولها خالد بقدر الإمكان,و لكن ذلك الأخير لم يستطع,شراهة خالــد اليــوم للمخدرات غير طبيعية من الصعب التحكم فيها,و غضبه اليوم عند إبعاد الحشيش عنه لا يخضع لأى منطق,فلم يكن من مارك إلا أن ييأس و أن يستكمل"قعدة الحشيش"فوق سطوح عمارته على أى حال,أخبره"خالد"بالطامة الكبرى أخــبره باحتمــال

موته قريبا,لم يفهم مارك إن كان ذلك حق أم إحدى تخاريف الدماغ العالية,و تغيرت أولويات مارك,هدفه الآن هو إخـــراج خالد من حالة الحزن"لأ بـــس قليـــل لمــا أهلـــى يـــسافروا ويسيبونى,شكل الحوار ده هيتكرر كتير و هنعيش بقى"قالهـــا وهو يحاول أن يبتسم,غمغم خالد و هو يـــضحك ضـــحكة المهموم :"هنعيش آه"

استكمل مارك(بارتباك): آه هنبقى كل يوم هنا حـــشيش بقى و بتاع.

- مش فارقة أنا كده كده مفضليش كتير كلها كام أسبوع و هاموت خلاص.

قالها مُصاحبة بدمعة,ثم أخرى ثم صرخة قام فصرخها,و هو يتحدث إلى السماء غير آبه بعلو صوته أو بانتقاء ألفاظه.

***

لم يجد عمروعندما فتح باب الغرفة سوى الفتاة قد اتجهـــت إلى القبلة,تأكد أن كل ممتلاكاته فى مكانها,اطمأن قلبه,جلـــس على سرير,أشعل سيجارة,انتظر حتى تنتهى صلاتها وظل ينتظر وينتظر,دقائق عديدة,ساعات عدة,لكنها لم تقم من ســـجدتها شعر بالقلق ربما نامت مثلا من الإجهاد التى قامت به الليلة مع من قبله من الزبائن حاول أن يوقظها من نومهـــا وبمجـــرد أن لمسها وجدها ترتمى على الأرض كانت ميتة تخلل لونها الأسمـــر

بلون شاحب كانت هذه هى أول مرة يرى فيها جثة أصـــابه الفزع كان لا يزال صغيرا وكانت هذه أولى تجاربه فى الحيـــاة القاسية

***

"ليه بس كده يا رب إشمعنى أنا ؟هو أنا كنا عملـــت إيـــه؟ شربت حشيش؟؟؟ طب و إيه يعنى ؟؟؟ هو فيه مين مبيشربش؟ و أهو كل الناس هاتعيش أهيه,أمال أنا أموت ليه ؟هو مـــش كلنا عصيناك,أمال يوم القيامة قام عليّا أنا لوحدى ليه ؟أستغفر الله العظيم يا رب,أستغفر الله العظيم,أنا خلاص يا رب مابقتش فارقة معايا حاجة,ياتسيبنى أعيش يا تموتنى دلوقتى"

مرت الأسابيع و الأشهر و مضى كل من أبطال قـــصتنا فى طريقه,الغريب أن خالدا لم يمت,تم علاجه من السرطان بشكل نهائى,أصبح ملتزما دينيا لفترة ثم عاد كل شيء كمـــا كـــان, والأغرب أن خالدا قد واجه بسبب شفائه العديد من المشاكل فيما بعد,بدلا من أن يفرح أصدقائه بتأخر موته اتهموه إنه قـــد اختلق قصة المرض من خياله ليحصل على إستعطافهم!, شريف خصص جهوده لخدمة مشاريع العائلة,لا أحد يستطيع أن ينكر أن نشاطه الجديد يتضمن بعض الكذب و النفاق إلا أنها أكثـــر استقامة بكثير عن طريقه السابق كمحام فاسد,فى مكـــان مـــا

التقت نيفين بهاني ارتبطا لفترة ثم انفصلا قبل موعد خطوبتهما المحدد بشهر واحد,حسب قولها إن الانفصال سببه هو تحكمه الزائد فيها و في أفعالها و إن أسباب الانفصال لا تحتوي على أي حب لأي شخص آخر (الله أعلم),حسام بعد أن انفصل عن لينا نتيجة لكثرة شكه في إخلاصها له أو في وجود علاقة ما جنسية بينها و بين عمرو سلامة من قبله,و بعد أن خسر البطولة نتيجة لانفصاله عن تلك الأخيرة بدأ رحلته مع المخدرات,و ما زال في منتصفها حتى لحظة كتابة تلك السطور,رامي عرف مؤخرا من"يمنى"نفسها أنها على وشك الارتباط بأحدهم,ما زالت ليلى الكفراوي حتى الآن لا تجرأ على النظر في عينيه إذا التقيا بالمصادفة,كلما رأت ذلك الفتى شعرت بذنب,كان من الخطأ على أي حال أن توعده بشيء لا تملكه هي,قلب يمنى.

كريم انفصل عن هنى و عن نادين,و عن كل النساء وكأنه يئس منهن,رقم هاتفه قد تغير,أوراق حياته في مرحلة إعادة الترتيب و عينه تختفي وراء نظارة سوداء و قلبه مغلق للتصليحات,أما أحمد شمس فقد ربح القضية التي رفعها أمام زوجته بمساعدة أدهم,تزوج بـ"مي"و ظل على علاقة غير شرعية بـ"هبة"رويدا رويدا و موقفا تلو الآخر يدرك"أحمد"أنه قد أصبح هو الرجل الذي يكره,تحولت الفريسة القديمة إلى

وحش جديد بلا ضمير,لقد أصبح"أحمد شمس"هـــو"شـــريف الكفراوى"

أما فهد فقد اســـتطاع أن يهــرب مـــن مـــصائد"محمـــد البارودى"الذى لم يكف عن محاولة تحويل هذا الأخير إلى مجرد تابعاً له,بنى بدلا من ذلك صداقة وطيدة مع"عمرو ســـلامة"فى أحد الأيام سأله"فهد":"تقدر تعلمنى الإيستيميشن؟"

كيف جرت الأيام بهذه السرعة ؟ من كان ليتوقع أن يقف عمرو الآن فى موقف المُعلم .. ألم يكن تلميـــذ البارحـــة ؟ ألم يكن مبتدأ فى الإيستيميشن؟ أخرج عمرو أوراق لعب أصـــبح يحتفظ بها مؤخراً فى جيب معطفه و بدأ فى شرح قواعد اللعبة..

"الإستيميشن زى الدنيا,يعنى كل حاجة موجودة فى الـــدنيا موجودة فى الإستيميشن لو فكرت فيها,يعنى بص دلوقتى لـــو إحنا معانا اتنين كمان و بقينا أربعة بنلعب ينفع أحنا الأربعـــة نكسب؟أكيد لأ,,بس ممكن إحنا الأربعة نخسر,أى حد يقـــدر يبقى غبى,بس صعب يقدر يحسب إللى هايحصل,الإستيمـــشن هى لعبة الاحتمالات إنك عن طريق حسابات مُعينة (إيه إللى نزل و إيه إللى مانزلش) تقدر تتوقع إللى هيحصل,الـــبنى آدم من ساعة ما ربنا خلقه و هو بيحاول يعرف المستقبل عن طريق حسابات معينة,كل مرة الإستيمشن فيها بتتلعب بتثبت فيه إن مفيش حد يقدر يعرف بالظبط إيه إللى هيحصل,لأن دايمـــا فى

على الأقل واحد بيطلع غلط,و ساعات بيطلع كل إللى قاعدين غلط,الإستيميشن إللى بيكسب فيها هو إللى يقدر يتوقع عدد اللمات إللى هايلمها لو لم لمة زيادة أو قلت منه لمة يبقى خسر.. برضه زى الدنيا ساعات الواحد مبيبقاش عامل حسابه الخير هيجى منين,يعنى ممكن تطلب مثلا ست لمات,تجيب خمسة إنت عامل حسابك عليهم و تروح واحدة بس بعد كده تلبس واحدة زيادة فتبقى كسبت,و لو أخدت ريسك كبير وكسبت يبقى إنت أكتر واحد كسبان و لو أخدت الريسك ده و إنت مش قده هتبقى أكتر واحد اتجبت الأرض لأنك مطلبتش على و دايما دايما بعد ما تفتكر إنك كسبت و إن كل حاجة ماشية تمام تطلعلك ورقة إنت مكونتش عامل حسابها"

- مش فاهمها أوى لسه , بس شكلها مسلية
- ما هى بتبقى كده فى الأول

(آخر ورقة نزلت)